

جامعة الأزهر
فرع البنات
كلية الدراسات الإنسانية بالقاهرة
قسم التاريخ

أسامة بن منقذ ومنهجه في الكتابة التاريخية
دراسة نقدية
(488-584هـ/1095-1188م)

رسالة مقدمة

لنيل درجة التخصص(الماجستير) في التاريخ الإسلامي

إعداد

حنان محمد عبد التواب الشرقاوي

المعيدة بقسم التاريخ – كلية الدراسات الإنسانية

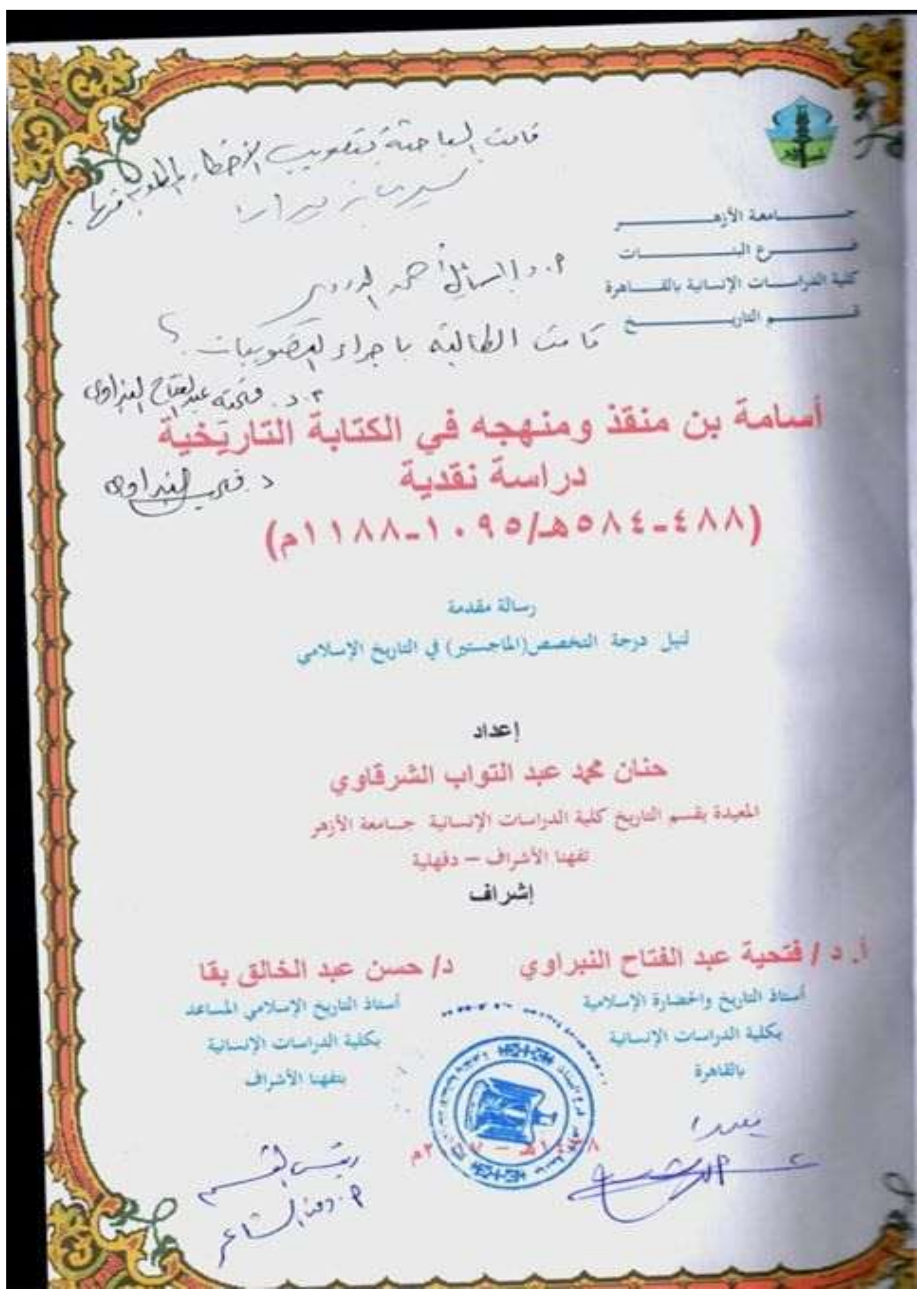
تفهنا الأشراف – جامعة الأزهر بالدقهلية

إشراف

أ.د / فتحية عبد الفتاح النبراوي
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
بكلية الدراسات الإنسانية
بالقاهرة

د/ حسن عبد الخالق بقا
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد
بكلية الدراسات الإنسانية
بتفهنا الأشراف

1438هـ / 2017م



جامعة الأزهر
فرع البنات
كلية الدراسات الإنسانية بالقاهرة
قسم التاريخ

أسامة بن منقذ ومنهجه في الكتابة التاريخية
دراسة نقدية
(٤٨٨-٥٨٤هـ/١٠٩٥-١١٨٨م)

رسالة مقدمة
لنيل درجة التخصص(الماجستير) في التاريخ الإسلامي

إعداد

حنان محمد عبد التواب الشرقاوي
المعيدة بقسم التاريخ كلية الدراسات الإنسانية جامعة الأزهر
تفهنا الأشراف – دقهلية

إشراف

أ. د / فتحية عبد الفتاح النبراوي
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
بكلية الدراسات الإنسانية
بالقاهرة

د/ حسن عبد الخالق بقا
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد
بكلية الدراسات الإنسانية
بتفهنا الأشراف



جـــــامعة الأزهــــــــــر
فــــــــرع البنــــــــــــات
كلية الدراســـات الإنسانية بالقـــاهرة
قســـــم التاريــــــــــخ

أسامة بن منقذ ومنهجه في الكتابة التاريخية
دراسة نقدية
(٤٨٨-٥٨٤هـ/١٠٩٥-١١٨٨م)

رسالة مقدمة

لنيل درجة التخصص(الماجستير) في التاريخ الإسلامي

إعداد

حنان محمد عبد التواب الشرقاوي

المعيدة بقسم التاريخ -كلية الدراسات الإنسانية

تفهنا الأشراف – جامعة الأزهر بالدقهلية

إشراف

أ. د / فتحية عبد الفتاح النبراوي

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

بكلية الدراسات الإنسانية

بالقاهرة

د/ حسن عبد الخالق بقا

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد

بكلية الدراسات الإنسانية

بتفهنا الأشراف

١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
{ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ
تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ
مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ
إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }
صدق الله العظيم
سورة آل عمران أيه رقم(٢٦)



الشكر والتقدير

الشكر والتقدير

إذا كان الشكر يعبر عن جزءٍ من العرفان؛ فبدايةً أشكرُ اللهَ عز وجل أن يسرَ لى إتمام هذا البحث على الوجه الذى يرضيه سبحانه وتعالى، ويرضى به عنى أساتذتى الأفاضل .

ولا يسعني إلا أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير والعرفان بالجميل إلى أمي بكل ما تحتويه هذه الكلمة من معاني، وإلى جميع أساتذتي الأجلاءِ الذين أدين بفضلهم وواسع علمهم وهم كثير، غير أن أجلهم أثراً، وأبقاهم نفعاً، وأكرمهم عطاءً، معلمتي الجليلة وأستاذتي الفاضلة المعطاءة التي أجرى الله لي الخير على يديها فضيلة:

الأستاذة الدكتورة/ فتحية عبد الفتاح النبراوي

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية الدراسات الإنسانية بالقاهرة

التي شملتني برعايتها، وأمدتني بعلمها الغزير، إذ أرشدتني بملاحظاتها السديدة، وتوجيهاتها الرشيدةِ؛ فكانت نعم المعلمة والموجهة، ولقد لمست فيها تواضع العلماء، ووقارهم وسكينتهم، فأسأل الله أن يمتعها بالصحة والعافية، وأن يجزيها عن طلبة العلمِ خيرَ الجزاء.

وكذلك أتقدم بأسمى معاني الشكر والتقدير لفضيلة:

الدكتور/ حسن عبد الخالق بقا

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد بكلية الدراسات الإنسانية بتفهنا الأشراف

هذا العالم الجليل، الذي قلما رأيت في خلقهِ وعلمهِ وتواضعهِ، وحلمه وسعة صدره، كما أشكر له لينِ جانبه، ودماثة خلقه، وتشجيعهِ المتواصل طوال مرحلة الماجستير، فلا توفيهِ الكلماتُ حقه، فجزاه الله عني خيراً، ومتعه بموفور الصحة والعافية.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بجزيل الشكر للجنة الحكم والمناقشة من السادة الأساتذة وأعضائِها الكرام؛ لتفضلهم بقبول مناقشتي، وجميعنا يعرفُ مدى انشغالهم بأعبائهم العلمية، بارك اللهُ علمهم، وثمنَ جهدهَم، وأجزل ثوابَهم.

كما أتقدم بخالص الشكر والعرفان إلى رمز الحب والمودة والعطاء بلا مقابل إلى والدي الحبيب الحاج/ **محمد عبد التواب الشرقاوي**، الذي ضحى بحياته كلها من

أجلي أنا وإخوتي، فأشكرك يا أبي شكراً لا يوافيك حقكَ، فقد كنت لي نعم القدوة الحسنة، وكنت نبراساً أضاء طريقي في كل خطوةٍ من خطواتِ حياتي؛ فالله أسألَ أن يطيلَ عمره، ويصلح عمله، ويحسن خاتمته.

كما أتقدمُ بخالص الشكرِ والعرفان إلى رمز الحنان والدتي العزيزة أطال الله في عمرَها، ورزقها الصحةَ والعافيةَ، وحسنَ الخاتمة.

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير لرمز الحب والتضحية والعطاء زوجي الحبيب/**علي المرسي فودة،** لتحملِه معاناة السنواتِ الماضية، وإلى أخيه الأكبر/ **السيد المرسي فودة،** الذي كان دائماً يقف إلي جانبي في الأوقاتِ الصعبة.

ولا أنسى فلذات أكبادي **(محمود- حنين – أسامة- محمد)،** وأعتذر لهم، وأرجو منهم قبول اعتذاري، عن أي تقصير صدرَ منى طوالَ فترة إعدادِ الرسالة، وأشكرهم على تحملهم معي المسئولية، وهم في سن صغيرة.

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى إخوتي **(أدهم- محمد - جمال)** الذي يعلمُ اللهُ ما أكنه لهم من حبٍ ومودةٍ، ولا أنسى أبداً فرحتهم بي التي أراها دوماً في أعينهم، جعلني اللهُ عند حسنِ ظنهم جميعاً .

وإذا كان للحق أن يذكر، وللفضيلة أن تنشر؛ فإنني أوجه الشكر إلى كل من مدّ لي يد العون لإخراج هذه الدراسة إلى النور، وأخص بالذكر فضيلة الدكتور/ **عبد الحميد جمال الفراني،** أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة الأقصى بغزة- فلسطين، إذ أرشدني بملاحظته السديدة، وتوجيهاته الرشيدة، وما برحت يمدني من علمهِ الغزير بآرائه الثاقبة التي كان لها أبلغ الأثر في نفسي، وخير حافز لي على مواصلة الطريق، ولقد لمست فيه تواضع العلماء ووقارهم وسكينتهم، فأسال الله عز وجل أن يبارك في عمرهِ وأهله، وأن يمتعه بالصحة والعافية، وأن يجزيه عن طلبةِ العلم خيرَ الجزاءِ.

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من أ.د/ **حسن عبد العال عباس،** أستاذ الأدب القديم بكلية الآداب جامعة طنطا، وأ.د/**سامية مصيلحي،** أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الدراسات الإنسانية بالقاهرة، وأ.م/**حجازي عبد المنعم** ، أستاذ التاريخ الوسيط بكلية الآداب جامعة المنوفية على ما قدموه لي من توجيهات وإرشادات، ولم يبخلوا عليّ بنصائحهمِ المفيدة وملاحظاتهم القيمة، وإرشاداتهم المستمرة، فجزاهم اللهُ عني خيراً، وبارك لهم، وسدد خطاهم على طريق الهدى والرشاد .

الشكر والتقدير

كما يسرنى أن أتقدم بجزيل الشكر إلى هذا الصرح الشامخ والعريق الأزهر الشريف، جامعاً وجامعة، والقائمين عليه، وإلى كلية الدراسات الإنسانية، والدراسات العليا على ما قدموه لي من تسهيلات خدمةً للعلمِ والباحثين.

إهداء

- إلى نبينا المعصوم " محمد بن عبد الله " ﷺ الذي أنزل الله عليه الكتاب، وأتاه الحكمة وفصل الخطاب، وبلغ رسالة ربه ولم يدع ريبة لمرتاب.
- وإلى آله وأصحابه الكرام الذين أحسنوا التوكل على ربهم لبلوغ الأسباب، وجمعوا بين العلم والجهاد.
- وإلى والديّ الكريمين اللذيْن أحسنا إليّ منذ الصغر إلى الشباب، وزوداني بالدعاء في حال الذهاب والإياب ، أحسن الله إليهما في الدنيا ويوم الحساب.
- وإلى روح والد زوجي الحاج " المرسي السيد علي فودة " تغمده الله برحمته وأسكنه الفردوس الأعلى.
- وإلى زوجي الذي بذل الكثير من الجهد معي، وعاونني لإنجاز هذا العمل.
- وإلى روح الدكتور " عبد الرازق القرموط " رحمة الله عليه وأسكنه فسيح جناته.
- وإلى إخواني وأصحابي وأقاربي الأفاضل أهل الصدق والوفاء الذين طالما أحسنوا السؤال والجواب.
- إلى هؤلاء جميعاً أهدي هذا البحث المتواضع.



المقدمة

المقدمة

إن الْحَمد لله نحمده، ونستعينه، وَنَسْتَغْفِرهُ، ونعوذ بِه من شرور أَنْفُسنَا، وَمن سيئات أَعمالنَا، من يهده الله فَلَا مضل لَهُ، وَمن يضلل فَلَا هادي لَهُ، وَأشْهد أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شريك لَهُ، وَأَن مُحَمَّدًا عَبده وَرَسُوله، سيد الْأَوَّلين والآخرين، قدوتنا وإمامنا، صلى الله وَسلم وَبَارك عَلَيْهِ، وعَلى آله، وَأَصْحَابه، وَأَتْبَاعه، ومن سار على هديهم إلى يوم الدين.

وبعد،

فقد حظى الأمير أسامة بن منقذ باهتمام العديد من المؤرخين في الشرق والغرب، بحيث يمكن القول إنه لم يعد هناك مجال لمزيد من الدراسة، بيد أن هناك وجهةً أغفلها معظم الدارسين، وهى: " منهجه في الكتابة التاريخية " .

تُعدّ الدراسة العلمية الشاملة عن المؤرخين بشكل عام دراسة مهمة جداً، وتزداد أهميتها إذا كانت عن علم من المؤرخين المسلمين؛ لأنها تمكننا من الاطلاع على جزءٍ مهم من ماضي الأمة، وعلى تدبرِ هذا الماضي بشكل جاد، إضافة لكونها نبراساً هادياً للأجيال الحاضرة من الباحثين والدارسين، المهتمين باستكشاف الماضي، وإعادة تقويمه بشكل يتحول معه هذا الماضي وتراث الأمة إلى قوة خلّاقة من حاضرها.

وفي ذلك يقول أحد الباحثين: " ... وهذا الاتجاه في الدراسات التاريخية له أهمية كبيرة، والحاجة إليه ماسة، نتيجة كونه يتيح الفرصة لتقييم مصادر التاريخ الإسلامي، ومؤلّفيها، تقييماً عادلاً بمعايير علمية دقيقة، ووفق أسس منهجية متفق عليها، نخرج منها بفائدة جيدة، وهي كشف حقائق علمية مهمة عن أولئك المؤرخين ومؤلفاتهم، وما يتميز به كلّ منهم، ودرجة الثقة به، والجوانب التي يمكن الاعتماد عليه فيها، والجوانب التي ينبغي الحذر منها عند الرجوع إليه، بحيث تضع كلَ مؤرخ، وكل مصدر في مكانه المناسب، وتكشف لمن يريد أن يأخذ عن هذا المؤرخ أو ذاك مدى موضوعيته وحياده، وطبيعة توجهاته الفكرية والسياسية، وبالتالي تحمي الباحث من الانزلاق في إصدار أحكامٍ تاريخية بعيدة عن الواقع، انسياقاً وراء ما يرد في بعض المصادر غير الموثوقة " [(١)].

---

(١)**عبد الرحمن بن راشد بن عبد العزيز العبيدي:** أبو شامة المقدسي مؤرخاً (٥٩٩-٦٦٥هـ)، رسالة ماجستير بكلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، مقدمة الرسالة، ص ج .

كما أضافَ عبدُ الرحمن العبيدي[1] إلى ما سبق بأن هذا النوع من الدراسات في غاية من الأهمية، نظراً لحاجة الدراسات التاريخية إلى هذا المنهج؛ فهو يمثل الخطوة الأولى في إعداد باحثين في التاريخ الإسلامي، قادرين على إعمال مجالاتِ البحث التاريخي من الإستقراءِ والتحليلِ، والإستنتاج والمقارنة، كما ينمي لدى الباحث ملكةَ النقدِ والتقييم .

ويعد أسامة بن منقذ من المؤرخين البارزين الذين بذلوا جهوداً علمية كبيرة، وأورثوا مؤلفات عظيمة، فقد اهتم بالكتابة في شيخوخته وبرع فيها كما برع بفنون القتال والحرب في شبابه، وتبوأ منزلةً عاليةً بين مؤرخي عصره، إذ كان أحد شهود العيان على كثير من الأخبار التاريخية وغيرها، كما أتيحَ له الإطلاعُ على بعض الرسائلِ والمكاتبات المهمة، وسجلها فى كتبه، مما يضفي على مؤلفاتهِ قيمةً تاريخية واضحةً، وتجعلها صورةً تعكسُ حياةَ المجتمعِ الإسلامِي والصليبي، كما قدّم وصفاً دقيقاً لحياة الصليبيين وعاداتهم، وأخلاقهم، وطبائعهم في الشرق الأدنى، وذلك من خلال علاقاته بهم، وصداقاته لبعضهم.

أسباب اختيار الموضوع:

١- الرغبة في التعرف على أسامة بن منقذ كمؤرخ؛ لأنه يمثل الفروسيةَ الإسلاميةَ والفتوة العربية في عصر الحروب الصليبية، ويقدم في مؤلفاته للأجيال المعاصرة صورةً صادقةً عما كان عليه أجدادهم من شجاعة فائقة ، وما كان لهم من مدنية زاهرة، وحضارة شامخة؛ مما جعلهم يقبلون على الغزاة الصليبيين بهمة عاليةٍ، يدحرون حملاتَهم المتلاحقَة على بلاد الشرق الإسلامي، وينقذون القدسَ من أيديهم ، ويطهرون البلادَ منهم بعد أن أقاموا لهم دويلات متعددة في نحو قرنين متتاليين .

٢- الكشف عن جانب من أهم جوانب الحياة العلمية في القرن (السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)، وهو الكتابة التاريخية، ومدى مساهمة أسامة بن منقذ في ازدهار الحياة العلمية آنذاك عامة وفي الكتابة التاريخية خاصة.

٣- عدم وجود دراسة مستقلة عن منهجية أسامة بن منقذ في الكتابة التاريخية، وأسلوبه في اعتماد مصادره ، فكان لابد من دراسة متأنية حتى يمكن التعرف على منهجه وأسلوبه ومصادره ، ومن ثَمَّ تقديمه وعرضه بشكل تُتوخّى فيه الأمانة العلمية ، وينأى فيه عن التحيّز لشخصية الدراسة ، وعن التنكر لبعض الحقائق التي قد تتعارض مع أفكارِ

(١) أبو شامة المقدسي مؤرخاً (٥٩٩-٦٦٥هـ) ، مقدمة الرسالة، ص د .

الباحثِ؛ لأن هذا يمكنه من تقويم منهجه، ونقده نقداً صحيحاً، وفق رؤية واضحة مجردة عن الميول والأهواء.

لذلك فقد أردت دراسة أسامة بن منقذ كاتباً ومؤرخاً، وإيضاح منهجه في الكتابة عامةً، وفي الكتابة التاريخية خاصةً، فكان اختيار موضوع الدراسة بعد التوكلِ على الله سبحانه لنيلِ درجةِ التخصص" الماجستير" في التاريخ الإسلامي.

حدود البحث المكانية والزمانية:

يغطي هذا البحث رقعة جغرافية واسعة نسبياً، حيث يشمل بلاد الشام بالإضافة للموصل، وديار بكر، ومصر. ورغم أنني لم أقم بدراسة هذه المنطقة بعمق، إلا أنه كان لزاماً عليّ أن ألم بالحالةِ السياسية لتلك البلاد؛ حتى يمكنني الوصولَ إلى ظروف البيئة التي عاش بها مؤرخنا، وأثرها على شخصيتهِ. كما كان عليّ أن ألم بكثير من النواحي العلمية، وأيضاً الكتابة التاريخية في عصره.

وأما الفترة الزمنية التي غطاها البحث؛ فهي مدة حياة مؤرخنا، وهى (القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي). الذي كان يمثل مرحلة النهوضِ، واستعادةِ القوةِ والوحدة في العالم الإسلامي، إذ إنه مع الغزوِ الصليبي بدأ العالمُ الإسلامي ينهض من سباته العميق، وينبذ الفرقةَ والمشاحنات، والصراعات على السلطة، وقامت حركة علمية هائلة في معظم أقطاره، ولقد تأثرت الكتابةُ التاريخيةُ وقتئذ بتلك الأحداث .

منهج البحث:

لقد اتبعت في هذا البحث المنهج التاريخي لوصف بعض الأحداثِ التاريخيةِ المتعلقةِ بحياة أسامة بن منقذ، وأيضاً المنهج القياسي؛ فقمت باستخدام القياس في بعض عناصر منهجية أسامة في مؤلفاته الموجودة لفقدان معظم مؤلفاته التاريخية، واستخدمت المنهج التحليلي للنصوصِ التاريخيةِ الواردة عنه، كما قمت باستخدام المقارنةِ والإستنتاج، والنقد والتقييم لعناصر منهج أسامة في الكتابة التاريخية .

الدراسات السابقة:

على الرغم من كثرة الدراسات التي تحدثت عن أسامة بن منقذ إلا أنه لم توجد دراسة مستقلة تتحدث عن منهجه في الكتابة التاريخية ، وهذا لا يعني أنني لم أستفد من هذه الدراسات بل قدمت لي العون الكثير في استكشاف جوانب كثيرة من سيرته، ومن أهم هذه الدراسات التي تحدثت عن أسامة بن منقذ، والتي نذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر، والتي تعتبر أكثر إفادة للدراسة من غيرها، منهم :

جمال الدين الألوسي، الذي تناول أسامة بن منقذ بطل الحروب الصليبية؛ فتحدث عن سيرته، وتعرض لنبذة عن الحروب الصليبية، وتناول بعض مؤلفات أسامة، ودرس منقيات من أدب أسامة شعراً ونثراً، كل ذلك في كتاب بلغت صفحاته ثلاثمائة وثمانين صفحة[١].

ومنهم – أيضاً – من درس حياته وآثاره، مثل: حسن عبد العال عباس، في جزأين، تناول في الجزء الأول سيرته وحياته، وفي الثاني تناوله من خلال مؤلفاته كاتباً، وناقداً، ومؤرخاً، كما درس فنونه الشعرية[٢].

ومنهم، محمد عدنان قيطاز ،في كتابه: أسامة بن منقذ والجديد من آثاره وأشعاره، درس حياة أسامة، وذكر كثيراً من مؤلفاته التي تنوف على أربعين مؤلفاً،وجمع ما عثر عليه من شعر أسامة، ممن لم يرو في ديوانه المطبوع، وخرّج الشعر ورده إلى مراجعه في ديوانه[٣].

ومنهم براءة محمود السقرات، إذ قدمت دراسة عنوانها: كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ دراسة تحليلية، قدمتها رسالة ماجستير في الأدب قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، الأردن، عام(٢٠١١م)، ونهضت دراستها على تمهيد وأربعة فصول، يدرس التمهيد دلالات العنوان، ودوافع التأليف لدى أسامة، ويدرس الفصل الأول النزعة المناقبية في كتاب الاعتبار، ويعرض الفصل الثاني مظاهر الحضارة والعمران الاجتماعي في كتاب الاعتبار، ويعرض الفصل الثالث صورة الإفرنج في كتاب الاعتبار، ويحلل الفصل الرابع البناء الفني للكتاب، من حيث، مستويات الأداء اللغويّ، السرد في كتاب الاعتبار.

ومنهم حازم فارس علي أبو شارب، إذ قدم دراسة عنوانها: فن السيرة في الأدب الأيوبي كتاب الاعتبار أنموذجاً، قدمها رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية

---

(١) **جمال الدين الألوسي:** أسامة بن منقذ بطلل الحروب الصليبية، مطبعة أسعد، بغداد، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

(٢) **حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وشعره، جزءان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨٠م.

(٣) **محمد عدنان قيطاز:** أسامة بن منقذ والجديد من آثاره وأشعاره، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ١٩٩٨م.

الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، عمان، الأردن، عام (٢٠١١م)، قسم دراسته إلى خمسة فصول، تناول في الفصل الأول مقدمة الدراسة وأهميتها، ومحدداتها، والحياة السياسية في العصر الأيوبي، وتطور الحياة العلمية والأدبية في ذلك العصر، وتضمن الفصل الثاني تعريف السيرة لغة واصطلاحاً، وتعريف السيرة الذاتية والغيرية في الأدب العربي، وتطورهما حتى العصر الأيوبي، وتناول الفصل الثالث تطور السيرة في الأدب الأيوبي، وبيان أثر الحروب الصليبية في تطور هذا الفن، ومقارنة بين نموذجين للسيرة الغيرية والذاتية في العصر الأيوبي، هما: النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية لعمارة اليمني، والنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية لابن شداد، وخصص الفصل الرابع للحديث عن سيرة أسامة بن منقذ (كتاب الاعتبار)، وتناول حياة أسامة وآثاره، والغاية من سيرته، والجانب السياسي، والاجتماعي، والديني، والفكري، والأدبي فيها، وتحدث الفصل الخامس عن البناء الفني لسيرة أسامة بن منقذ؛ فقد تناول العنوان، وبروز شخصية الكاتب، والواقعية، والنزعة القصصية، واللغة، والسرد والحوار، والزمن والمكان في سيرته.

خطة البحث:

يشتمل هذا البحث على مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة:

أما المقدمة: فقد اشتملت على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وحدوده الزمانية والمكانية، والمنهج الذي سرت عليه في الرسالة، والدراسات السابقة، ثم شرح عام لخطة البحث .

وأما التمهيد: فقد تناول لمحة سريعة عن عصر أسامة بن منقذ، وبيئته السياسية والثقافية، كما يلقي الضوءَ على السماتِ العامة للكتابة التاريخيةِ في هذا العصرِ من مناهج مؤرخية، وأنماط كتاباتهم بالإضافة إلى أساليبهم في الكتابة التاريخية.

وجاء الفصل الأول بعنوان: **النشأة والتكوين الثقافي" سيرة حياة** "، وقد حاولت فيه الوقوف على سيرة أسامة بن منقذ، حيث تناولت: اسمه ونسبه، وتعرفت إلى قبيلته " كنانة "، وكنيته ولقبه، كما عنيت ببيانِ نشأتهِ في بيئة وعائلة معنية بالعلمِ، وبفنون الحرب والفروسية، فأحضَرَتْ له كبارَ شيوخَ عصره؛ لينهلَ منهم مختلف العلوم. كما اهتمت بتربيتهِ التربية الحربية، مما جعله مميزاً عن أقرانه، ثم حاولت تبيانَ منزلتَه العلمية، وأثبت آراء عدد من العلماء المعاصرين، ومن جاءوا بعده فيه، كما تناولت – أيضاً – مراحل حياته وحروبه،

وصلته بأصحاب السلطةِ والحكمِ في عصره، وسفاراته، وعقيدته، وختمت الفصل بحياته الشخصية ووفاته .

أما الفصل الثاني: وهو بعنوان: " **مؤلفات أسامة بن منقذ** "، وعنيت في هذا الفصل بدراسة مؤلفات أسامة التي تنوعت ما بين مصنفات تاريخية وأدبية وغيرها، مطولةً كانت أو مختصرةً. ومن بين تلك المؤلفات ما هو مخطوط، وما هو مطبوعُ، وما هو مفقود، وتلك الأخيرة يمكن الوقوف عليها من خلال كتب المعاصرين لأسامة، ومن جاءوا بعده الذين أفادوا من تلك الكتبِ، فبذلت جهداً فى الوقوف على الاقتباسات التى نقلها منه أصحابُ المؤلفات الأخرى، وتناولت دراستَها، والكشف عن طبيعة مادته من خلال تلك النقولِ .

والفصل الثالث بعنوان: " **مصادر أسامة بن منقذ في كتابة رواياته التاريخية** " وشرحت في هذا الفصل أنواع المصادر التي اعتمدها أسامة؛ فتكلمت عن أنواع هذه المصادر كالمشاهدة والمعاينة والمشاركة، والمشافهة والسماع، وما حصل عليه من معلومات عن طريق المساءلة والمكاتبة، واستعانته بالوثائق والرسائل الرسمية، والمؤلفات السابقة، ثم تطرقت إلى ذكر طريقته في الإسناد إلى المصادر، وكان منها بعض ما وقفت عليه من المؤلفات السابقة التي أفاد منها، وصرّح بالنقل منها، كما تناولت طرقه في النقل منها.

وجاء الفصل الرابع بعنوان: " **منهج أسامة بن منقذ فى الكتابة التاريخية** " وتحدثت في هذا الفصل عن منهجه في عرض الحوادثِ والأخبارِ التاريخيةِ من حيث طريقة العرضِ التاريخي عند ابن منقذ، وأسلوبه في العرضِ من جهة الإختصارِ والتطويلِ، بالإضافة إلى منهجه في كتابة التراجم متطرقة إلى عناصر ترجمته وكيفية صياغتها، كما تطرقت إلى خصائصِ أسلوبه وطريقته في الكتابة التاريخية، ثم ختمت الفصل بدراسة نقدية لمنهجه في الكتابة التاريخية، وكذلك مفهوم " التاريخ " والهدف من كتابته عنده.

وأنهيت البحث بخاتمة عرضت فيها أهم النتائج والتوصيات التي استخلصتها من الدراسة، **والملاحق** التي تخص الدراسةَ، ثم ذيلت الدراسة **بثبت المصادر والمراجع**، وشمل: المخطوطات، والمصادر، والمراجع العربية والمترجمة، والدوريات والموسوعات، والرسائل العلمية، والدوريات العربية والأجنبية التي اعتمدتُ عليها في جمعِ المادةِ العلميةِ، ثم أتيتُ بفهرسِ لموضوعِ الدراسةِ.

وقد بذلتُ قصارَى جَهدي لإخراج هذا البحث في هذه الصورة من خلال ما توفر لي من المصادر المختلفة ذات الصلةِ بالموضوع، داعيةً المولَى عز وجل أن أكونَ قد وفقت في

إخراج هذا البحث على الوجه المطلوب، وأن يصبح لبنةً في صرح الدراسات التاريخية المنهجية التي تبرز لنا مناهج المؤرخين المسلمين في كتاباتهم التاريخية.

وفي الختامِ أقدمُ بين أيديكم ملخص جَهدي، وما وفقني اللهُ إليه، وأعانني عليه، فإن كان صواباً؛ فمن الله، وإن لم أبلغ المراد، فتلك صفة البشرِ؛ لأن الكمالَ لله وحده، سبحانه وتعالى رب العالمين، وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين ومن تبع هداه إلى يوم الدين، وسلام على المرسلين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحثة

دراسة لأهم مصادر الرسالة:

تنوعت المصادر التي أفادت في استقاء المادة العلمية لموضوع الرسالة وهو: " أسامة بن منقذ ومنهجه في الكتابة التاريخية دراسة نقدية (٤٨٨-٥٨٤هـ/١٠٩٥-١١٨٨م) "، وقد أمدتني هذه المصادر بمعلومات في غاية الأهمية عن هذا الموضوع، وهذه دراسة تحليلية لأهم المصادرِ التي اعتمدتُ عليها في كتابة الرسالة.

أولاً: المصادر التاريخية:

المصادر التاريخية هي قوام وصلب الموضوع، فهي المصادرُ الرئيسة، وخاصةً تلك التي تواكب الأحداث وتزامنها، فلا يمكن إنشاء موضوع بدون الرجوعِ إلى مادته الأصيلة التي تُستَقى من المصادر التاريخية، وقد تعددت وتنوعت تلك المصادر، وفي مقدمتها كتاب: " **تاريخ دمشق** " **لابن القلانسي** [(١)]. ويُعد هذا الكتاب أحد أهم المصادر التاريخية العربية المعاصرة التي عالجتْ الأحداثَ السياسية في بلاد الشام عشيةَ الحروبِ الصليبيةِ، فتناول سيطرةَ السلاجقة عليها، وكذلك الغزو الصليبي لها، كما تتبع خطوات إقامة الوحدةِ الإسلامية ضد الصليبيين، كما سجل كثيراً من الحروب التي وقعت في المنطقةِ حتى وفاته عام (٥٥٥هـ/١١٦٠م).

وقد استفدتُ من هذا الكتابِ عند الحديثِ عن هذه الحروب، ومنها اشتراك قوات الموصل مع دمشق في مهاجمة الإمارات الصليبية عام (٥٠٧هـ/١١١٣م) بقيادة شرف الدين مودود. كما استفدتُ منه أيضاً في المقارنة بينه، وبين ما سجله أسامة بن منقذ عن بعض الأحداثِ للوقوف على منهج أسامة في عرض الحادثةِ التاريخيةِ، وعن اهتماماته في رواياته التاريخية بصفتهِ يتمتع بميزتي: المواطنةِ، والمعاصرةِ.

---

(١) **ابن القلانسي:** أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي ، كانت له عناية بالحديث، وكان أديباً له خط حسن، ونثر ونظم، كان من أعيان دمشق، ومن أفاضلها المبرزين، وتولى رئاسة ديوان دمشق مرتين وتوفي سنة (٥٥٥هـ/١١٦٠م)، وصنف تاريخاً للحوادث بعد سنة أربعين وأربعمائة إلى حين وفاته على حسب السنين. **ابن القلانسي:** تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار، ط١، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، مقدمة المحقق، ص١٣. **ابن عساكر**، تاريخ دمشق، تحقيق: محب الدين أبى سعد عمر العمروى، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ /١٩٩٥م، ج١٥، ص١٩١ . **شاكر مصطفى** : التاريخ العربى والمؤرخون، ط٣ ، دار العلم للملايين،١٩٨٣م، ج٢، ص٢٣٦ ،٢٣٧. **صفوان طه حسن الناصر**: ابن القلانسي(ت٥٥٥هـ)وكتابه المذيل لتاريخ دمشق، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، الموصل، مجلد ٩، عدد ٤، ٢٠٠٩م ، ص ٣١٢ .

كما اعتمدتْ الدراسةُ على كتابات **ابن الأثير الجزري**[١]، فكتابه: " **الكامل في التاريخ** " يُعد من أهم كتب الحوليات في التاريخ، ولقد دون ابن الأثير تاريخه، منذ بداية البشرية حتى سنة (٦٢٨هـ/١٢٣٠م)، أي قبل وفاته بعامين[٢]، أي أنه كان شاهد عيان لبعض فترات تاريخه وهذه ميزة عظيمة؛ لأنه بمثابة النقل الحي لكثير من الأحداث السياسية التي مرت بها الدولةُ الإسلاميةُ في هذا الوقت. وقد أفادت الدراسة من هذا الكتاب من خلال ما احتواه الجزءان التاسع والعاشر من أخبار وحوادث عن فترة الدراسة بالإضافة إلى الإفادة من تراجم الأعلام الذين ورد ذكرهم في هذا المصدر.

وتجدر الإشارة إلى أن ابن الأثير بالرغم من أنه قريب العهد بأسامة بن منقذ إلا أنه لم يترجمْ له في سنة وفاته، الأمرُ اللافتُ للنظرِ مما حدا بمحققِ الكتابِ أن يترجمَ لأسامة بالحاشية [٣] .

كما استفادت الدراسة من كتابه: " **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية** " بالموصل وخصوصاً فيما يتعلق بمرحلةِ شباب أسامة التي قضاها بخدمة الأتابك عماد الدين زنكي وحروبه ورحلاته معه .

ويمثل كتاب **أبو شامة**[٤]: " **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية** "، أحد المصادر التاريخية المهمة التي اعتمدتْ عليها الدراسةُ، فهو من أول كتبِ التاريخ المحلي

---

(١) **ابن الأثير الجزري:** أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، والملقب بعز الدين، ولد بجزيرة ابن عمر سنة (٥٥٥هـ/١١٦٠م)، ونشأ بها، ثم سار إلى الموصل مع والده وأخويه، وسكن الموصل، وسمع العلم بها من أبي الفضل عبدالله بن أحمد الخطيب الطوسي، ومن في طبقته من العلماء، وقدم بغداد مراراً رسولاً من صاحب الموصل، صنف في التاريخ كتاباً كبيراً سماه الكامل، واختصر كتاب " الأنساب" لأبي سعد عبدالكريم بن السمعاني، واستدرك عليه فيه مواضع، ونبه على أغلاط وقع فيها، وله كتاب أخبار الصحابة رضوان الله عليهم في ست مجلدات، كما رحل إلى الشام والقدس، وسمع هناك من جماعة من العلماء ، وتوفي في شعبان سنة(٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، بالموصل. **ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان:** وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ج٣، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص ٣٤٨ .

(٢) **طارق محمود محمود أبوهدهود:** ابن الأثير ودوره في الكتابة التاريخية، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية ، نيسان/ابريل ٢٠٠٩م، ص ١٦٢.

(٣) **ابن الأثير**: الكامل في التاريخ، راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق، ج١٠ ، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص١٩٧ .

(٤) **أبو شامة:** أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر بن عباس المقدسي، ولد سنة (٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م)، واشتهر بالعفة، والأمانة، والعلم، وتولى مشيخة دار الحديث الأشرفية والتدريس=

والإقليمـي، وتصـنيفه علـى طريقـة الحوليـات، وقـد بـدأها أبوشـامة بأحـداث سـنة (٥٤٨هـ/١١٥٣م)، وأنهاها بأحداثِ سنة (٥٨٩هـ/١١٩٣م)، وهي سنة وفاة صلاح الدين، وتحدث فيه عن سيرة نور الدين، وصلاح الدين، وما حدثَ في عهدهما، ومحاولتهما تحرير البلادِ من أيدي الصليبيين، فهو يشتمل على العديدِ من الموضوعات السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية .

ويتبوأ كتاب الروضتين مكانة متميزةِ لقربِ عهد مؤلفه من الحقبة الزمنية التي أُلف فيها، واعتماده على مصنفات المؤرخين الذين عاصروا الأحداثَ، كابن القلانسي، وابن عساكر، وابن شداد، والعماد الكاتب، وكانت استفادتي منه في التمهيدِ والفصلِ الأولِ، حيث أفردَ فصلاً عن حصن شيزر، وولاية بني منقذ، كما اعتمدتْ الدراسةُ على ما ورد به من معلومات عن الدولة الزنكية .

ومن المصادر الأخرى التي اعتمدتُ عليها كتاب: " **مفرج الكروبِ في أخبار بني أيوب** " **لابن واصل**[1]، وخاصةً الجزء الأول منه الذي ينتهي بموت نور الدين محمود سنة (٥٦٩هـ/١١٧٣م)، حيث تناول فية أخبار الأتابك عماد الدين زنكي وحروبه في بلاد الشام والموصل، كما ذكر وفاته، وما آلت إليه البلادُ الإسلاميةُ بعده، وتقسيمها بين أبنائهِ، كما استفادت الدراسة من النقول التي نقلها ابن واصل من مؤلفات أسامة المفقودة.

=بالمدرسة الركنية بدمشق، وصنف العديد من المؤلفات منها "مختصر تاريخ دمشق" في مجلدات كثيرة ، "وشرح الشاطبية"، "والروضتين في أخبار الدولتين"، وغيرها، وتوفي سنة (٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م). **اليونيني**، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ط٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، ١٩٩٢م، ج٢، ص٣٦٧، ٣٦٨. **الصفدي**، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى: الوافى بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركى مصطفى، ط١، دار احياء التراث العربى، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م، ج١٨، ص٦٧، ٦٨.

(١) **ابن واصل:** أبو عبد الله جمال الدين محمَّد بن سالم بن نصر الله بن سالم ابن واصل، المازني التميمي الحموي، مؤرخ، عالم بالمنطق والهندسة والأصولين، من فقهاء الشافعية. مولده ووفاته في حماة (بسورية)، أقام مدة طويلة في مصر، واتصل بالملك الظاهر بيبرس. وبعد عودته لحماة خلع عليه بلقب" قاضي القضاة، وشيخ الشيوخ" بحماة. ومن كتبه: " مفرج الكروب في أخبار بني أيوب" و " التاريخ الصالحي"، وشرح ما استغلق من ألفاظ كتاب الجمل في المنطق، و تجريد الأغاني، وغير ذلك، توفى سنة (٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م). **أبو الفداء**، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي: طبقات الشافعيين، تحقيق: أحمد عمر هاشم، ومحمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص٩٤٧. **خير الدين الزركلى:** الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م، ج٦، ص١٣٣ .

كما اعتمدتْ الدراسة أيضاً على كتاب: " **تاريخ الإسلام** " **للذهبي**[1]، وهو موسوعة تاريخية؛ إذ إنه يضم تراجم لمشاهير العالم الإسلامي، كما أورد الذهبي فيه الكثير من الأحداث التاريخية الهامة التي وقعت في التاريخ الإسلامي في ثنايا حديثه. وقد استفدتُ من الكتابِ استفادةً جمةً خاصة في الفصل الأول؛ إذ ترجمَ لأسامة بن منقذ، فكان أولَ من أورد إشارة عن تشيعه[2]، كما استفادتْ الدراسة منه في الفصل الثاني في معرفة مقدمة كتاب "الإعتبار" والموضوعات التي تناولها أسامة في الجزء الضائع منه، كما استفادت الدراسة منه في تراجم العلماء الذين ذكرهم في كتابه.

وقد اعتمدتْ الدراسةُ على كتاب: "**البداية والنهاية** " **لابن كثير**[3]، الذي يُعَد من المصادر التاريخية المهمة، وقد ذكرَ فيه الأحداث منذ بدءِ الخليقة وحتى سنة (٧٦٨هـ/١٣٦٥م)، واتبعَ فيه الترتيبَ الحولي، واتسمتْ كتابة ابن كثير بالصدق والموضوعية، وخاصةً فيما نُقِلَ عمن تقدمه من المؤرخين، وقد استفادت الدراسة كثيراً من هذا الكتاب، ويعتبر الجزءُ السادس عشر من أغنى الأجزاء عن فترة الدراسة، حيثُ ذُكِرَ فيه كثيرُ من المعلومات التي تتعلق بأسامة بن منقذ ضمن الترجمة له، وهو ما استفادت منه الدراسة في الفصل الأول.

---

(١) **الذهبي:** الشيخ الإمام العلامة الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ولد في ربيع الأول سنة (٦٧٣هـ/١٢٧٤م)، ومن تصانيفه: " تاريخ الإسلام"، "تاريخ النبلاء"، "الدول الإسلامية"، "طبقات القراء"، "طبقات الحفاظ"، "وميزان الاعتدال"، "المشتبه في الأسماء والأنساب"، "تهذيب التهذيب"، "اختصار تهذيب الكمال"، "اختصار كتاب الأطراف"، "الكاشف وغيرها" الكثير، توفي سنة(٧٤٨هـ/١٣٤٧م). **الكتبي، محمد بن شاكر الكتبي،** فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٧٤، ج٣، ص٣١٥، ٣١٦. **الشوكاني،** محمد بن علي الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، ط١، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م، ج٢، ص١١٠-١١٢ .

(٢) ج٤١ ، ص ١٧٦ .

(٣) **ابن كثير:** هو الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن زرع البصروي الدمشقي، ولد سنة (٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م)، وقدم دمشق، وله سبع سنين، وحفظ كتاب التنبيه في الفقه الشافعي، ومختصر ابن الحاجب في أصول الفقه، ولازم الحافظ المزي، وتزوج بابنته، ومن مصنفاته: البداية والنهاية، تفسير القرآن، وكتاب جامع المسانيد العشرة" وغيرها، وتوفي في شعبان سنة (٧٧٤هـ/١٣٧٢م). **ابن العماد الحنبلي،** شهاب الدين أبى الفلاح عبد الحى أحمد بن محمد الحنبلى الدمشقى: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ط١، دار ابن كثير، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ج٨، ص ٣٩٧ ، ٣٩٨ .

واستفادت الدراسة – أيضاً– من كتاب: " **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا" للمقريزي**[(١)]، وهو عن تاريخ الدولة الفاطمية في مصر والمغرب، بدأه بذكر أنساب أولاد الإمام علي، فاستفادت الدراسةُ من كتابهِ في الفترة التي قضاها أسامة في مصر (٥٣٩–٥٤٨هـ)، ودوره في أحداث تلك الفترة التي تُعد من أصعب الفتراتِ في تاريخ تلك الدولة.

ويمثل كتاب: " **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** " **لابن تغري بردي**[(٢)] أحد المصادر التي اعتمدتْ عليها الدراسة؛ فهو يعتبر موسوعةً تاريخيةُ كبيرة في تاريخ مصر منذ الفتح الإسلامي حتى سنة (٨٧٢هـ/١٤٦٨م)، وقد تكلم ابن تغري بردي تفصيلياً عن الملوك والسلاطين الذين تولوا حكم مصر ما بين عامي(٢٠هـ–٨٧٢هـ/٦٤٠م–١٤٦٨م)، مع ذكر الأحداث المهمة التي وقعت في كل سنة، وقد خصص لكل عهد من عهود الملوك والسلاطين فصلاً قائماً بذاته، وذكر السنين وحوادثها تلاحقاً من دون أن يجعل لها عناوين مستقلة، وفي نهايةِ كل سنةِ يذكر أسماءَ من توفي فيها من الأعيان، وكانت الإفادة من هذا الكتاب في الفصلِ الأول في دراسة حياة أسامة، وكذلك الأحداث الخاصة بالفترة التي قضاها أسامة بمصر، وبشكل خاص تراجم الشخصيات التي تتعلق بتلك الفترة .

---

(١) **المقريزي:** الإمام العالم البارع عمدة المؤرخين وعين المحدثين تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبدالصمد، البعلي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، ولد بعد سنة (٧٦٠هـ/١٣٥٨م)، نشأ بالقاهرة، وتفقه على مذهب الحنفية، وهو مذهب جده العلامة شمس الدين محمد بن الصائغ ثم تحول شافعيا بعد مدة طويلة، وكان منقطعاً في داره، ملازما للخلوة والعبادة، قلّ أن يتردد على أحد إلا لضرورة، ومن مصنفاته: السلوك في معرفة دول الملوك في عدة مجلدات، وهو يشتمل على ذكر الحوادث إلى يوم موته، وغير ذلك الكثير، توفي يوم الخميس السادس عشر من شهر رمضان سنة (٨٤٥هـ/١٤٤١م) بالقاهرة. **السخاوي،** الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ط١، دار الجبل، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج٢، ص ٢١. **ابن العماد الحنبلي:** شذرات الذهب، ج٧، ص٢٥٤، ٢٥٥ .

(٢) **ابن تغري بردي:** جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن الأتابكي تغري بردي، الأديب المؤرخ، ولد سنة (٨١٣هـ/١٤١٠م)، من تصانيفه: البشارة في تكميل الإشارة للذهبي، حلية الصفات في الأسماء، الصناعات في الأدب، حوادث الدهور في مدى الأيام، السكر الفاضح والعطر الفائح، الكواكب الباهرة من النجوم الزاهرة، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة في التاريخ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نزهة الرائى في التاريخ، توفي سنة (٨٧٤هـ/١٤٦٩م). **السخاوي:** الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج١٠، ص ٣٠٥ . **ابن العماد الحنبلي:** شذرات الذهب ، ج٩، ص٤٧٢، ٤٧٣. **إسماعيل البغدادي:** هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م، ج٢، ص٥٦٠ .

وفي الحقيقة أن حصر معظم المصادر الإسلامية التي اعتمدتْ عليها الدراسة، أمرٌ يفوق نطاق هذه الدراسة الموجزة، لذا سأقتصر على ما سبق، وأشير إلى أهم المصادر الصليبية التي اعتمدتُ عليها، منها كتاب " **الاستيطان الصليبي في فلسطين** " **(تاريخ الحملة الى بيت المقدس١٠٩٥-١١٢٧م) لفوشيه الشارتري**[١]، وهى رحلته إلى فلسطين وتكمن أهمية هذا الكتاب في أن مؤلفه كان معاصراً لأحداث الحملة الصليبية الأولى، وكان شاهداً لمعظمِ الأحداث التي دونها في كتابه، فضلاً عن المعلومات والأخبار التي استقاها من شهود العيان، ومن الخطابات المرسلة من بيت المقدس إلى الغرب الأوروبي. ولذلك يعتبر كتابهُ من المصادر المهمة لدراسة الحروب الصليبية. وقد زودنا فوشيه بمعلومات في غاية الأهمية عن حركة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين، فهو يعد المصدر اللاتيني الوحيد المعاصر الذي يغطي الفترة من (١٠٩٥م/٤٨٨هـ إلى ١١٢٧م/٥٢١هـ).

وقد استفادت الدراسة منه في بعض المعارك التي حدثت بين الجموع الصليبية والقوات الإسلامية خاصة تلك التي كانت بالقرب من إمارة شيزر، وفي عمل مقارنة بين ما كتبه عن تلك الأحداث، وما دونه أسامة بن منقذ؛ لبيان موضوعية أسامة وحياده، خاصة وهما الاثنان يتشاركان في معاصرة هذا الحدث، ومشاركتهما فيه كلاً في جهته.

أما كتاب " **الحروب الصليبية " لوليم الصوري**[٢]، فهو من أهم المصادر التي اعتمدتْ الدراسةُ عليها، حيث غطى مؤلفه فترةَ الحملة الصليبية الأولى حتى عهد بلدوين الثاني، معتمداً في ذلك على ما جاء في كتب من سبقوه من المؤرخين اللاتين وغيرهم، ثم

---

(١) **فوشيه الشارتري:** ولد فوشيه بمدينة شارتر بفرنسا في عام (١٠٥٩م/٤٥١هـ)، وأصبح كاهنا بها، واشترك في الحملة الصليبية الأولى عام (١٠٩٦م) ضمن قوات روبرت دوق نورمانديا، وكونت فلاندر، وستيفن كونت بلوا وشارتر. وكان مرافقا لبلدوين الأول، وأقام معه في إمارة الرها نحو عامين، ثم حضر معه إلى القدس، وبقي ملازما له حتى وفاته عام (٥١٢هـ/١١١٨م)، ومكث معه في القدس حتى عام (١١٢٧م/٥٢١هـ). **الشارتري:** الاستيطان الصليبي، ترجمة: قاسم عبده قاسم، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، مقدمة المترجم، ص٢٣ .

(٢) **وليم الصوري:** ولد في بيت المقدس حوالي عام ٥٢٤هـ/١١٣٠م، وقيل عام ١١٢٧م، وأمضى جزءا كبيرا من حياته في طلب العلم في بيت المقدس وفرنسا وإيطاليا، مكباً على الدراسات الدينية(اللاهوت والفلسفة)، ثم تقلد عدة مناصب مهمة منها، ديوان الرسائل في بلاط بيت المقدس، وسفيراً للملك عموري الأول إلى بلاط أمانويل (امبراطور بيزنطة)، ثم رئيس أساقفة صور حتى مات في عام (١١٨٦م/٥٨٢هـ). **وليم الصوري:** الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، ج١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م، مقدمة حسن حبشي، ص١٠، ١١ . **فتحية عبد الفتاح النبراوي:** العلاقات السياسية الاسلامية وصراع القوى الدولية في العصور الوسطى ١٠٠٠م- ١٣٠٠م، ط٢، الدار السعودية، جدة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص١١٦ .

استمر في تدوين أحداث ما بعد ذلك في تاريخه حتى عام (٥٨٠هـ/١١٨٤م)، وهي أكثر الأجزاءِ أهميةً في تاريخه باعتباره شاهد عيان على معظم أحداث تلك الفترة.

ويمتاز أسلوب وليم بالبساطة والوضوح والتفصيل، وإن لم تخل كتاباته من التعصب الصليبي. وقد استفادت الدراسة من هذا الكتاب استفادة جمة في الفصل الأول من الدراسة، وخاصة حروب أسامة، وسفاراته إلى بيت المقدس، حيث أوردَ نصوصَ المعاهدةِ التي تمت بين حكام دمشق وحكام بيت المقدس سنة (٥٣٤هـ/١١٣٩م).

ثانياً: مصادر الطبقات والتراجم:

تُعد كتب التراجم والطبقات من المصادر المهمة والرئيسة التي أفادت الدراسة بشكل كبير من خلال المعلومات الموجودة بترجمة أسامة بن منقذ وكل أفراد عائلته، كذلك بالشخصيات المتَرجم لها في جميع الفصولِ، وفي مقدمة كتب التراجم كتاب: " **تاريخ دمشق**" **لابن عساكر**[(١)]، إذ ترجمَ لأسامة في حياته، وهو من تلاميذه.

وأهمية هذا الكتاب لا تكمن في أنه تاريخ لمدينة دمشق أحد أكبر معاقل الحضارة الانسانية والعلوم الاسلامية عبر مختلف العصور فحسب؛ بل إنه موسوعة في علم الرجال والجرح والتعديل، فهو عندما يترجمُ للرجال، ويذكر سيرَهم، ويذكر مروياتِهم؛ فإنه يبين حالهم وعلى ما هم عليه من ضعف أو توثيق، ويصححُ أسماءهم إذا اقتضى الحال، ويذكر سنة الوفاة للرجال، وهو بهذا يحدد طبقة الاسم المترجم له، وفي هذا من الفائدة ما يدركه العاملون في حقل الرجال، فهو مرآة تعكس حياة الناس، ومعتقداتهم، ومذاهبهم، ونِحَلهم، وآراءهم السياسية، والاجتماعية، وقد جمع أكبرَ عدد من رجال الثقافة الاسلامية وأعلام الحضارة العربية، خصوصا ذوي الشأن منهم حتى ترجم لمن كان قبل الاسلام أيضاً[(٢)].

---

(١) **ابن عساكر: أبو القاسم، ثقة الدين علي بن الحسن بن هبة الله، ابن عساكر الدمشقي** . سيأتي الحديث عنه بالتفصيل في الفصل الأول من هذه الدراسة تحت عنوان تلاميذ أسامة. **الصفدي:** الوافي بالوفيات، ج٢٠، ص٢١٧ .

(٢) **ابن عساكر:** تاريخ دمشق، تحقيق: عمر بن غرامة العمروى، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج١، مقدمة المحقق، ص٨ .

كما استفادت الدراسة من كتاب: " **خريدة القصر وجريدة العصر" للعماد الأصفهاني الكاتب**[1]، الذي ترجم فيه العماد لشعراء القرنين الخامس والسادس الهجريين، جمع فيه طبقته وطبقة آبائه وأعمامه. وقسمها إلى أربعة أقسام، القسم الأول يتضمن شعراء العراق، والقسم الثاني تناول شعراء الشام، والثالث يتحدث عن شعراء مصلر، والرابع خصه لشعراء المغرب[2]، وقد اعتمدتْ الدراسة على قسم شعراء الشام إذ ترجم لأسامة وعائلته فيما يقرب من ثمانين صفحةً .

وفي هذا الاتجاه – أيضاً– جاءت ترجمة أسامة في كتاب: "**معجم الأدباء" لياقوت الحموي**[3] لا تقل أهمية عن ترجمة سابقيه، إذ عرض له فيما يقرب من ثلاث وعشرين صفحة. ويعتبر هذا الكتاب واحداً من أعظم كتب التراجم، حيث جمع فيه ما وقع إليه من أخبار النحويين، واللغويين، والنسابين، والقراء، والأخباريين، والمؤرخين، والوراقين، والكتّاب، وأصحاب الرسائل المدونة، وأرباب الخطوط المنسوبة المعينة، وكل من صنف في الأدب تصنيفاً أو جمع في فنه تأليفاً [4]، ولهذا كانت استفادتي منه جمّة في كل فصولِ الدراسة.

أما الكتاب الذي أفاد الدراسةَ بشكل كبير، وخاصة في معالجة شيوخ أسامة وتلاميذه في كل بلد، وقد نقل الكثير من مؤلفات أسامة، خاصة المفقودة فإنه: " **بغية الطلب في**

(١) **العماد الأصفهاني:** محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن على بن محمود بن هبة الله. سيأتي الحديث عنه بالتفصيل في الفصل الأول من هذه الدراسة تحت عنوان تلاميذ أسامة. **ابن خلكان:** وفيات الأعيان، ج٥، ص ١٤٧.

(٢)**البنداري**، الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني، أبو إبراهيم: سنا البرق الشامي، تحقيق: فتحية النبراوي، الرياض، ١٩٩٨م، مقدمة المحقق، ص٣ .

(٣) **ياقوت الحموي:** هو شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الجنس والمولد، الحموي الدار، ولد سنة (٥٧٤هـ/١١٧٨م) ببلاد الروم، أسر من بلاده صغيراً، واشتراه ببغداد رجل تاجر يعرف بعسكر بن أبي نصر إبراهيم الحموي، أعتقه مولاه سنة (٥٩٦ هـ/١١٩٩م)، فاشتغل بنسخ الكتب مقابل أجر، وحصلت له بمطالعة هذه الكتب عدة فوائد، من تصانيفه: معجم البلدان، معجم الشعراء، معجم الأدباء، والمشترك وضعاً المختلف صقعاً، توفي يوم الأحد سنة (٦٢٦ هـ/١٢٢٨م) في خان بمدينة حلب. **ابن خلكان:** وفيات الأعيان، ج٦، ص١٢٧–١٣٩. **ابن العماد الحنبلي:** شذرات الذهب، ج٧، ص٢١٢، ٢١٣.

(٤) **ياقوت الحموي**: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المعروف بمعجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م، مقدمة المحقق، ج١، ص٧. **سامي حمود، وعلياء جاسم:** منهج ياقوت الحموي في معجمي الأدباء والبلدان، دراسة مقارنة، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العدد(١٦)، حزيران ٢٠١٤م، ص ٩٨ .

تاريخ حلب " **لابن العديم** [1]، الذي يعد من أهم كتب التاريخ المحلي، و هو لا يقتصرُ على تاريخ مدينة حلب بل تعداه، خصص الأول للتعريف بمدينة حلب، وذكر نواحيها ومدنها وقراها، وبيان فضلها ومنزلتها بين المدن، وما ورد فيها من أحاديث وآثار، أما بقية أجزاء الكتاب؛ فقد ترجم المؤلف فيها لكل الأعلام الذين اتصلت علاقتهم بحلب منذ أقدم الحقب التاريخية، وحتى زمن المؤلف من: قضاة، ومحدثين، وفقهاء، وعلماء، وأعيان، وشعراء، وأدباء... وغيرهم، ومكانة الكتاب وأهميته نابعة مما حواه من مواد تاريخية نهلها ابن العديم من وثائق ومصنفات غيبها الزمن عنا[2]، وقد استفدت من هذا الكتاب في جميع فصول الرسالة.

واستفادت الدراسة – أيضاً– من كتاب: " **وفيات الأعيان** " **لابن خلكان** [3]، الذي يعد من أهم كتب التراجم، ويمتاز عن غيره بأنه لم يقصرْ الكتابَ على طائفة مخصوصة مثل العلماء أو الملوك أوالشعراء أوالأمراء بل ترجم لمن اشتُهِرَ بين الناس. وكانت استفادتي عظيمة من هذا الكتاب؛ لأن ابن خلكان كان يذكر ترجمة وافية للشخص الذي يترجم له؛ ولهذا استفدت منه في جميع فصول الرسالة.

وكذلك كتاب: " **سير أعلام النبلاء**" **للذهبي،** لا يقل أهمية عما سبقوه من كتب التراجم، إذ يُعد هذا الكتاب من أضخم الموسوعات التاريخية التي تتصف بالشمول والتنوع.

ومن مزايا هذا الكتاب أنه ترجم فيه لمشاهير العالم الإسلامي منذ بداية الدعوة الإسلامية، وحتى عصره، كما يمتاز هذا المصدر عن غيره من كتب التراجم والطبقات أن الذهبي لم يقتصر فيه على الترجمة لعلماء المسلمين، بل ترجم – أيضاً– لغير المسلمين،

---

(١) **ابن العديم:** هو كمال الدين أبو هاشم عمر بن أحمد بن يحي بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد ابن أبي جرادة العقيلي ، ولد في حلب سنة (٥٨٨هـ/١١٩٢م)، وكان إماماً في فنون كثيرة ، ومن تصانيفه: "زبدة الحلب في تاريخ حلب" و" الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري"، توفي بمصر سنة (٦٦٠هـ/١٢٦١م). **ابن العديم:** بغية الطلب فى تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م ، مقدمة المحقق، ج١، ص٧ .

(٢) **ابن العديم:** بغية الطلب فى تاريخ حلب، ، مقدمة المحقق، ج١، ص١٠.

(٣) **ابن خلكان:** هو القاضي شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان، ولد سنة (٦٠٨هـ/١٢١١م) بإربل، وسمع صحيح البخاري من ابن مكرم ، وتولى التدريس في عدة مدارس ، و كان أديباً بارعاً، ومؤرخاً عظيماً، وحكماً عادلاً، عين قاضياً للقضاة بدمشق سنة (٦٥٩هـ/١٢٦٠م)، وتوفي بدمشق سنة (٦٨٦هـ/١٢٨٢م). **ابن خلكان:** وفيات الأعيان، ج١، مقدمة المحقق، ص٥. **ابن كثير:** البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج١٧، ص٥٨٨ . **ابن العماد:** شذرات الذهب ، ج٧، ص٦٤٧– ٦٤٩ .

كما أنه ترجم فيه لجميع طبقات الشعب من خلفاء وسلاطين وملوك وحكام وأمراء وشعراء وأدباء وغيرهم، وقد استفادت الدراسة من هذا الكتاب في جميع الفصول .

كما استفادت الدراسة أيضاً من كتاب: " **الوافي بالوفيات** " **للصفدي**[1]، الذي يُعد من أضخم كتب التراجم، ويقع في ثلاثين مجلدة، رتبه على حروف المعجم، وقد ترجم فيه لأكثر من(١٢,٠٠٠) ترجمة من الخلفاء الراشدين وأعيان الصحابة، والتابعين، والملوك، والأمراء، والقضاة، والوزراء، والمحدثين، والفقهاء، والمشايخ، والأولياء، والفضلاء... وغيرهم، وترجع أهميته في أن مؤلفه كان شاهد عيان لبعض الأحداث التي سردها بالإضافة إلي أنه شغل مناصب مهمة في الدولة المملوكية، واعتمد الصفدي في تأليفه على مصادر متنوعة[2]، وكانت استفادتي عظيمة من هذا الكتاب في الفصل الأول في الترجمة لأسامة بن منقذ.

أما كتاب: " **المقفى الكبير**" **للمقريزي**؛ فهو من أهم كتب التراجم التي اعتمدتْ عليها الدراسة، إذ ترجم لأسامة ترجمة وافية، وتعرض إلى ما لم تتعرض له المصادر السابقة من تقديم قائمة بمؤلفات أسامة، حيث أورد ما يزيد عن الثلاثين كتاب له، منها ماجاء في الترجمات السابقة، فكان تأكيداً لها، ومنها ما كان منفرداً بذكرها، ومنها ما كان يفصّل في الحديث عنها وعما تحتويه من مادة، أو المنهج الذي اتبعه أسامة في كتابتها، وكانت هذه أعظم إفادة لهذه الدراسة[3].

وقد قام المقريزي في هذا الكتاب بجمع تراجم مشاهير العالم الإسلامي من علماء وغيرهم منذ بدايةِ التاريخِ الإسلامي حتى العصر الذي عاش فيه، ويمتاز المقريزي بذكر معلومات وافية عن الشخص المترجم له.

---

(١) **الصفدي:** هو صلاح الدين أبو الصفاء خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، ولد بصفد في فلسطين سنة (٦٩٦هـ/١٢٩٦م)، تولى كتابة الإنشاء بمصر وصفد وحلب، ثم ولي كتابة السر بحلب ، ثم ولي وكالة بيت المال بدمشق، وبرع في شتى العلوم ومن تصانيفه: "أعوان النصر في أعيان العصر"، و"شرح لامية العجم" و"التنبيه على التشبيه" ، و"جر الذيل في وصف الخيل"، وله كذلك " كشف الحال في وصف الخال" ، و"نكت الهميان"، و"الروض الناسم والثغر الباسم"، و"وصف الحريق" ، وغيرها الكثير ، وتوفي سنة (٧٦٤هـ/١٣٦٢م). **الصفدي:** الوافي بالوفيات، ج١، مقدمة المحقق، ص ١٤-١٨. **ابن العماد:** شذرات الذهب، ج٨، ص٣٤٣، ٣٤٤.

(٢) **الصفدي:** الوافي بالوفيات، ج١، مقدمة المحقق، ص٧، ١٥.

(٣) **انظر الفصل الخاص بمؤلفات أسامة بن منقذ، وهو الفصل الثاني من هذه الدراسة، ص١١٧ وما بعدها.**

ثالثاً: كتب الجغرافيا والرحلات:

أعطت المصادر الجغرافية معلومات قيمة عن الكثير من المدن والقرى الوارد ذكرها في الدراسة، وحددت هذه المعلومات المواقع الجغرافية لتلك المدن والقرى، أما كتب الرحلات فقد كان لمؤلفيها دور كبير في جمع المعلومات المتنوعة من خلال مشاهدتهم، وتجارتهم، وعلاقاتهم العامة والخاصة مع الناس من مختلف الطبقات الاجتماعية، وقد استفادت الدراسة من هذه المعلومات في مواضع مختلفة.

ومن أهم كتب الجغرافيا والرحلات التي أفادت الدراسة كتاب: " **معجم البلدان** " **لياقوت الحموي**، الذي يُعد من المعاجم المهمة في تعريف البلدان، ومن أهم ما يلفت الإنتباه في منهج ياقوت الحموي في هذا أنه كان يضبط البلدان التي يترجم لها ضبطاً لغوياً صحيحاً، ويذكر موضع البلدة، ثم يذكر جانباً من تاريخ البلدة إن تيسر، وكذلك أبرز الأعلام الذين خرجوا منها، والعديد من الجوانب المتعلقة بها.. وغير ذلك[1].

ولقد أمدني هذا الكتاب بمعلومات غاية في الأهمية عن البلدان التي قطنها أسامة ابن منقذ واستقر بها، والبلدان التي رحل إليها.

ويأتي في المرتبة الثانية كتاب: "**معجم ما استعجم من أسماء المواضع والبلاد**" **لأبي عبيد البكريّ**[2]، وهو معجم لغويّ جغرافي يشمل (٧٨٤) باباً، يصف فيه جزيرة العرب، ويتقرّى ما بها من المعالم والمشاهد، والبلدان، والمعاهد، والآثار، والموارد؛ ويتتبّع هجرة القبائل العربية من أوطانها، ويذكر أيامها ووقائعها، وأنسابها وعشائرها.

ويزيد في قيمة هذا الكتاب، مقدمته التي بيّن فيها المؤلف حدود بلاد العرب، وأقسامها الجغرافية، مثل: تهامة، والحجاز، ونجداً، واليمن، كما أن من أهم مزاياه الضّبط الدقيق للأسماء فإنّه لهذا الغرض أُلِّفَ، وقد أبان هو عن ذلك في مقدمته، إذ رأى كثيراً من أسماء

---

(١) **انظر: ياقوت الحموي:** معجم البلدان، مقدمة المؤلف، ج١، ص٨.

(٢) **البكري:** أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن البكريّ. وهو لغوي من الطّراز الأول في الأفق الأندلسي. نزيل قرطبة. كان إمامًا، لغويًا، أخباريًا، متفنّنًا، صنّف شرحا لأمالي القالي، و"معجم ما استعجم من البلاد "، و"إشتقاق الأسماء". ومن مؤلفاته كذلك "فصل المقال في شرح كتاب الأمثال"، وكتاب "مسالك الممالك"، وتوفى سنة(٤٨٧هـ/١٠٩٤م). **الذهبي:** سير أعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف، ومحى هلال سرحان، ط١١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج١٩، ص٣٥.

البلـدان التـي تـرد فـي الأحاديـث والأشـعار والسـير والتـواريخ، قـد دبّ إليهـا التصـحيف والتحريف[1] .

ولقد أمدني هذا الكتاب بمعلومات تفصيلية عن بعض المدن التي ترجمت لها.

أما كتاب: **رحلة ابن جبير**[2]، فهو من كتب الرحلات التي استفادت منها الدراسة، وقد وصف ابن جبير في هذه الرحلة كل ما مرّ به من مدن، وما شاهدْ من عجائب البلدان، وغرائب المشاهد، كما تكلم بشكل مفصل عن الأحوال السياسية، والاجتماعية، والأخلاقية للمدن التي مر بها، كذلك ذكر الحروب التي كانت دائرةً في الشرق بين الصليبيين والمسلمين، وما كان عليه أهل تلك المدن من علاقات خلال تلك الحروب، ووصف كل ذلك بدقة، وهذا يدل على قوة ملاحظته، وسعة علمه[3].

وقد أمدنا بمعلومات في غاية الأهمية عن بلاد الشام بكل جوانبها: الدينية، والسياسية، والاجتماعية، ولقد استفدت من هذه الرحلة كثيراً خاصة عند الحديث عن الحياة العلمية في بلاد الشام؛ حيث أمدنا بكم هائل من الأخبار عنها، بالإضافة إلى التعرف على أحوال بلاد الشام خلال الغزو الصليبي لها .

---

(١) **البكري:** معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، ط٣، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ، مقدمة المحقق، ج١، ص١ – ٢.

(٢) **ابن جبير:** هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي الشاطبي، ولد في بلنسية سنة (٥٣٩هـ/١١٤٤م)، سمع العلوم من أبيه في شاطبة ببلاد الأندلس، وكان من علمائها في الفقه والحديث، وكانت له مشاركة في الآداب، وشهرته لم تقم إلا على كتابه، المعروف برحلة ابن جبير الذي وضعه بعد أن قام برحلات ثلاث، أهمها: رحلة استغرقت أكثر من ثلاث سنوات، بدأها سنة (٥٧٨هـ/١١٨٢م)، وختمها سنة(٥٨١ هـ/١١٨٥م)، وصفه لسان الدين ابن الخطيب بأنه كان أديباً بارعاً، شاعراً مجيداً، شيخاً فاضلاً، نزيه الهمة، كريم الأخلاق، توفي سنة (٦١٤هـ/١٢١٧م). **ابن جبير:** رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، د.ت، ص٧ . **ابن الخطيب:** الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: يوسف علي طويل، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج٢، ص١٤٦ .

(٣) **ابن جبير:** رحلة ابن جبير، ص٥ .



التمهيد

" عصر أسامة بن منقذ "

أولاً: البيئة السياسية والثقافية التي نشأ فيها:-

أ- الأوضاع السياسية .

ب- الأوضاع الثقافية .

ثانياً: السمات العامة للكتابة التاريخية في عصره:-

أ- مناهج مؤرخي القرن(٦هـ/١٢م) في الكتابة التاريخية.

ب- أنماط الكتابة التاريخية في هذا العصر.

ت- أساليب الكتابة التاريخية في هذا العصر.

" عصر أسامة بن منقذ "

أولاً: البيئة السياسية والثقافية التي نشأ فيها:-

أ-الأوضاع السياسية :

عاش أسامة بن منقذ ستاً وتسعين ما بين عامي (٤٨٨-٥٨٤هـ/١٠٩٥-١١٨٨م)[(١)]، فقضى معظم أيامه في (القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)، مما يعني أنه عاش فترة كبيرة من حياته في كنف الدولة الزنكية والأيوبية، والتي كان لهما دوراً لا ينسى في حرب الصليبيين؛ للدفاع عن حدود الدولة الإسلامية.

قدر للعالم الإسلامي قبل مجيء الصليبيين أن يظل منقسماً على نفسه بين خلافتين، ومذهبين متنافسين، الخلافة العباسية السنية ببغداد، والخلافة الفاطمية الشيعية بالقاهرة، وظهر ببلاد الشام صدى هذا النزاع العنيف بين الخلافتين، فبعد استيلاء الفاطميين على مصر فى (القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي) أخذوا يوجهون أنظارهم نحو بلاد الشام، حتى تمكنوا من تثبيت أقدامهم على الأجزاء الساحلية لتلك البلاد، وصحب ذلك انتشار المذهب الشيعي، وصارت بلاد الشام مسرحاً للفتن والثورات بين السنة والشيعة، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل شهدت – أيضاً– انقسامات طائفية، مثل: الإسماعيلية، والدروز، والنصيرية، وكان كل ذلك له التأثير البالغ على الحياة الاجتماعية والسياسية ببلاد الشام[(٢)].

وفي خضم هذه الإنقسامات التي سادت العالم الإسلامي ظهر الخطر الصليبي الذي هدد بلاد الشام؛ فقد تمكن الصليبيون من السيطرة على أنطاكية [(٣)] في سنة

---

(١) **ابن العديم:** بغية الطلب ، ج٣، ص١٣٥٩. **الزركلى:** الأعلام، ج١، ص ٢٩١.

(٢) **محمود محمد الحويري:** الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين ١٢-١٣م عصر الحروب الصليبية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٣٠ .

(٣) **أنطاكية:** مدينة عظيمة بالشام تقع علي ساحل البحر المتوسط، لها ضياع وقري حصينة جدا، ليس بعد دمشق أنزه منها، ولها سور محكم تبلغ مساحته إثنا عشر ميلاً، وعدد شرفاته أربعة وعشرون ألفا، وأبراجه مائة وست وثلاثون. بينها وبين حلب مسيرة يوم وليلة. انظر. **ياقوت الحموي:** معجم البلدان، ط٢، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م، ج١، ص٢٦٦. **الحِميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري:** الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م، ص٣٨ .

(٤٩١هـ/١٠٩٨م)، وزحفوا جنوباً باتجاه بيت المقدس في سنة (٤٩٢هـ/١٠٩٩م)، وهكذا استفاد الصليبيون من الضعف والإنقسام الذي عم بلاد الشام؛ لتوسيع نفوذهم[١] ، فقد كان الجزء الشمالي من بلاد الشام تحت حكم السلاجقة[٢] ، في حين كانت الأجزاء الجنوبية تحت الحكم الفاطمي ، أما الأجزاء الداخلية فكانت تحت نفوذ الزعامات المحلية والفرق الدينية[٣].

تدهورت الحياة السياسية في بلاد الشام نتيجة لهذا الإنقسام والضعف ، مما دَعَى إلى وجود قيادة قوية تحمل على عاتقها توحيد الجبهة الداخلية من أجل الصمود بوجه التحديات الخارجية ، وهكذا برز على المسرح السياسي الأتابك[٤] عماد الدين زنكي بن آق سنقر [٥]، مؤسس الدولة الزنكية، والتي تنسب إليه، فقد فوض إليه السلطان محمود بن محمد

(١) **ابن القلانسي:** تاريخ دمشق، ص٢٢٠،٢٢١ . **ابن الأثير:** الكامل في التاريخ، ج٩، ص١٣-١٥ .

(٢) **السلاجقة:** ينسبون الى قبيلة من القبائل التركية، أخذت بالتدفق من موطنها الأصلي في سهل تركستان خلال القرون الثاني والثالث والرابع من الهجرة، واستقرت في بادئ الأمر ببلاد ما وراء النهر، وبعد انتصارهم على الغزنويين في سنة (٤٢٩هـ/١٠٣٧م) أعلنوا قيام دولتهم بشكلها الكامل بقيادة طغرلبك؛ وبعد ثمانية عشر عاماً من هذا التاريخ اعترف الخليفة القائم العباسي بطغرلبك سلطاناً على جميع المناطق الخاضعة لسيطرته، وأمر بأن يذكر اسمه في الخطبة، وفوّضه حكم ما يفتحه من المناطق الغربية، فما لبث أن توغلوا في بلاد الشام، وسيطروا على الأجزاء الشمالية منها. ينظر. **فتحية النبراوي:** العلاقات السياسية الاسلامية وصراع القوى الدولية في العصور الوسطى، ص٦٥ -٦٧ . **محمد سهيل طقوش:** تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، ط٣، دار النفائس، بيروت، لبنان، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٩١ ، ٩٣-١٠٤ .

(٣) **فائز علي بخيت:** الأوضاع السياسية في بلاد الشام في العهد الزنكي، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، مجلد(٧)، العدد(٣)، الموصل، ٢٠١٢م، ص٢

(٤) **أتابك:** كلمة (تركية): الوصي على الأمير، ومدبر المملكة، وقد أصبح لقباً يلقب به كبار الأمراء، فيقال: أتابك العساكر أي كبير أمراء العساكر، وأتابكية: هى رتبة الأتابك أي منصب أتابك العساكر. **القلقشندي،** أبو العباس أحمد بن على: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣٢هـ/١٩١٤م، ج٦، ص ٥. **دوزي، رينهارت بيتر آن دوزي:** تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية: محمد سليم النعيمي، ط١، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨٠م، ج١، ص٨٠ .

(٥) **عماد الدين زنكي:** أبو الجود بن آق سنقر بن عبدالله، الملقب بالملك المنصور، المعروف والده بالحاجب ، ويعرف بأتابك زنكى بن قسيم الدولة؛ لأنه كان عنده ولدان للسلطان محمود بالموصل يربيهما، وكان مولده بحلب فى أيام ولاية أبيه فى سنة(٤٨٠هـ/١٠٨٧م)، وتوفى مقتولاً سنة (٥٤١هـ/١١٤٦م). **ابن العديم:** بغية الطلب، ج٨، ص٣٨٤٥ . **ابن خلكان:** وفيات الأعيان ، ج٢، ص٣٢٧ .

بن ملكشاة السلجوقي ولاية بغداد في سنة (٥٢١هـ/١١٢٧م) ثم سرعان ما تقلد أمور الموصل[١].

بعد أن استقر عماد الدين زنكي في الموصل قرر تحقيق هدفه الرئيسي وهو إقامة جبهة إسلامية موحدة للوقوف في وجه الغزاة الصليبيين ، الذين أخذوا يتوسعون في البلاد بعد أن أسسوا إماراتهم، فتمكن من عبور نهر الفرات، والاستيلاء على مدينة حلب، وتابع استعادة الحصون في المدن الإسلامية بالشام[٢].

بعد مقتل عماد الدين زنكي سنة(٥٤١هـ/١١٤٦م) واصل ابنه نور الدين محمود[٣] مهمة والده، فحاصر دمشق وملكها سنة(٥٤٩هـ/١١٥٤م) ثم استولى على بقية بلاد الشام، وافتتح حصونا كثيرة، وهزم الصليبيين مرات عديدة [٤]، حتى أنه بلغ عدد الحصون التي فتحها خمسون حصناً. كما أنه سيّر عم صلاح الدين الأيوبي(٥٦٧هـ/١١٧١م-٥٨٨هـ/١١٩٢م) [٥]، أسد الدين شيركوه الى مصر ثلاث مرات، ونجح السلطان صلاح

---

(١) **ابن خلكان:** وفيات الأعيان، ج٢، ص٣٢٧، ٣٢٨ . **الذهبي:** سير أعلام النبلاء ، ج٢٠، ص١٨٩ .

(٢) للمزيد عن جهود عماد الدين زنكي في محاربة الصليبيين يرجع إلى: **ابن الأثير:** التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة بالقاهرة، ومكتبة المثني ببغداد، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م، ص٣٦-٤٢ . **ابن العديم** : زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق: خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص٣١٧-٣١٩ .

(٣) **نور الدين محمود:** الملك العادل أبوالقاسم محمود بن عماد الدين زنكى بن آقسنقر ، ولد في حلب سنة(٥١١هـ/١١١٨م)، ملك حلب بعد أبية ثم أخذ دمشق، وكان ملكاً عادلاً، زاهداً، ورعاً، متمسكاً بالشريعة، مجاهداً فى سبيل الله، كثير الصدقات، فتح من بلاد الروم عدة حصون، ومن بلاد الصليبين ما يزيد على خمسين حصن، واهتم ببلاد الشام، وخاصة حماة، وبعلبك، ومنبج، وبنى الكثير من المدارس بجميع بلاد الشام، توفى سنة(٥٦٩هـ/١١٧٤م). **ابن خلكان:** وفيات الأعيان ، ج ٥، ص١٨٤، ١٨٥ . **الذهبي:** سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص٥٣١-٥٣٩ . **ابن العمادالحنبلى:** شذرات الذهب ، ج٦، ص٣٧٨-٣٨١ .

(٤) **الذهبي:** سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص٥٣٢ . **السيوطي**، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ١٣٨٧ هـ/١٩٦٧ م، ج٢، ص٣ .

(٥) **صلاح الدين الأيوبي:** أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذى الكردي الدويني، صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والفراتية واليمنية، من بلاد دوين، وهى بلدة فى آخر عمل أذربيجان من جهة بلاد الكرج، وهو من الأكراد ، ولد سنة (٥٣٢هـ/١١٣٧م)، دخل فى خدمة نور الدين محمود مع والده وعمه أسد الدين شيركوة، و استطاع أن يقضي على الوجود الشيعى فى مصر، وله جهاد طويل مع الصليبين، فتح بيت=

الدين الأيوبي في المرة الثالثة في استعادة مصر من الدولة الفاطمية، وملكها باسم نور الدين، كما جعل اسمه في الخطبة والسكة[1]. وبعد وفاة نور الدين أصبح صلاح الدين أكبر زعيم في الشرق، حيث استطاع أن يسيطر على كافة البلاد الممتدة من مصر الى نهر الفرات[2]، وخلف صلاح الدين سيده أو قائده نور الدين في مقاومة الصليبيين، وتبني فكرة توحيد الجبهة الإسلامية، فاستطاع رد هجمات الصليبيين عن مصر والشام، بل أصبح يهاجمهم في عقر دارهم ومعاقلهم، حتى انتصر عليهم انتصاراً ساحقاً في معركة (حطين) سنة (٥٨٣هـ/١١٨٧م)، وتمكن من بيت المقدس الذي كان فتحاً عظيماً على العالم الاسلامي، وارتفعت به الروح المعنوية والقتالية لدى المسلمين[3].

وبذلك يكون أسامة بن منقذ قد عاصر تحرير بيت المقدس قبل وفاته بعام، وقد قضى الجزء الأكبر من حياته معاصراً لسلاطين وجهوا كل طاقتهم لمحاربة المحتل الصليبي. وذلك ولّد عنده طاقة إيجابية، أخرجها في كتاباته، والتي أيقظت مشاعر العالم الإسلامي في ذلك الوقت، أو على الأقل تعطي انطباعاً لما كان يعيشه الناس من أوضاع في ذلك العصر.

=المقدس عام (٥٨٣هـ/١١٨٧م)، وقد حكم مصر مدة (٢٤) سنة، وحكم الشام (١٩) سنة، توفي سنة(٥٨٩هـ/١١٩٣م) . **ابن شداد**، بهاء الدين بن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية(سيرة صلاح الدين)، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط٢، القاهرة،١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص٣١ . **العماد الأصفهانى**: الفتح القسى فى الفتح القدسى، ط١، دار المنار، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص ٣٤٢. **ابن الأثير**: الكامل، ج١٠، ص ٢٢٤ . **ابن خلكان**: وفيات الأعيان، ج٧، ص ١٣٩ .

(١) **ابن شداد**: النوادر السلطانية، ص٧٥-٧٩ . **اليافعي**، أبو محمد عبدالله بن أسعد بن سليمان اليافعي اليمني المكى: مرآة الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ /١٩٩٧م، ج٣، ص ٢٩٢ .

(٢) **ابن الأثير**: الكامل، ج١٠، ص٥٦، ٦٥ . **ابن شداد**: النوادر السلطانية، ص٨٨، ٩٢، **القلقشندى**: مآثر الإناقة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ج٢، عالم الكتب، بيروت، لبنان، د.ت، ص٤٦،٤٧. **السيوطي**: حسن المحاضرة، ج٢، ص٨، ٩،

(٣) **ابن الأثير**: الكامل، ج١٠، ص١٤٦، ١٤٧، ١٥٤-١٥٩ . **ابن شداد**: النوادر السلطانية، ص١٢٦-١٢٨، ١٣٤-١٣٦ .

ب- الأوضاع الثقافية :

ازدهرت الحياة العلمية في بلاد الشام منذ العصور الإسلامية الأولى، وقد قدمت أرض الأنبياء أعلام الدين، ونوابغ الفكر، وأساطين العلم في ظل الحضارة الإسلامية والثقافة العربية [١] .

ففي العصر الزنكي ازدهرت الحياة العلمية في بلاد الشام بسبب تشجيع الزنكيون للعلم والعلماء؛ وكثرت فيه المساجد ودور العلم، وخاصة في عصر السلطان نور الدين محمود، فكان أول من أنشأ داراً للحديث في الإسلام، وكان أول من عمم المدارس في أمهات بلاد الشام، حلب في الشمال، ودمشق في الوسط، والقدس في الجنوب، وكان أهل العلم عنده بمنزلة سامية، يكرمهم، ويحسن إليهم، ويمنع أذى الناس عنهم[٢]. وفي هذا يذكر ابن واصل: أنهم كانوا عنده " في محل عظيم، و كان يجمعهم عنده للبحث والنظر، واستقدمهم إليه من البلاد الشاسعة " [٣].

وكانت من أبرز المدن التي لاقت اهتمام نور الدين محمود مدينة حلب، لكونها كانت مقر حكمه الأول، فقد جلب إليها العلماء والفقهاء، وقام بتجديد مدارسها. كما اهتم بدمشق التي غدت في عهده مقراً للعلماء والفقهاء والصوفية؛ فقد أقام فيها المدارس كالمدرسة النورية، كما أكثر من بناء الجوامع كجامعه بالموصل، وجامع في حماة في غاية الحسن، بالإضافة إلى البيمارستان، وأوقف على كل هذه الوقوف الجليلة، وحرص على إنشاء المكتبات المتخصصة داخل هذه المراكز لرجوع الرواد إليها والإستفادة منها كل حسب تخصصه[٤].

---

(١) **عمر موسى باشا:** الأدب في بلاد الشام ، المكتبة العباسية، دمشق د.ت ص ١٠٥.

(٢) **ابن الأثير:** التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ، ص١٧١ .

(٣) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، دار الكتب والوثائق القومية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م، ج١، ص٢٨٣ .

(٤) **إبراهيم بن محمد بن حمد المزيني:** سمات الحكم الزنكي في عهد نور الدين محمود(٥٤١-٥٦٩هـ/١١٤٦م-١١٧٤م)، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، العدد(٢٢) ، ربيع الآخر ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص٤٢١ .

وقد أوجز نور الدين سياسته التعليمية هذه بقوله على لسان المؤرخ أبي شامة المقدسي[1]: " نحن ما أردنا ببناء المدارس إلا نشر العلم، ودحض البدع من هذه البلدة، وإظهار الدين " .

فكان تشجيع أمراء البيت الزنكي على إنشاء المؤسسات والهيئات التعليمية، وبث روح الثقافة والعلم، وتعزيز مكانته في البلاد التي حكموها من أهم عوامل ازدهار الحياة العلمية في بلاد الشام في العصر الزنكي.

ولم يكن الأيوبيون أقل اهتماماً من أسلافهم؛ فقد ساروا على نهجهم، فقد شهدت بلاد الشام في عصرهم نشاطاً ملحوظاً في الحياة العلمية، وكان من أهم مظاهر هذا النشاط اهتمام ملوك وحكام بني أيوب بالنهوض بالحياة العلمية في بلاد الشام، وذلك بإقامة المنشآت اللازمة لذلك من مدارس وجوامع ومكتبات، وغيرها.

وقد اهتم الأيوبيون بالمساجد؛ لكونها من أهم المؤسسات التعليمية، ومن مظاهر هذا الاهتمام هو الحرص على بنائها، وإعادة ترميم القديم منها؛ فالسلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي بعد تحريره القدس من الصليبيين عمد إلى إعادة الحياة العلمية والدينية إلى المسجد الأقصى، وعين للمسجد الأقصى إماماً وخطباء ومدرسين، ونقل إليه عدداً من المصاحف الشريفة، ووقف على المسجد الأوقاف الكثيرة [2]، وأصبح المسجد الأقصى محط رحال العلماء والفقهاء، تدارسوا فيه القرآن الكريم، ورواية الحديث الشريف، وتعليم الناس.

وكذلك كانت عناية الأيوبيين بالجامع الأموي في دمشق كبيرة، حيث اهتموا بدعم التعليم فيه، حتى غدا من أكثر المساجد في الشام أهمية لتدريس المذاهب الفقهية فيه،

---

(١) **عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تحقيق: إبراهيم الزيبق، ج١، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص ٦١ .

(٢) **العماد الأصفهاني:** الفتح القسي في الفتح القدسي، ص ٧٦، ٧٧ . **النعيمي** عبد القادر بن محمد النعيمى الدمشقى: دور القرآن في دمشق، تصحيح: صلاح الدين المنجد، دمشق، ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م ، ص ٩ (مقدمة المحقق). **منصور إحميد سالم:** الأوضاع الدينية للمسلمين في الشام في العهد المملوكي، رسالة ماجستير منشورة، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص ١٣.

فيقول ابن جبير: " وهذا من مفاخر هذا الجامع المكرم، فلا تخلوا القراءة فيه صباحاً ولا مساءً، وفيه حلقات للتدريس للطلبة "[١] .

وبالإضافة إلى المساجد كانت المدارس من أهم مظاهر الحياة العلمية في بلاد الشام، فكانت موضع اهتمام من قبل الأيوبيين؛ ولذلك تنافسوا في بنائها فبلغت المدارس في عهدهم نحو سبعة وتسعين مدرسة في الشام، وكان السلاطين الأيوبيون يهدفون من إنشاء هذه المدارس إلي القضاء على المذهب الشيعي، ونشر المذهب السني، ووجدوا في هذه المدارس تحقيق هدفهم[٢] .

وكانت المدارس في ذلك العصر أشبه بالجامعات، فهي كليات للتعليم العالي، تختص بتدريس مذهب من المذاهب الأربعة، وقد يدرس في المدرسة الواحدة أكثر من مذهب، وكانت غالبية المدارس في تلك الفترة توقف لتدريس الفقه الشافعي أو الفقه الحنفي، أو تكون مشتركة بين الشافعية والحنفية، ولم تكن المدرسة للتدريس فقط؛ بل كانت مكاناً لدفن واقفيها، لذا كان يلحق بغالبية المدارس ضريح للدفن، وكان يلحق بها مسجد تؤدى فيه الصلاة [٣].

ومن عوامل الازدهار – أيضاً– الكتاتيب، فقد وجدت في العصر الأيوبي وكان لها دور مهم في تعليم الصغار القراءة والكتابة وتحفيظهم القرآن الكريم.

وقد أوضح ابن الحاج أن القائمين على هذه الكتاتيب من مؤدبين أو معلمين أو فقهاء يجب ان يكونوا مؤهلين لما يقومون به من عمل، تأهيلاً خلقياً وعلمياً، ويجب أن يكونوا من حاملي القرآن الكريم، ومن أكثر الناس تعظيماً لشعائره، والمشي على سنن من تقدمه في تعظيم ذلك وإكرامه [٤].

---

(١) **رحلة ابن جبير**، ص ٢٤٤.

(٢) **النعيمي**: دور القرآن في دمشق، ص ١٠.

(٣) **الزركشي**، محمد بن عبد الله: إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق: أبو الوفا مصطفي المراغي، ط٤، القاهرة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص ٣١ . **سهيل زكار**: تاريخ الدولة العربية في المشرق من السلاجقة حتى سقوط بغداد ، ط٣، دمشق، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص ٢٧٨.

(٤) **ابن الحاج**، أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري (ت ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م): المدخل، دار التراث، القاهرة، د.ت، ج٢، ص ٣١٧ .

وقد أشار ابن جبير إلى ذلك الازدهار عندما زار بلاد الشام في طريق عودته إلى الأندلس بعد أداء فريضة الحج في أواخر القرن (السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي) بقوله: " ومرافق الغرباء بهذا البلد أكثر من أن يأخذها الإحصاء، ولاسيما لحفاظ كتاب الله عز وجل، والمنتمين للطل؛ فالشأن بهذه البلدة لهم عجيب جداً، وهذه البلاد المشرقية كلها على هذا الرسم، لكن الاحتفال بهذه البلدة أكثر، والاتساع أوجد، فمن شاء الفلاح من نشأة مغربنا؛ فليرحل إلى هذه البلاد، ويتغرب في طلب العلم؛ فيجد الأمور المعينات كثيرة، فأولها فراغ البال من أمر المعيشة، وهو أكبر الأعوان وأهمها، فاذا كانت الهمة؛ فقد وجد السبيل الى الاجتهاد، ولا عذر للمقصر، الا من يدين بالعجز والتسويف، فذلك من لا يتوجه هذا الخطاب عليه، وإنما المخاطب كل ذي همة يحول طلب المعيشة بينه وبين مقصده في وطنه من الطلب العلمي، فهذا المشرق بابه مفتوح لذلك، فادخل أيها المجتهد بسلام... " (١).

مما سبق يتضح أن النهضة العلمية في بلاد الشام قد أثارت إعجاب ابن جبير في العصر الأيوبي، كما أنه دهش من كثرة المساجد ودور العلم بدمشق عندما زارها، ونصح طلاب العلم في المغرب والمشرق بقصدها للنهل من علومها ومعارفها.

فهذه العوامل كانت من أهم أسباب ازدهار الحياة العلمية في العصر الأيوبي.

وخلاصة القول أن هذا العصر رغم ما كان فيه من حروب ومعارك ضارية فقد حفل بنهضة علمية وفكرية في مختلف ميادين العلم والمعرفة، ونهض بالإسلام، وعلومه، نهضة علمية، فارتقت الحضارة الإسلامية وسعد الناس بما رقي إليه مجتمعهم من مكانة بين المجتمعات فترجموا ذلك الرقي في مؤلفاتهم وممن أظهر ذلك مؤرخنا أسامة بن منقذ.

ثانياً: السمات العامة للكتابة التاريخية في عصره:-

شهد القرن(٦هـ /١٢م) بعض التطورات التي طرأت على طرق وأسلوب تدوين المادة التاريخية، جعلت ما كُتِب فيها له ميزاته عما سبقه من المصنفات التاريخية التي دونت في الحقب التي سبقت هذا العصر.

ولعل أبرز ما ميز التدوين التاريخي في هذا العصر؛ ترك المؤرخين لمسألة الإسناد

(١) **رحلة ابن جبير**، ص٢٥٨ .

التي كانت تتقدم كتابة الأخبار، مسندة ما فيها الى رواتها، فانتهت بذلك صلة علم التاريخ بعلم الحديث، وأصبح للتاريخ منهجه المستقل(١)، وبذلك تحرر المؤرخ من الطريقة التى كانت تلزمه أن يكون مجرد إخباري – أي ناقل للخبر– إلى الكتابة المرسلة التى تعنى بالخبر فى ذاته ومناقشته(٢).

لقد كان خلف هذا التطور في أسلوب التدوين التاريخي أسباباً عديدة، منها: ان المصنف لم يعد يستند الى الرواية الشفوية فقط، وإنما يأخذ عن كتب مدونة، لها مؤلفون معروفون، ولذلك لم تعد الحاجة قائمة للإسناد، كما بدأ هؤلاء المؤرخون يعتمدون على مشاهداتهم الشخصية، فضلاً عن الأخبار المنقولة اليهم مباشرة من أناس أغلبهم عاصروا الأحداث.

ومن سمات التدوين في هذا القرن أيضاً: تزايد الاعتماد على الوثائق، وذلك نتيجه لدخول طائفة من الكتّاب والموظفين الرسميين للعمل فى التدوين التاريخى، وأدخلوا فى مصنفاتهم ما يقع تحت أيديهم من محفوظات الدواوين، وأحياناً من نصوص الكتب الرسمية والرسائل الديوانية التى يكتبونها هم أنفسهم، فنجد الوثيقة السياسية قد دخلت فى صلب الكتابة التاريخية التى ألفها، أمثال: ابن القلانسي، والمسبحي، والعماد الأصفهاني، والقاضي الفاضل، وابن شداد.

ويجب أن نضع في الاعتبار أن هناك دافعاً آخر أتى بالوثائق الي كتب التاريخ وهو الدافع الأدبي؛ فكثيراً ما تنقل الوثيقة بنصها الكامل، أو فى معظمها لا لقيمتها السياسية أو الإخبارية، ولكن لقيمتها الأدبية (٣).

ومما ميز التدوين التاريخي في ذلك العصر أيضاً: التأثر بالعلوم الأخرى، والتأريخ لرجالها؛ مما أدى الى تنوع المادة التاريخية، وتوسيع مصادرها، فقد تركت العلوم المختلفة فى نموها الواسع أثرها فى كتابة التاريخ، حيث أخذت حيزاً خاصاً من اهتمام المؤرخين، لا كعلوم، ولكن كرجال وحملة فكر وعلم، فسجل المؤرخون تطور الثقافة الإسلامية على

(١) **شاكر مصطفى** : التاريخ العربى والمؤرخون، ج١ ، ص ٣٧٨ .

(٢) **السيد عبد العزيز سالم** : التاريخ والمؤرخون العرب، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٧م، ص٧٥.

(٣) **شاكر مصطفى** : التاريخ العربى والمؤرخون ، ج١ ، ص٣٨٠ ، ٣٨١ .

اختلاف فروعها من خلال التأريخ لرجالها، والتسجيل لآثارهم العلمية؛ وبهذا ارتبط التاريخ الإسلامي برجال العلم وأعلامه، قدر ارتباطه برجال السياسة والحرب، وانهالت على كتب التاريخ من هذا الباب كتب لا تحفظ ذكر الرجال فقط، ولكنها تسجل في الوقت نفسه، وفي ثنايا التراجم مع مناقبهم وروابطهم دقائق الحياة الإجتماعية والفكرية لعصورهم، تسجيلاً جعلها المورد الغني بالمادة التاريخية [(١)].

أ- **مناهج مؤرخي القرن (٦هـ/١٢م) في الكتابة التاريخية:**

لقد سلك مؤرخو القرن (٦هـ/١٢م) مسلك سابقيهم في الكتابة التاريخية، وحذو حذوهم، فاتبعوا منهجين، الأول: هو التاريخ الحولي، أو حسب السنين، والثاني: التاريخ حسب الموضوعات.

١) التأريخ الحولي:

يعتمد هذا المنهج على تأريخ الحوادث حسب السنوات، فالمؤرخ يدون كل الحوادث المهمة، أو التى يعتبرها الكاتب مهمة، ودارت أحداثها في تلك السنة، ويدرجها في الهامش المقابل لكل سنة، ويربط أحداث السنة الواحدة بكلمة " وفيها "؛ أى فى هذه السنة، وعند الانتهاء من هذه السنة ينتقل إلى التي تليها، مستخدماً العبارة " ثم دخلت سنة كذا "، أو " ثم جاء فى سنة كذا " [(٢)] ، وقد امتازت بالإقتضاب الشديد بحيث لا تتعدى الحولية ذكر السنة، وأهم ما وقع فيها. إلا أن ما يؤخذ على هذا المنهج فى الكتابة التاريخية أنه يمزق سياق الحادثة التاريخية الطويلة التى تتواصل وتمتد إلى عدد من السنيين، فلا يذكر المؤرخ الذى يتبع هذا المنهج إلا ما يخص حوادث السنة التى يكتب عنها، فإذا كان لهذه الحادثة بقية فى السنة الثانية أو الثالثة، ذكرها متفرقة متمزقة، فى جملة أحداث كل سنة[(٣)].

ومن الأمثلة على هذا النوع من الكتابة في القرن (٦هـ/١٢م) كتاب: " المذيل في

---

(١) **شاكر مصطفى** : التاريخ العربي والمؤرخون ، ج١ ، ص ٣٨٢ . وعن تأثر التدوين بمادة العلوم الأخرى ونموها. انظر: شاكر مصطفى ،ج١، ص ٣٢٦-٣٤٤ .

(٢) **السيد عبد العزيز سالم** : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ٨٢ . **فرانز روزنثال:** علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة: صالح أحمد العلي، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص١٠١ -١٠٢ .

(٣) **السيد عبد العزيز سالم** : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ٨٣ .

تـاريخ دمشق " لابن القلانسي (ت٥٥٥هـ/١١٦٠م) ، والمشهور باسم " ذيـل تـاريخ دمشق [١]، وكتاب " المنتظم "[٢] لابن الجوزي (٥٩٧هـ/١٢٠١م) [٣] على السنين فى عشر مجلدات، وقد أعطى للتراجم حجماً أوسع من الأحداث، وكتابه " شذور العقود في تاريخ العهود" الذي لخص فيه كتابه المنتظم، وأيضاً كتاب " الكامل في التاريخ " [٤] لابن الأثير الجزري الذي يعتبر أكمل كتب التاريخ الإسلامي عامة [٥].

ومما ميز الكتابة التاريخية فى هذا القرن – أيضاً– ظهور منهج التنظيم الأبجدى للتاريخ الموسوعي[٦].

---

(١) وضع ابن القلانسي كتابه ليكون تكملة لكتاب ابن هلال الصابئ (ت٤٤٨هـ/١٠٥٦م)، وقد اتجه فيه اتجاها إقليمياً بينما كان كتاب هلال الصابئ تاريخا عالمياً، انظر: **فتحية عبد الفتاح النبراوي:** علم التاريخ دراسة في مناهج البحث، ط٣، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص١٠١ .

(٢) **كتاب المنتظم:** اهتم المؤلف فى القسم السابق على الإسلام بتصوير جغرافية العالم، وتعرض في هذا القسم لتاريخ بني اسرائيل حتى زمن المسيح، ثم لتاريخ ملوك الفرس وغيرهم من الشعوب الأعجمية. ثم يستعرض حوادث التاريخ الإسلامي بايجاز متبعاً المنهج الحولي، إلى أن يتطرق إلى الحديث عن الاسماعيلية والقرامطة. ويهتم المؤلف بأخبار الوفيات من كبار الشخصيات. انظر: **السيد عبد العزيز سالم** : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ١٠٢ .

(٣) **ابن الجوزي:** أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي ابن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله ابن جمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي والذي ينتهي نسبه لأبي بكر الصديق، وهو بغدادي، فقيه، حنبلي، واعظ يلقب بـ "جمال الدين الحافظ "، صنف في فنون عديدة منها: "المنتظم" في التاريخ، وله "الموضوعات" في أربعة أجزاء، ذكر فيها كل حديث موضوع، وله أشعار كثيرة وكتب أخرى، وكانت ولادته سنة (٥٠٨هـ/١١١٤م). **سبط ابن الجوزي،** شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قز أوغلي بن عبدالله: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان،، تحقيق إبراهيم الزيبق، ط١، دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ج٢٢، ص٩٣. **ابن خلكان:** وفيات الأعيان، ج٣، ص ١٤٠. **الذهبي:** سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص٣٦٥ . **الزركلي:** الأعلام، ج٣، ص٣١٦ .

(٤) **كتاب الكامل في التاريخ** رتبه على المنهج الحولي، أرخ فيه من بداية البشر حتى سنة (٦٢٨هـ/١٢٣٠م)، أي قبل وفاته بعامين، بأسلوب يتسم بالبساطة والوضوح بعيد عن التكلف والزخرفة اللفظية، مع إهمال الإسناد. **طارق محمود محمود أبوهدهود:** ابن الأثير ودوره في الكتابة التاريخية، ص ١٦٢.

(٥) **شاكر مصطفى** : التاريخ العربى والمؤرخون ، ج١ ، ٤١٤ .

(٦) وهو تنظيم حوادث التاريخ العام علي الأساس الأبجدى. انظر: **شاكر مصطفى:** التاريخ العربى والمؤرخون، ج١، ص٤١٤ . ولقد نسب شاكر مصطفى ابتكار التنظيم الأبجدي إلى مؤرخي النصف الثاني من القرن=

٢) التأريخ حسب الموضوعات:

وهي التزام المؤرخ طريقة التأريخ إما للدول، أو لعهود الخلفاء والحكام، وإما للسير، أو الطبقات، فالكتابة حسب هذا المنهج قوامها الأشخاص، أي الخلفاء والحكام بخلاف المنهج السابق القائم على ترتيب السنين[١]، وبيان هذا المنهج في الكتابة التاريخية كالآتي:

التأريخ للدول:

وهي أن يؤثر المؤرخ الكتابة التاريخية على حسب الأسر الحاكمة، أو الدول، أو العهود، فمثال هذا النوع جسده في القرن (٦هـ/١٢م) المؤرخ العماد الأصفهاني في كتابه " نصرة الفطرة وعصرة القطرة "[٢] وهو في تاريخ الدولة السلجوقية ووزرائها حتى سنة (٥٧١هـ/١١٧٥م)[٣]، وكتاب" عتبى الزمان في عقبى الحدثان"، وكتاب " خطفة البارق

=السابع، ولقد جانبه الصواب في ذلك؛ لأن أسامة بن منقذ اتبع هذا المنهج فى كتابه " التاريخ البدري" الذي أشار المقريزى الى منهجه فيه قائلاً " ذكر فيه أهل بدر وعدتهم، وأسماءهم، وأنسابهم، وأحوالهم، وذكر فيه مغازى النبى ﷺ وجميع أحواله من أول أمره إلى آخره، واستقصى ذلك فى خمس مجلدات كبار على حروف المعجم" وبهذا يكون المنهج الأبجدي من ميزات القرن السادس الهجري. انظر. **المقريزي**، تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر المقريزى: المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي ، ط١، دار الغرب الإسلامى، بيروت ، لبنان ، ١٤١١هـ /١٩٩١م، ج٢، ص ٤٨ .

(١) **السيد عبد العزيز سالم** : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ٩١ .

(٢) كذا ورد اسمه في المخطوط وعند ياقوت الحموي. والمعروف والمشهور هو (نصرة الفترة وعصرة القطرة) انظر. **ياقوت الحموي:** معجم الأدباء، ج٦، ص٢٦٢٧. **ابن الساعي،** علي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله: الدر الثمين في أسماء المصنفين، تحقيق: أحمد شوقي بنبين، محمد سعيد حنشي، ط١، دار الغرب الاسلامي، تونس، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص١٣٦. **ابن خلكان:** وفيات الأعيان، ج٢، ص١٨٩، ج٥، ص١٥٠. **الذهبي:** تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ /١٩٩٦م، ج٣٥، ص ٣٦٦، ج٤٢، ص٣١٩. **اليافعي:** مرآة الجنان وعبرة اليقظان،ج٣، ص١٦٨، ٣٧٣. **النعيمي:** الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ج١، ص٣١١.

(٣) **ياقوت الحموي:** معجم الأدباء، ج٦، ص٢٦٢٧ . **الصفدي:** الوافى بالوفيات، ج١، ص٥٩ . وهو فى أربع مجلدات، والكتاب مخطوط موجود فى باريس، ولكن مختصره الذى صنعه البنداري، وسماه: " زبدة النصرة ونخبة العصرة"، وطبع منذ سنة (١٩٠٠م) باسم تاريخ الدولة السلجوقية. **شاكر مصطفى** : التاريخ العربي والمؤرخون، ج١، ص ٣١٧. وذكر ابن خلكان أن العماد نقله من كتاب الوزير أنوشروان " صدور زمان الفتور وفتور زمان الصدور " **ابن خلكان:** وفيات الأعيان، ج٤، ص ٦٧. **حاجي خليفة،** مصطفى بن عبد

وعطفة الشارق"، وهما فى تاريخ الدولة الأيوبية [١]، ومما كتب فى الملوك والسلاطين سيرة صلاح الدين الأيوبى التى كتبها بهاء الدين ابن شداد (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م)[٢] والموسومة بـ " النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية "، وكذلك كتاب" الباهر في الدولة الأتابكية " لابن الأثير.

وما ميز هذا النمط من الكتابة التاريخية هو اهتمام المؤرخ بالأمور الإدارية والمسائل الأخلاقية بالنسبة لعهود من يؤرخ لهم من الحكام، واعطاؤها مساحة واسعة من الكتابة[٣].

التاريخ حسب الطبقات:.

يقصد بكتب الطبقات الكتب التي عالج مؤلفوها سير طائفة معينة من الفقهاء، أو القضاه، أو الصحابة، أو الأدباء، أو الشعراء، أو الأطباء.. وغيرهم، جيلاً بعد جيل، وطبقة بعد طبقة [٤]، وقد ظهرت فكرة تقسيم الناس على طبقات من عهود مبكرة من التاريخ العربي الإسلامي، وهي تتجلى عند المحدثين في التحقق من اتصال السند، وتتضح أهميتها في التحقق من شخص الراوي، ولذلك ارتبط التأريخ حسب الطبقات بعلم الحديث ارتباطاً وثيقاً كما ارتبط بالعلوم الدينية [٥]، وكان أول من ألف في طبقات

الله القسطنطيني الرومي الحنفي: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت، ج٢، ص١٩٥٦.

(١) **الصفدي**: الوافي بالوفيات، ج١، ص١٢٤. **شاكر مصطفى** : التاريخ العربيي والمؤرخون ،ج٢ ، ص ٢٤٦، ٢٤٧ .

(٢) **بهاء الدين ابن شداد**: هو أبو المحاسن بن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد بن عتاب الأسدي الموصلي الشافعي، واشتهر بابن شداد نسبة لشداد جده لأمه، ولقبه بهاء الدين، وكان يكنى أولاً أبا العز، ثم غير كنيته، وجعلها أبا المحاسن، ولد رحمه الله في الموصل سنة (٥٣٩ هـ/١١٤٤م) تتلمذ أبو المحاسن على أيدى كبار العلماء في عصره، ومن أبرزهم يحيى بن سعدون القرطبي، ومجد الدين أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد القاهر الطوسي. انظر ترجمته في: **ابن خلكان**: وفيات الأعيان، ج٧، ص ٨٤ . **الذهبي**: سير أعلام النبلاء، ج٢٢، ص ٣٨٣ ، ٣٨٤.

(٣) **السيد عبد العزيز سالم** : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ٩٢ .

(٤) **السيد عبد العزيز سالم** : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ١٧٧ .

(٥) **السيد عبد العزيز سالم** : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ٩٥ .

الصحابة الإمام البخاري في " التاريخ الكبير"، وابن سعد في "طبقاته "[1]، ويحدد ابن أبي الوفاء فوائد كتب الطبقات في أنها تعرفنا بمناقب المترجم لهم، وأحوالهم، فنتأدب بآدابهم، ونقتبس من محاسن آثارهم، وكنلك معرفة مراتبهم، ومصنفاتهم، ونشاطاتهم[2].

وقد استخدم هذا النوع من الكتابة في القرن (٦هـ/١٢م) في ميادين غير دينية، ومن أبرز من مثّل ذلك الإتجاه العماد الكاتب الأصفهاني حيث ألف مصنفه المشهور" خريدة القصر وجريدة العصر" في عشر مجلدات .

التأريخ حسب الأنساب

ويقصد به المؤلفات التي تهتم بدراسة الأنساب، وظهر هذا الإتجاه من اهتمام العرب بالمآثر والأنساب القبلية، وتضاعفت بعد الفتوحات الإسلامية التي أضافت مآثر وأمجاد جديدة الى الموضوعات القبلية، وسرعان ما ظهرت عصبية محلية للأمصار، واعتزاز بها لدى القبائل التي تسكنها[3]، ومن أبرز من مثل هذا النوع من الكتابة فى القرن (٦هـ/١٢م) السمعاني فى كتاب " الأنساب"، وابن الأثير في كتاب " اللباب في تهذيب الأنساب "[4].

---

(١) **ابن سعد** : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع ، الحافظ العلامة الحجة ، كاتب الواقدي ، ومصنف " الطبقات الكبير " في بضعة عشر مجلداً و " الطبقات الصغير ". طلب العلم في صباه، ولحق الكبار من العلماء، من شيوخه: هشيم بن بشير، وسفيان ابن عيينة، وأبي معاوية، ومحمد بن عمر الواقدي، حدث عنه : أبو بكر بن أبي الدنيا، والحارث بن أبي أسامة، توفي ببغداد في يوم الأحد لأربع خلون من شهر جمادى الآخرة، سنة (٢٣٠هـ/٨٤٤م) وهو ابن اثنتين وستين سنة، ودفن في مقبرة باب الشام، وكان كثير العلم، كثير الحديث والرواية، كثير الكتب، كتب في الحديث والفقه والغريب. **الخطيب البغدادي:** ابوبكر بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج٢، ص ٣٦٩ . **ابن خلكان:** وفيات الأعيان، ج٤ ،ص ٣٥١، ٣٥٢ . **الذهبي:** سير أعلام النبلاء،ج١٠ ، ص ٦٦٤-٦٦٧ .

(٢) **ابن أبي الوفاء:** محيي الدين عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبي الوفاء القرشي الحنفي (ت ٧٧٥هـ/١٣٧٣م)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ، ط٢ ، هجر للطباعة والنشر، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، ص ١٠-١٢ .

(٣) **عبد العزيز الدوري:** نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز زايد للتراث والتاريخ،١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص٣٩ .

(٤) **شاكر مصطفى** : التاريخ العربى والمؤرخون ، ج١ ، ٤٣٢ .

ب- أنماط الكتابة التاريخية في هذا العصر:

حددت نشأة علم التاريخ الإسلامي حتى القرن الثالث بعض صور الكتابة التاريخية، وتابع التدوين التاريخي في القرن الرابع وما بعده نفس الصور التي عرفها المؤرخون الأوائل من قبل إلا أنهم أضافوا صوراً وأنواعاً جديدة؛ تبعاً للحاجات التي كانت تظهر في إطار التاريخ الإسلامي النامي، والمتعدد النواحي باستمرار[١]، فظهرت تطورات تنظيمية للمادة التاريخية كالآتي:

١) التأريخ العام:

في هذا النوع من الكتابة يبدأ المؤرخ كتابه بالحديث عن بدء الخلق ثم يتوالى حديثه عن أمم ما قبل الإسلام بما في ذلك أمة العرب، ذاكراً الأحداث الكبرى التي مرت في تاريخ البشرية، ثم يتابع أخبار العالم الإسلامي إلى عصره، و مما ميز مصنفات القرن (٦هـ/١٢م) التي اعتمدت هذا النوع في الكتابة أن مصنفيها استغنوا عن مسألة الإسناد، وأنهم ضيقوا مفهوم التاريخ العام، وتجلى ذلك في اقتصار كتاباتهم على تاريخ المسلمين العام دون التعرض للتاريخ السابق له، كما أضاف كُتّاب هذا العصر مادة جديدة إلى كتب التاريخ العام، أخذوها من كتب التراجم، فهم يذكرون في نهاية كل سنة وفيات تلك السنة من العلماء والفقهاء والشعراء وغيرهم، فلقد دمج المؤرخون منذ أواخر القرن(٦هـ/١٢م) تاريخ الرجال مع الأحداث فى كتاب واحد، إذاً مفهوم التاريخ العام التقى فيه عندهم لا الأمم المختلفة فى المناطق المختلفة فقط، ولكن التقى فيه ذراعا التاريخ الداخليان، وهما: الأحداث، والتراجم [٢].

ومن مؤرخي القرن (السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي) الذين كتبوا في التاريخ العام، كابن الجوزي(٥٩٧هـ/١٢٠١م) في كتابه " المنتظم "، والذي أرخه على السنين فى عشر مجلدات، وقد أعطى للتراجم حجماً أوسع من الأحداث، وكتابه " شذور العقود" الذي لخص فيه كتابه " المنتظم" [٣].

---

(١) **شاكر مصطفى** : التاريخ العربي والمؤرخون ، ج١ ، ٤٠١ .

(٢) **شاكر مصطفى** : التاريخ العربي والمؤرخون ، ج١، ص ٤١١ ،٤١٢.

(٣) **السيد عبد العزيز سالم** : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ١٠٢ .

وهناك كتب أخرى ألفت على نسق التاريخ العام إلا أنها لم تصل إلينا، مثل كتابيّ " الدول " [1] و" المبدأ والمآل" [2] لياقوت الحموي (٦٢٦هـ/١٢٢٩م)، فالأول في التاريخ العام، منظم على أساس الدول، ولعلها الإسلامية فقط، وأما الثاني؛ فقد وصف بأنه تاريخ عام[3].

ويمكن القول بأن هناك أسباباً لظهور هذا النوع من الكتابة التاريخية في القرن السادس، لعل أهمها: أن الغزو الصليبي الذي هاجم الأمة الإسلامية، وبالأخص بلاد الشام ، أدى إلى خلق زعزعة في نفوس الأمة؛ فجاءت هذه التواريخ العامة تعبيراً عن اتصال الأمة الإسلامية بماضي الإسلام في الوقت التي تدافع فيه عن حاضره [4].

٢) المختصرات للتواريخ العامة

وهو باب طرقه المؤرخون لمن يريد معلومات موجزة وسريعة، ذلك أن حاجة الأمراء والعلماء إلى معلومات سريعة يضيق وقتهم عن أوسع منها، وتقل حاجتهم إلى أكثر منها، بالإضافة إلى التخلص من نسخ المجلدات الكبيرة، ومن صعوبة اقتناء مثل هذه المجلدات الضخمة، ومن هنا ظهرت مختصرات للتاريخ العام ثم ظهرت المختصرات في العلوم الأخرى، ومثل هذا النوع انتشر في القرن السادس الهجري[5]، ومن هذا النمط ما كتبه أبو

---

(١) **ابن خلكان:** وفيات الأعيان، ج٦، ص١٢٩. **الذهبي:** تاريخ الإسلام، ج٤٥، ص٢٦٧. **الصفدي:** الوافي بالوفيات، ج١، ص٥٩ . **حاجي خليفة:** كشف الظنون، ج٢، ص١٥٨٠ . **ابن العماد الحنبلي:** شذرات الذهب، ج٧، ص٢١٤ . **إسماعيل البغدادي:** هدية العارفين، ج٢، ص ٥١٣ . **الزركلي:** الأعلام، ج٨، ص١٣١ .

(٢) ذكره ياقوت في "معجم الادباء"، فقال عند اشارته إلى إحدى القصص:" ذكرتها في التاريخ الذي سميته المبدأ" ج٦، ص٢٤٤ . وذكره في معجم البلدان، ج١، ص٤٣٣، وج٣، ص٤٣٩، وج٤، ص١٦، ٤٨٢"، بقوله" كتاب المبدأ والمآل من جمعنا"، " ذكرناه في كتابنا المبدأ والمآل ". انظر: **ابن خلكان:** وفيات الأعيان، ج٦، ص١٢٩ . **الذهبي:** تاريخ الإسلام، ج٤٥، ص٢٦٧ . **الصفدي:** الوافي بالوفيات، ج١، ص٥٩ . **حاجي خليفة:** كشف الظنون، ج٢، ص١٥٨٠ . **ابن العماد الحنبلي:** شذرات الذهب، ج٧، ص٢١٤ . **البغدادي:** هدية العارفين، ج٢، ص٥١٣ . **الزركلي:** الأعلام، ج٨، ص١٣١ .

(٣) **شاكر مصطفى** : التاريخ العربي والمؤرخون ،ج١ ، ص٤١٣ .

(٤) **شاكر مصطفى** : التاريخ العربي والمؤرخون ، ج١ ،ص٣٥٣ .

(٥) **العماد الأصفهاني:** البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، دراسة وتحقيق: محمد علي الطعاني، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، الأردن، إربد ٢٠٠٣م، مقدمة المحقق، ص ٣٥ .

الحسن علي بن مرشد بن علي الكناني المنقذي أخو أسامة (ت ٥٤٥هـ/١١٥٠م) وكتابه الموسوم بـ " البداية والنهاية "، والذي أرخ فيه إلى سنة (٥٣٤هـ/١١٣٩م)(١)، وكتاب " البستان الجامع لتواريخ الزمان " لعماد الدين الأصفهاني(٢)، أرخ فيه إلى سنة (٥٩٣هـ/١١٩٦م)(٣)، وابن الجوزي في كتابه " الذهب المسبوك في سيرة الملوك " (٤).

٣) التأريخ الإقليمي أو المحلي:

هذا النوع من الكتابة هو وليد الشعور بالقومية، ويعبر عن ارتباط المؤرخ بإقليمه واعتزازه به، وهو يقوم على تدوين أخبار وحوادث إقليم معين أو مدينة معينة(٥)، وهذا النوع النوع يشبع فيه المؤرخ رغبته في تدوين التفاصيل والدقائق دون الإرهاق للتواريخ العامة من جهه، أو التعرض من جهه أخرى للإملال، أو لسوء التأليف، أو عدم التوازن في المعلومات بين قسم وقسم من المؤلفات(٦)، وهذا النوع من الكتابة ظهر في هذا القرن (٦هـ/١٢م) في بلاد الشام ومصر إلا أنه كان موجوداً في الشرق الإسلامي قبل هذا

---

(١) **ابن العديم:** بغية الطلب، ج١، ص٤٧٤ . **إحسان عباس:** شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، استخرجها وحققها : إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ١٢٥. **شاكر مصطفى** : التاريخ العربي والمؤرخون ،ج١ ، ص٤١٦ – ٤٢١.

(٢) **شاكر مصطفى** : التاريخ العربي والمؤرخون ،ج١ ، ص٤١٦ – ٤٢١. ولم يذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان مؤلفه، واكتفى حين أخذ منه بالقول " وذكر صاحب كتاب البستان الجامع لتواريخ الزمان" . انظر وفيات الاعيان، ج٦، ص٢٦٨ . وقد حقق نسبته للأصفهاني محمد علي الطعاني في مقدمة تحقيقه لكتاب البستان . انظر: **العماد الأصفهاني:** البستان الجامع لتواريخ الزمان، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، إربد–الأردن، ٢٠٠٣ م.

(٣) **العماد الأصفهاني:** البستان الجامع، مقدمة المحقق، ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٤) **حاجي خليفة:** كشف الظنون، ج١، ص٨٢٩ . **البغدادي:** هدية العارفين، ج١، ص٥٢١ . **الزركلي:** الأعلام، ج٣، ص٣١٧ . **شاكر مصطفى** : التاريخ العربى والمؤرخون، ج١، ص٤١٦ – ٤٢١. اختصره عبد الرحمن الاربلي (ت ٧١٧هـ/١٣١٧م) فى خلاصة الذهب المسبوك في سير الملوك، وهو يتضمن أخبار الملوك من الوليد بن عبد الملك إلى المستعصم العباسي آخر الخلفاء العباسيين (سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م). **يوسف سركيس:** معجم المطبوعات العربية والمعربة، مطبعة سركيس بمصر، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨ م، ج٢، ص١٠٥٥ .

(٥) **السيد عبد العزيز سالم** : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ١٠٤.

(٦) **شاكر مصطفى** : التاريخ العربي والمؤرخون ، ج١ ، ص ٤١٥ .

التاريخ[1]، ومن أبرز من مثل هذا النوع من الأسلوب ابن القلانسى في كتابه تاريخ دمشق ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق الكبير[2].

٤) التأريخ المعاصر والسير والمذكرات:

لا شك أن معاصرة المؤرخ لأحداث زمانه، تطبع روايته التاريخية بطابع الصدق والدقة، فهو أقدر على تصوير وتأريخ أحداث عصره من غيره من المؤرخين اللاحقين؛ لأن هذا النوع من الكتابة التاريخية يعتمد كثيراً على المعاينة والمشاهدة، والسماع من مصادر متنوعة، والمعاينة تجنب المؤرخ من الوقوع في الأخطاء الناجمة من المؤرخين اللاحقين عن طريق النقول[3].

ومن الكتب التي ألفت في القرن السادس الهجري كتاب " الاعتبار" لأسامة بن منقذ، وكتاب " الفتح القسي في الفتح القدسي " للعماد الأصفهاني الكاتب[4]، وممن كتب فى سيرة صلاح الدين الأيوبى: بهاء الدين ابن شداد (٥٣٩هـ/١١٤٥م-٦٣٢هـ/١٢٣٣م)، في سيرته والموسومة بـ " النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية"[5]، وهذه وهذه الكتب ليست سير كاملة، ولكنها عبارة عن مقتطفات من حياتهم، ساعدت في تكوين صورة لملامح الشخصية التي هي محور التأليف.

---

(١) ظهرت كتب التواريخ المحلية في المشرق الإسلامي قبيل ظهورها في مصر وبلاد الشام، ومن أول هذه الكتب وكتاب " تاريخ بغداد" لأحمد بن ابي طاهر طيفور، والمعروف بابن طيفور وهو تاريخ سياسي كتاب " تاريخ نيسابور " للحاكم النيسابوري(ت٤٠٥هـ/١٠١٤م) وكتاب " السياق على تاريخ نيسابور لعبد الغافر الفارسي(ت ٥٢٨هـ/١١٣٣م ، ومن بعده تاريخ بغداد للخطيب البغدادى،على أساس التراجم.

(٢) **السيد عبد العزيز سالم** : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ١١٠.

(٣) **السيد عبد العزيز سالم** : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ١٢٤ . سوف نناقش هذا الرأي ونوضح مدى صحته في الفصل الثالث من الدراسة .

(٤) **ياقوت الحموي:** معجم الأدباء، ج٦، ص٢٦٢٧. **الذهبي:** تاريخ الإسلام، ج٤٢، ص٣١٩. **الصفدي:** الوافي بالوفيات، ج١، ص٥٩ . **اليافعي:** مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج٣، ص٣٧٣ . **النعيمي:** الدارس في تاريخ المدارس، ج١، ص٣١١ .

(٥) **ابن شداد:** النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص: ٢٦ . **إسماعيل البغدادي:** هدية العارفين، ج٢، ص٥٥٤. **الزركلي:** الأعلام، ج٨، ص٢٣٠. **السيد عبد العزيز سالم** : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ١٢٦ . **يوسف سركيس:** معجم المطبوعات العربية والمعربة، ج١، ص١٣٨.

٥) التراجم :

هذا النوع من الكتابة يهتم بحياة الأعلام البارزين، في مختلف ميادين العلم، والأدب، والفن، والسياسة، والنحو واللغة وما إلى ذلك[١]، فتؤرخ للعَلَم وتتحدث عن سيرته، وأعماله، وعلاقته الاجتماعية التي يمارسها، ويتفاعل معها من ثقافة، وعلم، وسياسة، وصناعة، وفن، أو ماشابه ذلك، كل ذلك يتتبعه واضع التراجم ويرصدها ويسجلها، وبذلك تأتي أهمية التراجم فى المرتبة الأولى، تتلوها مرتبة الكتب التى تجمع بين الحوادث وتراجم الوفيات؛ لأنها تأتى بتراجم البارزين والمشهورين فقط في تلك السنة، وقد يغلب على هذا النوع بعض الاختصار فى عرض سير الرجال وأعمالهم[٢]، وقد اعتاد المؤرخون أن يسموا الترجمة لشخص بهذا الاسم " ترجمة " حين لا يطول نفس الكاتب فيها، فإذا طال النفس، واتسعت الترجمة سميت سيرة [٣].

وبالنسبة لنشأة كتابة التراجم؛ فتزامن ذلك مع اهتمام العلماء المسلمين بالسيرة النبوية، التي اعتبرت من أوسع التراجم الإسلامية، وأقدمها ظهوراً، وبدأت التراجم في الظهور منذ القرن الثاني للهجرة، فقد كان لهذا النوع من الكتابة صلة وثيقة بعلوم الحديث التي كانت سبباً مباشراً في انتشار الكتابة لرجاله ورواته، فترجموا لهم تراجم وجيزة لم يكن القصد منها إلا بيان قيمة المحدث ومكانته من الإسناد، وقادهم ذلك إلى وضع كتب في نقد الرجال؛ لتوثيق عدالة الرواة وضبطهم، وهكذا خدمت هذه الكتب في رجال الحديث فن التراجم، ونبهت الأذهان إلى أن توضع تراجم أخرى لطبقات من الرجال، تتفق في لون واحد من العلم أو الفن أو الصناعة، كطبقات الصحابة، وطبقات المفسرين، وطبقات الشعراء، وطبقات النحاة .. وغيرهم[٤].

ومن أقدم الكتب في هذا الفن كـتـاب " الطبقات الكبرى" لابن سعد (ت٢٣٠هـ/

(١) **محمود فاخوري** : فن التراجم حتى القرن السابع الهجري، مجلة التراث العربي، سوريا، مجلد(٣١)، العددان (١٢٥/١٢٦)، ٢٠١٢م، ص٢٨٩ .

(٢) **عدنان درويش** : كتب التراجم منجم التاريخ العربي، مجلة الفكر العربي، معهد الإنماء العربي، لبنان، مجلد(٤)، العدد (٢٧)، ، ١٩٨٢م، ص ١٥٣.

(٣) **محمد عبدالغني** : التراجم والسير ، ط٣، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠م، ص٢٧.

(٤) **محمد عبدالغني** : التراجم والسير ، ص ١٨، ١٩ .

٨٤٤م)، وابن سلام الجمحي(ت٢٣١هـ/٨٤٥م) الذي يترجم لطائفة من شعراء الجاهلية والإسلام في كتابه "طبقات الشعراء" وقد جمع فيه بين أخبار عن الشعراء، وبين مختارات من أشعارهم، وكتاب " تارخ البخاري" (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م)، وقد جعله في ثلاثة كتب كبيرة مرتبة على الحروف، وأوسط مرتب على السنين، وصغير[١].

لقد كانت هذه الكتب في أول نشأتها تحمل اسم " الطبقات"، غير أنها لم تكن واحدة النهج، أي لم تكن تتبع نهجاً في التنظيم، ثابت الأسس،، يمكن لأي مؤلف أن يسير عليه وإنما تتبع التنظيم الذي يختاره المؤلف من خلال منطلقاته الفكرية والدينية، والأوليات أو المبادئ التي يضعها لنفسه، ولكن هذه الكتب اتجهت منذ القرن الرابع نحو توطيد تنظيمها ضمن عدد من الأسس المنهجية العامة، في الوقت التي استمرت فيه كتب الطبقات وتنوعت[٢].

ومن الجدير بالذكر أن نشير قبل الأخذ في ذكر نماذج كتب التراجم التي ألفت في القرن السادس الهجري، إلى أن كتب التراجم تنوعت من حيث الاختصاصات والموضوعات التي تعني بها، ومن حيث الأحقاب الزمنية، ومن حيث النهج والطريقة. وسوف نعرض لأنواع التراجم التي اتبعها مؤرخو عصر أسامة، آخذين في الاعتبار أنهم عرفوا كل أنواع التراجم التقليدية .

من حيث الاختصاص و الموضوع:

تنوعت كتب التراجم من حيث الاختصاص، حيث نجد بعضها يترجم لجماعات من الأعيان اتحدت في الغالب مشاربهم، أو تلاقت ثقافتهم واختصاصاتهم، وهي التراجم على الطبقات[٣] ، فهناك كتب تتناول الصحابة وحدهم ككتاب: " أسد الغابة في معرفة الصحابة " لابن الأثير(ت٦٣٠هـ/١٢٣٢)، وتفرع عن معاجم الصحابة فروع أخرى تناولت من نزل منهم في بعض المدن، أو من حضر بدراً، أو المعارك الأخرى، أو من كان من قبائل

---

(١) **محمد عبدالغني:** التراجم والسير، ص ١٩. **محمد جميل محمود عطا:** كتب التراجم وأثرها في الكتابة التاريخية من(القرن ٥-٨هـ/١١-١٤م)، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٨م، ص٥ .

(٢) **شاكر مصطفى** : التاريخ العربى والمؤرخون ، ج١ ،ص ٤٢٣.

(٣) **محمود فاخوري** : فن التراجم حتى القرن السابع الهجري، ص٢٨٩ .

محدودة ... وهكذا [١].

وهناك كتب تناولت رواة الحديث [٢]، والأمر نفسه ينطبق على الوزراء مثل كتاب " تاريخ وزراء الدولة الفاطمية " لعلي بن منجب الصيرفي (ت٥٤٢هـ/١١٤٨م)، وأخرى للشعراء وحدهم[٣]، وأخرى تقتصر على الأدباء[٤]، والفلاسفة والحكماء[٥]، والفقهاء[٦]،

---

(١) **شاكر مصطفى** : التاريخ العربي والمؤرخون ، ج١ ،ص٤٣١ .

(٢) مثل كتاب " **تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير**" لابن الجوزي(٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، تحدث فيه منذ خلق آدم والأنبياء، وسيدنا محمد ﷺ وما يتعلق بسيرته، ثم تحدث عن صحابة رسول الله، ومن روى عنه من الصحابيات وأفرد باباً ذكر فيه طبقات الأمة، وتعرض إلى كل ما يتعلق برواة الحديث، سواء من كان له ذكر فى الصحيحين أو الأسماء المتشابهة، واتبع ابن الجوزي فيه النهج على أساس الزمن، وقال في مقدمته: " هَذَا كتاب ذكرت فِيهِ من السّير فنوناً، وَمن عُلُوم الحَدِيث عيُونا؛ ليَكُون للمبتدي تبصرة، وللمنتهي تذكرة، وَالله الْمعِين على تَحْقِيقه، فَمَا زَالَ جائدا بتوفيقه". **ابن الجوزي:** تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، ط١، عنى بنسخة وتحقيقه مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، القاهرة، ١٩٧٥م، ص١ . **محمد جميل محمود عطا** : كتب التراجم وأثرها في الكتابة التاريخية من(القرن ٥-٨هـ/١١-١٤م)، ص٦١ .

(٣) مثل كتاب" **خريدة القصر وجريدة العصر**" للعماد الأصفهاني الكاتب محمد بن محمد(ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، وسار فيه على طريقة أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ/١٠٣٧) في كتابه" يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر "، وترجم لشعراء عصره في القرنين الخامس والسادس الهجري، وانتهى به الى سنة (٥٧٢هـ)، وقد جعلها في أربعة أقسام مشهورة، وجمعها فى عشرة، أو اثنى عشر مجلداً كبيراً، وجعل القسم الاول منه: للعراق، والثاني: لبلاد العجم، وفارس، وخراسان، والثالث: للشام، والحجاز، واليمن، والرابع: لمصر، والمغرب، وصقلية، والأندلس. **العماد الأصفهاني الكاتب:** خريدة القصر وجريدة العصر، القسم العراقي، تحقيق: محمد بهجة الأثري، و جميل سعيد، المجمع العلمي العراقي، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م، مقدمة التحقيق، ج١، ص ٨٢ . **فؤاد حسن حسين أبو الهيجاء:** العماد الأديب وخريدته، رسالة دكتوراه في الأدب والنقد، كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص١٦٠ .

(٤) مثل كتاب "**نزهة الألباء في طبقات الأدباء**" للأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت٥٧٧هـ/١١٨١م). **حاجي خليفة:** كشف الظنون، ج٢ ، ص١٩٤٠ . **محمد جميل محمود عطا** : كتب التراجم وأثرها في الكتابة التاريخية من(القرن ٥-٨هـ/١١-١٤م)، ص٨٦ .

(٥) مثل كتاب " **تاريخ حكماء الإسلام**" للبيهقي، ظهير الدين أبو الحسن علي بن زيد بن محمد (ت٥٦٥هـ/١١٦٩م)، والذي اشتمل على (١١١) ترجمة لحكماء خوارزم وخراسان والعراق في القرنين الخامس والسادس الهجري، ولم يتعرض لأحد من الشام وأفريقية والأندلس. **محمد جميل محمود عطا** : كتب التراجم وأثرها في الكتابة التاريخية من القرن(٥-٨هـ/١١-١٤م)، ص٩٨.

(٦) ألف كل مذهب من المذاهب الأربعة تراجم خاصة برجاله، فمثال لمصنفات الحنابلة فى القرن (٦هـ/١٢م): "طبقات الحنابلة" لابن الفرَّاء، أبي يعلى محمد بن محمد بن الحسين الحنبلي(ت٥٢٦هـ/١١٣١م)، ومن=

والأتقياء والزهاد والصوفية[١]، وغيرهم.

هذا إلى جانب كتب التراجم العامة التي لاتختص بفئة معينة، أو بطائفة محددة، بل تترجم للمشهورين جميعاً، أو لمن كان لهم أثر بارز في أي جانب من جوانب الحياة [٢] والتي عرفها البعض بأنها تلك الكتب التي تجمع طائفة من التراجم لطائفة من الرجال، يختلفون صناعة، وطبقة، وعصراً، ومكاناً، ولكنهم يتحدون في صفة واحدة تجمعهم، وهى صفة الجدارة والاستحقاق بأن يترجم لهم، وتدون سيرتهم[٣].

ويمثل هذا النوع في القرن (السادس الهجري) ابن ظفر أبو عبدالله محمد بن أبي محمد الصقلي (ت٥٦٥هـ/١١٦٩م) في كتابه" أنباء نجباء الأبناء"[٤]، وابن الجوزي في كتابه " المنتظم "، والذي ضم حوالي(٣٣٧٠) ترجمة لمختلف الشخصيات من خلفاء، وملوك، ووزراء، ومحدثين وفقهاء، وشعراء، وأدباء" وغيرهم[٥].

وظهرت التراجم حسب البلدان كنموذج آخر من اختصاصات كتب التراجم، حيث إن بعض المدن الإسلامية أصبحت محط اهتمام العلماء للكتابة عن تاريخها وعلمائها وحكامها، وأعطوا صورة جلية عن تاريخ هذه المدن من خلال تراجمهم لها، أو لمن حكمها، أو دخلها، أو وفد عليها، أوخرج منها من العلماء، وهى إما لمدينة بعينها مثل

=مصنفات الشافعية: " وسائل الألمعي في فضائل الشافعي" للمحدث أبو الحسن بن أبي القاسم البيهقي، المعروف بفُنْدُق(ت٥٦٥هـ)، ومن مصنفات المالكية " ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام الإمام مالك" للقاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى(ت٥٤٤هـ/١١٤٩م)، أما علماء الحنفية؛ فقد تأخر بهم القصد الى القرن الثامن الهجري وظلت تراجمهم ضمن التراجم العامة، وتراجم البلدان. عبد الفتاح محمد الحلو: تراجم الفقهاء، مجلة البحوث الإسلامية، السعودية، العدد(١)، رمضان، ١٩٧٥م، ص ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦.

(١) ألف ابن الجوزي فى هذا النوع كتابه " صفة الصفوة " وضم الكتاب حوالي(١٠٣١) ترجمة.

(٢) **محمود فاخوري** : فن التراجم حتى القرن السابع الهجري، ص٢٨٩ ، ٢٩٠.

(٣) **محمد عبد الغني** : التراجم والسير ، ص ٤٠.

(٤) **حاجي خليفة:** كشف الظنون، ج٢ ، ص١٩٢٩ . **محمد جميل محمود عطا** : كتب التراجم وأثرها في الكتابة التاريخية من(القرن ٥-٨هـ/١١-١٤م)، ص٤٣.

(٥) **ابن الجوزي:** المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، مراجعة: نعيم زرزور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج١، ص٤٢ . **محمد جميل محمود عطا** : كتب التراجم وأثرها في الكتابة التاريخية من(القرن ٥-٨هـ/١١-١٤م)، ص٤٣ .

كتاب: تاريخ دمشقَ لابن عساكر، وكتاب " الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم " لابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى الأنصاري (ت٥٧٨هـ/١١٨٢م) [(١)]، أو لمجموعة بلدان عامة مثل كتاب: " أخبار البلدان"، وكتاب " تاريخ القلاع والحصون" لأسامة بن منقذ، وكتاب: " معجم البلدان " لياقوت الحموي.

من حيث الأحقاب الزمنية :

وأما من حيث الأحقاب الزمنية، فإن بعض كتب التراجم –على اختلاف اختصاصاتها– تتناول الأعلام العرب والمسلمين القدامى، حتى زمن المؤلف نفسه، وأمثلتها كثيرة في كتب التراجم العامة سبق الحديث عنها، وبعضها يحيط بحقبة زمنية معينة غالباً ما تكون في عصره مثل العماد الكاتب في كتابه "خريدة القصر".

من حيث النهج والطريقة :

وأما من حيث الترتيب والطريقة المتبعة، فتباينت أشكال الترتيب والتنظيم التي اعتمدها المؤرخين في تراجمهم، وأصبح الترتيب من اختصاص المؤرخ، وحسب ما يراه مناسباً، فمنهم من اتبع الطريقة المعجمية أو ما تسمى الترتيب الهجائي، ولعل أول من نقل هذه الطريقة إلى التراجم: المقدسي تقي الدين أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد (ت٦٠٠هـ/١٢٠٣م) في كتابه " الكمال في معرفة الرجال" [(٢)]، وهناك من اعتمد في الترتيب على سني الوفاة في تتابع الترجمات، وذلك كما فعل ابن الأكفاني(ت٥٢٤هـ/١١٣٠م) في كتابه " جامع الوفيات"، والذي ذيّل به على كتاب أستاذه "الكتاني" (ت٤٦٦هـ/١٠٧٣م)، وامتد بالحقبة الزمنية عشرين سنة، ووصل به إلى سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م)، ثم ذيّل على ابن الأكفاني أبو الحسن علي بن المفصل المقدسي الحافظ (ت٦١١هـ/١٢١٤م)، ووصل بذيله حتى سنة(٥٨١هـ/١١٨٥م)، وسماه " وفيات

(١) **ابن بشكوال:** أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال: الصلة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط١، دار الكتاب المصري، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، مقدمة التحقيق، ج١، ص ١٥ . **محمد جميل محمود عطا** : كتب التراجم وأثرها في الكتابة التاريخية من(القرن ٥-٨هـ/١١-١٤م)، ص١٠٦ .

(٢) كتبه في أربع مجلدات ضخمة ، ومنه أجزاء مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق والجامعة الأمريكية في بيروت، وكان هذا الكتاب نهاية لخط طويل من تطور علم الرجال في التاريخ الإسلامي. **شاكر مصطفى** : التاريخ العربي والمؤرخون ، ج١ ،ص ٤٢٩ .

النقلة " [1].

(ت)- أساليب الكتابة التاريخية في هذا العصر:

بالنسبة لأسلوب الكتابة في هذا العصر؛ فقد طرأ عليه -أيضاً- بعض التطورات من حيث الطريقة والأسلوب، ففي بدايات الكتابة التاريخية لم تكن تأبه كثيراً بطريقة التعبير والأسلوب بقدر ما كانت تأبه بالخبر؛ أي القصص، وإيراد الشعر المناسب إن وجد شعر، وتلك هي طريقة وأسلوب الاخباريين التي ظلت سائدة حتى (القرن الثالث الهجري)، غير أن دخول طائفة من الكتاب والأدباء ميدان التاريخ أدخل على الصياغة بعض التأنق، وأدخل على الكتابة التاريخية الأسلوب الأدبي المنمق[2]، ولهذا جرى التدوين التاريخي في القرن ٦هـ/١٢م ضمن أسلوبين:

الأول: الأسلوب المرسل الواضح البسيط الذي اتبعه معظم المؤرخين في مؤلفاتهم، وذلك منذ الطبري إلى المسعودي إلى الهمذاني إلى ابن الجوزي وابن الأثير، وقد يتخلل الكتابة الاستشهاد بآية قرآنية، أو حديث، أو مثل شائع، وقد يهبط هذا الأسلوب ليصبح مجرد حديث عادي مكتوب [3].

الثاني: الأسلوب الأدبي المتأنق، وقد بدأ هذا الأسلوب في بعض الكتابات على أيدي مسكويه والتنوخي، ولكنه سرعان ما تأثر بالصنعة البديعية، فصار سجعاً بدا في أول الأمر نوعاً من البراعة في الجمع بين التاريخ بأسلوب أدبي رائع ، ثم أسرف المؤرخون في الصنعة، ووصل بهم هذا الأسلوب الى حد يبعد الرواية التاريخية عن الحقيقة والدقة بسبب استخدام الكلمات الطنانة المرصوفة رصفاً، كأسلوب العماد الكاتب الأصفهاني في كتبه المتنوعة التي صاغها نثراً وشعراً، مثل البرق الشامي، وخريدة القصر، وكتابات القاضي الفاضل، ويظهر ذلك في كتاباتهم؛ فقد كان القاضي الفاضل يقول :"دام علا العماد"، ويرد عليه العماد بقوله : "سر فلا كبا بك الفرس"، وتلك عبارات تقرأ من اليمين إلى اليسار

---

(١) **شاكر مصطفى** : التاريخ العربي والمؤرخون ، ج١ ،ص ٤٢٦،٤٢٧ . **هاني العمد:** كتب التراجم الشامية، رسالة المكتبة،الأردن، مجلد(١٥)،عدد(٣)، سبتمبر، ١٩٨٠م، ص ٤١ .

(٢) **شاكر مصطفى** : التاريخ العربي والمؤرخون ، ج١ ،ص ٣٩٩ .

(٣) **شاكر مصطفى** : التاريخ العربي والمؤرخون ، ج١ ،ص ٣٩٩ . وعن أسلوب ابن الأثير المرسل في كتاباته التاريخية انظر: **محمود محمود أبوهدهود:** ابن الأثير ودوره في الكتابة التاريخية، ص ١٦٢ .

والعكس، مما يوضح براعتهم في الصنعة اللغوية [١].

ومما سبق يستنتج أن بلاد الشام ومصر عرفت في القرن السادس، وبدايات القرن السابع الهجريين عصراً من النهضة في الكتابة التاريخية يمكن أن يعتبر بحق عصر النهضة الإسلامية الثانية بعد الأولى التي كانت في القرنين الثالث والرابع الهجريين.

وقد حفل هذا العصر بالموسوعات التاريخية والأدبية، وموسوعات الرجال، فكان للتاريخ النصيب الأوفى في مختلف مجالاته وأنماطه، مما أدى إلى تنشيط كتابة التاريخ، وظهور مجموعة كبيرة من المؤرخين، ولم يكن الأتابكة والأيوبيين بعيدين عن هذا النشاط الحضاري والعلمي، فكان من بينهم من يميل إلى التاريخ وأهله، مثل: الملك العادل نور الدين محمود، وكذلك السلطان صلاح الدين الأيوبي.

كما كونت دراسة التاريخ جزءاً أساسياً من ثقافة بعض الأمراء والكتاب، وحاولوا التأليف فيه، حتى نبغوا فيه، ودفعوا بلواء الكتابة التاريخية إلى مجالات التقدم والازدهار مثل: ابن القلانسي، وأسامة بن منقذ، والقاضي الفاضل، والعماد الأصفهاني الكاتب، وابن شداد.

لقد سلم علماء القرن (السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي) لمن جاء بعدهم من علماء ومؤرخي القرن السابع الهجري، تركة ثرية من المؤلفات التاريخية التي اقتفوا أثرها؛ ومن ثم بدأ هذا القرن يشهد عصر الموسوعات والمؤلفات المصقولة التي صاغها، النويري، والذهبي، وغيرهم من أعلام مؤرخي الإسلام .

(١) **البنداري:** سنا البرق الشامي، مقدمة المحقق، ص٥ **شاكر مصطفى** : التاريخ العربي والمؤرخون ، ج١ ، ص ٣٩٩، ٤٠٠ . **فرانز روزنثال:** علم التاريخ عند المسلمين، ص٧٧٠ . **فؤاد حسن حسين أبو الهيجاء:** العماد الأديب وخريدته ، ص ٢٤٢ .



الفصل الأول

النشأة والتكوين الثقافي

" سيرة حياة "

أولاً: اسمه ونسبه.

ثانياً: كنانة قبيلة أسامة.

ثالثاً: كنيته ولقبه.

رابعاً: مولده ونشأته.

خامساً: ملامح شخصيته.

سادساً: شيوخه.

سابعاً: تلاميذه.

ثامناً: مكانته العلمية.

تاسعاً: مراحل حياته وحروبه.

عاشراً: علاقته بأصحاب السلطة والحكم في عصره.

حادي عشر: سفاراته.

ثاني عشر: عقيدته.

ثالث عشر: حياته الشخصية.

رابع عشر: وفاته.

النشأة والتكوين الثقافي " سيرة حياة "

أولاً: اسمه ونسبه:-

هو أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ[١] بن محمد بن منقذ بن نصر الكناني[٢] الكلبي[٣] الشيزرى[٤].

وقد اختلف في نسبه عند العلماء الذين ترجموا له، فمنهم من رفعه الى الجد الأساسي لجميع القبائل العربية الجنوبية إلى قحطان[٥]، ومنهم من رفع نسبه الى نوح عليه السلام[٦] ومنهم من رفعه الى الأب الأول للبشرية جمعاء - آدم عليه السلام ، فقال: " أسامة بن مرشد بن علي بن مُقَلَّد بن نصر بن مُنْقذ بن محمد بن منقذ بن نصر بن هاشم بن سِوَار بن زياد بن رَغيب بن مكحُول بن عمرو بن الحارث بن عامر بن مالك بن أبي مالك بن عوف بن كنانة بن بكر بن عُذْرَة بن زيد اللات بن رُفَيْدة بن ثور بن كلب بن وبرة

---

(١) **سبط بن الجوزي:** مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ، ج٢١، ص٣٥٩. **المنذرى،** زكى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي: التكملة لوفيات النقلة، تحقيق: بشار عواد معروف، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، مج ١، ص٩٥. **أبو شامة:** الروضتين فى أخبار الدولتين، وضع حواشيه وعلق عليه : إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج٢، ص ٢٨٤. **ابن خلكان:** وفيات الأعيان، ج١، ص١٩٥. **الذهبي:** سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص١٦٥. **ابن كثير:** البداية والنهاية، ج١٦، ص٦٠٤. **العيني،** بدر الدين محمود: عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان، تحقيق : محمود رزق محمود، ط٢، دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، مركز تحقيق التراث، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ج٢، ص١١٢. **ابن تغري بردي،** جمال الدين أبو المحاسن يوسف: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، تقديم وتعليق: محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ج٦، ص٩٧. **ابن العماد الحنبلي،** شذرات الذهب، ج ٦، ص٤٥٩. **الطباخ،** محمد راغب الطباخ الحلبي: أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، صححه وعلق عليه: محمد كمال، ط٢، دار القلم العربي، حلب، ١٤٠٩هـ /١٩٨٩م، ج ٤، ص٢٦١ .

(٢) نسبة الى كنانة قبيلته، وسيأتى الحديث عن هذه القبيلة تحت عنوان قبيلة المؤرخ .ص

(٣) **الكَلْبي:** بفتح الكاف وسكون اللام وفى آخرها باء موحدة، وهذه النسبه الى قبائل كلب منها كلب بن وبرة التى ينسب اليها المؤرخ. **ابن الأثير:** اللباب فى تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت، ج٣،ص ١٠٤، ١٠٥ .

(٤) **ابن عساكر:** تاريخ دمشق، ج٦، ص٩٠. **خير الدين الزركلي:** الأعلام ، ج١، ص ٢٩١ .

(٥) **ياقوت الحموي:** معجم الأدباء، ج٢، **ص**٥٧١ . **الصفدي:** الوافي بالوفيات، ج٨، ص٢٤٥.

(٦) **ابن العديم:** بغية الطلب، ج٣، ص ١٣٥٨،١٣٥٩.

بن تغلب بن حُلْوان بن عمران ابن إلحاف بن قضاعة بن مالك بن حِمْير بن مُرّة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان بن عابر بن أرْفَخْشَذ بن سام بن نوح بن لَمَك بن مَتَوْشَلَخ بن أَخْنَوخ بن يَرْد بن مَهْلائِيل بن قَيْنَان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام " [١] .

ثانياً: كنانة[٢] قبيلة أسامة :-

بالنظر فى كتب الأنساب[٣]، نجد أكثر من جذر يدعى كنانة :

- كنانه بطن من تغلب بن وائل العدنانية، ويقال لهم قريش تغلب .
- كنانة بن خزيمة من قبيلة عظيمة من العدنانية.
- كنانه بن بكر بطن ضخم من عذره من كلب من قضاعه من القحطانية .

وقد ذكر القلقشندي أن " بنو منقذ بطن من عذره بن زيد اللات من كلب من القحطانية، كانو ملوكاً بشيزر من أعمال حلب"[٤] . وقيل هي بطن من بني بحدل، من بني كلب ، من تغلب بن حلوان بن عمران بن الحافى بن قضاعة من القحطانية، ومنه ملوك شيزر[٥].

---

(١) **العماد الأصفهاني:** خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء الشام، تحقيق: شكري فيصل، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م، ج١، ص٤٩٨.

(٢) **كنانـة:** كنانة بكاف مكسورة ونونين مفتوحين بينهما ألف، نقلاً عن الكنانة التى توضع فيها السهام، وهذه النسبة الى قبيلة كنانة العربية، وهم بنو كنانة بن عوف بن عذرة. **القلقشندي:** قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: ابراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتب الاسلامية، ١٩٨٢م، ص٤٨ .

(٣) **ابن حزم،** أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي:جمهرة أنساب العرب، تحقتق: عبد السلام هارون، ط٥، دار المعارف،ص٤٥٦، ٤٧٩. **القلقشندى** : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: ابراهيم الأبيارى، دار الكتاب اللبناني، بيروت ،ط٢، ١٩٨٠م، ص٤٠٨ وما بعدها. **عمر رضا كحاله،** معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤ م، ج٣، ص٩٩٦.

(٤) نهاية الأرب ،ص٤٢٦. **أحمد قدري الكيلانـي:** أسامة بن منقذ الأمير الفارس والأديب الشاعر سيرة حياته، ص٣٤.

(٥) **عمر رضا كحاله:** معجم قبائل العرب ،ج٣، ص١١٤٧.

ومن هنا قبيلة كنانة التى ينتمى إليها بنو منقذ هي بطن من قبيلة كلب العربية الشهيرة، والتى يرجع نسبها إلى كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان[١]، ومنازل قبيلة كلب كانت قديماً فى تهامة، جنوب غرب مكة، وحتى شمال شرقها، وذلك في الأراضي المتاخمة لمنازل بني هذيل مع سائر قبائل قضاعة وإخوتهم كنانة بن خزيمة[٢] إلى ما يليها من نجد والحجاز، ثم وقعت حرب لقبائل كلب في الجاهلية بين بني عامر بن عوف وعبدالله بن كنانة من جهة وبنى كنانة بن عوف من جهة أخرى، فهزمتهم كنانة فافترقوا، ونزلت كنانة ومن حالفهم في موضعهم، وصار معهم من قبائل كلب بدومة الجندل [٣]، وأطراف بلاد الشام إلى ناحية بلاد طيء[٤] .

يكتنف الغموض كثيراً أخبار الكلبيين قبل الإسلام ، لكن مع ظهور الإسلام دخلوا فى الإسلام كما دخل غيرهم من القبائل، ثم تفرقت كنانة بعد الفتح الإسلامي في البلدان كغيرها من القبائل، ونزلت كنانة كلب بلاد الشام، ومن المدن والقرى التى أقامت فيها حمص وحماة وشيزر وما حول حلب، وأقام قوم فى منفلوط بصعيد مصر، وفى الدقهلية والشرقية [٥]، وفى القرن الأول للهجرة غدا بنو كلب أكثر البطون العربية أهمية فى بلاد الشام، وأكثرها قوة وجاهاً، وأصبح لهم اليد الطولى هناك خاصة بعد مصاهرتهم الخليفة الأموى معاوية بن أبي سفيان، على أن تحركات هؤلاء الكلبيين بعدئذ ارتبطت بمسألة

---

(١) **ابن حزم:** جمهرة أنساب العرب، ص٤٥٦، ٤٧٩ . **القلقشندي:** نهاية الأرب، ص ٤٠٨ . **عمر رضا كحاله:** معجم قبائل العرب، ج٣، ص٩٩١.

(٢) **جمال الدين الألوسي:** أسامة بن منقذ بطلل الحروب الصليبية، ص٩. **محمد محمد مرسي الشيخ** : الإمارات العربية في بلاد الشام فى القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، ط١، الهيئة العامة المصرية للكتاب، الأسكندرية، ١٩٨٠م، ص ٣٠ . **أحمد قدري الكيلاني** : أسامة بن منقذ الأمير الفارس والأديب الشاعر سيرة حياته، ص٣٤ .

(٣) **دومة الجندل:** بضم أوله وفتحه ،عدها ابن الفقيه من أعمال المدينة، وسميت بدوم ابن اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام، وسميت بدومة الجندل؛ لأن حصنها مبني بالحجارة، وقيل هي حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلى طئ، كانت به بنو كنانة من كلب. **ياقوت الحموى** : معجم البلدان، ج٢، ص٤٨٧.

(٤) **محمد محمد مرسي الشيخ** : الإمارات العربية فى بلاد الشام ، ص ٣٥ . **حنين بدران:** قبيلة كلب بن وبرة، مجلة أفكار، الأردن، العدد (٢٦٢)، ٢٠١٠م، ص ١٤٣، ١٤٤.

(٥) **القلقشندي:** قلائد الجمان، ص ٤٦، ٤٨. **محمد سليمان الطيب:** موسوعة القبائل العربية بحوث ميدانية وتاريخية، ط٢، دار الفكر العربي ، ١٩٩٦م، مج٢، ج٢، ص١، ٢ .

نزاعهم الدائم مع القيسيين، إذ زاد انتصارهم فى مرج راهط من نفوذهم وسلطانهم، لكن مع سقوط الدولة الأموية سنة (١٣٢هـ/٧٤٩م) أفل نجم الكلبيين، ولم يستطيعوا الحفاظ على مكانتهم ومكاسبهم القديمة، إذ نظر إليهم العباسيون نظرةَ شك وريبة بوصفهم دعائم عهد الأمويين، ومن ثم بدأ نجمهم يأفل شيئاً فشيئاً، وبدأوا بالإنحسار فى وسط بلاد الشام، وغدت القبائل العربية فى بلاد الشام فى أوائل القرن الخامس الهجرى تتوزع نتيجة للأوضاع السابقة كالآتى: بنو كلاب فى الشمال، وهم من البطون القيسية، ثم الكلبيين فى الوسط، ثم بنو طئ فى الجنوب وهم كلبيون أيضاً[١]، أما نشاط الكلبيين فى بلاد الشام فى القرنين (الخامس والسادس الهجريين/الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين)؛ أى الفترة التى تعنينا كان أكثر ظهورا وأبرز أثراً، وهذا واضح من كيفية امتلاك بنى منقذ الكلبيين لشيزر.

ثالثاً: كنيته ولقبه:-

كان لأسامة بن منقذ كُنَى عديدة، منها " أبو المظفر " [٢]، وهي الأشهر له، و" أبو الحارث"[٣]، و" أبو الحرث" [٤]، وإلى جانب ذلك كان يلقب بمؤيد الدولة، مجد الدين[٥].

(١) **محمد محمد مرسي الشيخ** : الإمارات العربية فى بلاد الشام ، ص ٣٦، ٣٧ .

(٢) **ابن عساكر**: تاريخ دمشق، ج٨، ص٩٠. **ياقوت الحموي**: معجم الأدباء، ج٢، ص ٥٧٢. **ابن خلكان**: وفيات الأعيان، ج١، ص ١٩٥ . **ابن منظور، محمد بن مكرم**: مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: إبراهيم صالح، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ج٤، ص٢٥٨ . **الذهبي** : تاريخ الإسلام، ج٤١، ص١٧٠. **الصفدي**: الوافي بالوفيات ،ج٨ ، ص ٢٤٥. **اليافعي**: مرآة الجنان، ج٣، ص٣٢٣ .

(٣) **ابو شامة**: الروضتين ،ج٢، ص٢٨٤. **سبط بن الجوزي**: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج٢١، ص٣٥٩. **ابن كثير**: البداية والنهاية، ج١٦، ص٦٠٤. **ابن تغري بردي**: النجوم الزاهرة، ج٦، ص ٩٧ .

(٤) **النعيمي** : الدارس فى تاريخ المدارس، ج١، ص٢٩١ .

(٥) **ياقوت الحموي**: معجم الأدباء، ج٢، ص٥٧٩. **ابن خلكان**: وفيات الأعيان، ج١، ص ١٩٦. **الذهبي**: سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص ١٦٥. **الصفدي**: الوافي بالوفيات، ج٨، ص ٢٤٥. **اسماعيل البغدادي**: هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، ج١، ص١٩٦.

رابعاً: مولده ونشأته:-

ولد أسامة يوم الأحد السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة (٤٨٨هـ/١٠٩٥م)[١] بشيزر[٢]، ويفهم من تاريخ ولادته أنه ولد قبيل وصول الصليبيين إلى الشرق بعامين[٣]،

---

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٤٤. **ابن العديم:** بغية الطلب، ج٣، ص١٣٥٩. **الزركلي:** الأعلام، ج١، ص٢٩١. **زكي محمد حسن:** الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، كلمات للترجمة والنشر،القاهرة،٢٠١٣م، ص٧٣. **عمر رضا كحالة:** معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب، ج١، مؤسسة الرسالة، دمشق، ١٩٥٧م، ص ٣٣٧. **يحيى مراد:** معجم تراجم الشعراء الكبير،ج١، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٧٦. **شوقي ضيف:** الترجمة الشخصية، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٩٣ .

(٢) وهى بلدة ذات قلعة حصينة تقع على نهر العاصي إلى الشمال الغربي من مدينة **حماة**. في سنة (٤٦٨هـ/١٠٧٥م) بدأ سديد الملك أبو الحسن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني (جد أسامة) بعمارة حصن الجسر، ثم حاصر به حصن شيزر. وكانت شيزر في ذلك الوقت خاضعة للروم، فلما طالت المضايقة، راسل وال الروم سديد الملك في تسليم حصن شيزر إليه، وذلك بعد عدة شروط، منها: دفع مبلغ من المال، ومنها إبقاء أملاك الأسقف الذي بها عليه كما هي، ومنها أن القنطارية، وهم رجالة الروم، يقرضهم ديوانهم الأموال لمدة ثلاث سنين، ثم تسلم بنو منقذ حصن شيزر يوم الأحد، في رجب، سنة (٤٧٤هـ/١٠٨١م)، واستمر سديد الملك علي بن مقلد المذكور يحكمها إلى أن توفي فيها، في سادس المحرم سنة (٤٧٩هـ/١٠٨٦م)، وتولى بعده ولده أبو المرهف نصر بن علي إلى أن توفي، سنة (٤٩١هـ/١٠٩٧م)، وتولى بعده أخوه أبو العساكر سلطان بن علي إلى أن توفي فيها، وتولى ولده محمد بن سلطان إلى أن مات هو وثلاثة أولاده بسبب زلزال حدث هناك سنة (٥٣٢هـ/١١٣٧م). **انظر. أبو الفدا:** المختصر فى أخبار البشر، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب و يحى سيد حسين، دار المعارف، ١٩٩٩م، ج٣، ص ٤٣، ٤٤. **العمري**، شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سليمان الجبوري ومهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م، ج٢٧، ص٢٩، ٣٠ . وعن شيزر وموقعها وتاريخها. أنظر: **حجازي عبد المنعم:** إمارة شيزر في عصر بني منقذ، ص٤٠-٦١ . **هاشم صالح مناع:** شيزر في التراث والتاريخ، مجلة التراث العربي، سوريا، مجلد(١٧)، عدد(٦٥)، ١٩٩٦م، ص١٣٦- ١٤٤ .

(٣) بعد أن أعلن البابا أوربان الثاني(١٠٨٨-١٠٩٩م/٤٨١-٤٩٣هـ) في خطابه الشهير الذي ألقاه بمجمع كليرمونت بجنوب فرنسا في السابع والعشرين من نوفمبر (١٠٩٥م)، قيام الحملة الصليبية أمام حشد كبير أغلبهم رجال الكهنوت في كليرمونت، توجهت أعداد كبيرة إلى الشرق في محاولة للاستيلاء على الأراضي الواقعة على الطريق إلى قبر السيد المسيح عيسى (عليه السلام) في بيت المقدس، ووصلت الحملة الصليبية الأولى إلى بلاد الشام وحاصرت أنطاكية فى نهاية أكتوبر(١٠٩٧م/٤٩١هـ)، إلى أن استولت عليها في يونيه (١٠٩٨م/٤٩٢هـ) ثم توالت الهجمات على مدن بلاد الشام. انظر. **ارنست باركر:** الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني، ط٢، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٦٧م، ص٢٩، ٣٤. **جوناثان**

وقد قابله ابن عساكر والعماد الأصفهاني سنة (٥٧١هـ/ ١١٧٥م) فى دمشق، فأخذا عنه تاريخ ولادته هذا [(١)].

نشأ أسامة في عائلة علم عريقة، وكان والده وعمه وأهل بيته حريصين على تربيته التربية الإسلامية الصحيحة، القائمة على أساس قوي من العلم والخلق الكريم .

فكان لأسرته أثر كبير فى تكوينه وتنشئته، وكان والده الشخصية الأولى التى تأثر بها، فوالده مجد الدولة أبو سلامة مرشد بن سديد الملك عليّ بن منقذ الكنانيّ (٥٣١هـ/١١٣٦م)[(٢)]، كان صالحاً، كثير العبادة والتلاوة، كثير الصوم، شديد التدين، وقد حفظ القرآن الكريم، وقرأ العربية على أستاذه أبي تراب حيدرة[(٣)]، فبرع فى علوم القرآن الكريم، كما كان شاعراً، عارفاً بفنون العلم والأدب، وله اليد الطولى في العربية والشعر، كما دأب على نسخ القرآن الكريم؛ فقد كان حسنَ الخطِ [(٤)].

ريلى سميث: الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، ترجمة: محمد فتحي الشاعر، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م، ص٣٣. **محمد مؤنس عوض**: الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب في القرنين (١٢-١٣م/٦-٧هـ)، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٠م، ص٦٧-٧٣ .

(١) **ابن عساكر**: تاريخ دمشق، ج٨، ص٩٠، ٩١. **العماد الأصفهاني**: الخريدة، قسم شعراء الشام، ج١، ص٤٩٩ . **ابن خلكان**: وفيات الأعيان، ج١، ص ١٩٥-١٩٩ .

(٢) **ابن عساكر**: تاريخ دمشق، ج٥٧، ص٢١٥-٢١٩. **العماد الأصفهاني**: الخريدة، قسم شعراء الشام، ج١، ص٥٥٨ . **ياقوت الحموي**: معجم الأدباء، ج٢، ص ٥٨٦ . **ابن الفوطي**: كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد، المعروف بـ "ابن الفوطي الشيباني": مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: محمد الكاظم، ط١، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ج٤، ص ٥٣٨ .

(٣) **ابن العديم** : بغية الطلب، ج٦، ص ٣٠٠٩ .

الرئيس أبا تراب حيدرة: هو أبا تراب حيدرة بن أحمد بن عمر بن موسى، رجل عالم له باع في كل العلوم، ونال منها حظاً كبيراً، وبرز في قراءة القرآن وعلومه، ولم يكن مشتهرا بالشعر، وكان أقل فضائله، وليس هو من أهل الشام، وإنما ورد إليها مهاجراً من الشرق، فتمسك به والد أسامة أبو سلامة مرشد بن علي رحمه الله، وقرأ عليه القرآن والنحو وعلم النجوم، وكان هذا الرجل يعرف بابن قطرميز. انظر ترجمته في. **ابن العديم** : بغية الطلب، ج٦، ص ٣٠٠٩ -٣٠١١ . **ابن الفوطي**: مجمع الآداب في معجم الألقاب، ج٢، ص٢١٩ .

(٤) **ابن عساكر**: تاريخ دمشق، ج٥٧، ص٢١٦. **أحمد رمضان أحمد** : الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي، جدة، د.ت، ص ٢٥٦.

وقد ذكر أسامة أن والده نسخ القرآن الكريم بخطه ثلاثاً وأربعين مرة [١]، وذكره السمعاني؛ فقال عنه إنه: " من الأمراء الفضلاء، المجودين في الأدب وصنعة الشعر، رزق أولاداً كباراً فضلاء شعراء، ورأيت مصحفاً بخطه كتبه بماء الذهب على الطاق الصوري، ما أظن أن الأعين رأت أحسن منه " [٢].

وإلى جانب ذلك كان الأمير مرشد فارساً شجاعاً كثير الحروب مع الاستمتاع والترفيه برياضة الصيد، وقد رفض الإمارة على شيزر سنة (٤٩١هـ/١٠٩٨م)، وذلك حتى لا تصرفه أعباء الحكم عن العبادة وقال[٣]: " والله لا وليته، ولأخرجن من الدنيا كما دخلتها"، وتوفى سنة (٥٣١هـ/١١٣٦م).

اعتنى والده بتربيته هو وإخوته تربية دينية قويمة، تقوم على حفظ القرآن الكريم، والحث على مداومة قراءته، فمثلاً كانوا إذا خرجوا للصيد أمرهم أبوهم بأن يتفرقوا، وأن يقرأ كل واحد منهم من القرآن ما يستطيع، ثم يستدعيهم، فيسألهم كم قرأ كل واحد منهم؟ فيخبرونه، فيقول لهم: أما "أنا فقد قرأت مائة آيةٍ أو نحوها"، ضارباً لهم المثل الأعلى الذى يحتذونه فى الحفظ والتلاوة. وكان أسامة معجباً بأبيه فى حفظ القرآن الكريم، ويأخذ طريقته حيث يقول عنه: " وكان رحمه الله يقرأ القرآن كما أنزل " [٤].

كذلك رباه والده على الإقدام وقوة النفس التي تمكنه من مكافحة الضواري والأسود، فقد تعلم وهو فتى صغير لم يبلغ الحلم مسئولية اتخاذ القرار، والإقدام على المخاطر، وعدم انتظار عون الآخرين حتى يحدق به الخطر، وقد أعطاه والده هذا الشعور، فهو يقول عن تصرف والده معه فى الإقدام على المخاطر، وهو غلام صغير، وأثر هذه

---

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص ٧٦. ولكن ابن عساكر وابن شاكر الكتبي ذكرا: أن والد أسامة مرشد نسخ القرآن الكريم بخطه سبعين ختمة. انظر: **ابن عساكر:** تاريخ دمشق، ج٥٧، ص٢١٦ . **الكتبي:** فوات الوفيات، ج٤، ص ١٣٠، ١٣١ .

(٢) **السمعاني**، الإمام أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني: الأنساب، حقق نصوصه وعلق عليه: محمد عوامة، ط١، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ج٧، ص ٤٦٩ .

(٣) **ابن الأثير**: الكامل، ج٩، ص ٤١٣ .

(٤) **ابن منقذ**: الاعتبار، ص ٢٠٨.

التصرفات التربوية عليه[1]: "ومره كنت معه– رحمه الله –وهو واقف فى قاعة داره، واذا حية عظيمة قد أخرجت رأسها على إفريز رواق القناطر التي في الدار، فوقف يبصرها، فحملت سلماً كان فى جانب الدار أسندته تحت الحية، وصعدت إليها، وهو يراني فلا ينهاني، وأخرجت سكيناً صغيرة من وسطي وطرحتها على رقبة الحية، وهى نائمه، وبين وجهى وبينها دون الذراع، وجعلت أحز رأسها، وخرجت إلتفت على يدى إلى أن قطعت رأسها، وألقيتها إلى الدار وهى ميتة ".

وكان والده يهتم بتربيته الحربية السليمة منذ نعومة أظافره، وتنشئته على الفروسية العربية وركوب الخيل، فتدرب على الشجاعة و الإقدام، وتخرج من مدرسة بني منقذ وهو فتى فتيانهم فى مقارعة الأبطالِ، وممارسة الخطوبِ والأهوال، وقتل الأسودِ والوحوشِ الضاريه.

ويذكر أسامة طرفًا من هذه التربية قائلا: " وما رأيت الوالدَ – رحمه الله – نهاني عن قتال ولا ركوب خطر، مع ما كان يرى في، وأرى من إشفاقه وإيثاره لي، ولقد رأيته يوماً وكان عندنا بشيزر رهائن عن بغدوين ملك الإفرنج[2] على قطيعه قطعها لحسام الدين تمرتاش ابن إيلغازي[3]– رحمه الله– فرسان إفرنج وأرمن. فلما وَفَّو ما عليهم، وأرادو

(١) **ابن منقذ**: الاعتبار، ص١٢٥. **محمد عبدالله عباس**: السيرة الذاتية فى كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ "دراسة أدبية ونقدية فى الأبعاد الفكرية والفنية، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق، جامعة الأزهر، مصر، مج (٢)، العدد (٢٩)، ٢٠٠٩م، ص ١٤٣١ .

(٢) **بلدوين الثاني**: يرد في مصادر المؤرخين المسلمين: "**بغدوين**"، أو "**بلدوين**"، تولى عرش بيت المقدس من سنة (٥١١هـ/١١١٨م)، إلى سنة(٥٢٦هـ/١١٣١م)، كان ابن هيو الأول أمير ريثل، وابن عم بلدوين الأول خلفه على إمارة الرها ما بين(١١٠٠–١١١٨م) ثم على عرش مملكة بيت المقدس، حيث تم تكريسه يوم الأحد الموافق عيد الفصح ١٤ إبريل ١١١٨م ولكنه لم يتوج رسميا إلا في ٢٥ ديسمبر ١١١٩م، عندما صار واضحاً أن أخاه الأكبر إيستاس الثالث أمير كولوني لن يطالب بالعرش. **فوشيه الشارتري**: الاستيطان الصليبي في فلسطين، ص٢٣٩، **وليم الصوري**: الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٣٥–٣٤١. **هالا عبد الحميد إبـراهيم**: الحملـة الصـليبية الأولـى علـى بـلاد الشـام ٤٩٢هـ/١٠٩٩م–٥٤٢هـ/١١٤٧م، رسـالة دكتـوراه ، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، الأردن، ٢٠١٠م، ص٢٠٥ .

(٣) **تمرتاش بن إيلغازي بن أرتق**، الأمير حسام الدين التركماني، الأرتقي، صاحب ماردين، وميافارقين. ولي الملك بعد والده، فكانت مدته نيفا وثلاثين سنة، وتوفي سنة(٥٤٧هـ/١١٥٢م)، وولي بعده ابنه نجم الدين إلبي. **الذهبي**: تاريخ الإسلام، ج٣٧، ص ٢٦٧ .

الرجوع إلى بلادهم نفَّذ خير خان (صاحب حمص) خيلاً كمنوا لهم فى ظاهر شيزر، فلما توجه الرهائن خرجوا عليهم أخذوهم، ووقع الصائح، فركب عمي وأبي- رحمهما الله - ووقفا، وكل من يصل إليهما قد سيَّراه من خلفهم، وجئت أنا فقال لي أبي: اتبعهم بمن معك، وارموا أنفسكم عليهم، واستخلصوا رهائنكم ، فتبعتهم وأدركتهم بعد ركض أكثر النهار، واستخلصت من كان معهم، وأخذت بعض خيل حمص، وعجبت من قوله أرموا أنفسكم عليهم " [١].

فوالده مع حبه له وإشفاقه على صغره يجعله يتقدم بشجاعة فى مواقف كثيرة، وخاصة فى مواقف الحرب، وذلك ليعوّده على عدم الخوف، واقتحام المخاطر، ويعوده على الشجاعة والبسالة التى هى من صفات الفرسان، فانظر الى قوله " أرموا أنفسكم عليهم، واستخلصوا رهائنكم " وهى ألفاظ تحمل فى طياتها معاني كثيرة، مثل: تحمل المسؤلية، والإقدام فى موقف الحرب، حتى ولو كان ثمن ذلك قتله بيد الصليبيين .

أما الشخصية الثانية التي تأثر بها أسامة، وأثرت في نشأته وتربيته الحربية؛ عمه أبو العساكر الذي كان يختبر حضور ذهنه فى ساحة القتال، فيقول عنه أسامة: " كان عمي عز الدين -رحمه الله- يتفقد مني حضور فكري فى القتال، ويمتحِنِى بالمسألة " [٢].

كما أثرت والدته فيه تأثيراً معنوياً، حيث يظهر ذلك من سياق الأحداث التي أوردها في كتابه الاعتبار، وذلك أنها كانت تفضل موت أخته، وذلك بأن ترميها من أعلى الشرفة عندما هاجم الإسماعيلية [٣] حصن شيزر بدلاً من وقوعها فى الأسر، وعندما استفسر أسامة منها عن سبب وقوفها بجوار أخته عند شرفة البيت، فعللت ذلك قائلة: "يا بني

---

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار ، ص ١٢٥. **عبد الرحمن حميدة:** أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر، دمشق، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص٣٨٥-٣٨٦ .

(٢) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص١٢٣.

(٣) تنسب الإسماعيلية إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، وهى إحدى فرق الإمامية، وتعتبر المؤسسة للباطنية،ومنها تفرعت فرق عديدة، ولعبت هذه الفرقة دوراً خطيراً على عصر الحروب الصليبية في بلاد الشام، وتمثل هذا الدور في مقاومتهم للمذهب السني، والعمل على الفتك بأهله وزعمائه وقادته من ناحية، ثم في مقاومة الصليبيين والفتك بزعمائهم من ناحية أخرى. وللمزيد عن هذا الدور انظر: **عثمان عبد الحميد عشري:** الإسماعيليون في بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية ٤٩١-٦٩١هـ/١٠٩٧-١٢٩٠م، المكتبة التاريخية، القاهرة، ١٩٨٣م .

أجلستها على الروشن[١]، وجلست برا منها، إذا رأيت الباطنية قد وصلوا إلينا، دفعتها، ورميتها الى الوادي، فأراها قد ماتت ولا أراها مع الفلاحين والحلاجين مأسورة " [٢].

فوالدته كانت مضرب المثل للمرأة العربية الأصيلة التى تدافع عن أرضها وعرضها، وقد ماتت بمصر، ودفنت بها، وذلك ظاهر من كلام أسامة فى كتاب المنازل والديار [٣] إذ قال: " مر بي قول رسول الله ﷺ : " من زار قبر أبويه، أو أحدهما فى كل جمعة غفر له، وكتب برّاً " [٤]، فآسفني ما حرمته من زيارتهما، وشتات شملنا أحياء وأمواتاً، فقلت:

لكن بمصر قبر وفى شيـ زر قبر وداري بمنتأى العجم " . [٥]

وبما أن أباه توفي في شيزر [٦] ودفن هناك، فالواضح أنها توفيت بمصر فى الفترة التى كان بها أسامة هناك.

وممن تأثر بهم أسامة –أيضاً– أخوته، فله ثلاثة أخوة غيره، الأول: أبو الحسن علي بن مرشد، الملقب بـ "عز الدولة"[٧]، وهو أكبر إخوته[٨]، وبعده أسامة. قال عنه أسامة: "وكان أخي عز الدولة أبو الحسن علي –رحمه الله– من فرسان المسلمين يقاتل

---

(١) **الروشن:** الكوّة في البيت، وهي كلمة فارسية. **ابن منظور:** لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ، ج١٣، ص ١٨١. **الزبيدي،** محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د. ت، ج٢٣ ، ص ٣٦١ ، ج٣٥، ص ٩٦ .

(٢) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص ١٤٥.

(٣) ص ٤١٩ .

(٤) **أبو بكر البيهقي،** أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني: شعب الإيمان، حققه وخرج أحاديثه: عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، ط١، نشر مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، حديث رقم (٧٥٢٢)، فصل في حفظ حق الوالدين بعد موتهما، ج١٠، ص٢٩٧ .

(٥) " البيت من بحر الخفيف "

(٦) **العماد الأصفهاني:** خريدة القصر، قسم شعراء الشام،ج١، ص٥٥٨. **ياقوت الحموي:** معجم الأدباء، ج٢، ص٥٨٦.

(٧) **العماد الأصفهاني:** خريدة القصر ، قسم شعراء الشام، ج١، ص ٥٤٨ . **ياقوت الحموي:** معجم الأدباء، ج٢، ص٥٨١.

(٨) **ابن عساكر:** تاريخ دمشق، ج٤٣، ص٢٣٨ .

للدين لا للدنيا "[١]، وقد استشهد في غزة أثناء حرب الفرنج فى شهر رمضان سنة (٥٤٥هـ/١١٥٠م)، حيث تقنطر به فرسه هنالك، وانكشف عنه أصحابه، وبقي هو فى المعركة، فقتل[٢]، وكان شاعراً مجيداً، حيث أورد العماد الأصفهاني فى الخريدة نماذجَ من شعره، وذكر إنه ورد بغداد حاجاً بعد العشرين والخمسمائة[٣]، وله مؤلف فى التاريخ موسوم بـ " البداية والنهاية "، وهو مفقود، نقل عنه ابن العديم الكثير من نصوصه[٤].

والثانى: نجم الدولة أبو عبدالله محمد بن مرشد، فقد شارك أسامة إحدى الوقائع مع الصليبيين، وأخذ أسيراً آنذاك، وهو ما ذكره أسامة بقوله: " وأخذوا أخي نجم الدولة أبا عبدالله محمد رحمه الله أسيراً "[٥]، وتوفي سنة(٥٧٣هـ/١١٧٧م)، وترجم له العماد الأصفهاني[٦] فقال: " رأيته بدمشق سنة اثنين وسبعين وخمسمائة عند أخيه مؤيد الدولة، ووصل الخبر فى ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين إلى مصر بأنه قد توفي رحمه الله تعالى".

والثالث: بهاء الدولة أبو المغيث منقذ بن مرشد بن علي بن منقذ، له مؤلف في التاريخ، ذيّل به على تاريخ أبي غالب همام بن المهذب المعري، وهو يروي فيه عن أخيه مؤيد الدولة أسامة، ونقل منه ابن العديم[٧].

---

(١) الإعتبار، ص ٤٠ .

(٢) **ياقوت الحموي:** معجم الأدباء ،ج٢، ص٥٨٣.

(٣) قسم شعراء الشام ،ج١ ، ص ٥٤٩ .

(٤) بغيـــة الطلـــب، ج١، ص٤٧٤، وج٢، ص٦٦٧، ٧٦١، ٩٠٥ ، وج٣، ص١٢٥٢، وج٤، ص١٩٥٦، ١٩٥٨، ١٩٧٧، وج٥، ص٢٣٣١، ٢٤٩٤، ٢٤٩٧، وج٦، ص٢٥١٤، ٢٥١٦، وج٨، ص٣٦٧٥، وج٩، ص٤٠٨٢، وج١٠، ص٤٤٨١، ٤٤٩٠، ٤٥٥٥، ٤٥٨٧. **إحســان عبــاس:** شـذرات مـن كتـب مفقـودة، ص١١٤ .

(٥) **ابن منقذ:** الاعتبار ، ص ٥٠ .

(٦) ذيل الخريدة ، ص ١٦٨ .

(٧) بغية الطلب،ج٦، ص ٢٨٠٧ ، ٢٩٦٨ ، وج٧، ص ٣٣٥٥، ٣٣٥٧، وج٩، ص٤١٧٢، و ج١٠، ص٤٤٦٧. **إحسان عباس** : شذرات من كتب مفقودة ، ص١١٣، ١١٩ . **ومما نقله ابن العديم من تاريخ بهاء الدولة أبو المغيث منقذ بن مرشد ما نصه:** " قرأت في تاريخ أبي المغيث منقذ بن مرشد بن منقذ: وفيها- يعني سنة ست وتسعين وأربعمائة -وثب قوم من الباطنية على جناح الدولة حسين فقتلوه، وذلك =

خامساً: ملامح شخصيته :-

ظهرت ملامح شخصية أسامة بن منقذ منذ نشأته الأولى وخلال مراحل حياته المختلفة، فقد كان فارساً نبيلاً تحلى بأخلاق الفرسان؛ فقد نشأ في بيت علمٍ، وتعلم مبادئ الإسلام، واغترف منها.

تحدث عنه الكتَّاب، فذكروا شجاعته(١) وكرمه، كما أكدوا على صموده أمام النكبات والمشكلات، وصبره على نوائب الدهر(٢)، ويصف أسامة مصائبه فيقول: "هذه نكبات تزعزع الجبال، وتفنى الأموال، والله سبحانه يعوض برحمته، ويختم بلطفه ومغفرته "(٣)، وهو القائل أيضاً:

اصبِرْ على ما تَخْتشى أو ترتجي تظفر بحسنِ سكينةٍ ونجاح (٤).

والصبر عند أسامة هو التسليم بقضاء الله، وأيضاً عدم الانهيار أمام المصائب والنكبات فقال :

لأصبرن لدهري صبر محتسب حتى يرى غير ما قد كان يحسبه

واستميت لمن تأتى الخطوب به ليعلم الخطب أنى لست أرهبه

إن غالبتني على وفري نوائبه فحسن صبري فى اللأواء يغلبه (٥).

= يوم الجمعة ثامن وعشرين رجب، وكان ذلك من تدبير أبي طاهر الصائغ، وخدمة للملك رضوان، واستولى بعده قراجا على حمص " . انظر: بغية الطلب،ج٦، ص ٢٨٠٧ .

(١) كان ممن وصفه بالشجاعة المؤرخ ابن الأثير عند تطرقه للحديث عن معركة حارم سنة(٥٥٧هـ/١١٦٢م) ، فقال: " وكان من الشجاعة فى الغاية ". **ابن الأثير:** الكامل ،ج٩، ص ٤٥٧ .

(٢) **رياض عبدالله محمد أبوراس:** أسامة بن منقذ شاعراً دراسة نقدية، رسالة ماجستير منشورة فى الأدب والنقد بجامعة أم درمان الإسلامية، كلية الأداب، قسم اللغة العربية، جمهورية السودان، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص ٨١ .

(٣) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص ٥٨ . ومن نكباته نفيه من شيزر على يد عمه عز الدين أبو العساكر سلطان، وماجرى له من حوادث فى مصر والشام، وموت أسرته جميعا فى زلزال سنة (٥٥٢هـ/١١٥٧م) وغيرها، وسيأتى الحديث عنها فى موضعها .

(٤) **ديوان أسامة بن منقذ**، تحقيق وتقديم: أحمد أحمد بدوى وحامد عبد المجيد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٢٨٢ . " والبيت من بحر الكامل "

(٥) **ابن منقذ** : الديوان ، ص٢٨١ . " والأبيات من بحر البسيط "

كما وُصِف بأنه: " حلو المجالسة ، حالي المساجلة ، ندى الندي بماء الفكاهة، عالى النجم فى سماء النباهة ، معتدل التصاريف ، مطبوع التصانيف " [(١)]، وهي أوصاف تدل على الذكاء، والنباهة، وقوة الفراسة، ودقة الملاحظة، وأنه صاحب حظ وافر من حدة الذهن، وروعة البديهه، وهي أمور واضحة يستدل عليها من حفظه لتراث العرب من شعر ونثر، ومن مؤلفاته التى قاربت الأربعين مصنفاً .

أضف إلى ما سبق أنه كان عفيف اللسان؛ وهذا واضح فى ديوانه، فلا يتطرق إلى الهجاء، ولا يوجد هذا اللون من الشعر فى أشعاره، كما كان متسامحاً متواضعاً؛ وتجلَّت هذه الصفة من خلال تعاملاته مع المحيطين به، والعاملين فى خدمته، وها هو ينادي خادمته العجوز بـ " أمي "[(٢)].

واتسم أيضاً باحترامه وتعظيمه، وحبه للأتقياء والصالحين والعلماء، واتضح ذلك فى كتابته عنهم، ورواية الكثير من كراماتهم، وما ينسب إليهم من أعمال البر [(٣)].

ومن سماته –أيضاً– أنه كان قوي البدن، صحيح الجسم، خفيف الحركة فى القتال، موفور الصحة، ومن الذين يتحملون السفر ومتاعب الطريق، كما اتسم بأنه محب لأسرته دائماً ما يذكرهم في مؤلفاته، والأمر اللافت للنظر احترامه الشديد للمرأة، مما حدا بأحد المؤرخين أن يفرد له بحثاً عن هذا موسوم بـ " أسامة بن منقذ والمرأة " [(٤)].

كذلك اهتم أسامة بأخبار النساءِ وأحوالهن فى عصره، حيث تناول المرأةَ المسلمةَ في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، ومظاهر البطولة الفردية لعدد من النساء في ميادين القتال، وكذلك أوضاع الأسرى منهن[(٥)]، وأورد نماذج نسوية متعددة كان لها دورها في المجتمع الشامي آنذاك، مثل الأسيرة، والندّابة، والساحرة، والعابدة، والطبّاخة،

(١) **العماد الاصفهاني:** الخريدة، قسم شعراء الشام ، ج١، ص ٤٩٩ .

(٢) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص١٩٩ .

(٣) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص١٨٤ .

(٤) **نصر الدين البحرة:** أسامة بن منقذ والمرأة، مجلة التراث العربي، سوريا، مج (١٧)، عدد (٦٨)، ١٩٩٧م، ص٧.

(٥) **محمد مؤنس عوض:** الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، ط١، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٢٤٨ .

والمربية[1]، غير أن النموذج الأكثر اهتماماً من أسامة هو نموذج المرأة المقاتلة، وخير مثال لها تلك الشيزرية التي كانت تلبس زردية وخوذة، ومعها سيف وترس، وتحارب الإسماعيلية عند هجومهم على شيزر [2].

ولم ينس دور المرأة فى صد العدوان الصليبي، فها هو يذكر المرأة التي قتلت زوجها لأنه كان يتعاون مع الصليبيين، ويدلهم على عورات المسلمين[3]، والمرأة الشيزرية التي أسرت ثلاثة من الصليبيين، وحجزتهم في بيتها، ثم دعت قوماً من جيرانها ليقتلوهم [4].

وكذلك لم ينس المرأة الصليبية؛ فهي عنصر فعّال في المجتمع الصليبي وقتذاك، والتي أهملها المؤرخون المعاصرون للحملات الصليبية من المسلمين والصليبيين، فذكر لنا بعض الأحاديث الشيقة عنها وعن قدرتها على القتال، فمنها على سبيل المثال: المرأة التي تنتصر لزوجها؛ فتجرح فارساً مسلماً [5].

ومن هنا يمكن القول: إن أسامة بن منقذ تحلى بأخلاق العلماء؛ فقد هذبت المعرفة سمته، وأضاءت له طريقه، وحسنت من أدائه، وأضفت عليه نبلاً ملموساً، اتضح في علو همته، وعظيم مروءته، وأثرت عليه؛ فكان صادق اللهجة، شديد الكرم، ولا غرو فهو الفارس العربي النبيل .

---

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص ٩٤، ١٣٦، ١٤٤، ١٤٧، ١٦٠، ١٩٩ .

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٤٤ . **شفيق محمد الرِّقب و محمد نايف العمايرة** : مظاهر العمران الاجتماعي في بلاد الشام من خلال كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ، ، حوليات آداب عين شمس، مصر، مجلد(٤٠)، يناير، مارس، ٢٠١٢م، ص١٤٨ .

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص ١٤٨ . **محمد مؤنس عوض:** الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، ص٢٤٩ .

(٤) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٥٠ . **عبد الرحمن حميدة:** أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، ص٣٨٢، ٣٨٣ . **شفيق محمد الرِّقب و محمد نايف العمايرة** : مظاهر العمران الاجتماعي في بلاد الشام من خلال كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ، ص١٤٨.

(٥) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٤٩ . **محمد مؤنس عوض:** الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، ص٢٤٨، ٢٤٩. **بتول كامل مزهر الياسري:** الجغرافيون والرحالة العرب في بلاد الشام في (القرنين السادس والسابع الهجريين/ القرن الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين)، رسالة دكتوراه منشورة، جامعة سانت كليمنتس العالمية، بغداد، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م ، ص ١٣٦ .

سادساً: شيوخه :-

نشأ ابن منقذ فى بيت إمارة عربية، فنال تعليمه وتثقيفه كما يتعلم أبناء الأمراء والملوك، إذ حفظ القرآن الكريم على يد معلمه الأول والده الأمير مرشد بن منقذ[١]، ومن العلوم –أيضاً– التي حرص والد أسامة على تعليمها له هي: علم النجوم، وفي هذا يقول أسامة: " كان يحرضني على معرفة علم النجوم، فآبى وأمتنع، فيقول: فاعرف أسماء النجوم ما يطلع منها، وما يغرب، فكان يريني النجوم، ويعرفني أسماءها " [٢]. ويبدو من كلام أسامة استنكاره لهذا العلم لكن محاولة والده حثه على تعلمه، جاءت بالإيجاب، فذكر ابن العديم فى كتابه: " قال أسامة صنف أبي حيدرة تراب الربعي لوالدي كتاباً فى النجوم سماه: المنهاج، أحسن فيه ..." [٣].

ولم يكتف والده بتعليمه؛ بل كان يحضر له كبار الشيوخ ليعلموه هو وإخوته، الحديث، واللغة العربية، والنحو، والأدب، والبلاغة [٤]، وقد مكنته ثروته من التكفل بنفقتهم؛ فوفر على أسامة مشقة الارتحال في طلب العلم[٥].

وهذا ابن العديم يعد لنا شيوخه في كل بلد، فيقول:[٦]

" روى عن أبي الحسن علي بن سالم بن الأغرّ بن علي السنبسي، وابنه كامل بن علي ، ومؤدبه أبي عبد الله محمد بن يوسف بن المنيرة الكفرطابي[٧]، ووالده أبي سلامة مرشد بن علي بن منقذ، وأبي عبد الله محمد بن شافع بن الحسين ابن العرار، سمعهم بشيزر، وأبي بكر محمد بن مخلد بن عبد الله بن مخلد التميمي الإشبيلي، سمعه بمصر، والخطيب يحيى بن سلامة الحصفكي سمعه بميافارقين، وأبي هاشم محمد بن أبي محمد بن

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٢٠٨، ٢٠٩. **أحمد رمضان أحمد:** الرحلة والرحاله المسلمون، ص٢٦١.
(٢) **ابن منقذ** : الاعتبار ، ص ٧٩ .
(٣) **ابن العديم** : بغية الطلب،ج٦، ص ٣٠١٠ .
(٤) **ابن منقذ:** لباب الآداب، مقدمة المحقق، ص٢١ .
(٥) **حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وشعره، ج١، ص١٤٥ .
(٦) بغية الطلب، ج٣ ، ص١٣٥٩ .
(٧) **الكفرطابي:** بفتح الكاف والفاء، وسكون الراء، وفتح الطاء المهملة، هذه النسبة إلى كفرطاب، وهي بلدة من بلاد الشام، تقع عند معرة النعمان بين حلب وحماة. **السمعاني:** الانساب، ج١٠، ص٤٤٨ .

محمد بن ظفر، سمعه بحماة، وأبي القاسم عبد الملك بن زيد بن ياسين الدولعي خطيب دمشق، سمعه بدمشق، وآخرين غيرهم، وروى بالإجازة عن أبي الحسن علي بن أحمد بن قبيس الغساني".

سمع أسامة الحديث، وتلقى علومه على الشيخ **أبي الحسن على بن سالم بن الأعَزّ على السنبسي**[١]، وروى عنه أسامة حديثاً سمعه منه في سنة (٤٩٩هـ/ ١١٠٦م) في أول كتاب (لباب الآداب) [٢]، وذكر عدد من المؤرخين أنه سمع منه نسخة ابن هدبة فى نفس السنة المذكورة [٣] ، وبهذه النسخة حدّث أسامة فيما بعد، وسمع منه جماعة من العلماء الأجلاء[٤]، فأورد ابن العديم ثلاثة أحاديث، رواها عن أسامة جماعة من الفضلاء، وقد سمعه من شيخه السنبسي بشيزر في هذه السنة بإسناده الى ابن هدبة[٥] منها:

" أخبرنا القاضي بهاء الدين أبو اسحاق إبراهيم بن أبي اليسر شاكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي- قراءة عليه بداره بدمشق- ، والشيخ تاج الدين أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي القرطبي الدمشقي بها، وشمس الدين أبو عبد الله محمد بن الكافي بن علي الرّبعي، (قاضي حمص) بحلب وبدمشق، وأبو القاسم هبة الله بن صدقة بن عبد الله الكولمي بالقصر الغربي بالقاهرة [٦] قالوا: أخبرنا مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ الكناني قال: أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن سالم بن الأغر بن علي السنبسي بثغر شيزر سنة تسع وتسعين وأربعمائة، قال: أخبرنا الشيخ أبو صالح محمد بن المهذب بن علي، قال: حدثنا جدي أبو الحسين علي بن المهذب بن أبي حامد،

---

(١) لم تقف الباحثة على ترجمة له غير ما ذكره المؤرخون عن سماع أسامة منه، وأنه حدث عنه. **السنبسي:** بالنون الساكنه، والباء الموحده، المكسورة بين السينين المهملتين المكسورتين ، وهذه النسبه الى سنبس، وهي قبيلة معروفه من طئ منها شعراء فضلاء، وجماعة من أهل العلم. **السمعاني:** الأنساب ،ج٧ ، ص١٥٨ .

(٢) **ابن منقذ** : لباب الآداب ، ص١، ٢ .

(٣) **المنـذري:** التكملة لوفيات النقلة، مج١، ص٩٦ . **ابـن العـديم** : بغية الطلب في تاريخ حلب، ج٣، ص١٣٥٩، ١٣٧٠. **ابن الصابوني، محمد بن على المحمودي:** تكملة إكمال الإكمال فى الأنساب والأسماء والألقاب، تحقيق : مصطفى جواد، المجمع العلمى العراقى، بغداد، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م، ص ٢٩٢. **الذهبى:** سير أعلام النبلاء ،ج٢١ ،ص١٦٥. **حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وشعره، ج١، ص١٥١ .

(٤) **حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وشعره، ج١، ص١٥٢ .

(٥) بغية الطلب، ج٣ ، ص١٣٦٠، وج٤، ص١٨١٩ - ١٨٢٠ ، ج٩، ص٤١٠٥ .

(٦) سيأتي التعريف بهم ضمن تلاميذ أسامة، وممن سمعوا منه في هذا الفصل ص٧٠ .

قال: حدثنا أبو حامد بن همام، قال: حدثنا محمد بن سليم القبرسي، قال: حدثنا إبراهيم بن هدبة عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: " ألا من بكى على ذنب في الدنيا حتى تسيل الدموع على حرّ وجهه حرّم الله ديباج وجهه على جهنم " [١] .

كما سمع من **كامل بن علي بن سالم السنبسي**[٢] وقد أشار ابن عساكر إلى أنه " كان مقامه بشيرز، يُعَلم بها أولاد الأمير أبي سلامة بن منقذ " [٣] .

أما مؤدبه الشيخ العالم **أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر، المعروف** بـ" ابن المنيرة الكفرطابي" نزيل شيزر، فهو أديب فاضل سمع الحديث من أبي السمح الفقيه الحنبلي، وصنف كتاب في " نقد الشعر"، وكتاب في" غريب القرآن "، وكتاب " بحر النحو" فيه نقض مسائل كثيرة على أصول النحويين[٤]، وكان له نظم ونثر، وأجازه سنة (٥٠٤هـ/١١١١م) جميع مصنفاته، وما قاله من نظم أو نثر[٥]، وتوفي في الثالث من شهر رمضان سنة (٥٥٣هـ/١١٥٨م)[٦].

وقرأ أسامة عليه الأدب مدة طويلة، وقد كان هذا الشيخ الجليل مرحاً، محباً للعلم، وأورد أسامة له بعض الطرائف عنه في مؤلفاته، منها ما حدث معه عندما هجم الإسماعيلية على شيزر سنة(٥٢٧هـ/١١٣٣م) وكان في ذلك الوقت في بيت والد أسامة، يعلم أخوته[٧]، ومنها ما حكاه عن المحاورات التي دارت بينه وبين أسامة عن الحرب، فيقول عنه أسامة: " وكان رحمه الله بالعلم أخبر مما هو بالحرب " [٨].

---

(١) **ابن العديم** : بغية الطلب، ج٣ ، ص١٣٦٠ .

(٢) **كامل بن علي بن سالم بن علي أبو التمام السنبسي الهيتي الأعور**: حدث عن أبيه، روى عنه أبو محمد عبد الرحمن بن علامة الكفرطابي، كان قد تأدب بالعراق، وكان له شعر جيد، وقدم دمشق، وكان ينسخ بالأجرة، **رآه** ابن عساكر، ولكنه لم يسمع منه . **انظر: ابن عساكر**: تاريخ دمشق، ج٥٠، ص١٢ .

(٣) تاريخ دمشق، ج٥٠، ص١٢ .

(٤) **ياقوت الحموي**: معجم الأدباء، ج٦، ص٢٦٨٥ . **الصفدي** : الوافي بالوفيات ،ج٥ ، ص١٦١،١٦٢ .

(٥) **ابن عساكر**: تاريخ دمشق، ج٥٦، ص٣١٩ – ٣٢١ .

(٦) **ابن عساكر**: تاريخ دمشق، ج٥٦، ص ٣٢١ .

(٧) لباب الآداب، ص١٩٠ .

(٨) **ابن منقذ** : الاعتبار ، ص ١٠٧ .

كما قرأ النحو على الشيخ **أبي عبد الله الطليطلي**، المعروف بسيبويه زمانه فى النحو نحواً من العشر سنين[1] .

كان الشيخ الطليطلي متولي دار العلم بطرابلس[2]، وعندما استولى عليها الصليبيون سنة (٥٠٣هـ/١١١٠م)، استدعى والد أسامة، وعمه سلطان الشيخ الطليطلي ويانس الناسخ[3]، وأقاموا بشيزر مدة، ويصف أسامة ثقافة هذا الشيخ، ويتعجب من شدة حفظه فيقول: " شاهدت من الشيخ عجباً، دخلتُ عليه يوماً، لأقرأ عليه، فوجدتُ بين يديه كتب النحوِ: كتاب سيبويه، وكتاب الخصائص لابن جني، وكتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي، وكتاب اللُمع، وكتاب الجُمَل، فقلت: يا شيخ أبا عبد الله. قرأت هذه الكتب كلها؟

---

(١) **ابن منقذ** : الاعتبار ، ص٢١٥ . **حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وشعره، ج١، ص١٤٥ .

(٢) **دار العلم بطرابلس:** أنشأها الحسن بن عمار (قاضي طرابلس) للفاطميين، والمتغلب عليها، أقام في بلده دار الحكمة، أو شبه مدرسة جامعة على نحو دار الحكمة التي أنشأها الحاكم بأمر الله في مصر، وعندما استولى الصليبيون على طرابلس، قام صنجيل أحد أمرائهم بإحراق كتب دار العلم فيها، وأخذ الصليبيون بعض ما طالت أيديهم إليه من دفاترها، وكتب خاصة في بيوتهم، واختلفت الروايات في عدد المجلدات التي كانت في خزانة بني عمار أو دار حكمتهم في طرابلس، وعلى أصح الروايات أنها ما كانت تقل عن مائة ألف مجلد، وأوصلها بعضهم إلى ألف ألف، وبعضهم إلى أكثر من ذلك، وقفها الحسن بن عمار، وجاء بعده علي بن محمد بن عمار الذي جددها سنة (١٠٧٩/٤٧٢م)، ثم عمار بن محمد حتى صارت طرابلس في زمن آل عمار جميعها دار علم، وكان في تلك الدار مائة وثمانون ناسخاً، ينسخون لها الكتب نظير حصولهم على الجراية والجامكية، فضلاً عما يشترى لها من كتب المنتخبة من الأقطار، حتى وصل عدد ما كان فيها من الكتب نحو ثلاثة ملايين كتاب عندما أحرقها الصليبيون سنة (٥٠٣هـ/١١٠٩م). انظر: **محمد كرد علي**، محمد بن عبد الرزاق بن محمد كرد على: خطط الشام، ط٣، مكتبة النوري، دمشق، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣، ج٦، ص٦٦. **شوقي ضيف:** تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات، الشام، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٣، ص٦٤ .

(٣) **يانس الناسخ:** كان من الخطاطين بدار العلم بطرابلس الشام في عهد أمرائها من بني عمار، وعند ما سقطت طرابلس بيد الصليبيين سنة (٥٠٢ هـ/ ١١٠٩م)، انتقل إلى شيزر، وأقام عند أمرائها من بني منقذ عدة سنوات كان أسلوبه في الخط يقترب من طريقة ابن البواب، ونسخ للأمير مرشد بن منقذ ختمتين، ثم انتقل إلى مصر، ومات بها، دخل مصر سنة (٥٠٦هـ/١١١٢م)، وعمل في خزانة الكتب الأفضلية في مصر مقابل عشرة دنانير في الشهر، وثلاث رزم كسوة في السنة، وبعض الهبات والرسوم. انظر. **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٢١٥. **الذهبي:** تاريخ الاسلام، ج٣٩، ص٥٢، حاشية رقم(٥). **المقريزي:** اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا، ج٣، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، لجنة إحياء التراث، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الاوقاف، القاهرة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص٥١.

قال: قرأتها؟ لا والله إلا كتبتها في اللوح وحفظتها، تريد تدري؟ خذ جزءاً، وافتحه، وأقرأ من أول الصفحة سطراً واحداً، فأخذت جزءاً وفتحته وقرأت منه سطراً، فقرأ الصفحة بأجمعها حفظاً حتى أتى على تلك الأجزاء جميعها، فرأيت منه أمراً عظيماً ما هو في طاقة البشر "[1].

ومن هنا نتبين بعض الكتب التي كانت تدرس في النحو في ذلك العصر، فلعل أسامة يكون قد قرأها على هذا الشيخ المتخصص في حفظها.

كما روى أسامة بالإجازة عن **علي بن أحمد بن منصور بن محمد بن عبدالله بن محمد أبي الحسن بن أبى العباس** الغساني، المعروف بـ " ابن قُبَيْس"[2]، وهو فقيه مالكي نحوي زاهد، ولد أبو الحسن عام (٤٤٢هـ/١٠٥٠م)، وتوفي سنة(٥٣٠هـ/١١٣٥م)، كان ثقة متحرزاً يفتي على مذهب مالك ، ويقرىء النحو، ويعرف الفرائض والحساب، وكان مغالياً فى السنة، سمع أباه وأبا بكر الخطيب وطبقتهما [3].

ولا شك أن إقامة هؤلاء النخبة الجليلة من العلماء في بيت بني منقذ، قد أفادت أسامة فوائد، جمة وساعدته على تكوين ثقافته العالية، كما أخذ العلمَ على يد آخرين بعد أن خرج من شيزر مسقط رأسه، ففي حلب قابل الشيخ **أبو اسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد** الأصبهاني المنشئ، المعروف بـ "الطغرائي"[4] وروى عنه، يقول ابن العديم عنه: " ... روى بحلب شيئاً من شعر غيره، رواه عنه أبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي ابن منفذ " [5] .

---

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار ، ص٢١٥- ٢١٦ .

(٢) **ابن العديم:** بغية الطلب، ج٣ ، ص١٣٥٩ . **حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وشعره، ج١، ص١٥٢ .

(٣) **ابن منظور:** مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ج ١٧، ص١٩٠، ١٩١. **الذهبي:** سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص١٨. **ابن العماد الحنبلي:** شذرات الذهب، ج٦، ص١٥٥-١٥٦ .

(٤) **الطغرائي:** نسبة الى الطغرى، وهي الطرة التي تكتب في أعلى الكتب، فوق البسملة، وتكون بخط غليظ ، ومضمونها نعوت الملك الذي صدر عنه الكتاب، وهي لفظة أعجمية. **ابن المستوفي**، المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي: تاريخ إربل، تحقيق: سامي سيد خماس الصقار، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٠، ج٢، ص٦٤ .

(٥) بغية الطلب ، ج٦ ، ص ٢٦٨٣ .

وكان الطغرائي كاتباً شاعراً، حسن النظم والنثر، عارفاً باللغة والأدب، وعلوم الأوائل، خدم السلطان ملكشاه السلجوقي، ووصل صحبته الى حلب في سنة تسع وسبعين وأربعمائة، ثم كتب بعده لابنه السلطان محمد على ديوان الانشاء والطغراء، فعرف بـ " الطغرائي" لذلك، وولاه الإشراف على المملكة ثم عزله، ثم كتب الطغراء للسلطان غياث الدين مسعود بن محمد، ثم استوزره بعد ذلك، وأسر معه في الوقعة التي كانت بينه وبين أخيه محمود، فقتله محمود سنة(٥١٤هـ/١١٢٠م)، وكان مولده بعد سنة (٤٥٠هـ/١٠٥٨م)[١].

وفى دمشق تفقه على يد الشيخ العلامة الخطيب **ضياء الدين أبا القاسم عبد الملك بن زيد بن ياسين الدولعي** خطيب دمشق[٢]، ولد بالدولعية، وهى قرية من قرى الموصل سنة(٥١٤هـ/١١٢٠م)، وقيل سنة(٥١٧هـ/١١٢٣م)، وتفقه ببغداد، ثم قدم الشام فى شبيبته، فتفقه على نصر المصيصي، وعلى ابن عصرون، وولى خطابة جامع دمشق، والتدريس فى المدرسة الغزالية، وكان أحد الفقهاء المشهورين، والصلحاء الورعين، توفي فى شهر ربيع الأول سنة (٥٩٨هـ/١٢٠٢م)[٣] .

كما قابل في حماة الشيخ **أبا هاشم محمد بن أبى محمد بن محمد بن ظفر**، أبا عبد الله الصقلي المنعوت بـ "حجة الدين"، وهو أحد الأدباء الفضلاء، صاحب التصانيف الممتعة، منها كتاب: " سلوان المطاع فى عدوان الاتباع"، وقد صنفه لبعض القواد بصقلية، سنة(٥٥٤هـ/١١٥٩م)، وكتاب " الينبوع " وهو متخصص فى تفسير القرآن، وغيرها من المؤلفات، وكانت نشأته بمكة، وتنقل فى البلاد، ومولده بصقلية، وسكن في نهاية حياته بحماة وتوفي بها سنة(٥٦٥هـ/١١٦٩م)[٤]، وروى عنه أسامة، وكان مما قاله عنه: " وكان رحمه الله من خيار المسلمين فى دينه وعلمه "[٥].

---

(١) **ابن المستوفي**: تاريخ إربل، ج٢، ص٦٤. **ابن العديم**: بغية الطلب، ج٦، ص ٢٦٨٣، ٢٦٩٥. **ابن خلكان**: وفيات الأعيان، ج٢، ص١٨٥. **الذهبي**: سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٤٥٤. **الصفدي**: الوافي بالوفيات، ج١٢، ص٢٦٨ .

(٢) **ابن العديم**: بغية الطلب، ج٣ ، ص١٣٥٩ .

(٣) **النعيمي** : الدارس فى المدارس ، ج ١ ، ص٣١٧ – ٣١٨ .

(٤) **ابن خلكان** : وفيات الأعيان ، مج٤ ، ٣٩٥– ٣٩٧.

(٥) الاعتبار ، ص ١٣٣.

وسمع العلم بمصر بعد أن خرج إليها سنة (٥٣٩هـ/١١٤٥م) من **القاضي أبو الفتح محمود بن إسماعيل بن قادوس** الدمياطي المصري، الكاتب، صاحب ديوان الإنشاء[١] بمصر، وأصله من دمياط، كان عالماً فاضلاً، وكاتباً شاعراً، تولى الكتابة للخلفاء الفاطميين بمصر، ثم القضاء، وهو أستاذ القاضي الفاضل[٢]، وكان الفاضل يسميه " ذو البلاغتين" [٣]، ولا يتمكن من اقتباس فوائده غالباً إلا في ركوبه من القصر إلى منزله بمصر، ومن منزله إلى القصر، فيسايره الفاضل، ويجاريه في فنون الكتابة والأدب والشعر[٤]، وتوفي سنة (٥٥٣هـ/١١٥٨م) بمصر[٥]، وروى عنه أسامة بعض الأشعار، ونعته بأنه " منشئ ديوان الرسائل بمصر" [٦] .

---

(١) **ديوان الإنشاء**: ويعرف بديوان الرسائل، نسبة لأشهر أنواع المكتبات التي تصدر عنه؛ لأن الرسائل أكثر أنواع كتابة الإنشاء وأعمها، وربما قيل ديوان المكاتبات، ثم غلب عليه هذا الإسم، شهر به، وليس أدل على أهميته من قول القلقشندي:" أما رفعة محله، وشرف قدره، فأرفع محل، وأشرف قدر، يكاد أن لا يكون عند الملك أخصّ منه، ولا ألزم لمجالسته، ولم يزل صاحب هذا الديوان معظّما عند الملوك في كل زمن، مقدّما لديهم على من عداه، يلقون إليه أسرارهم، ويخصّونه بخفايا أمورهم، ويطلعونه على ما لم يطّلع عليه أخص الاخصاء من الوزراء والأهل والولد، وناهيك برتبة هذا محلها ". **القلقشندي**: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م، ج١،ص١٢٤، ١٣٥ . **هالا عبد الحميد إبراهيم**: الحملة الصليبية الأولى على بلاد الشام، ص٥،٦ ، حاشية رقم(٧).

(٢) **القاضي الفاضل**: أبو علي عبد الرحيم ابن القاضي الأشرف بهاء الدين أبي المجد علي ابن القاضي السعيد أبي محمد الحسن بن الحسن بن أحمد بن الفرج بن أحمد اللخمي، العسقلاني المولد، المصري الدار، المعروف بالقاضي الفاضل، الملقب بـ "مجير الدين"؛ عين وزيراً للسلطان الملك الناصر صلاح الدين، رحمه الله تعالى، وبرز في صناعة الإنشاء، وفاق المتقدمين، وله رسائل، وتوفي ليلة الأربعاء سابع شهر ربيع الآخر سنة(٥٩٦هـ/١١٩٩م) بالقاهرة، فجأة ، ودفن في تربته بسفح المقطم في القرافة الصغرى. **ابن خلكان**: وفيات الاعيان، ج٣، ص١٥٨-١٦٢. **الذهبي**: سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص٣٣٨ . **الصفدي**: الوافي بالوفيات، ج١٨، ص٢٠١ .

(٣) **الذهبى** : تاريخ الإسلام، ج٣٨، ص٦٦ . **ابن كثير**: البداية والنهاية، ج١٦، ص٣٧٩ . **السيوطي**: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج١، ص٥٦٣ .

(٤) **الكتبي**: فوات الوفيات، ج٤، ص١٠١ .

(٥) **محمد السماوى**: الطليعة من شعراء الشيعة، تحقيق: كامل سلمان الجبورى، ج٢، ط١، دار المؤرخ العربى، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

(٦) انظر المنازل والديار ، ص ٤٨ .

وسمع بميافارقين **الخطيب يحيى بن سلامة الحصكفي**(١)، وهو أبا الفضل يحيى ابن سلامة بن الحسن بن محمد، الملقب "معين الدين"، والمعروف بـ " الخطيب الحصكفي"، ولد بطنزة (٢) فى حدود سنة(٤٦٠هـ/١٠٦٨م)، وتوفي فى ميافارقين سنة(٥٥١هـ/١١٥٦م)، وقيل سنة(٥٥٣هـ/١١٥٨م)، وكان فاضلاً جامعاً، أديباً مترسلاً، شاعراً بارعاً، نشأ بحصن كيفا، فنسب إليها، وورد بغداد، فاشتغل بالأدب على يد الخطيب أبي زكريا التبريزى، ثم نزل ميافارقين فسكنها، وله شعر حسن، ونسبه ابن خلكان إلي الشافعية، ورماه بالتشيع(٣)، وقابله أسامة فى ميافارقين، وسمع منه في سنة (٥٢٧هـ/١١٣٣م) (٤).

ومن هنا يمكن القول: أنه تثقف بثقافةِ عصره التى سادت أواخرَ القرن الخامس، وأوائل القرن السادس الهجرى، وهى ثقافةُ عمادها القرآن الكريم وعلومه، والحديث وعلومه، واللغة العربية وعلومها وآدابها، ومما يدل على سعة ثقافة أسامة واهتمامه بالكتب؛ عدد الكتب التي كانت بحوزته، إذ بلغت أربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة، وقد كان حب أسامة لها، وحرصه عليها، أكثر من حبه المال، وحرصه عليه، وذلك عندما استولى الإفرنج على مال أسرته ومتاعه بما في ذلك كتبه، حزن أسامة على ضياعها، حزناً كبيراً فقال: " فإن ذهابها حزازة في قلبي ما عشت " (٥).

ولا شك أن توسع ابن منقذ فى الدراسات التاريخية والأدبية، وإطلاعه على مؤلفات أكابر المؤرخين من علماء السير والطبقات والأدب، ثم اطلاعه على دواوين الشعراء،

---

(١) **الحَصكَفى**: بفتح الحاء المهملة، وسكون الصاد المهملة، وفتح الكاف، وفي آخرها الفاء، هذه النسبة إلى حصن كيفا، وهي مدينة من ديار بكر، ويقال لها بالعجمية حصن كيبا، والمشهور بالنسبة إليها أبو الفضل يحيى بن سلامة بن الحسين بن محمد الحصكفي. **السمعاني** : الأنساب، ج٤، ١٥٤ .

(٢) **طنزة**: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وهى بلد بجزيرة ابن عمر من ديار بكر. **ياقوت الحموي**: معجم البلدان، ج٤، ص٤٣ .

(٣) وفيات الأعيان ،ج٦ ،ص٢٠٩. لكن محقق كتاب ابن خلكان علّق علي قوله: " وكان يتشيع "، وقال إن فى المطبوعة المصرية كتب أن هذه زيادة من بعض مجوس الأمة، وأيضاً: صاحب كتاب الطليعة نفى عنه التشيع، مدللاً على ذلك بأنه تحقق من الأبيات المنسوبة إليه فى المذهب، وأنها مدسوسة بقصائده . انظر: **محمد السماوى**: الطليعة من شعراء الشيعة ،ج٢ ،ص ٤٢٩-٤٣٣ .

(٤) **ابن منقذ** : المنازل والديار ، ص ١٣ .

(٥) **ابن منقذ** : الاعتبار ، ص٥٨ .

وحفظ منها الكثير كل ذلك أثرى علومَه ومعارفه وثقافته، فاتخذ من هذه الثروة الثقافية الواسعة العامة، رصيداً كبيراً، استمد منه المادة الرئيسية لمؤلفاته؛ فحفظ لنا ابن منقذ بذلك أروع ما جادت به قرائح الشعراء، وأحسن ما سجلته أقلام الكتاب، وبمحفوظاته هذه سدد ابن منقذ قلمه، وحلى فيها بيانه، وبذلك شُهِد له بعلو المقام بين كتّاب التاريخ والأدب، كما تمثلت ثقافته بمؤلفاته القيمة، من أجل هذا يمكن القول: أن التنوع الثقافي الذي نهل منه أسامة، قد شكل عقلية واعية، واسعة الإطلاع، أدركت الواقع من حولها، وأسهمت في فهمه للأمور والأحداث الجارية في عصره .

سابعاً: تلاميذه:-

عندما تقدم العمر بأسامة كان العلماء يقصدونه؛ للاستفادة من علمه، والأخذ عنه، وكانت داره بدمشق(١) معقلاً للفضلاء، ومنزلاً للعلماء(٢)، وقد سمع من أسامة جماعة من العلماء والأعلام، منهم(٣): الحافظ أبو سعد عبد الكريم السمعاني (ت٥٦٢هـ /١١٦٦م)(٤)،

(١) كانت هذه الدار تقع مكان المدرسة العزيزية التي بناها الملك العزيز عثمان بن الناصر صلاح الدين الأيوبي، وعرفت باسمه، وهى تقع بالتحديد في شمال الجامع الأموي. **النعيمي**: الدارس فى تاريخ المدارس، ج١، ص٢٥١، ٢٩٠ .

(٢) **ابن كثير**: البداية والنهاية، ج١٦، ص٦٠٤ . **النعيمي**: الدارس فى تاريخ المدارس، ج١، ص٢٩١ . **حسن عباس**: أسامة بن منقذ حياته وشعره، ج١، ص١٥٣ .

(٣) **المنذرى**: التكملة لوفيات النقلة، ج١، ص٩٦. **ابن العديم**: بغية الطلب، ج٣، ص١٣٥٩-١٣٧٠. **ابن الصابوني**: تكملة إكمال الإكمال فى الأنساب والأسماء والألقاب، ص٢٩٢ . **الذهبي**: تاريخ الإسلام ،ج٤١، ص ١٧٠، سير أعلام النبلاء،ح٢١، ص١٦٦. **حسن عباس**: أسامة بن منقذ حياته وشعره، ج١، ص١٥٤.

(٤) **عبد الكريم بن محمد بن منصور أبو سعد السمعاني**: ولد بنيسابور سنة (٥٠٦هـ/١١١٢م)، ونشأ نشأة علمية، حيث حفظ القرآن، وتعلم الفقه ،ودرس على يد جماعة من العلماء فى أصبهان، وبغداد، والكوفة، ودمشق، وبخارى، وسمرقند، وبلخ ، له مصنفات عدة، منها: الأنساب، والذيل على تاريخ بغداد، وغيرهما . **ابن خلكان**: وفيات الاعيان، ج٣، ص٢١٠ . **السبكي**، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج٧،ص١٨٠ . **ابن العماد الحنبلي**: شذرات الذهب، ج١، ص٤١. وقد روى عن أسامة. انظر: **ابن العديم**: بغية الطلب، ج٣، ص ١٣٦١ .

والحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر (ت٥٧١هـ/١١٧٥م)[١]، وأبو المواهب الحسن بن هبة الله محفوظ بن صصرى (ت٥٨٦هـ/١١٩٠م)[٢] ، ومحمد بن محمد بن حامد، المشهور بالعماد الكاتب الأصفهانى (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)[٣]، والحافظ تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (ت٦٠٠هـ/١٢٠٤م)[٤]، والحافظ إسماعيل بن ابراهيم بن

(١) **ابن عساكر:** علي بن أبي محمد الحسن بن هبة الله أبي الحسن بن عبد الله بن الحسين الدمشقي، الملقب ثقة الدين، كان محدث الشام في وقته، وهو من أعيان الفقهاء الشافعية، وكان رفيق الحافظ أبي سعد عبد الكريم بن السمعاني في الرحلة، وكان حافظا دّيناً، جمع بين معرفة المتون والأسانيد، له تصانيف كثيرة منها إتحاف الزائر، والأربعون الطوال، وتاريخ مدينة دمشق. وغيره، ولد في أول المحرم سنة (٤٩٩هـ/١١٠٥م). وتوفي ليلة الاثنين الحادي عشر من رجب سنة (٥٧١هـ/١١٧٥م)، بدمشق، ودفن عند والده وأهله بمقابر باب الصغير .انظر: **ياقوت الحموي:** معجم الادباء، ج٤، ص١٦٩٧. **أبو شامة:** الروضتين، ج٢، ص٢٧٦. **حاجى خليفة:** كشف الظنون، ج١، ص ٢٩٤ . **ابن العماد الحنبلي:** شذرات الذهب، ج١، ص٤٣ . **شاكر مصطفى:** التاريخ العربي والمؤرخون، ج٢، ص ٢٤٠ –٢٤٣ .

(٢) **هو الحافظ الكبير الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صصرى التغلبي الدمشقي:** سمع من جده ونصر الله المصيصى وطبقتهما، ولزم الحافظ بن عساكر ثم رحل إلى: العراق، وهمذان، وأصبهان، والجزيرة، وسمع من علماءهم، عاش تسعاً وأربعين سنة، وكان ثبتاً، واسمه يلتبس باسم أخيه أبي القاسم الحسين بن هبة الله المتوفي سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٨م). انظر: **ابن الصابوني:** تكملة إكمال الإكمال، ج١، ص٣٦، الحاشية رقم(٤) . **ابن خلكان** : وفيات الأعيان، ج٣ ، ص ٣٠٩ –٣١١ . **ابن العماد الحنبلي** : شذرات الذهب، ح٦ ، ص ٤٦٨.

(٣) **العماد الأصبهانى الكاتب:** عماد الدين أبو عبدالله محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن عبدالله بن محمود بن هبة الله، الإمام العلامة المنشىء البليغ الوزير، ولد بأصبهان سنة (٥١٩هـ/١١٢٥م)، وقدم بغداد، وهو ابن عشرين سنة أو نحوها، وكان فقيهاً شافعياً، وتفقه بالمدرسة النظامية على يد أبي منصور سعيد بن محمد الرزاز، وعمل فى خدمة نور الدين محمود بدمشق، وأشرف على ديوان الإنشاء ثم عمل فى خدمة صلاح الدين، وأصبح كاتباً فى الدولة الصلاحية، وكان القاضى الفاضل يثنى عليه، ووصفه بالزناد الوقاد، وصنف العديد من الكتب أهمها، البرق الشامى، والفتح القسى فى الفتح القدسى، وخريدة القصر وجريدة العصر، وغيرها. **أبو شامة:** الروضتين، ج٤، ص ٢٨٦، ٢٨٧. **ابن خلكان:** وفيات الأعيان، ج٥، ص ١٤٧ وما بعدها. **السبكي:** طبقات الشافعية الكبرى، ج٦، ص١٧٩. **السيوطي:** حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج١، ص٥٦٤ . **شاكر مصطفى:** التاريخ العربي والمؤرخون، ج٢، ص ٢٤٦–٢٥٠ .

(٤) الإمام تقي الدين أبو محمد الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن مسرور المقدسي الجماعيلي الحنبلي، ولد سنة (٥٤١هـ/١١٤٧م)، وهاجر صغيراً إلى دمشق بعد الخمسين، فسمع أبا المكارم بن هلال، ورحل الى بغداد وأصبهان، وسمع من شيوخهم، وصنف التصانيف، منها: الكمال في أسماء الرجال =

أبي علي (المتوفي في حدود الستمائة هجرية)[1]، والأشرف بن الأعز بن هاشم بن القاسم بن أبي البركات (ت٦١٠هـ/١٢١٣م) [2]، وابنه الأمير عضد الدولة مرهف بن أسامة بن مرشد بن منقذ (٦١٣هـ/ ١٢١٦م)[3]، وإسماعيل بن ابراهيم بن أحمد الشيباني (ت٦٢٩هـ/١٢٣٢م)[4]، أبو إسحق إبراهيم بن شاكر بن عبد الله بن سليمان التنوحي

=والأحكام الكبير والصغير" وغيرها، ولم يزل يسمع ويكتب إلى أن مات ، وكان ورعاً تقياً، أمّارًاً بالمعروف، نهاءً عن المنكر. **الذهبي:** العبر فى خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بسيونى زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م، ص ١٢٩، سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص٤٤٣. **الفاسي،** تقي الدين أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي المكي الفاسي: ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ج٢، ص١٣٦. **السيوطي:** حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج١، ص٣٥٤ .

(١) لم تقف الباحثة على ترجمة له غير ما ذكره ابن العديم أنه: " حدث بحلب بجزء إبراهيم بن هدبة عن مؤيد الدولة أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ، وتوفي في حدود الستمائة ". **ابن العديم:** بغية الطلب،ج٤ ، ص ١٦١٣ .

(٢) **الأشرف بن الأعز** بن هاشم بن القاسم بن أبي الفضل أحمد بن أبي البركات سعد الله ، الحسني الرملي النسابة، المعروف بـ" تاج العلى"، و" ابن النافلة"، حدث عن أبي القاسم بن فضلان الطرسوسي، وسمع أسامة بن مرشد المنقذي، وكان يدعي أنه سمع مسند الترمذي من الكروخي، وروى عنه: أبو عبد الله الحسين بن أبي المكارم أحمد بن الحسين بن بهرام القزويني وغيره، وكان يذكر أن مولده في شهر ربيع الثاني سنة (٤٩٧هـ/١١٠٣م) وكان كثير من الناس يكذبونه في زعمه ذلك، فانه كان يدعي أن عمره مائة وثلاثة عشر سنة، وكان غير مأمون على ما ينقله، كثير الكذب فيما يخبر به. **العماد الأصفهاني:** ذيل خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق: عارف أحمد عبد الغني، محمود خلف البادي، ط١، دار كنان للنشر والتوزيع، دمشق، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص ١٧٥، ١٧٦ . **ابن العديم:** بغية الطلب، ج٤، ص ١٨٧٦ – ١٨٨٤ . وقد أشاد أسامة بعلمه وفضله ومناقبه في كتاب أرسله إلى أخيه أبي المغيث منقذ بن مرشد. انظر: **ابن العديم:** بغية الطلب،ج٤ ، ص ١٨٧٧.

(٣) **هو أبو الفوارس، عضد الدين مرهف بن أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي،:** من أمراء آل منقذ. له علم بالأدب، والشعر كأبيه، سمع من أبيه وغيره، وروى عنه الزكي المنذري، والقوصي، ولد بقلعة شيزر، وأقام وتوفي بالقاهرة، وكان مغرماً بالكتب، جمع كثيراً منها. **ياقوت الحموي** : معجم الأدباء، ج٢، ص ٥٩٣ . **الذهبي:** تاريخ الإسلام، ج٤٤، ص١٧٢. **الكتبي:** فوات الوفيات، ج٤، ص ١٢٤. **الزركلي:** الأعلام، ج٧، ص ٢٠٧.

(٤) **إسماعيل بن إبراهيم بن أحمد الشيباني:** القاضي الحنفي، المعروف بـ "ابن الموصلي"، تولى القضاء بدمشق، وكان يحكم على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه الى أن مات، وكان قد تولى القضاء بالموصل قبل ذلك، ثم خرج منها، وتوجه الى دمشق، واجتاز في طريقه بحلب، وأقام بها مدة يسيرة، وكذلك تولاه =

(ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م)[١]، والقاضي أبو عبد الله شمس الدين بن عبد الكافى بن علي بن موسى الربعى الصقلي (ت٦٤٩هـ/١٢٥١م) [٢]، وغيرهم.

ثامناً: مكانتة العلمية :-

تحدث العلماءُ من معاصري أسامة، وممن جاء بعده ،عن حياته وشعره ، ومؤلفاته وآثاره الأدبية، وكلهم أجمعوا على سمو مكانته في الأدب والتاريخ وخدمة الإسلام والمسلمين، ومن هؤلاء: الحافظ ابن عساكر(ت٥٧١هـ/١١٧٥م) الذي ذكر عن أسامة بن منقذ أن له يداً بيضاء فى الأدب والكتابه والشعر، وكان فارساً شجاعاً، وذكر أنه اجتمع به في دمشق، وأنه أنشده قصائد من شعره سنة (٥٥٨هـ/١١٦٢م)، ونقل عن أبي عبيدة محمد بن الحسن بن الملحي قوله : " الأمير مؤيد الدوله أسامة بن منقذ، شاعر أهل الدهر،

=بمصر، ثم انتقل إلى دمشق، وكان فقيهاً فاضلاً، حنفي المذهب، مشكور السيرة، حدث عن أبي الفضل محمد بن يوسف بن علي الغزنوي، وأبي محمد هبة الله بن محمد بن مميل الشيرازي، وروى عن أبي المظفر أسامة بن مرشد بن منقذ. وروى عنه جماعة من أهل الحديث، منهم: أبو عبد الله محمد بن يوسف البرزالي، وأبو المحامد اسماعيل بن حامد القوصي، وخرجا عنه في معجم شيوخهما، وكان مولده ببصرى في رابع عشر ربيع الآخر سنة (٥٤٤هـ/١١٤٩م)، وتوفي رحمه الله بدمشق في يوم الأربعاء تاسع جمادي الأولى سنة(٦٢٩هـ/١٢٣١م). **ابن العديم** : بغية الطلب ،ج٤ ، ص ١٦٠٧ . **الذهبي:** تاريخ الاسلام، ج٤٥، ص٣٣٨ ، ٣٣٩ .

(١) **القاضى بهاء الدين أبو اسحق إبراهيم بن أبى اليسر شاكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي،** تفقه على الخطيب ضياء الدين الدولعي، فبرع ودرس وحدث، وروى عن أبيه، وابن صدقة الحراني والخشوعي، وذكر ابن العديم أنه روى عن أسامة قراءة عليه في داره بدمشق، وكان صدوقًا فاضلًا محتشمًا أديبًا كاتبًا مترسلاً شاعرًا كثير المحفوظ، وروى عنه الحافظ الزكي البرزالي، والمجد ابن الصاحب العديمي، والشهاب القوصي، وذكر أنه كان فاضلًا مكملاً، وكان قد ولي قضاء المعرة، وهو ابن خمس وعشرين سنة. **ابن العديم:** البغية ،ج٣ ،ص١٣٦٠. **أبو الفداء:** طبقات الشافعيين، ص: ٨٠٧ . **ابن الملقن،** سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري: العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، تحقيق: أيمن نصر الأزهري، سيد مهنى، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص٣٤٦ .

(٢) **القاضى أبو عبدالله محمد بن عبد الكافي بن على بن موسى الربعي** الصقلى الدمشقى، وربما كنى بأبي بكر، ناب فى القضاء مدة فى دمشق، وولى قضاء حمص أيضاً، وذكر السبكي أنه سمع من أسامة بن مرشد بن على بن مقلد، توفي في ذي الحجة سنة (٦٤٩هـ/١٢٥١م)، ودفن بقاسيون. **السبكي:** طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص٧٥ . **ابن الملقن:** العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، ص٣٦١. **النعيمي:** الدارس في المدارس ، ج١ ، ص١٤١.

مالك عنان النظم والنثر، متصرف فى معانيه، لاحق بطبقة أبيه، ليس يستقصى وصفه بمعان، ولا يعبر عن شرحها بلسان، فقصائده الطوال لايفرق بينها، وبين شعر ابن الوليد ولا ينكر على منشدها نسبتها الى لبيد، وهى على طرف لسانه، بحسن بيانه، غير محتفل فى طولها، ولا يتعثر لفظه العالي في شيء من فضولها، والمقطعات فأحلى من الشهد، وألذ من النوم بعد طول السهر، في كل معنى غريب، وشرح عجيب "[1].

أما العماد الأصفهاني(ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) فقد قال عنه : " أسامة كاسمه فى قوه نثره ونظمه، يلوح من كلامه أمارة الإمارة، ويؤسس بيت قريض عمارة العبارة، نشر له علم العلم، ورقي سلم السلم، ولزم طريق السلامة، وتنكب سبل الملامة، واشتغل بنفسه، ومحاورة أبناء جنسه، حلو المجالسة، حالي المساجلة، نَدِّى الندى بماء الفكاهة، عالي النجم في سماء النباهة، معتدل التصاريف، مطبوع التصانيف، أسكنه عشق الغوطة بدمشق المغبوطة، ثم نبت به كما تنبؤ الدار بالكريم... "[2].

وقال ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) عنه : " وفى بني منقذ جماعة أمراء شعر، لكن أسامة أشهرهم وأشعرهم "[3].

ووصفه ابن العديم (ت٦٦٠هـ/١٢٦١م) بأنه كان من الأمراء الفضلاء، الأدباء الشعراء، الشجعان الفرسان، له مصنفات عديدة، ومجاميع مفيدة، ومواقف مشهورة، ووقائع مذكورة، وفضائل مسطورة [4]، ونقل عن أبي هاشم عبد المطلب بن الفضل بن عبد المطلب الهاشمى نقلاً عن أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني أن أسامة بن مرشد، أمير فاضل، غزير الفضل، وافر العقل، حسن التدبير، مليح التصانيف، عارف

---

(١) تاريخ مدينه دمشق ، ج٨ ، ص٩٠، ٩١ .

(٢) الخريدة ، قسم شعراء الشام ،ح١، ص٤٩٩. والأصح هنا " تنبؤ الدار بالكَرْم وليس الكريم" لأن **الكريم**: من صفات الله وأسمائه، وهو الكثير الخير الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه، وهو الكريم المطلق. والكريم: هو الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل. والكريم: اسم جامع لكل ما يحمد . أما **الكَرْمُ:** هى شجرة العنب، وواحدتها كرمة . ولسياق الحديث أن الذي ينبت بالدار هو النبات أي شجرة العنب. انظر. **ابن منظور:** لسان العرب، ج١٢، ص٥١٠، ٥١٤ .

(٣) معجم الأدباء ، ج٢ ، ص ٥٧٢ .

(٤) بغية الطلب ،ج٣ ، ص ١٣٥٩ .

باللغة والأدب، مجود في صنعة الشعر، من بيت الإمارة والفروسية واللغة، وكان مليح المجالسة، حسن المحاورة، كثير المحفوظ [١].

وقال عنه أبو شامة (ت٦٦٥هـ/١٢٦٦م): " هذا مؤيد الدولة من الأمراء الفضلاء، والكرماء الكبراء، والسادة القادة العظماء، وقد متعه الله بالعمر، وطول البقاء، وهو من المعدودين من شجعان الشام وفرسان الإسلام " [٢]، وذكر – أيضاً – وهو يتحدث عن بني منقذ أن أسامة أعرقهم في الحسب، وأعرفهم في الأدب.

وقال ابن خلكان (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)عنه أنه من أكابر بني منقذ، أصحاب قلعة شيزر، وعلمائهم، وشجعانهم [٣].

وقال عنه الإمام الذهبي (ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م) أنه أحد أبطال الإسلام ورئيس شعراء الأعلام، له شعر يروق، وشجاعة مشهورة [٤]، وذكر – أيضاً – أن أسامة أحد الابطال المشهورين، والشعراء المبرزين، له عدة تصانيف فى الأدب، والأخبار، والنظم، والنثر [٥].

أما الصفدي (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م) فذكر أنه كان من أكابر بني منقذ، وشجعانهم، وعلمائهم، له تصانيف عديدة فى فنون الأدب [٦].

وأشاد به ابن كثير(ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) قائلاً: " مؤيد الدولة أسامة بن مرشد أحد الشعراء المشهورين، والأمراء المشكورين..، وكان عمره تاريخاً مستقلاً وحده، وكانت داره بدمشق معقلا للفضلاء، ومنزلاً للعلماء، وله من الاشعار الرائقة، والمعانى الفائقة شيء كثير، ولديه علم غزير، وعنده جود، وفضل كبير، كما ذكر – أيضاً– أنه كان فى شبيبته شهماً، شجاعاً، فاتكاً، قتل الاسد مواجهة لوحده[٧].

---

(١) بغية الطلب ،ج٣ ، ص١٣٦٠

(٢) الروضتين ،ج٢ ، ص٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(٣) وفيات الأعيان ،ج١ ، ص١٩٦ .

(٤) تاريخ الإسلام ، ج٤١ ، ص١٧٠ .

(٥) العبر فى خبر من غبر ،ج٣ ، ص ٨٨ .

(٦) الوافى بالوفيات ،ج٨ ، ص٢٤٥ .

(٧) البداية والنهاية ، ج١٦ ، ص٦٠٤ ، ٦٠٥ .

وأما المقريزي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)؛ فذكر أنه من أكابر بنى منقذ وعلمائهم وشجعانهم، وله تصانيف عديدة فى فنون الأدب"[١].

كما أشاد به ابن تغرى بردى(ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م) قائلاً: " كانت له اليد الطولى فى الأدب والكتابة والشعر وكان فارساً عاقلاً مدبراً يحفظ عشرون ألف بيت من شعر الجاهلية" [٢].

ولمكانته السامية كان يستقبل دائما بالحفاوة والترحاب – أثناء تنقلاته فى البلدان المختلفة– من قبل الملوك والأمراء وأصحاب الشأن ، ففى دمشق استقبله صاحبها بالترحاب وأجزل له العطية والإقطاع ، وميزه بالتقريب والإكرام ، بالإضافه إلى رعاية الأمير معين الدين أنر[٣]، وملازمته له، ورعايته[٤]، وفي البلاد المصرية الفاطمية استقبله الخليفة الحافظ لدين الله الفاطمى أحسن استقبال ويقول عن ذلك: " فقربنى الحافظ لدين الله ساعة وصولي، فخلع على بين يديه ودفع لى تخت ثياب، ومائة دينار، وخولني دخول الحمام، وأنزلنى في دار الأفضل ابن أمير الجيوش فى غاية الحسن، وفيها بسطها وفرشها، ومرتبة كبيرة، وآلتها من النحاس، كل ذلك لا يستعاد منه شىء، وأقمت بها مدة إقامة فى إكرام، واحترام، وإنعام متواصل، وإقطاع زاج " [٥] .

والحق أن شهادة هؤلاء العلماء كافية لبيان المكانة العلمية التى تبوأها أسامة في حياته، وحتى بعد مماته.

---

(١) المقفى الكبير، ج٢، ص ٤١.

(٢) النجوم الزاهرة ، ج٦ ، ص ٩٧ .

(٣) **الأمير معين الدين أنر**: أتابك العسكر بدمشق في عصر الدولة البورية، كان أحد مماليك طغتكين، ثم تولى الأتابكية بدمشق، وأصبح مدبر الدولة والحاكم الفعلي لها في عهد مجير الدين أبق(٥٣٤هـ/١١٣٩م)، وكان عاقلاً حسن السيرة، حسن الديانة، ظاهر الشجاعة، كثير الصدقات، وهو والد عصمة الدين خاتون زوجة نور الدين ثم بعد وفاته تزوجت من السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي، توفي في ربيع الآخر سنة (٥٤٤هـ/١١٥٨م) بدمشق ومدفون بقبته التى بين دار البطيخ والشامية. انظر: **ابن الأثير**: الكامل، ج٩، ص٣٥٣ . **ابن العماد الحنبلي** : شذرات الذهب ، ج٣ ، ٢٢٦.

(٤) **ابن منقذ** : الاعتبار ، ص ٢٨.

(٥) **ابن منقذ** : الاعتبار ، ص ٢٩.

مراحل حياته وحروبه :

مرت حياة أسامة بعدة مراحل، ارتحل فيها الى العديد من البلدان، واشترك فيها بالعديد من الحروب والوقعات والمصاف[1]، ومنهجنا توضيح كل مرحلة مع ذكر المكان الذى قضى فيه هذه المرحلة بالإضافة الى الدور الحربى الذى قام به فيها.

(أ): مرحلة الطفولة والشباب :

وتمتد هذه المرحلة من ولادته فى شيزر سنة (٤٨٨هـ/١٠٩٥م)، حتى رحيله الثانى عن شيزر سنة(٥٣٢هـ/١١٣٧م).

كانت سنوات طفولة أسامة، ونشأته، وشبابه في شيزر غنيةً بالمشاركات المبكرة فى الفروسية، ومقاومة غزوات الفرنجة، وإظهار شأن أسامة وتفوقه على أقرانه، وتدرجت حياته الحربية فى شيزر من قتاله مع قومه للخصوم والأعداء، وصد غارات الصليبيين عن وطنه، إلى قيادة الحملات العسكرية ضدهم، كما اشترك في الدفاع عن شيزر عند مهاجمة الإسماعيلية الباطنية لها سنة (٥٠٢هـ/١١٠٨م)[2]، وكان ذلك فى عيد فصح النصارى، حيث ثار جماعة من الباطنية في حصن شيزر على حين غفلة من أهلها، وكان عددهم مائة رجل، فاستولوا عليه، وأخرجوا من كان فيه، وأغلقوا بابه، وصعدوا إلى القلعة، فاستولوا عليها، وكان أصحابها بنو منقذ قد نزلوا منها لمشاهدة عيد فصح النصارى،ولكن تمكن أهل المدينة من الصعود إلى القلعة، وكذلك فعل الأمراء من بني منقذ، وتمكنوا من هزيمة الباطنية، شر هزيمة[3] .

---

(١) **المصاف:** جمع مصف، وهو الموقف في الحرب، وموضع الصف في القتال. **ابن منظور:** لسان العرب، ج٩، ص ١٩٤ . **نزار اللبدي:** المصطلح العسكري في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ دراسة معجميّة، مجلة إربد للبحوث والدراسات،الأردن، مجلد(٦)، عدد(١)، ٢٠٠٣م ، ص٣٧ .

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص ١٣٧، ١٤٤، ١٤٥، ١٧٨-١٧٩ .

(٣) **ابن القلانسى،** تاريخ دمشق، ص٣٠٣ . **ابن الأثير:** الكامل، ج٩، ص١٣٣ . **أبو الفداء:** المختصر في أخبار البشر، ج٢، ط١، المطبعة الحسينية المصرية، ص٢٢٤ . **الذهبي:** تاريخ الاسلام، ج٣٥، ص١٥. **الطباخ:** أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، ج١، ص ٣٥٩ . مع العلم أن كل المؤرخين ذكروا أنها حدثت في سنة (٥٠٢هـ/١١٠٨م) ماعدا ابن القلانسي أوردها في سنة (٥٠٧هـ/١١١٣م) .

وحضر أسامة عدة وقائع مع تانكرد (حاكم أنطاكية) الصليبي[١] ، منهم وقعة في شيزر في سنة (٥٠٢هـ/١١٠٨م)[٢]، ووقعة أخرى فى سنة (٥٠٤هـ/١١١٠م)[٣]، وكان أسامة لم يبلغ الخامسة عشر من عمره[٤] حيث قال [٥]:

لخمْسَ عشرةَ نازلتُ الكُماةَ إلى أنْ شِبتُ فيها، وخيْرُ الخيل ما قرَحا

أخُوْضُها كشِهابِ القذْفِ مبتسماً طلْقَ المُحَيَّا، ووجهُ الموت قدْ كَلَحا.

وعندما بلغ الواحدة والعشرين ذهب مع والده بعسكر شيزر سنة (٥٠٩هـ/١١١٥م) لحصار قلعة كفر طاب التى كانت بيد الصليبيين، وفي ذلك يقول أسامة: " ومن ذلك ما حضرته فى سنة تسع وخمسمائة، وقد خرج والدي رحمه الله بالعسكر إلى إسباسلار برسق بن برسق[٦] رحمه الله وقد وصل بأمر السلطان إلى الغزاة، وهو في خلق عظيم، وجماعة من الأمراء منهم..." [٧]، وانهزم الصليبيين وتسلم المسلمون كفر طاب في يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الأخر[٨] ، ثم استرد أمير أنطاكية الصليبي مدينة كفرطاب من المسلمين، لذلك سار أسامة مع عمه من شيزر مرة ثانية، متوجهين كفر طاب، ومعهم عدد كبير من الفلاحين والصعاليك، لنهب ما في كفر طاب من غلة وقطن[٩].

---

(١) **دنكرى: ويقصد به تانكرد**، من أمراء أنطاكية الصليبيين، توفي في يوم الأربعاء الثامن من جمادى الآخرة سنة(٥٠٦هـ/١١١٢م) وتولى الأمر بعده ابن أخيه روجار فتسلم أنطاكية وأعمالها. انظر **ابن القلانسي:** تاريخ دمشق ، ص ٢٩٢ . **الطباخ:** أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، ج١، ص٣٦٥ .

(٢) **ابـن منقـذ:** الاعتبـار، ص ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٣ . **حسـين أحمـد أمـين** : الحـروب الصـليبية فـى كتابـات المؤرخين العرب المعاصرين لها، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ٥٦.

(٣) **الطباخ** : أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، ج١ ، ص٣٦٥.

(٤) **ابن منقذ:** الاعتبار ، ص١١٩ .

(٥) **ابن منقذ:** الديوان ، ص٢٥٩ . والأبيات من بحر البسيط.

(٦) **برسـق بـن برسـق:** هو صـاحب همذان، أرسله السلطان محمد السلجوقي فى عام (٥٠٩هـ/١١١٥م) لقتـال إيلغـازي وطغتكـين والصـليبيين، وقـد انتهـت معاركـه فـى بـلاد الشـام بالهزيمـة، وتـوفي فـي العـام التـالي (٥١٠هـ/١١١٦م)، وهو يتجهز لقتال الأعداء. انظر **ابن الأثير:** الكامل، ج٩، ص ١٥٨، ١٥٩ .

(٧) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٩٥- ٩٩ .

(٨) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص ٩٨ .

(٩) **ابن منقذ** : الاعتبار ، ص ١٧٠ .

وكانت أول حملة قادها أسامة سنة (٥١٣هـ/١١١٩م)، وهو بعمر الخامسة والعشرين حين أرسله والده الى أفامية [١] لقتال الفرنج المحيطين بها، وكان النصر حليفه في هذه المعركة، فخرج مستنفراً الناس والعرب؛ لنهب زرع مدينة أفامية، ولم يصحب أسامة معه غير عشرين فارساً [٢] .

وحضر أسامة وقعة أخرى على أفامية سنة (٥١٧هـ/١١٢٣م) بين الصليبيين وبنو منقذ المتحالفين مع حاكم حماة وقتها، وهو شهاب الدين بن قراجا، وذكرها أسامة، فقال: " شاهدت شهاب الدين محمود بن قراجا، وقد انصلح ما بيننا وبينه، وقد أنفذ إلى عمي يقول له: تأمر أسامة يلقاني، هو وفارس واحد إلى كرعة، لنمضي نبصر موضعاً، نكمن فيه لأفامية ونقاتلها، فأمرني عمي بذلك، فركبت، ولقيته، وأبصرنا المواضع ثم اجتمع عسكرنا وعسكره، وأنا على عسكر شيزر، وهو في عسكره، وسرنا إلى أفامية..." [٣].

وخرج أسامة من شيزر سنة (٥٢٥هـ/١١٣٠م)، وتوجه الى حمص، حيث حضر حرباً بين صاحب حمص وجيش حماة، وكانت حماة فى ذلك الوقت تابعة للأتابك عماد الدين زنكي[٤]، فجرح أسامة في الحرب، وأُسِرَ، وحُمِلَ إلى حماة، حيث أُعتقل في قلعتها ثم تخلص أسامة من الأسر، وانتقل بعدها إلى الموصل، وإلتحق بجيش الأتابك عماد

---

(١) **أفامية:** مدينة حصينة من سواحل الشام، وكورة من كور حمص، تقع إلى الغرب من مدينة حلب على نحو أربع مراحل منها، **ياقوت الحموي:** معجم البلدان، ج١، ص ٢٢٧ . **القلقشندي:** صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٤، ص ١٢٥ .

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص ٦٢- ٦٤ . **أحمد رمضان احمد:** الرحلة والرحالة المسلمون، ص٢٥٩،٢٦٠. **رياض عبدالله محمد أبوراس:** أسامة بن منقذ شاعراً دراسة نقدية ، ص٧٦ . **عبد الحميد الفراني:** القيمة العلمية لروايات ابن منقذ الشفوية في كتاب الاعتبار، أعمال مؤتمر التاريخ الشفوى الواقع والطموح ، كلية الآداب ،الجامعة الإسلامية، غزة ، فلسطين ،٢٠٠٦م ، ص٤٠٨ .

(٣) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص ٣٨، ٣٩ . وهذه الوقعة التى أصيب فيها ابن قراجا بسهم أدى إلى وفاته بيومين من انتهاء الموقعة. **ابن القلانسي:** تاريخ دمشق، ص ٣٣٥ . **ابن الأثير:** الكامل، ج٩، ص ٢٢٥،٢٢٦ .

(٤) عن استيلاء أتابك زنكي على حماة. انظر: **ابن العديم** : زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص ٣٠٤ . **ابن واصل:** مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج١، ص٤١ ومابعدها.

الدين زنكي، وعَمِل تحت إمرة صلاح الدين محمد بن أيوب الياغسياني[١] مساعداً له، ومعيناً[٢].

وفى الفترة التي قضاها أسامة في الجيش الزنكي خاض العديد من الوقعات والمصافات، منها مصاف بين الخليفة المسترشد بالله وبين أتابك عماد الدين زنكى على بغداد في سنة (٥٢٦هـ/١١٣١م) [٣]، وأشار أسامة إلى هذه الوقعة خلال حديثة عن ظلم وتجبر صلاح الدين الياغسيانى، فقال: " وحضرته مرة أخرى بعدما وصلنا من مصاف بغداد " [٤]، وذكره أسامة في حديثه مع ابن السمعاني على لسان ابن العديم[٥] فقال : " دخلت بغداد وقت محاربة دبيس والمسترشد بالله، ونزلت بالجانب الغربي، وما عبرت إلى شرقيها "، وقد أطلق أسامة عليه " مصاف عقرقوف "[٦] إذ يقول: " كان الإمام المسترشد بالله يلحق بالصدر الأول من سلفه في علو الهمة، وحسن السياسة، والإقدام العظيم، فإنه لما التقى هو وعماد الدين زنكي بن آق سنقر في المصاف بعقرقوف، وأنا حاضر المصاف، ضرب له خيمة أطلس أسود، ووضع له فيها تخت، وجلس عليه، والخيل تطرد، فكسر عسكر أتابك، وذلك يوم الإثنين السابع والعشرين من رجب سنة ست وعشرين وخمسمائه، فاستولي على كل ما فيه، وانهزم أتابك زنكى إلى الموصل، وذلك الإقدام العظيم كان سبب تلفه " [٧].

---

(١) **صلاح الدين محمد بن أيوب الياغسيانى:** من أمراء السلاجقة، وهو يعمل فى خدمة عماد الدين زنكى أتابك الموصل. انظر : **أبو شامة** : الروضتين ،ج١ ، ص ١٥٦ .

(٢) **الذهبي:** تاريخ الإسلام،ج٤١،ص١٧٥ . **عبد الحميد الفرانى:** القيمة العلمية لروايات ابن منقذ ،ص٣٧٥. **أحمد رمضان أحمد:** الرحلة والرحالة المسلمون ، ص٢٦٠ .

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار ، ص١٧٦ . **ابن العديم** : زبدة الحلب ، ص٣٠٧، ٣٠٨ . **ابن واصل** : مفرج الكروب، ج١ ، ص ٤٧-٥٠ . **الذهبى** : تاريخ الاسلام، ج٤١ ، ص ١٧٥،١٧٦. وهذا المصاف ذكره ابن منقذ وابن العديم وابن واصل سنة (٥٢٦هـ/١١٣١م)، بينما الذهبى ذكره(٥٢٧هـ/١١٣٢م).

(٤) **ابن منقذ** : الاعتبار ، ص ١٧٦ .

(٥) **ابن العديم:** بغية الطلب ، ج٣ ، ص١٣٦٠، ١٣٦١ .

(٦) **عقرقوف:** هو عقر أضيف إليه قوف فصار مركبا مثل حضرموت وبعلبك، والقوف في اللغة الكل،وهي قرية من نواحي دجيل، بينها وبين بغداد أربعة فراسخ. **ياقوت الحموي:** معجم البلدان، ج٤، ص ١٣٧.

(٧) **ابن واصل:** مفرج الكروب ،ج١ ص ٥٠، ٥١ .

وحضر أسامة مصاف على تكريت بين أتابك زنكي بن آق سنقر وبين قراجا الساقي (حاكم فارس وخوزستان وكان تابعاً لدولة السلاجقة) فى سنة (٥٢٦هـ/١١٣١م) [(١)].

وحضر – أيضاً – مصاف بين أتابك زنكي وبين الأراتقة وصاحب آمد[(٢)] فى سنة (٥٢٨هـ/١١٣٣م)، وأشار أسامة إلى هذه الوقعة في معرض حديثه عن حصار عماد الدين زنكي لحصن الصور، وهو من أعمال مدينة آمد، وقد اشترك في هذا الحصار –أيضاً– فقال : " ولقد حضرت حصار حصن الصور مع ملك الأمراء ، أتابك زنكي رحمه الله ..، وذلك بعد كسرته على آمد .. " [(٣)]، وبعد مقارنة رواية أسامة وهو شاهد عيان برواية المؤرخين الآخرين أمثال: ابن القلانسي[(٤)]، وابن الأثير[(٥)] ، وابن واصل[(٦)]، الذين أكدوا أن زنكي حاصرها هو وحسام الدين تمرتاش، وعادا من غير تحقيق غرضهما، ولم يحصلا منها على طائل، بعد أن قطّعا الشجر وضربا البلد. ونجد أن رواية أسامة أوضح لحقيقة أو نتيجة هذا المصاف، وهو هزيمة زنكي فيه، حيث لم يحدد المؤرخين نتيجة هذا الحصار بالانتصار أو الهزيمة؛ بل تركوا القارئ متحيراً من مغادرة زنكي للحصن بدون بلوغ غرض.

---

(١) **الذهبي:** تاريخ الإسلام ،ج٤١، ص ١٧٥. ولم تجد الباحثة لهذا المصاف ذكر في مؤلفات أسامة، والواضح أنه من الجزء المفقود من كتاب الاعتبار.

(٢) **آمِد:** بكسر الميم، وهى لفظة رومية، وهى بلد قديم ، مبنى بالحجارة السود على نشز، ونهر دجلة محيط بأكثرها، وهى أعظم مدن ديار بكر، وأجلها قدراً، وأشهرها ذكراً، وفتحت فى سنة(٢٠هـ/٦٤٠م)، على يد عياض بن غنم بعد فتح الجزيرة بغير قتال صلحاً. أنظر: **البلاذرى:** أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري: فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ١٩٨٨ م، ص١٧٦. **ياقوت الحموي:** معجم البلدان ، مج١ ، ص٥٦، ٥٧ . **البغدادي**، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: على محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م، ج١ ، ص٦.

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص ١٧٤ .

(٤) تاريخ دمشق، ص٣٨٥.

(٥) الكامل ، ج٩، ص ٢٧٤.

(٦) مفرج الكروب ،ج١ ، ص ٥٤.

وفى سنة (٥٢٩هـ/١١٣٤م) حضر وقعة فى حماة عندما نزل جيش دمشق لأخذها من صاحبها صلاح الدين الياغسيانى، وحكى لنا كيف نفع أسلوب الترهيب والتخييل الذى استخدمه صلاح الدين في هذه الوقعة [١].

وحضر –أيضاً– مصاف على رفنية[٢] بين أتابك زنكى وبين الصليبيين فى سنة (٥٣١هـ/ ١١٣٦م)[٣]، ومصاف آخر على قنسرين[٤] بين أتابك زنكى والصليبيين أيضاً في نفس السنة [٥]، وذكر ابن منقذ هذا المصاف، فقال : " .. ولم يكن القتل فى ذلك المصاف فى المسلمين كثيراً ..، بل قتل من الإفرنج خلق كثير، وأمر أتابك – رحمه الله– فجمعت رؤوسهم فى حقل مقابل الحصن، فكانت قدر ثلاثة آلاف رأس" [٦].

ثم عاد أسامة إلى شيزر سنة (٥٣٢هـ/١١٣٧م)[٧]عندما هاجمتها جيوش البيزنطيين والصليبيين معاً ، ودافع عن شيزر، ولكنه غادرها مرة ثانية، منفياً هو وأهله إلى

---

(١) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص ١٦٨– ١٧٠ .

(٢) **رفنيّة** : بفتح أوله وثانيه، وكسر النون، وتشديد الياء: كورة ومدينة من أعمال حمص يقال لها رفنية تدمر، وقيل: بلدة عند طرابلس من سواحل الشام. **ياقوت الحموي:** معجم البلدان، ج٣، ص ٥٥ .

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٦٨ . **ابن القلانسي:** تاريخ دمشق، ص ٤٠٧. **ابن الأثير**:الكامل، ج٩، ص ٢٩٨–٢٩٩. **الذهبى:** تاريخ الإسلام ،ج٤١، ص١٧٦. **أحمد قدرى الكيلانى:** أسامة بن منقذ الأمير الفارس والأديب الشاعر، ص ٤٣. **ورفنية** هى بعرين حالياً، وذكر هذا المصاف عند ابن القلانسي وابن الأثير بـ "بعرين ".

(٤) **قنسرين** : بكسر أوله، وفتح ثانيه وتشديده وقد كسره قوم ثم سين مهملة، وهي مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم، وبعضها يدخل قنسرين في العواصم، **ياقوت الحموي:** معجم البلدان، ج٤، ص ٤٠٣–٤٠٤ .

(٥) **الذهبي:** تاريخ الإسلام ،ج٤١، ص ١٧٦.

(٦) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص ٢٥. وهذا المصاف لا يوجد له ذكر عند المؤرخين المسلمين أمثال ابن القلانسي وابن الأثير وابن واصل، فقد ذكروا ؛ أنه بعد أن استولى زنكي على بعرين(رفنية)، استنجد الصليبيين بالبيزنطيين، فتوجهوا معهم إلى بلاد الشام سنة (٥٣٢هـ/١١٣٧م). انظر : **ابن القلانسي:** تاريخ دمشق، ٤٠٤–٤١٣ . **ابن الأثير:** الكامل ، ج٩، ص ٢٩٨،٢٩٩. **ابن واصل:** مفرج الكروب، ج١، ص ٧٢،٧٣ .

(٧) فى سنة (٥٣٢هـ/١١٣٧م) خرج الامبراطور البيزنطي من القسطنطينية، وانضم إلى الصليبيين وقصدوا الشام، وإستولو على بزاعة ثم اتجهوا إلى شيزر، وحاصروها، ونصبوا عليها ١٨منجنيق، ولكن بمساعدة عماد الدين زنكى الذى هبّ للمساعدة استجابة لطلب أبا العساكر سلطان بن منقذ صاحب شيزر، انهزم الصليبيين والبيزنطيين، وتم فك الحصار عن شيزر. وللاستزادة عن هذه الوقعة انظر: **ابن القلانسي:** تاريخ

دمشق فقال: " فاقتضت الحال مسيري إلى دمشق، ورسل أتابك تتردد في طلبي إلى صاحب دمشق، فأقمت فيها ثماني سنين " [1]، ولعله يقصد بلفظة " فاقتضت الحال" إخراجه على يد عمه سلطان، فكان أبو العساكر سلطان بن علي –عم أسامة، وصاحب شيزر– يحب أسامة حباً جماً، ويشمله بعطفه ورعايته، ويشارك والده مرشداً فى تربيته، وتنشئته تنشئة صالحة، ويثق به فى مهام أموره، ثم تغير قلبه عليه، وعلى إخوته، ووالدهم مرشد .

وذكرت المصادر [2] سببَ إنقلابِ حال العم وابن أخيه؛ ذلك أن أبا العساكر سلطان لم يكن له ولد ذكر يخلفه بعد وفاته فى حكم شيزر، ثم جاءه أولاد ذكور بعد أن كبر، فخاف عليهم من أولاد أخيه مرشد الذين كانوا قد كبروا وسادوا، ولا سيما أسامة الذى أصبح سيد قومه وبني جِلدته، وعالِمَهم وفارسهم، وزاد من خوف أبي العساكر سلطان سعي ووشاية المفسدين بينه وبينهم .

ومن هنا بدأت نار العداوة تستعر رويداً فى الخفاء، وظل الأمر بينهم فيه تماسك مدة حياة مرشد، ثم عندما توفي في سنة (٥٣١هـ/١١٣٦م)، جاهر أبو العساكر سلطان أسامة وإخوته العداء، وما زال بهم حتى أخرجهم من شيزر مرغَمين، فى سنة (٥٣٢هـ/١١٣٧م)، فتفرقوا فى البلاد. وقد ذكر أسامة أن جدته لأبيه كانت حذرته من عمه أبي العساكر سلطان، يوم أن قتل أسامة أسداً، ودخل به شيزر ليلاً [3].

يستخلص مما سبق أنه إذا كان أبو العساكر سلطان هو صاحب شيزر وأميرها، فإن ابن أخيه أسامة كان بطلها وفارسها، ففى كل معركة كان يخوضها أهل شيزر كان يبرز أسامة نفسه كبطل وفارس، لا يشق له غبار بما كان يبديه من ضروب الشجاعة والبسالة فى القتال، لذلك خاف عمه سلطان أن يفتتن به أهلها، وأن ينتزعها منه، فأخرجه هو

دمشق، ص ٤١٥. **ابن الأثير:** الباهر ، ص ٥٥، الكامل ، ج٩، ص٣٠٢ . **ابن العديم:** زبدة الحلب، ج٢، ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

(١) **ابن منقذ** : الاعتبار ، ص٢٦، ٢٧ .

(٢) **ابن الأثير:** الكامل، ج٩، ص ٤١٤ ، ٤١٥ . الباهر فى الدولة الأتابكية، ص ١١٠ –١١٢ . **أبو شامة:** الروضتين ، ج١ ، ص ٣٢١ .

(٣) **ابن منقذ** : الاعتبار ، ص١٤٦، ١٤٧ .

وإخوته وأهله من شيزر، فتفرقوا في البلاد،وتوجه معظمهم إلى نور الدين محمود بن زنكي، وشكوا له ما حدث من عمهم، فأظهر تعاطفه معهم، ولكنه في الحقيقة كان مشغولاً بحرب الصليبيين، وخوفاً من قيام عمهم بتسليم شيزر للصليبيين لم يستطع نور الدين أن يتدخل في الأمر، وإعادتهم إلى بلادهم مرة أخرى[١].

أما بالنسبة لمؤرخنا أسامة؛ فما هي كانت وجهته؟ وأين كان قصده؟ فهذا ما سوف نعرفه فيما يلي.

<u>**(ب): مرحلة النضج :**</u>

ستمتد هذه المرحلة من خروج أسامة من شيزر سنة (٥٣٢هـ/١١٣٧م) إلى خروجه من دمشق، ورحيله إلى حصن كيفا[٢] سنة (٥٥٩هـ/١١٦٤م).

انتقل ابن منقذ إلى دمشق بعد خروجه من شيزر سنة (٥٣٢هـ/١١٣٧م) فأقام فيها في كنف حكم الأتابكة البوريين ، وقضى فبها ثماني سنوات في خدمة معين الدين أنر (وزير شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بورى)، الذي قربه، وأجزل له العطاء، ومنحه إقطاعاً، وشمله برعايته، وفي أثناء هذه الإقامة شارك أسامة في الحياة العسكرية بدمشق، ولكنه ساهم بنصيب أوفر في الحياة السياسية[٣]، ثم غادرها بسبب المؤامرات والدسائس، وقد أشارت المصادر إلى سبب هذا الخروج، وهو تدخل أسامة في كثير من الأمور، وتعديه على صلاحيات حاكم دمشق الأمير مؤيد الدين[٤]، مما جعل

---

(١) **ابن الأثير**: الكامل ، ج٩، ص٤١٣ وما بعدها.

(٢) **حصن كيفا**: هي بلدة وقلعة عظيمة تطل على نهر دجلة،وتقع بين آمد وجزيرة ابن عمر في ديار بكر. **ابن حوقل**، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلي: صورة الأرض، ج١، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٣٨م، ص٢٢٤ . **ياقوت الحموى**: معجم البلدان، ج٢، ص٢٦٥ . **البغدادى**: مراصد الإطلاع، ج١، ص٤٠٧ .

(٣) لتفصيل دوره فى الحياة السياسية سيأتى فى موضعه وهى سفاراته ص من هذا البحث.

(٤) **الأمير شجاع الدولة أبو الفوارس المسيب بن علي بن الحسين الصوفي** تولى رئاسة دمشق سنة (٥٣١هـ/١١٣٦م)، في عهد واليها شهاب الدين محمود بن تاج الملوك، ونعت بالأمير الرئيس الأجل، مؤيد الدين. انظر: **ابن القلانسي**: تاريخ دمشق ، ص ٤١٠ .

الأخير يتخذ قراره برحيله هو عن المدينة، وتوجهه إلى صرخد[١] ، وصمم على عدم العودة إليها، إلا بعد خروج أسامة ومعه أبي الكرام وزير الديوان من المدينة.

وبالفعل لم يجد معين الدين أنر بداً من تنفيذ طلب حاكم دمشق، فكان خروج أسامة، ومعه وزير الديوان بأهليهما ومالهما إلى مصر[٢].

ولم يصرح أسامة بالأسباب التي دعته – من وجهة نظره – للخروج إلى مصر إلا أنه يأسف لما ضاع له من حوائج داره وسلاحه، وما لم يستطع حمله، وما فرطه من أملاكه، وهو ما اعتبره نكبة أخرى، كل ذلك مع كون الأمير معين الدين " كثير التأسف على مفارقتي، مقر بالعجز عن أمري، حتى أنه أنفذ إلي كاتبه الحاجب محمود المسترشدي – رحمه الله – قال: والله لو أن معي نصف الناس لضربت بهم النصف الآخر، ولو أن معي ثلثهم لضربت بهم ، وما فارقتك، ولكن الناس كلهم قد تمالئوا عليّ، وما لي بهم طاقة، وحيث كنت فالذى بيننا من المودة على أحسن حاله "[٣].

وذكر بعض الباحثين سبباً أخر؛ وهو أنه جدّت أمور لمعين الدين أنر أوجبت أن يتخذ رجلاً من أهل دمشق يكون صاحب خبرة فى خفايا الأمور، ليكون عوناً له علي مؤيد الدولة أبي الفوارس المُسَيَّب بن علي بن الحُسَيْن، المعروف بـ " ابن الصُّوفي "، الذى بدأ ينازعه في سلطانه، ويُحيك ضده الفتن، ويَسعى أنر جاهداً ليحل بدلاً منه وزيراً لمُجير الدين آبَقْ صاحب دمشق يومذاك، فقرَّب إليه طمان الياروقي، فأغضب ذلك أسامة، وفسدت العلاقة بينه وبين معين الدين أنر، فغادر دمشق إلى مصر[٤].

ويبدو أن ابن الصوفي كان له يد في مؤامرة دبرت للإيقاع بأسامة ومعين الدين، ويدل على ذلك من سوء سيرته ما حكاه ابن القلانسى فى وفاة هذا الرجل من أنه مات في

---

(١) **صرخد:** بالفتح ثم السكون والخاء المعجمة والدال المهملة ، بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق، وهي قلعة حصينة. انظر: **ياقوت الحموي:** معجم البلدان ، مج ٣، ص٤٠١ .

(٢) **ابن القلانسي:** تاريخ دمشق ، ص٤٣٤، ٤٣٥ . **حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وشعره، ج١، ص٩٣. **محمد عدنان قيطاز** : أسامة بن منقذ والجديد من آثاره وأشعاره، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ١٩٩٨م، ص ١٨.

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار ، ص٢٨ .

(٤) **أحمد قدري الكيلاني:** أسامة بن منقذ ، ص٤٦ .

" شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين، ودفن فى داره، واستبشر الناس بمهلكه، والراحة منه، ومن سوء أفعاله، بحيث لو عدت مخازيه مع جنونه واختلاله، لطال بها الشرح، وعجز عنها الوصف" (١).

ولأسامة قصيدة أرسلها إلى معين الدين أنر، يعاتبه فيها ويلومه، وعلق العماد الكاتب عليها بقوله(٢): " وكتبها إلى دمشق بعد خروجه إلى مصر في أيام بني الصوفي يشير إليهم"، وهي سبع وأربعون بيتاً مطلعها :

وَلّو فلما رجونا عدلهم ظلموا فليتهم حكموا فينا بما علموا

ويذكر فيها طمان بقوله :

وما طمان بأولى من أسامة بالوفاء ولكن جرى بالكائن القلم (٣).

ومهما كانت الأسباب فقد خرج منها إلى مصر سنة (٥٣٩هـ/١١٤٥م)، ومعه والدته وزوجه وأولاده، وأخوه نجم الدولة أبو عبد الله محمد، وعدد من مماليكه وحشمه(٤)، فقربه الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله(٥)، وأقام بها مدة في إكرام واحترام، وإنعام متواصل، ومنحه بعض الإقطاعات الوفيرة (٦).

---

(١) تاريخ دمشق ، ص ٥٠٦ .

(٢) **العماد الأصفهاني:** الخريدة ، قسم شعراء الشام ، ج١ ، ص ٥٢٣ . وانظر. **ياقوت الحموى:** معجم الأدباء، ج٢، ص ٥٨٠ . **المقريزي:** المقفى الكبير ، ج٢ ، ص ٤٤-٤٦ .

(٣) **ابن منقذ** : الديوان ، ص ٣٨، ١٣٧. **أبو شامة:** الروضتين ، ج١ ، ص٣٢١ ، ٣٢٢ . **أحمد قدري الكيلاني:** أسامة بن منقذ ، ص٤٧ . والأبيات من بحر البسيط .

(٤) **المقريزي:** اتعاظ الحنفا، ج٣، ص١٧٩ .

(٥) **الخليفة الحافظ بأمر الله** أو لدين الله عبد المجيد بن الأمير أبي القاسم بن المستنصر بالله، تولى حكم الدولة الفاطمية بمصر سنة(٥٢٦هـ/١١٣١م) وتوفي سنة (٥٤٤هـ/١١٤٩م)، وكان حسن الأفعال والسيرة، وبث الإحسان فى العسكرية والرعية. انظر: **ابن القلانسي:** تاريخ دمشق، ص ٤٧٨. **المقريزي:** اتعاظ الحنفا، ج٣ ، ص١٨٩-١٩٢. **ابن العماد الحنبلي:** شذرات الذهب، ج٣ ، ص ٢٢٦.

(٦) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص ٢٩ .

ومع كل الإنعام الذي وجده أسامة في مصر إلا أن حظه العاثر ساقه إليها في وقت من أشد الأوقات في تاريخها اضطراباً، فعند وصوله كان رضوان بن الولخشي[١] سجيناً في إحدى دور القصر، ذلك أن أمين الدولة كمشتكين الأتابكي (صاحب صرخد) أطمعه في غزو مصر، وحشد له الجنودَ الأتراك الذين غدروا به في الطريق، فطلب الأمان من الخليفة الفاطمي، فحبسه في القصر هو وولده، ولكنه استطاع الإفلاتَ من حبسه، وفر إلى الجيزة ثم عاد ودخل القاهرة بعد أن هزم جيش الخلافة، وانتهى الأمر باغتياله بأمر الخليفة على يد صبيان الخاص[٢] والسودان[٣].

ثم وقع صراع سنة(٥٢٨هـ/١١٣٣م) بين الريحانية وهم عبيد الخليفة الحافظ، وغيرهم من جند مصر، وبخاصة السودان[٤]، ووصف أسامة ذلك الشقاق المخيف حيث شهد مقتل

(١) **الأفضل رضوان بن ولخشي:** كان يتولى وظيفة " والي الغربية"، ثم تولى الوزارة للحافظ لدين الله الفاطمي، وذلك بعد أن دخل في صراع مع الوزير بهرام الأرمنى بسبب سيطرته على الخليفة، واستعانته ببني جلدته من الشيعة المتعصبين، فتمكن رضوان من هزيمته، وتولى هو الوزارة بدلاً منه. ولكن عندما تولى هو الوزارة ارتكب من الأفعال، ما أثار الخليفة الحافظ ضده، فاستدعى بهرام مرة ثانية، وولاه الوزارة، ففر رضوان هارباً إلى بلاد الشام، ثم ما لبث أن عاد مرة أخرى إلى مصر على رأس جيش لمحاربة الوزير بهرام، فتصدى له جنود الخليفة وهزموه. انظر: **المقريزى:** اتعاظ الحنفا، ج٣ ، ص١٣٧-١٤٠، وحوادث سنة(٥٣٠-٥٣١هـ) ص١٥٧-١٧٣، وحوادث سنة (٥٣٢هـ) ص١٨٢-١٨٤. **ثناء عبدالعظيم عبد العزيز** : رضوان بن ولخشي وزير سني فى خلافة شيعية، حوليات المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، يوليو ٢٠١١م، ص١٢ .

(٢) **صبيان الخاص:** هم أولاد الأجناد والأمراء وعبيد الدولة الذين يتولون خدمة الخليفة في شئونه الخاصة، وأصل هذه الطائفة أن من مات من الأمراء والأجناد وعبيد الدولة، وكان له ولد فإنه يحمل إلى حضرة الخليفة، ويودع في أماكن مخصوصة، ويؤخذ في تعليمه أنواع الفروسية من الرمي وغيره؛ ويقال لهم صبيان الخاص.وكان عددهم نحو الخمسمائة، ويسكنون أماكن خاصة، ويتدربون على الفروسية، وقد قتل ابن السلار- فيما بعد- أيام الخليفة الظافر عدداً كبيراً منهم، فانكسرت بذلك شوكتهم. **المقريزي:** المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ومشهور بالخطط، ج٣، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ص٣٤، ٥٦ ، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص١٩٩ .

(٣) **ابن منقذ** : الاعتبار ص٥٥ . **حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وشعره، ج١، ص٩٩ .

(٤) ترجع أسباب هذا الصراع إلى أن الخليفة الحافظ قام سنة (٥٢٨هـ/١١٣٣م)عقب موت وزيره يانس بتولية ابنه سليمان لهذا المنصب، وكان أكبر أولاده، وأحبهم إليه، ولكنه لم يمكث في الوزارة سوى شهرين، وتوفي، فولى بعده ابنه حيدرة بن الحافظ في ولاية العهد، ونصبه للنظر في المظالم، فرفض ذلك أخاه الأمير=

الكثير من عبيد الحافظ في سويقة أمير الجيوش، وهو يبيت، ويصبح بالسلاح، خوفاً من ميل الجنود السودانية على الناس(١).

ثم توفي الخليفة الحافظ لدين الله فى أثناء ذلك سنة (٥٤٤ هـ/١١٤٩م)، وجلس بعده ابنه الظافر بأمر الله(٢)، وهو أصغر أبنائه، وولى الوزارة لأبي الفتوح نجم الدين ابن مصال(٣)، وما حدث في عهد أبيه تكرر في عهده إذ نرى الأمير سيف الدين أبا الحسن علي بن السلار(٤) يحشد الجيوش طمعاً في تولي الوزارة، ويصور لنا أسامة موقفَ الخليفة من ذلك، إذ أمر أن يجمع الأمراء، وفيهم أسامة في مجلسِ الوزارةِ، ويرسل إليهم بزمامَ القصورِ؛ لحماية وزيرِه ابن مصال، ولكنهم ينضمون جميعاً إلى ابن السلار، وعندما يرى

=حسن، وأراد إفشال هذا الأمر، فسعى لإيقاع الفتنة بين الطائفة الجيوشية، والطائفة الريحانية. **المقريزي:** الخطط، ج٣، ص٣٤، ٣٥ . اتعاظ الحنفا، ج٣، ص ١٤٩ .

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٢٩، ٣٠ . **حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وشعره، ج١، ص٩٩. أدت الصراعات السياسية والإدارية في الدولة الفاطمية –السابق ذكرها– إلى صراع بين فئات الجيش كما حدث بين الجيوشية والريحانية، ونتيجة لذلك بدأت هذه الصراعات تأخذ طابعاً مسلحاً، وهذا زاد الأمر سوءاً؛ مما أدى الى انشقاق بين فئات الجيش، وقد بلغ ذروته في أيام الخليفة الحافظ، وزاد الخلاف، وسمي ذلك الإنشقاق بثورة الجند، وكانت بين الريحانية، وهم عبيد الحافظ، وبين الجيوشية والإسكندرية والفرحية، وانضم إلى الجيوشية عدد من صبيان الخاص، وحاول الحافظ أن يصلح بينهم. فرفضوا ذلك، ففر الريحانية إلى الجيزة، وهمّ الجند بخلع الحافظ إلا أن المنية وافته بعدها بيومين. انظر: **المقريزي:** اتعاظ الحنفا، ج٣، ص ١٨٩ . **صالح محمد ارميح خرانبه:** أحوال الدولة الفاطمية في عهد الخليفتين الآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ٢٠١٣م، ص ٤٠.

(٢) **الظافر بأمرالله:** هو الخليفة الفاطمي أبو منصور إسماعيل ابن الحافظ لدين الله عبد المجيد العلوى، ولد سنة (٥٢٧هـ/١١٣٢م)، بويع في سنة (٥٤٤هـ/١١٤٩م)، وكان عمره (١٧) سنة و(٤) أشهر و(١٠) أيام ، وكان أصغر أولاد الحافظ. انظر: **ابن الأثير:** الكامل، ج٩، ص ٤٣٧، ٤٣٨ . **الذهبي:** تاريخ الإسلام، ج٣٧، ص٣٥٦ . **المقريزى:** اتعاظ الحنفا، ج٣،ص ١٩٣–٢٠٩.

(٣) **نجم الدين بن مصال:** هو أبو الفتوح سليم بن محمد بن مصال، من منطقة برقة، وصل الى مصر مع والده، وأصبح واحداً من الأمراء الكبار في الدولة الفاطمية إلى أن وصل إلى الوزارة عن طريق ذكاءه ودهائه. انظر: **المقريزى:** اتعاظ الحنفا ، ج٣ ، ص١٧٤ ، ١٩٨ .

(٤) **أبو الحسن على بن السلار:** الملقب بالملك العادل، وهو وزير الخليفة الظافر بأمر الله الفاطمى ، كان سنياً شافعياً. انظر: **الذهبي:** تاريخ الإسلام، ج٣٧، ص٣١٨ . **المقريزي:** اتعاظ الحنفا ،ج٣ ، ص ١٩٦–٢٠٥. **ابن الطوير**، أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسراني: نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص ٥٧–٦٥.

الظافر ذلك، ويعجز عن صده لا يجد بداً من الرضوخ للأمر بعد قتل وزيره ابن مصال على يد عباس الصنهاجي(١) ابن زوجة ابن السلار(٢) .

وبعد أن تولى ابن السلار الوزارة، واستقرت الأمور، دعت الضرورة الوزير ابن السلار أن يرسل بأسامة إلى نور الدين محمود بن زنكى في مهمة حربية (٣)، وإبان ذلك اشترك في قتال الصليبيين في عسقلان، وبيت جبريل(٤)، وعندما رجع إلى مصر شهد إغتيال الوزير ابن السلار من قبل ناصر الدين نصر بن عباس بن أبي الفتوح بن تميم بن باديس، بتحريض من الظافر الفاطمي، الذي أقام عباس بن أبي الفتوح والد نصر مكانه فى الوزارة (٥)، وشهد – أيضاً– اغتيال الظافر الفاطمي من قبل نصر بن عباس بتحريض من أبيه عباس(٦)، وشهد ثورة الجند على الوزير عباس، وقتالهم له ، وقمع عباس الثورة

---

(١) **عباس الصنهاجي:** أبو الفضل عباس بن أبي الفتوح بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي، حضر من أفريقيا وهو صبي مع أمه، فتزوج بها العادل ابن السلار قبل الوزارة، وأقامت عنده مدة، ولما تزوج ابنها عباس، وجاءه ولد، سماه نصراً، فأحبه العادل، وعز عنده، إلا أن نصراً قتل العادل على فراشه في سادس المحرم بالقاهرة سنة (٥٤٨هـ/١١٥٣م)، وتولى عباس الوزارة، ثم قتل نصراً الخليفة الظافر سنة (٥٤٩هـ/١١٥٤م). **الذهبي:** تاريخ الإسلام، ج٣٧، ص٣٢٠ .

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار ، ص ٢٩– ٣١. **أبو الفدا:** المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص٢١. **الذهبي:** تاريخ الاسلام، ج٣٧، ص٣١٨، ٣٥٦، العبر في خبر من غبر، ج٣، ص٦. **ابن الوردي،** زين الدين عمر بن مظفر بن عمر المعري الكندي الشهير بابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج٢، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص٤٨. **المقريزى:** اتعاظ الحنفا، ج٣،ص١٩٦، ١٩٧ . **حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وشعره، ج١، ص١٠٠، ١٠١ .

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار ، ص٣٣ ، وسيأتى الحديث عن هذه المهمة فى سفاراته ص١١٠ .

(٤) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص ٣٨، ٣٩ .

عسقلان: بفتح أوله وسكون ثانيه ثم قاف وآخره نون ، مدينة شامية تقع في فلسطين، وهى على ساحل البحر المتوسط . **ياقوت الحموى :** معجم البلدان ،ج٤ ،ص ١٢٢ .

بيت جبريل أو جبرين: بلدة بين القدس وغزة. البغدادي: مراصد الاطلاع، ج١، ص٢٣٧ .

(٥) **ابن منقذ :** الاعتبار ، ص٤١ . وأكدت معظم المصادر أن أسامة هو الذي أشار بقتل ابن السلار ،أما أسامة فقد أنكر ذلك في كتابه. انظر: **ابن الطوير:** نزهة المقلتين فى أخبار الدولتين ، ص ٧٢. **ابن الأثير:** الكامل ،ج٩ ، ص ٤٣٧. **المقريزى:** اتعاظ الحنفا ، ج٣، ص٢٠٨.

(٦) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص ٤٣، ٤٤ . وأكدت معظم المصادر مثل: ابن الأثير والمقريزى أن أسامة هو الذى حسّن لعباس وولده بقتل الظافر،أما أسامة فأنكر ذلك فى كتابه. انظر: **ابن الأثير:** الكامل، ج٩، ص ٤٣٧. **المقريزى:** اتعاظ الحنفا ، ج٣ ، ص٢٠٨. أما **ابن القلانسى** فأورد أن أخوات الظافر هم من قتلوه=

بعد قتال شارك فية أسامة، وعندما خرج الوزير عباس فاراً من مصر فى يوم الخميس العاشر من صفر سنة (٥٤٩ هـ /١١٥٤م) (١) ، وقد حاول طلائع بن رزّيك(٢) أن يثني أسامة عن الذهاب مع الوزير الهارب، ووعده بمشاركته في كل خير يناله عندما يملك مصر، لكن أسامة لم يستطع التخلص من قبضة عباس، وحبس أهل أسامة عنده، واستحلف أسامة، فكان خروج أسامة مع عباس سبباً فى إلقاء أصابع الإتهام إلى أسامة فى مقتل الظافر(٣) ، وفى أثناء خروج أسامة من مصر مع الوزير عباس وابنه نصر، قاتلهم العرب، وجُرح أسامة، وعَجز عن حمل أهله الذين أخرجهم معه، فردهم إلى بلبيس(٤) عند الوزير الملك الصالح أبي الغارات طلائع بن رزيك ، فأحسن إليهم، وأنزلهم في دار، ووفر لهم ما يحتاجونه(٥) ، وأما أسامة فأفلت وسار في بغير زادٍ للرجال ولا علف للخيل،

=ولم يأت على ذكر أسامة، وهو ممن عاصر هذا الحدث، ومات بعده بسنوات قليلة سنة(٥٥٥هـ/١١٦٠م). تاريخ دمشق، ص٥٠٣ . **وأبو شامة** نفى عن أسامة ذلك، الروضتين، ج١ ، ص٢٨٩-٢٩٤.

(١) **ابن منقذ** : الاعتبار ، ص٤٥- ٤٨ .

(٢) **طلائــع بـن رزّيـك**: أبـو الغـارات الأرمنـي (وزيـر الفـائز والعاضـد الفـاطمي)، كانـت بينـه وبـين أسـامة مـودة وصداقة ومراسلات شعرية، أودع أسامة قسماً منها في كتابه: المنازل والديار، قتل سنة(٥٥٦هـ/١١٦٠م) في دهليز قصره. وعن أخباره انظر: **العماد الأصفهاني**: ذيل الخريدة ، ص ١٠٠ ، ١٠١. **أبـو الفـدا**: المختصر فى أخبار البشر ، ج٢، ص٥١. **محمد السماوى** : الطليعة من شعراء الشيعة ، ج١ ، ص ٤٤٧.

(٣) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص٤٦ . وانظر: **أبو الفدا** : المختصر فى أخبار البشر ،ج٣، ص٢٧،٢٨. **ابن الوردي**: تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٥٤. **ابن تغري بردي**: النجوم الزاهرة، ج٥، ص٢٩٧. **المقريزي**: اتعاظ الحنفا ، ج٣، ص٢٠٨، ٢٠٩ .

(٤) **بِلْبِيس**: بكسر الباءين، وسكون اللام، وباء وسين مهملة، والعامة تقول بِلْبَيْس ،وهى مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام، فتحت سنة(١٨ أو١٩ هـ/٦٣٩ أو ٦٤٠م) على يد عمرو بن العاص، وزاد صاحب القاموس أنها كانت قاعدة الحوف الشرقي أيام العرب ثم قاعدة الأعمال الشرقية من أيام الدولة الفاطمية إلى آخر عهد الحكم الجركسي ثم قاعدة ولاية الشرقية حتى سنة (١٨٣٢م)، فنقلت بأمر من محمد علي، وأصبحت قاعدة لقسم (مركز) بلبيس، وأصبحت الزقازيق هي القاعدة لمديرية الشرقية. انظر: **ياقوت الحموي**: معجم البلدان، ج١، ص٤٧٩. **البغدادي**: مراصد الإطلاع، ج١، ص ٢١٦. **محمد رمزي**: القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥ ، القسم الثانى،ق٢، ج١، ط٣، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ١٠٠،١٠١ .

(٥) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص ٤٨، ٤٩ .

إلى أن وصل إلى وادي موسى[١] الذى لاقى فيه شدائد وأهوالاً فصّل أسامة الحديث عنها فى كتابه الاعتبار[٢]، ثم تابع سيره حتى وصل إلى دمشق بمن سلم معه يوم الجمعة خامس ربيع الاخر (٥٤٩ هـ/١١٥٤م) وهم في " أشنع صفة من العدم، والعري، والفقر" على حد تعبير ابن القلانسي[٣].

وعندما وصل أسامة إلى دمشق وأقام فيها، اتصل بخدمة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى، وظل في خدمته حتى روعتْ فؤاده حوادث زلزال سنة (٥٥٢هـ/ ١١٥٧م) الذى دمر على بعض بلاد الشام، ومن جملتها شيزر وطنه الأول، وأودت بآل منقذ الموجودين بها[٤] .

وفي سنة (٥٥٥هـ/١١٦٠م) عزم أسامة على آداء فريضة الحج، فخرج من دمشق الى حلب فزار مساجدها، ثم ذهب منها إلى الموصل، ومنها إلى الحجاز، ولما أنهى آداء فريضة الحج عاد إلى دمشق [٥].

وشارك أسامة رغم شيخوخته نور الدين محمود بن زنكي في حصار قلعة حارم سنة (٥٥٧هـ/١١٦٢م)، ومن الغريب أنه لم يذكر أي شىء عن هذه الموقعة في كتابه الاعتبار، وربما يكون ذكرها فى الجزء المفقود من الكتاب، يقول ابن الأثير[٦]: "وممن كان معه فى هذة الغزوة مؤيد الدولة أسامة بن منقذ الكناني، وكان من الشجاعة في الغاية،

---

(١) **وادي موسى:** منسوب الى موسى بن عمران عليه السلام، وهو وادٍ يقع في جنوب بيت المقدس، في الطريق بينه وبين أرض الحجاز ، وسمي بذلك لأن موسى -عليه السلام- لما خرج من التيه، ومعه بنو إسرائيل، كان معه الحجر الذى ذكره الله تعالى فى القرآن. انظر : **ياقوت الحموي:** معجم البلدان ،ج٥، ص،٣٤٦ .

(٢) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص٥٠، ٥١ .

(٣) **ابن القلانسي** : تاريخ دمشق ،ص ٥٠٧ . **المقريزى** : اتعاظ الحنفا ، ج٣ ، ٢١٥-٢٢٠.

(٤) **ابن القلانسي:** تاريخ دمشق ، ص ٥٢٧. **ابن الأثير** : الكامل ، ج٩ ، ص ٤١٣، ٤١٤ ، الباهر فى الدولة الأتابكية، ص ١١٠- ١١٢ . **أبو شامة:** الروضتين ،ج١ ،ص٣٠٥-٣١٠، و ٣١٦.

(٥) **أحمد قدري الكيلاني:** أسامة بن منقذ ، ص ٥٢. **محمد عدنان قيطاز:** أسامة بن منقذ، ص٢٦. **إسماعيل الوريث:** أسامة بن منقذ فارس العرب فى الحروب الصليبية فى الحروب الصليبية ،دراسات يمنية ،اليمن، ١٩٩٢م، العدد٤٦، ص ٢٤٩ . أما **كارل بروكلمان**؛ فقد ذكر أنه أدى الفريضة سنة (٥٥٧هـ/١١٦٢م). انظر كتابه: تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية: السيد يعقوب بكر، وراجع الترجمة: رمضان عبد التواب، ج٦، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ٢٢.

(٦) الكامل ،ج٩ ، ص ٤٥٧. والأبيات من بحر الطويل .

فلما عاد إلى حلب دخل الى مسجد سيرين وكان قد دخله العام الماضى، سائراً الى الحج، فلما دخله الآن كتب على حائطه:

لك الحمدُ يا مولاي ، كم لك مِنّةٌ عليّ، وفَضْلٌ لا يحيطُ بهِ شكري

نَزلْتُ بهذا المسجد العامَ قافلاً من الغزوِ، موفور النصيبِ مِنَ الأجرِ

ومِنْهُ رحلتُ العَيس فى عامي الذي مضى نحو بيتِ اللهِ والركنِ والحجرِ

فأديتُ مفروضي، وأسقطُت ثقل مَا تحمّلْتُ مِنْ وزرِ الشبيبةِ عَنْ ظهري

وبعد هذه الواقعة لم يتحدث التاريخ عما شهده أسامة من الوقعات الحربية مع نور الدين محمود بن زنكي، ولا مع غيره، ولعله بعدها قد أخلد إلى الراحة من عناء السياسة والحروب والفتن فكبر سنه، فقد بلغ من العمر تسعاً وستين سنة؛ فقرر الابتعاد عن دمشق مركز حركة نور الدين محمود في حروبه المتتالية مع الصليبيين، والذهاب الى مكان يستقر فيه حاله وتهدأ أفكاره، ويجتمع شمله بمحبوبه من الدنيا، ألا وهو الكتاب، ولهذه الغاية خرج من دمشق سنة (٥٥٩هـ/١١٦٣م)[١].

(ج)– مرحلة الشيخوخة:

وهذه المرحلة تبدأ من خروجه من دمشق إلى ديار بكر سنة (٥٥٩هـ/١١٦٣م)، وحتى وفاته سنة (٥٨٤هـ/١١٨٨م).

انسحب أسامة في صمت من ميدان الحياة بالشام إلى حصن كيفا في أواخر سنة (٥٥٩هـ/١١٦٣م)، وكان عمره يومذاك (٧١) سنة، وأقام في هذا الحصن عند صديقه الأمير فخر الدين قرا أرسلان بن سقمان بن أرتق صاحب الحصن، مكرماً محترماً. وفي هذا الحصن تفرغ أسامة للمطالعة والبحث، وعكف على التأليف والتصنيف؛ فأنتج عدة مؤلفات قيمة ممتعة[٢]، وظل في ديار بكر حتى عاد إلى دمشقَ في سلطنة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فى سنة (٥٧٠هـ/١١٧٥م)، فاستدعاه السلطان صلاح

---

(١) **أحمد قدري الكيلاني** : أسامة بن منقذ ، ص ٥٣ .

(٢) **عماد الدين خليل:** لمحات من النشاط الثقافى في ديار بكر في عهد الأراتقة، مجلة آداب الرافدين، العراق، عدد(٧) ، ١٩٧٦م، ص ٣٤.

الدين الى دمشق، واستجاب دعوته، وحضر إلى دمشق وهو شيخ قد جاوز الثمانين من عمره[١]، وأكرمه السلطان الأيوبي، وقربه وأدر عليه إنعامه، فأنزله أرحب منزل، وأورده أعذب منهل، وملكه من أعمال المعرة ضيعة، زعم أنها كانت قديماً ضمن أملاكه، وأعطاه بدمشق داراً .

وكان أسامة ذا رأي وتجربة، وحنكة مهذبة، فكان صلاح الدين يستشيره في نوائبه، ويستنير برأيه في غياهبه، وإذا غاب عنه السلطان منشغلاً بغزواته، كاتبه وأعلمه بما أنجزه في سفره واستعان برأيه في وحل مشكلاته[٢].

وقد ضاق به الحال في آخر أيامه؛ إذ ضيق نظام الدين بن الحصين البغدادي[٣] الكاتب الذي كان قد ولي ديوان الشام على أسامة بن منقذ في جامكيته. وفي ذلك يقول أسامة:

أضحى أسامة خاضعاً متذللاً ... لابن الحصين لبلغة من زاده

فاعجب لدهر جائر في حكمه ... تسطو ثعالبه على آساده [٤]

وظل أسامة بدمشق إلى أن توفي سنة (٥٨٤هـ/١١٨٨م).

عاشراً: علاقته بأصحاب السلطة والحكم في عصره:-

أدت كثرة تنقلات أسامة ورحلاته إلى اتصاله بالعديد من أصحاب السلطة في عصره، وتوطدت صلته بالكثير من الرموز والأعلام في مجال السياسة والحكم في بلاد الشام ومصر وغيرها، والتي كان لها تأثير كبير على مجريات الأحداث وقتئذ، سواء على الجانب الإسلامي أو الصليبي، منها:

---

(١) **ياقوت الحموي:** معجم الأدباء ، ج٢ ، ص ٥٧٣.

(٢) **أبو شامة:** الروضتين ، ج٢ ، ص ٢٨٦ .

(٣) عبد الواحد بن مسعود بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد، أبو غالب ابن الشيخ الأجل أبي منصور بن الحصين الشيباني، نظام الدين البغدادي الكاتب. ولد سنة (٥٣٥هـ/١١٤٠م)، وروى عن: أبي الوقت، وأبي الكرم الشهرزوري، وغيرهم. وحدث بالشام ومصر. وتوفي في رمضان بحلب سنة(٥٩٧هـ/١٢٠٠م). **الذهبي:** تاريخ الإسلام، ج٤٢، ص ٣٠٧ .

(٤) **الذهبي:** تاريخ الإسلام، ج٤٢، ص ٣٠٨ . والأبيات من بحر الكامل .

(أ)- علاقته مع الأتابك عماد الدين زنكي :

عمل أسامة فى خدمة الأتابك عماد الدين زنكي فى الفترة ما بين سنة (٥٢٥هـ/١١٣٠م-٥٣٢هـ/١١٣٧م)، وكان عماد الدين زنكي في تلك الفترة أتابك الموصل، وأسامة معجباً به كثيراً، فكان ينعته باستمرار بـ " ملك الأمراء أتابك زنكي " [١] ، وسافر معه إلى العديد من بلدان العالم الإسلامي، ولازمه حتى في سفره إلى خلاط لخطبة ابنة حاكمها لابنه [٢].

لقد كانت علاقة عماد الدين زنكى بأسامة جيدةً، حيث استقبله استقبالاً حاراً، وأقطعه إقطاعاً بالموصل، وغدا منزلهُ فيها موطناً للشعراء والكتاب[٣]. وتأكدت المودة بينهم من خلال حكايات أسامة عنه إذ كانا يجلسان معاً، ويتحاوران في أخبار القادة[٤] ، ومن أمثلة ذلك أن عماد الدين زنكى طلب من أسامة – ذات يوم – حصانه الإفرنجي ليراه، وبعد أن أعاده غلام أسامة إلى الإسطبل عاجله زنكي، وطلب من أسامة أن يتركه عنده ليتسابق به ثم أعاده إليه، ثم طلبه في اليوم التالى، وتسابق به فسبق، ثم أعاده إليه مرة أخرى، فما كان من أسامة إلا أن أخذ حصانه، وأرسله إلى إسطبل الأتابك عماد الدين زنكي[٥] .

وحضر أسامة معه العديد من مشاهد الصيد، فقال عن ذلك: " ومن ذلك ما حضرته مع ملك الأمراء أتابك زنكى بن آقسنقر رحمه الله" [٦]، ومن شدة تقربه له كان أتابك زنكي يعطي لأسامة أول غزال يصطاده من كل صيد، يحضره معه أسامة [٧].

---

(١) **ابن منقذ** : الاعتبار ، ص ٥٣، ٢٠٠ .

(٢) **ابن منقذ** : الاعتبار ، ص ١١٠، ١١١ .

(٣) **وهيب طنوس** : الوطن في الشعر العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي ، ط١، د. ن، ١٩٧٦م، ص٧٢.

(٤) **ابن منقذ** : الاعتبار ، ص ١٧٥ .

(٥) **ابن منقذ** : الاعتبار ، ص ٦٨ .

(٦) **ابن منقذ** : الاعتبار ، ص ٢٠٠

(٧) **ابن منقذ** : الاعتبار ، ص ٢٠١ .

(ب)- علاقته بالأمير معين الدين أنر:

عندما قدم أسامة إلى دمشق سنة (٥٣٢هـ/١١٣٧م) اتصل بخدمة الأمير معين الدين أنر(ت٥٤٤هـ/١١٤٩م)[١]، وفى البداية كانت العلاقة بين الطرفين علاقة صداقة قوية، يسودها المحبة والتقدير، ومكانة مرموقه أهلته؛ ليكون مستشاره الخاص، وعونه الوحيد، وأمين سره، وموضع ثقته، فأرسله في سفارات إلى ملك بيت المقدس الصليبي وإلى الوزير الفاطمي رضوان الولخشي كما سيأتي ذكره. ثم حدثت جفوة بين الصديقان، وانتهت علاقتهما بخروج أسامة إلى مصر سنة(٥٣٩هـ/١١٤٤م)، وقد أشار أبو شامة إلى أن أسامة بعث بقصيدة لمعين الدين، وهو بمصر يهنئه بانتصاراته على الصليبيين هو ونور الدين محمود، قال فيها:

كل يوم فتح مبين ونصر	واعتلاء على الأعادي وقهرُ
صدق النعت فيك أنت معين الدين	إن النعوتُ فأل وزجر
أنت سيف الإسلام حقا فلا فل	غراريك ايها السيف دهر
لم تزل تضمر الجهاد مسراً	ثم أعلنت حين أمكن جهر
كل ذخِر الملوك يفنى وذخراك	هما الباقيان أجر وشكر[٢]

(ج)- علاقته بالخليفة الفاطمي بمصر:

كانت علاقة أسامة بالخليفة الحافظ الفاطمي جيدة[٣]، وقد وصفها بالإحترام، والإنعام المتواصل [٤]، ولكن سرعان ما توفي الحافظ بعد أربع سنوات من دخول أسامة.

ثم تولى الظافر حكم الدولة الفاطمية بعد موت أبيه، وولى الوزارة لنجم الدين ابن مصال، وكان شيخاً كبيراً، فثار ابن السلار الذى كان له ولاية الأسكندرية والبحيرة، وتوجه إلى القاهرة، وأخذ الوزارة من ابن مصال على غير رضا من الظافر؛ ولما قدم عليه مؤيد الدولة أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ ، فأكرمه [٥]. وأفرد له موضعاً في

---

(١) **ابن العماد الحنبلي:** شذرات الذهب ، ج٣ ، ٢٢٦.

(٢) الروضتين في أخبار الدولتين، ج١، طبعة مؤسسة الرسالة، ص٢٢٢، ٢٢٣ . والأبيات من بحر الخفيف.

(٣) **ابن العماد الحنبلي:** شذرات الذهب، ج٣ ، ص ٢٢٦.

(٤) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص ٢٩. **أحمد قدري الكيلاني** : أسامة بن منقذ ، ص٤٨

(٥) **المقريزي** : اتعاظ الحنفا ، ج٣، ص١٩٨ .

داره[١]، ومن هنا بدأت العلاقة بينهم تأخذ شكلاً آخر، فغدا أسامة المستشار السياسي لابن السلار، فنراه يستدعيه فى الليل؛ ليأخذ رأيه في أمر قد جرى لعباس ابن زوجة ابن السلار[٢]، وهذا يدل على العلاقة الوطيدة القوية بين أسامة وبين الوزير بن السلار، حتى إنه يأخذ رأيه فى أمور خاصة، ثم دعت الضرورة الوزير ابن السلار أن يرسل أسامة إلى نور الدين محمود بن زنكي بدمشق في مهمة حربية[٣]، وحارب الصليبيين في عسقلان وبيت جبريل بناءً على طلب ابن السلار[٤]، وعندما رجع إلى مصر شهد إغتيال الوزير ابن السلار من قبل ناصر الدين نصر بن عباس بن أبي الفتوح بن تميم بن باديس، بتحريض من الظافر الفاطمي، وإقامة عباس بن أبي الفتوح (والد نصر) مكانه في الوزارة سنة (٥٤٨هـ/١١٥٣م)[٥].

وكان أسامة قلقاً من الخليفة الظافر إلى أن اغتيل الخليفة على يد نصر بن عباس بتحريض من أبيه[٦] .

(د)- علاقته مع الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي:

بعد قتل الخليفة الظافر خرج أسامة من مصرَ هارباً إلى دمشق، واتصل بخدمة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي، وتأكدت المودة بينهم من خلال عدة مواقف، منها: ما فعله الملك العادل من أخذ أمان ملك الصليبيين لأهل أسامة أثناء سيرهم في البر

(١) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص٣٠، ٣١ .

(٢) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص٣١ .

(٣) **ابن منقذ** : الاعتبار ، ص، ٣٣، وسيأتي الحديث عن هذه المهمة فى سفاراته.

(٤) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٥) **ابن منقذ** : الاعتبار ، ص٤١. وأكدت معظم المصادر أن أسامة هو الذي أشار بقتل ابن السلار ، أما أسامة فأنكر ذلك فى كتابه. انظر : **ابن الطوير** : نزهة المقلتين فى أخبار الدولتين ، ص ٧٢. **ابن الأثير** : الكامل ، ج٩ ، ص ٤٣٧ . **المقريزي** : اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٠٨.

(٦) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص٣٨ ، ٣٩ . وقد أشارت بعض الدراسات على أن هناك اتفاق تم بين الخليفة الظافر وأسامة للتآمر على ابن السلار، وعمل خطة محكمة لقتله، وعلى ذلك فأسامة ضلع فيها؛ لإقترابه من كل المشتركين في الحادث، وهم: الخليفة، وابن السلار، وعباس، وابنه. انظر: **عطا عبد الرحمن محيي الدين:** على ابن السلار الوزير فى الدولة الفاطمية (٥٤٤-٥٤٨هـ/ ١١٤٩-١١٥٣م)، مجلة التربية والعلم، العراق، مج (١٦)، عدد(٤)،٢٠٠٩م، ص ٥٦ .

والبحر، عندما أقلعوا من دمياط مبحرين في بطسة[١] من بطس الصليبيين [٢]، وأيضاً عندما كان أسامة مشغولاً بأمر خلاص أخيه أبي عبد الله محمد بن مرشد من أسرهم، وكتب إلى ابن عمه محمد بن سلطان، وكان أمير شيزر في ذلك الوقت، ولم يجبه، وقدّر الله أن يكونَ خلاصه على يد الملك العادل نور الدين فوهبه فارساً من مقدمي الداوية، يقال له: "المشطوب"، وقد دفع الصليبيين فيه عشرة آلاف دينار، فاستخلص به أخاه من الأسر [٣].

(هـ)- علاقته مع الصالح طلائع بن رزّيك:

ظل أسامة في رعاية نور الدين، وحضر أسامة معه العديد من مشاهد الصيد[٤]، وكانت رسائل طلائع بن رزيك وعطاياه تتردد إليه لما بينهما من المودة والصداقة، فكل منهما يُكن لصديقة التقدير والاحترام، وكان طلائع بن رزّيك كثيراً ما يوسط أسامة بينه وبين نور الدين محمود بن زنكي لتوحيد جهودهما ضد الصليبيين، وكانت مراسلاتهما شعراً، يتبادلان فيه الشوق والولاء، ويتقارضان الثناء، ويعربان من خلاله عن مقاصدهما، وما قاله أحدهما في الاخر مدوّن في ديوان كل منهما [٥].

وعندما خرج أسامة من مصر، وعجز عن حمل أهله، أرسلهم إلى صديقه بن رزيك فأحسن اليهم، وأنزلهم في داره، ووفر لهم ما يحتاجونه[٦]، وعندما وصل الى دمشق كاتبه لإرسالهم إليه .

وفى سنة (٥٥٢هـ/١١٥٧م) كتب الصالح بن رزّيك إلى أسامة يعزيه في قومه الذين هلكوا في الزلزلة فى قصيدة مطلعها :

---

(١) **البُطْسَة:** هي نوع من أنواع المراكب البحرية الكبيرة. وجمعها: بطس، وقد عرفها العرب المسلمون منذ بداية العصر الإسلامي، واستعملوها في الحروب البحرية والأعمال التجارية، وعدد أشرعتها أربعون شراعاً، تحمل على متنها ما يزيد عن ألفين وخمسمائة شخص. **مصطفى عبد الكريم الخطيب:** معجم المصطلحات والألقاب التاريخية،، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص ٨١ .

(٢) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص ٥٦. **حسين أحمد أمين** : الحروب الصليبية في كتابات المؤرخين العرب المعاصرين لها، ، ص ١٠٨،١٠٩. **حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وشعره، ج١، ص١١٤ .

(٣) **ابن منقذ** : الديوان، ص٣٠٧. **حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وشعره، ج١، ص١١٦.

(٤) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص ٢٠٦ .

(٥) **أحمد قدري الكيلاني:** أسامة بن منقذ ، ص ١٠٤ .

(٦) **ابن منقذ** : الاعتبار ، ص ٤٨، ٤٩ .

بابى شخصك الذى لايغيبُ عن عيانى فهو البعيدُ القريبُ

ومنها : فاحتسب ما أصاب قومَك مجد الدين واصبر فالحادثات ضروبُ[1]

وخير دليل على قوة الصداقة بينهم، تسديد طلائع بن رزيك لديون أسامة بعد خروجه من مصر، فقد كان لأسامة على ديوان الصناعة قبل أيام طلائع بن رزيك في كل سنة خروج كتان بمائة دينار، فأحال بها تجاراً من أهل الشام عن ثمن كسوة قبضها منهم، وتمادى مقامهم في الديار المصرية الى أن خرج منها، فمُنِعوا من الإطلاق ووصلوا الى الشام، ولم يقبضوا مما لهم في جهته شيئا، فسألوه في رقعة يرفعونها الى طلائع بن رزيك، فكتب اليه مطالعة، ضمنها هذه الابيات، وأولها :

يُلَطُّ بالدَّيْنِ مَنْ مولاه مُسْلِمُه حتى يُخَلِّصُه السلطان والحَكَم

لكنّ مولاي يقضى ما استدنت به يلقى سؤالي منه الصد والسأم

فكفه البحر لكن موجه بدر وجوده الغيث لكن وبله نعم

فأمر طلائع بتجديد التوقيع ووفاء التجار، وتخليد التوقيع في الدواوين واستمرار الاطلاق، وكتب اليه هذه القصيدة، وأولها :

أقسمتُ بالجودِ منا إنه قسمٌ وبالمودة منكم إنها رحمُ [2].

(و)- علاقته بالسلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي:

من أصحاب السلطة والحكم الذين اتصل بهم أسامة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى إذ كان بينه وبين أسامة صداقة ومودة، منذ أن كانا معاً في بلاط نور الدين محمود زنكي، وكان ولده عضد الدين جليس صلاح الدين وأنيسه، وقدكتب ديوان أبيه لصلاح الدين، وكان لشغفه به يفضله على جميع الدواوين[3]، وكان بسببه، وبحبه للشعراء، وبمحادثات ابنه عنه وعن أخباره أن تمنى لقياه، وفى سنة (٥٧٠هـ/١١٧٤م) حين عادت دمشق إلى حكم الملك الناصر صلاح الدين أن استدعاه إليها، وهو شيخ قد

(١) **طاهر النعساني** : أسامة بن منقذ، مجلة المجمع العلمي العربي، سوريا، مجلد(١٠)، الجزء(٥)، ١٩٣٠م، ص ٣١٢ . والبيتين من بحر الخفيف .

(٢) **أحمد قدرى الكيلاني** : أسامة بن منقذ ، ص ١٠٧

(٣) **أبو شامة:** الروضتين، ج٢، ص ٢٨٦ .

جاوز الثمانين[١]، وانتقل أسامة من حصن كيفا إلى دمشق، فأنزله أرحب منزل، وأورده أعذب منهل، وملكه من أعمال المعرة ضيعة زعم أنها كانت قديماً ضمن أملاكه، وأعطاه بدمشق داراً، وإذا كان السلطان بدمشق جالسه وآنسه، وذاكره فى الأدب ودارسه، وكان أسامة ذا رأي وتجربة، وحنكة مهذبة، فكان صلاح الدين يستشيره في نوائبه، ويستنير برأيه فى أموره، وإذا غاب عنه السلطان منشغلاً بغزواته كاتبه وأعلمه بكل شئ تم أثناء سفره[٢].

وما أدل على علاقة الصداقة بينهما ما أنشده أسامة بعد اجتماعه بصلاح الدين فى دمشق سنة (٥٧٠هـ/١١٧٥م)[٣]:

حمدت على طول عمري المشيبا وإن كنت أكثرتُ فيه الذنوبا

لأنـي حييتُ إلي أن لقيتُ بعد العَدوِّ صديقاً حبيبا

وقال أيضاً: "وكنت أسمع بفضله، وأنا بأصبهان في أيام الشبيبة "[٤]، وكان أسامة جليسه ونديمه وأنيسه، فتارة يلعبان الشطرنج [٥]، وتارة يجلسان يتناشدان القصائد، قال العماد الأصفهاني[٦]: " كنا حضرنا عند الملك الناصر ليلة بدمشق سنة إحدى وسبعين، والأمير مؤيد الدولة حاضر ، وتناشدنا مُلَح القصائد ، ونشدنا ضالة الفوائد،، وجرى حديث اقتضى إنشاد الأمير أسامة بيتين لبعضهم في المشط الأسود والمشط الأبيض هما ..." .

ولم يزل السلطان صلاح مشغوفاً بذكره، حتى رجع إلى مصر سنة (٥٧٢هـ/١١٧٧م)، فكان أسامة في حالة البعد يراسله ويمدحه، ومن ذلك قصيدة أرسلها إليه، ذكرها العماد الأصفهانى قائلاً[٧]: " وصلت من أسامة مكاتبة إلى الملك الناصر

---

(١) **ياقوت الحموي:** معجم الأدباء ، ج٢ ، ص ٥٧٣.

(٢) **أبو شامة:** الروضتين ، ج٢ ، ص ٢٨٦ .

(٣) **أبو شامة:** الروضتين ، ج٢ ، ط الرسالة، ص ٤٣٣ . والبيتين من بحر المتقارب.

(٤) **أبو شامة:** الروضتين ، ج٢ ، ط الرسالة، ص ٤٣٣ .

(٥) **العماد الأصفهاني:** الخريدة، ج١، قسم شعراء الشام، ص ٥١٥ . **ياقوت الحموي:** معجم الأدباء، ج٢، ص٥٧٧.

(٦) الخريدة، ج١، قسم شعراء الشام، ص ٥٦٨ . وانظر أيضاً: **ياقوت الحموي:** معجم الأدباء، ج٢، ص٥٩٧.

(٧) الخريدة ، ج١ ، قسم شعراء الشام ، ص٥٤٥. والأبيات من بحر البسيط.

صلاح الدين الأيوبي في صفر سنة اثنتين وسبعين، فقال لي القاضي الفاضل: خذها وأوردها في الخريدة والجريدة وهى:

لازلتَ ياملـــكَ الإسلامِ فـي نِعَمٍ   قرينُها المسْعدان : النصرُ والظفرُ

تردى الأعادي وتستصفِي ممالكَهُم   وعونُك الماضيان: السيفُ والقدرُ

فأنت إسكنـدرُ الدنيـا بنوركَ قـد   تضاءلَ المظلمان: الظُّلم والضَّررُ"

وقوله في مدحه قصيدة، كتب بها إليه بعد مصاف عسقلان(١):

تَهَنَّ يـــا أطـــول الملـوك يـدا   فى بسط عدل وسطوة وندى

أجراً وذكراً من ذلك الشكر في الدْ   دُنْيـا ومن ذلــك الجِنان غدا

لاتستقلَّ الـذي صنعت فقـــدْ   قمت بفرض الجهاد مجتهدا

وجست أرض العِدى وأفنيت من   أبطـالهم ما يجــاوز العـددا

(ز)– علاقته بالمجتمع الصليبي:

أما بالنسبة لعلاقة أسامة بأصحاب السلطة والحكم في المجتمع الصليبي؛ فقد نشأت بين المسلمين عامة والصليبيين علاقات اجتماعية بسبب الاحتكاك والاتصال بين الطرفين في أوقات السلم، ووضح لنا أسامة نمطان من هذه العلاقات: الأول قام بين الصليبيين والمسلمين الذين لم تخضع ديارهم لسيطرة الغزاة، والثاني نشأ بين الصليبيين والمسلمين في البلاد المحتلة، وكان النمط الأول من هذه العلاقات يقوم بين القادة وكبار القوم من الطرفين، وغالباً ما يتخذ صورة المجاملة والصداقة، وهو محكوم بتحقيق المصالح من ناحية، وبميزان القوى من ناحية ثانية، ولذلك كان عرضة للتبدل والتغير(٢)، وهذا النمط ينطبق على علاقة أسامة بأصحاب السلطة والحكم من الصليبيين ولذلك تأرجحت العلاقة بينهم، فتارة تكون علاقة عداء عندما تشتعل الحربُ، فيخوض معهم معارك حامية، وتارة علاقة سلم حين تضع الحربُ أوزارها، ويحدث بينهم صلح فيكون له

---

(١) **أبو شامة:** الروضتين ، ج٢ ، ط الرسالة، ص ٣٤٤. والأبيات من بحر المنسرح .

(٢) **شفيق محمد الرّقب ومحمد نايف العمايرة** : مظاهر العمران الإجتماعى في بلاد الشام من خلال كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ، ص١٥٨ .

منهم الصديق، ويرقب حياتهم، ويسجل ملاحظات مختلفة عن معاشرتهم ونظمهم ومعارفهم(١) .

فعلى سبيل المثال كانت تربط بين دنكرى (تانكرد)- أمير أنطاكية- وبين أسامة وعمه عز الدين بن منقذ علاقة شخصية تأرجحت بين العداء أثناء الحرب، والصداقة في أثناء الصلح أو الهدنة، كما جاء على لسان ابن منقذ، فقال: " وكان نزل علينا دنكرى، وهو أول أصحاب أنطاكية بعد ميمون، فقاتلنا ثم اصطلحنا. فنفذ يطلب حصاناً لغلام لعمي عز الدين رحمه الله، وكان فرساً جواداً، فنفذه له عمي تحت رجل من أصحابنا كردي ...، ومضى على هذا سنة أو أكثر، وانقضت مدة الصلح، وجاءنا دنكرى في عسكر أنطاكية فقاتلنا عند صور المدينة ..." (٢).

ويفهم بداية فقرة من كلام أسامة أن هناك صلح تم إثر قتال بين الطرفين، ومدة هذا الصلح سنة أو أكثر، تبادلوا فيه المجاملات وقضاء المصالح.

وفي موضع آخر يقول: " فجاءنا بعد أشهر كتاب دنكرى صاحب أنطاكية مع فارس معه غلمان وأصحاب، يقول: هذا فارس محتشم من الإفرنج، وصل حج، ويريد الرجوع إلى بلاده، وسألني أن أسيره إليكم يبصر فرسانكم، وقد نفذته، فاستوصوا به..." (٣).

أما عن صور العداء وهجماته المتكررة على شيزر؛ فمتعددة الأشكال والمواقف، وذكرها ابن منقذ فى كتاب الاعتبار بشكل مفصل(٤).

---

(١) **شوقي ضيف**: الترجمة الشخصية ، ٩٣.

(٢) **ابن منقذ** : الاعتبار ، ص ٨٨ .

(٣) **ابن منقذ** : الاعتبار ، ص٩١ . ومما يؤكد علاقة الصداقة بين تانكرد (صاحب أنطاكية)، وأبو العساكر سلطان (صاحب شيزر) ما ذكره رنسيمان عن تلقي تانكرد وعوداً بالمساعدة من قبل أميري شيزر وحماة، للاستيلاء على أفامية سنة (١١٠٦م/٥٠٠هـ)، وحصارها بعد مقتل خلف بن ملاعب. **ستيفن رنسيمان:** تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة: نور الدين خليل، ج٢، مملكة القدس والشرق الفرنجي(١١٠٠-١١٨٧م)، مكتبة الشروق، القاهرة، ص ٨١ .

(٤) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص ٨٨- ٩٣، ١١٩ .

وعندما تولى بلدوين الثاني حكم إمارة أنطاكية بعد مقتل روجر توطدت العلاقة بينه وبين بني منقذ[1] بسبب علاقة ود كانت لوالد أسامة وعمه عليه، وأصبحت العلاقة بينهم قوية إلى حد جعل أسامة يقول: " وصار أمرنا في أنطاكية نافذاً "[2]، وعلى ما يبدو أن ما فعله بنو منقذ مع بلدوين كان سبباً في ترابط العلاقات بينهم وبين الملك فولك (ملك بيت المقدس) لأن: " بغدوين الملك والد الملكة امرأة الملك فلك بن فلك "[3]، وأن هذه العلاقات أهّلت أسامة لأن يسعى في الصلح بين أمير دمشق جمال الدين محمد بن تاج الملوك بوري، وبين هذا الملك، وأن يتردد في السفارة بينهم[4].

وقد أتاحت الزيارات المتكررة التى قام بها أسامة الى بيت المقدس أن يتجول فيها ويخالط الصليبيين، ويقيم علاقات صداقة مع بعض فرسانهم، فقد ذكر أسامة أن أحدهم لازمه، وأنس به، وانعقدت بينهما مودة، وصار الفارس يدعوه " أخي"، وكذلك فقد وصلت الصداقة بينهم إلى درجة أن يطلب منه أن يرسل معه ابنه "مرهف" وكان صغير السن إلى أوروبا لكى يرى الفرسان، ويتعلم العقل والفروسية هناك [5].

---

(١) ومما يدل على علاقة الصداقة بين بنو منقذ وبلدوين الثاني هي تلك المعاهدة التي أبرمها معهم بعد توليه حكم أنطاكية بعد موت روجر، ويعفيهم فيها من دفع الجباية السنوية التي سبق أن طلبها منهم روجر. **ستيفن رنسيمان:** تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة: نور الدين خليل، ج٢، ص١٨٦.

(٢) **ابن منقذ** : الاعتبار ، ص ١٤١ . حيث أسر بلدوين الثاني (ملك بيت المقدس) على يد بلك بن بهرام سنة (٥١٧هـ/١١٢٣م)، وبعد عدة شهور قتل بلك في إحدى المعارك، وانتقل ما تحت يده لابن عمه تمرتاش بن إيلغازي، فقرر إطلاق صراح الملك بلدوين مقابل الحصول على المال، وتوسط أبو العساكر سلطان بن منقذ –عم أسامة– بين تمرتاش والقادة الصليبيين، وتم الإتفاق على إطلاق صراحه مقابل فدية مائة ألف دينار، وتسليم بعض القلاع، مثل: الأثارب، وكفر طاب، وعزاز إلى تمرتاش . **محمود سعيد عمران:** القادة الصليبيون الأسرى في أيدي الحكام المسلمين (٤٩٣–٥٣١هـ/١١٠٠–١١٣٧م)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٥١– ٦٧ . **مسفر بن سالم عريج الغامدي:** الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي قبل قيام الدولة الأيوبية في مصر (٤٩١–٥٦٩هـ/١٠٩٧–١١٧٣م)، ط١، دار المطبوعات الحديثة، جدة، السعودية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٩٧ .

(٣) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص ١٠٣.

(٤) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص ١٠٣، ١٠٤ .

(٥) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص ١٥١ . **شفيق محمد الرِّقب ومحمد نايف العمايرة** : مظاهر العمران الإجتماعي في بلاد الشام من خلال كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ، ص١٥٨.

كما أقام أسامة صداقات مع فرسان الداوية[١] الذين قال عنهم في بعض المواضع من كتاب: الاعتبار" أصدقائي "، وكان إذا زار بيت المقدس، وأراد أن يدخل المسجد الأقصى ليصلي، فكان فرسان الداوية يخلون له مكاناً ليصلى فيه، وإذا هجم عليه أحد من الصليبيين أخذوه، وأبعدوه عنه حتى ينتهي من صلاته[٢] .

حادي عشر : سفاراته :-

من خلال سماته الشخصية، ودوره الملحوظ في توثيق العلاقات بين المسلمين وغيرهم، وبين الصليبيين وغيرهم، كان لأسامة دور مهم في ذلك المجال. وقد اشتهرت سفاراته المتعددة بين مدن وحواضر الدولة الإسلامية:

(أ)- سفارات أسامة لدى البوريين فى دمشق:

بعد دخول أسامة دمشق سنة (٥٣٢هـ/١١٣٧م)، قربه أُنر- وزير الأتابكة البوريين- إليه، وأصبح يتبوأ مكانه سامية في بلاط دمشق، الأمر الذى حمل أنر على اللجوء إليه في المواقف والأزمات التى تعرضت لها دمشق، وشاءت الأقدار أن يرسله إلى بيت المقدس لأول زيارة لها سنة (٥٣٢هـ/١١٣٧م)، وذلك لبحث إمكانية تعاون دمشقي صليبي ضد عماد الدين زنكي(حاكم حلب)[٣]، وقد قال أسامة فى كتابه العصا " زرت

---

(١) هيئة **فرسان الداويّة** (Templars) التي أسسها في الأصل فرسان هيو دي باين، وجودفري السانت أوميري، في عام (٥١٢هـ/١١١٨م)، وقد قامت الهيئة في الأصل لحماية الطريق الواقع بين يافا والقدس بسبب خطورته، وهؤلاء الفرسان من أشد العناصر الصليبية عداءً للمسلمين، وشاركت في العديد من المعارك الحربية التي وقعت بين المسلمين والصليبين. وذكر ياقوت أنهم قوم من الصليبيين يحبسون أنفسهم لجهاد المسلمين، ويمنعون أنفسهم من النكاح وغيره، ولهم أموال وسلاح، ويستخدمون القوة، ولا ولاء لأحد عندهم سوى البابا. **وليم الصوري:** الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٤٥-٣٤٧. **ياقوت الحموي:** معجم البلدان، ج٢، ص٢٦٤. **ستيفن رنسيمان:** تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة: نور الدين خليل، ج٢، ص١٨٩ . **محمد مؤنس عوض:** الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ص١٢١،١٢٢ .

(٢) **ابن منقذ** : الاعتبار ، ص١٥٣، ١٥٤ .

(٣) **أمين معلوف:** الحروب الصليبية كما رآها العرب، ترجمة: عفيف دمشقية، دار الفارابى، بيروت، ١٩٩٨م، ص ١٦٧. **ستيفن رنسيمان:** تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني، ج٢، ط٣، القاهرة،١٩٩٣، ص ٣٦٥.

القدس فى سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة " [1]، وبتطور الأحداث استلزم الأمر قيام سفارة أخرى إلى الوزير الفاطمي الذى خرج من مصر وقتئذ.

وتفصيل ذلك: أنه بعد مقتل الأتابك شهاب الدين بن تاج الملوك بوري(حاكم دمشق) على يد خدمه[2] يوم الجمعة ٢٣ شوال سنة (٥٣٣هـ/١١٣٨م) أرسل إلى أخيه، الأمير جمال الدين محمد بن تاج الملوك (صاحب بعلبك)، فبادر بالوصول الى دمشق، وتسلم منصب أخيه، وعقد الأمر له، وعندما علمت الخاتون صفوةالملك زمرد – والدة الأمير شهاب الدين–، حزنت عليه، وراسلت عماد الدين زنكي (أتابك الموصل)، وأعلمته بالحال، وطلبت منه الثأر لابنها، فرأى عماد الدين الفرصة قد سنحت له بضم الشام عن طريق الإستيلاء على دمشق، وبالفعل نزل على بعلبك يوم الخميس٢٠ ذى الحجة من السنة نفسها، وكان يتولى حكمها معين الدين أنر، فنصب عماد الدين عليها المنجانيق، وضيّق عليهم الخناق، حتى سلم أهلها البلد بعد أخذ الأمان لهم، إلا أنه نقض العهد والأمان، وأمر بصلبهم، ولم يفلت منهم إلا من حماه الله[3] .

وراسل عماد الدين زنكى رضوان بن ولخشي(الوزير الفاطمى) الذي كان في طريقه إلى دمشق، هرباً من ثورة الجند عليه[4]، من أجل تقوية موقفه، وأغراه بالإنضمام إليه،

---

(١) العصا، ص٢٣٤ . **عبد السلام هارون** : نوادر المخطوطات ، كتاب العصا لابن منقذ ،ج ١، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص١٩٥.

(٢) **شهاب الدين بن تاج الملوك:** أبو القاسم محمود بن بوري بن طغتكين، ولي إمرة دمشق بعد مقتل أخيه إسماعيل، الملقب بشمس الملوك، وكانت أمه المعروفة صفوة الملك زمرد الغالبة على أمره، والمدبرة له إلى أن تزوجها أتابك زنكي بن قسيم الدولة، وخرجت إلى حلب، فكان المدبر له بعد خروجها بمعين الدين أنر، أحد مماليك جده طغتكين، وابتداء ولايته في شهر ربيع الآخر سنة (٥٢٩هـ/١١٣٤م)، وكانت الأمور في أيامه تجري بشكل جيد إلى أن وثب عليه جماعة من خدمه، فقتلوه سنة (٥٣٣هـ/١١٣٨م)، وكتب إلى أخيه محمد بن بوري (صاحب بعلبك)، فقدم وتسلم القلعة والبلد، ولم ينازعه أحد. **ابن عساكر**: تاريخ دمشق، ج٥٧، ص١٠٣، ١٠٤. **الذهبي:** سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص٥٠ .

(٣) **ابن القلانسي:** تاريخ دمشق، ص٤٢٢، ٤٢٣ . **ابن واصل:** مفرج الكروب، ج١، ص٨٦ .

(٤) عن هذا الخلاف. انظر: **المقريزي:** اتعاظ الحنفا، ج٣، ص١٣٧-١٤٠، وحوادث سنة(٥٣٠، ٥٣١هـ) ص١٥٧-١٧٣، وحوادث سنة(٥٣٢هـ) ص١٨٢-١٨٤ . **ثناء عبدالعظيم عبد العزيز:** رضوان بن ولخشى وزير سني في خلافة شيعية، ص٢٤-٣٥ . **محمد سالم بن شديد العوفى:** الحركة الصليبية وأثرها في

وبالفعل استجاب الوزير الفاطمي، ومال إلى مساندة زنكي، وفي ذلك الوقت كان معين الدين أنر يترقب الأحداث، وعندما رأى الوضع الراهن سينبئ بعواقب وخيمة، إذ كان عماد الدين زنكي يحاصر بعلبك، وفى نفس الوقت علم بخروج الأمير الأفضل رضوان بن ولخشي من مصر، ووصوله إلى صرخد عند أمين الدولة كمشتكين الأتابكى واليها الذي أكرمه، وأحسن ضيافته، فخشي معين الدين أنر من اتصال زنكى برضوان، وأدرك خطورة هذا التحالف على وضعه الداخلي، فسعى لإفشاله، فأرسل أسامة بن منقذ إلى رضوان الولخشي ليقنعه بالعدول عن الانضمام إلى هذا التحالف[١] .

ولم تذكر المصادر أي معلومات عن ذلك؛ غير ما أورده ابن منقذ، إذ يقول: " فقال لي الأمير معين الدين رضي الله عنه: هذا الرجل إن انضاف إلى أتابك، دخل علينا منه ضرر كثير، قلت: فأي شيء ترى؟ قال: تسير إليه لعلك ترد رأيه عن قصد أتابك، ويكون وصوله إلى دمشق، وأنت ترى فيما تفعله في هذا رأيك. فسرت إليه إلى صلخد "[٢].

وبيّن أسامة سبب هذه السفارة والغاية منها، وهو خوف أنر من اتصال عماد الدين برضوان الولخشي، فيمثل ذلك خطراً كبيراً على دمشق، ولذلك ذهب أسامة إلى رضوان، واجتمع به، وبأخيه الأوحد، محاولاً اقناعه بعدم التحالف مع عماد الدين، فما كان من رضوان إلا أن قال له: " فرط الأمر مني، ورهنت قولي عند هذا السلطان بوصولي إليه، ولزمني الوفاء بقولي "[٣].

ويبدو أن أسامة عرض على رضوان العدول عن مخططه، والعودة إلى مصر، أو أن يأتي إلى دمشق، ودار بينهما حديث مفاده أن عماد الدين زنكي ليس بحاجة إليه،

تطور العلاقات بين مصر والشام في الفترة (٤٩٠-٥٥٤هـ/١٠٩٦-١١٥٩م)، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، العدد (٨)، ص ٣٢ .

(١) **ابن منقذ** : الاعتبار ، ص٥٣ .

(٢) **ابن منقذ**: الاعتبار ، ص٥٣ .

(٣) **ابن منقذ**: الاعتبار ، ص٩١ . **محمد سالم بن شديد العوفي** : الحركة الصليبية وأثرها في تطور العلاقات بين مصر والشام ، ص ٣٣.

ولديه من القوات ما يكفي، وأنه سوف يرهقه هو ومن معه من القوات؛ بسبب كثرة تنقله في البلدان، التي يطمع في ضمها إليه [١].

ويبدو أن أسامة استطاع أن يؤثر على رضوان الولخشي، ويقنعه بالعدول عن رأيه في الانضمام لعماد الدين، ففكر فى كلام أسامة، وسأله عما يفعل؟ وبعد محاورات أجابه أسامة بأن وعده إن عدل عن ذلك، وجاء إلى دمشق سيجعل له " ثلاثون ألف دينار، نصفها نقد ونصفها إقطاع، ويكون له دار العقيقي يقيم بها، ويخرج لأصحابه الذين معه مرتبات ثابتة من الديوان، وتم توثيق ذلك في كتاب[٢].

رجع أسامة إلى دمشق بعد أن ودّع رضوان، وتقرر هذا الاتفاق، ولكن صاحب صرخد كان يأمل فيما سبق أن وعده به رضوان إن هم وصلوا مصر، وآل الأمر له، ولذلك رغّب لرضوان الرجوع إلى مصر، فجمع له من قَدَر عليه، وسيره إلى مصر، وما إن وصل حدود مصر سنة (٥٣٤هـ/١١٣٩م) غدر به الذين كانو معه من الأتراك، فثاروا عليه، ونهبوا متاعه، وعندما راسل الخليفة الحافظ لدين الله، وطلب منه الأمان، أجابه إلى ذلك، لكنه ما لبث أن غدر به، وحبسه هو وولده. وعندما هرب من الحبس سنة (٥٣٩هـ/١١٤٤م) كان قتله على يد الجند السودان بوشاية من الخليفة الفاطمي[٣].

وبهذا يكون أسامة قد نجح فى تحقيق الهدف والغاية من هذه السفارة، وهو قطع الاتصال بين رضوان والأتابك عماد الدين، وهذا كان المقصد من هذه السفاره، الأمر الذي يدل على شخصية أسامة السياسية والدهاء والحنكة في التعامل مع هذا الموقف، انظر إلى كيفية تعامله، وطريقة إقناعة لشخصية لها وزنها السياسى مثل رضوان، ومن هنا تعززت مكانة أسامة عند معين الدين أنر، مما يمكن معه القول بأنه أصبح السفير الدبلوماسي لديه، الأمر الذي مما أهّله لإنجاز سفارة أخرى لدى الصليبيين.

(١) **ابن منقذ** : الاعتبار ، ص٥٤ .

(٢) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص٥٤ .

(٣) **ابن تغري بردي:** النجوم الزاهرة، ج٥، ص٢٨١ . وعن مقتل رضوان بمصر. انظر: **ابن القلانسي:** تاريخ دمشق، ص٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٧ . **المقريزي:** اتعاظ الحنفا، ج٣، ص١٧٣ وما بعدها . **ثناء عبدالعظيم عبد العزيز:** رضوان بن ولخشى وزير سني فى خلافة شيعية، ص٣٦-٣٨ .

وبعد أن فرغ أتابك زنكي من ترتيب أمر بعلبك فى ربيع الأول سنة (٥٣٤هـ/١١٣٩م)، شرع بعد ذلك فى التأهب للنزول إلى مدينة دمشق، ونزل إلى البقاع، وراسل الأمير جمال الدين محمد بن تاج الملوك بوري في تسليم البلد، فلم يجبه، فنزل من البقاع إلى داريا[١]، والتحم ببعض طلائع العسكر، وهزمهم، شرع جمال الدين في تسليم البلد إليه إلا أنه خاف أن يحدث في دمشق مثلما حدث في بعلبك، فعدل عن ذلك، وراسل الصليبيين للاتفاق معهم على مؤازرته في دفع خطر عماد الدين زنكي عنه[٢]، والذي أشار إليه أسامة بقوله: " كنت أتردد إلى ملك الإفرنج فى الصلح بينه وبين جمال الدين محمد بن تاج الملوك "[٣].

وبعد موت جمال الدين محمد بن بوري في شعبان (٥٣٤هـ/١١٤٠م)، أسرع أنر بتعيين ابنه مجير الدين أبق أميراً على دمشق، وقام بتدبير دولته في دمشق، فطمع عماد الدين زنكي في الاستيلاء على البلد، وزحف إلى دمشق ظناً منه أنه ربما يقع بين الأمراء اختلاف، فيسيطر هو على البلدَ، وراسل زنكي أنر لكنه خشي أن يفعلَ بهم زنكي مثل ما فعل في بعلبك، فراسل معين الدين أنر الصليبيين[٤].

اتفقت كثير من المصادر العربية على إرسال أنر إلى ملك بيت المقدس، ولكن لم يذكروا أي إشارة عن الرسول الذى أرسله أنر، ومن المصادر من يحكى خلاف ذلك، ويذكر أنه بعد موت جمال الدين محمد بن بوري في سنة (٥٣٤هـ/١١٤٠م)، رتّب أنر الأمور، وساس البلد، وأرسل إلى مجير الدين أبق بن محمد بوري، ورتبه في الملك، فاستقر الأمر على تمكين أنر، وحسن تدبيره، وعندما حاصر زنكي بعلبك، وملكها عنوة، عزم على العودة منها إلى دمشق، فجاءته رسل حاكمها تقدم فروض الولاء والطاعة، فوافقه

---

(١) **داريّا**: بتشديد الياء بعدها ألف، قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة، والنسبة إليها داراني على غير قياس. **البكري**: معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، ج٢، ص٥٣٩. **ياقوت الحموي**: معجم البلدان، ج٢، ص ٤٣١ .

(٢) **ابن القلانسي**: تاريخ دمشق ،ص ٤٢٤ ، ٤٢٥ . **مسفر الغامدي**: الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي قبل قيام الدولة الأيوبية في مصر، ص٢١٣ .

(٣) **ابن منقذ** : الاعتبار ، ص١٠٣ .

(٤) **ابن الأثير**: الكامل ،ج٩ ، ص٣١٣ . **ابن العديم**: زبدة الحلب، ص٣٢١، ٣٢٢ . **ابن واصل**: مفرج الكروب، ج١،ص ٨٦ . **ابن كثير**: البداية والنهاية ، ج١٦، ص٣٢٦ .

على ذلك وعاد عن قصد دمشق، وقد خطب له فيها، وصار حكامها من البوريين في طاعته وتحت حكمه(١) .

أرسل معين الدين أنر صديقه أسامة بن منقذ إلى الملك فولك (ملك بيت المقدس)(٢) لبحث إمكانية تعاون صليبي بوري ضد عماد الدين زنكى، وكان ذلك سنة(٥٣٢هـ/١١٣٨م)(٣)، ثم أرسله مرة ثانية سنة (٥٣٤هـ/١١٤٠م)، وعلل رنسيمان موقف أنر من ذلك بقوله: وربما كان معين " لديه مبررات دينية وسياسية؛ ما يحمله إلى التحالف مع الفرنجة "(٤) .

وعلل أسامة اختيار أنر له، فقال: " كنت أتردد إلى ملك الإفرنج في الصلح بينه وبين جمال الدين بن تاج الملوك ليد كانت للوالد على بغدوين الملك، والد الملكة امرأة الملك فولك " (٥)، حيث كانت هناك علاقة قوية بين والد أسامة وبين الصليبيين، وذلك عندما أسر بلدوين على يد نور الدولة بلك(٦)، وبعد موت بلك صار أمر بلدوين إلى حسام الدين تمرتاش بن إيلغازي، فحمله إلى شيزر، ليتوسط والد أسامة وعمه في بيعه، فأحسن بنو منقذ إليه، ولهذا حفظ بلدوين الجميل؛ فصارت علاقة صداقة بين شيزر وبيت المقدس، خاصة وأن بلدوين هو والد زوجة الملك فولك (ملك بيت المقدس)(٧).

ولعل اختيار أنر له بالإضافة إلى ما ذكره أسامة، يرجع إلى نجاحه في السفارة السابقة لدى الوزير الفاطمي رضوان بن ولخشي، ولذلك استعان به مرة ثانية في السفارة

---

(١) **أبو شامة** : الروضتين ، ج١ ، ص ١٦٤.

(٢) **الملك فولك:** ثالث ملوك بيت المقدس، توج ملكاً عليها في ٤ سبتمبر ١١٣١م، وكان فولك كونت تورين ومين وأنجو ثم زوّجه بلدوين ثاني ملوك بيت المقدس من ابنته "مليزند"، وكان أميراً قوياً سخياً، ثم مات في سنة(١١٤٢م) بعد أن وقع من على حصانه، وهو يطارد أرنباً . **انظر: وليم الصوري:** الحروب الصليبية، ج٣، ص٨٩ وما بعدها، ٢١٥ .

(٣) **أمين معلوف:** الحروب الصليبية كما رآها العرب، ص١٦٧ . **ستيفن رنسيمان:** تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: الباز العريني، ج٢، ص٣٦٥ .

(٤) **ستيفن رنسيمان:** تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: الباز العريني، ج٢، ص٣٦٤ .

(٥) **ابن منقذ** : الاعتبار ، ص ١٠٣ .

(٦) **نور الدولة بلك** بن بهرام بن أرتق أخي إيلغازي بن أرتق، قتل عام (٥١٨هـ/١٠٢٤م)، في أثناء حصار منبج، ودفن في حلب. **ابن العديم:** زبدة الحلب من تاريخ حلب، ص٢٨٤-٢٨٩ .

(٧) **ابن منقذ** : الاعتبار ، ص١٤٠، ١٤١ .

إلى بيت المقدس؛ لمعرفته بقدرة وكفاءة أسامة على الإقناع، وذلك بعد معرفته لأسامة سنوات، فضلاً عن مكانته كأمير من أمراء شيزر، وكان مؤهلاً يوما ما للحكم، كذلك كان من الشعراء المشهورين بفصاحة اللسان، وقوة البيان والحجه، وكان فارساً شجاعاً، وأن من أهم صفاته " أنه حلو المجالسة والفكاهة "، فهو رجل يصلح للمهام الصعبة، ولذلك تأكد من قدرته على إقناع االصليبيين بهذا التحالف والتعاون .

ذهب أسامة إلى الملك فولك بالقدس سنة (٥٣٤هـ/١١٣٩م) حاملاً مقترحات أوردها وليم الصوري، منها: تعهد أنر بدفع مبلغ (٢٠,٠٠٠) قطعة ذهبية كنفقات للحملة، وأن يرد إلى الصليبيين مدينة بانياس، وذلك بمجرد نجاحهم في إخراج عماد الدين زنكي وجيوشه من دمشق، وهي المدينة التي تم انتزاعها من الصليبيين قبل عامين، كذلك تعهد بأن يسلم عدد من كبار رجال دولته يتم الاتفاق عليه كرهائن لحين تنفيذ هذه الشروط [(١)].

اتجه الصليبيون شمالاً بقيادة فولك بناء على الاتفاق السابق ذكره؛ لنجدة حليفهم، أما زنكي فظل يراقب الموقفَ عن كثب، وفك الحصار عن دمشق حتى لا يقع بين فكي كماشة [(٢)].

وكان نتيجة ذلك الإتفاق أن أُنْقِذَت دمشق من الوقوع في يد عماد الدين زنكي، وتخلص أنر من خطره، وسار أنر بعد ذلك بجيش دمشق ومعه الجيوش الصليبية إلى بانياس، وملكها وسلمها لهم حسب الإتفاق[(٣)]، وبادر أنر وبصحبته أسامة بن منقذ بزيارة بيت المقدس وزيارة ملكها " فولك " في بلاطه بعكا، واحتفل الفرنجة باستقبالهما، وبالغوا فى إظهار التودد، والإخلاص لهما، ثم توجها إلى حيفا وبيت المقدس، واجتازا نابلس وطبرية فى طريق عودتهما إلى دمشق [(٤)]، وهذه كانت الزيارة الثالثة للقدس لأسامة، وقد

---

(١) **وليم الصوري:** الحروب الصليبية، ج٣، ص١٧٥. ولم تشر المصادر العربية كابن العديم وغيره إلى هذه الشروط سوى تسليم بانياس. انظر: **ابن القلانسي:** تاريخ دمشق ، ٤٢٦ . **ابن العديم:** زبدة الحلب في تاريخ حلب، ص٣٢١ .**ابن واصل:** مفرج الكروب ، ج١، ص ٨٨ .

(٢) **ابن القلانسي:** تاريخ دمشق، ص ٤٢٦ . **ابن العديم:** زبدة الحلب في تاريخ حلب، ص٣٢٢ . **ابن واصل:** مفرج الكروب ، ج١، ص ٨٨ .

(٣) انظر تفاصيل استيلاء أنر على بانياس وتسليمها للصليبيين. **ابن القلانسي:** تاريخ دمشق، ص ٤٢٦، ٤٢٧. **ابن العديم:** زبدة الحلب في تاريخ حلب، ص٣٢٢ . **ابن واصل** : مفرج الكروب ، ج١، ص ٨٨ .

(٤) **ستيفن رنسيمان** : تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني، ج٢، ص ٣٦٧ .

وصف في كتابه ما شاهده من عادات وأخلاق الصليبيين، وتقاليدهم في الحكم وحياتهم الاجتماعية، ولهذا يعد كتاب الاعتبار وثيقة علمية.

مما سبق نستطيع أن نقول أن أسامة غدا سفيراً لدمشق في القضايا السياسية وخاصة المتصلة بالعلاقات مع الصليبيين، ولم يقتصر عمله فقط على المفاوضات الدبلوماسية فقط؛ بل كان ذا فكر ثاقب، نقل لنا مظاهر الحياة الحضارية للصليبيين في بيت المقدس من خلال زياراته الثلاثة لبيت المقدس.

(ب)- سفارة أسامة لدى الفاطميين فى مصر :

بعد أن استقرت الأمور لابن السلار في مصر، وتولى الوزارة، ولقّب بـ " الملك العادل سيف الدين"[١] سنة (٥٤٤هـ/ ١١٤٩م) ،عمل على تقوية الجيش، واهتم بتحصين عسقلان وتجريد الأبدال إليها[٢]، وأمر أسامة بن منقذ بالتجهز للمسير إلى الملك العادل نور الدين محمود لينضم إليه، ويهاجم طبرية، وبذلك يشغل الصليبيين حتى يتمكن المصريون من جهتهم من مهاجمة الصليبيين في غزة التي كانوا قد أخذوا في تحصينها؛ تمهيداً لمحاصرة عسقلان، وزوده بستة آلاف دينار مصرية، وما يلزمه من المؤن[٣]،

(١) تعددت الألقاب التي أطلقت على " الوزير" في الحضارة الإسلامية، فتارة كان يسمى " كاتب"، أو " صاحب"، ولشدة سيطرة الوزراء في الدولة الفاطمية أطلق عليه لقب " ملك " أو كان أول من سمي بذلك الوزير رضوان بن ولخشي، ثم صار يطلق على كل وزراء هذا العصر. القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص٤٧٥ .

(٢) **الأبدال:** هو تجريد مجموعة من الجنود من مصر كل ستة شهور إلى عسقلان، وهي تابعة للخلافة المصرية الفاطمية. وكان يتراوح عددهم في حال القلة من ثلاثمائة إلى أربعمائة فارس، وفي حال الكثرة من خمسمائة إلى ستمائة، ويقدم على كل مائة فارس منهم أميراً، ويسلم لأمير المقدمين الخريطة، وهذا اسم لحمل أوراق العرض من الديوان بالقاهرة، ليتفق مع والي عسقلان على عرضهم بمقتضاها، ويصدر التعريف من كاتب الجيش هناك إلى الديوان بالقاهرة بذلك، ثم يسلم إليه مبلغ من المال لينفقه فيمن فاتته نفقة المعونة للسفر إلى عسقلان؛ لأن نقباء الطوائف يجردون الناس حضروا، أو غابوا في ضمانهم، فمن العسكر من يسافر من إقطاعه من غير حضور في القاهرة، ويأخذ صاحب الخريطة أوراقاً بمن سافر من إقطاعه، ليوصل له المعونة، وكان للأمراء مائة دينار، وللأجناد ثلاثون. انظر: **ابن الطوير**: نزهة المقلتين فى أخبار الدولتين، ص٤١، ٤٢. **أيمن فؤاد سيد**: الدولة الفاطمية فى مصر تفسير جديد، طبعة الدار المصرية، اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٢م، حاشية رقم(١١)، ص ٢٠٩ .

(٣) **ابن منقذ**: الاعتبار ، ص٣٣، ٣٤ . **حسن عباس**: أسامة بن منقذ حياته وشعره، ج١، ص١٠١ .

وبذلك يعتبر ابن السلار أول من حاول عقد اتفاق مع نور الدين محمود (أمير حلب) لعمل جبهة موحدة في مواجهة الصليبيين، وقد كان ذلك سابقاً لأوانه، فقد كان نور الدين يتطلع إلى الاستيلاء على دمشق(1).

وكان الباعثُ على هذه السفارة هو إحياء التعاون العسكري بين القاهرة وبين حلب؛ ولذلك كانت الخطة هي إقناع نور الدين محمود بمنازلةَ طبرية، حتى يشغل الإفرنج عن مصر؛ فيقوم المصريون بتخريب غزة، مخافة أن ينجح الصليبيون في الاستيلاء على عسقلان ثم غزو مصر(2).

ومن الواضح أن نور الدين محمود قد رفض هذا الاتفاق، ولم يتحمس لمشروع ابن السلار؛ لأنه خشي المغامرة بحرب ضد مملكة بيت المقدس الصليبية في الوقت الذي لم تكن وحدة الجبهة الإسلامية قد اكتملت بعد، بالإضافة إلى أن حكام دمشق يناصبونه العداء؛ لأنه كان يسعى إلى ضم دمشق، وعدم السماح بسقوطها في أيدى الصليبيين الذين كانوا قد حاصروها قبل ذلك بسنوات (3)، ولو كان نور الدين متنبهاً لأهمية هذا المشروع، لتمكنا من تطويق الصليبيين في مدن الشام الساحلية (4)، ولإثبات حسن النية أرسل ابن السلار في سنة (٥٤٦هـ/١١٥١م) قطعاً من الأسطول المصري إلى يافا، تمكنت من أسر عدد من مراكب الصليبيين وأحرقت ما عجزت عن أخذه، وقتل جنوده عدداً كبيراً من أهل يافا، ثم اتجهوا إلى بعض المدن الساحلية، مثل: عكا، وصيدا، وبيروت، وطرابلس، حيث

---

(1) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص٣٧ . **ابن القلانسي:** تاريخ دمشق، ص٤٨٨. **أبو شامة:** الروضتين، ط الرسالة، ج١، ص٢٦٧ . **أيمن فؤاد سيد** : الدولة الفاطمية فى مصر، ص٢٠٩، ٢١٠ .

(2) **ستيفن رنسيمان:** تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة نور الدين خليل، ج٢، ص ٣٨٩ . **محمد سيد كيلاني:** الحروب الصليبية وأثرها على الأدب العربي فى مصر والشام، دار الكتاب العربي، مصر، د.ت، ص٢٠٣.

(3) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٣٧ . وانظر: **ابن القلانسي:** تاريخ دمشق، ص٤٨٨ . **أبو شامة:** الروضتين، ط الرسالة، ج١، ص٢٦٧ . **سحر السيد عبد العزيز سالم:** صور من التعاون العسكرى بين دمشق والقاهرة ضد الصليبين في العصر الفاطمي (٤٩٨-٥٦٤هـ/ ١١٠٤-١١٦٨م)، البحث الثالث فى كتاب "بحوث مشرقية ومغربية فى التاريخ والحضارة الإسلامية "، مؤسسة شباب الجامعة ، الأسكندرية ، ١٩٩٧م ، ص ١٣٩ . **أيمن فؤاد سيد:** الدولة الفاطمية في مصر، ص٢٠٩، ٢١٠ . **ستيفن رنسيمان** : تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة خليل، ج٢، ص٣٨٩.

(4) **أيمن فؤاد سيد:** الدولة الفاطمية فى مصر، ص ٢١٠ .

أبلوا بها بلاء حسناً، وقتلوا جماعة من حجاج الصليبيين [١]، ولكن في الحقيقة لم يف نور الدين بما قطعة لى نفسه من عهد بمعاونة الوزير الفاطمي في مهاجمة الصليبيين[٢].

وتعد سفارة أسامة إلى نور الدين محمود فى ظاهرها الفشل، ولكن في باطنها يكمن النجاح، حيث جنّدَ نور الدين بعضَ الفرسان تحت يد أسامة، وجهزهم بالعتاد، واتجه نحو عسقلان، وهناك دارت عدة معارك بينه وبين الصليبيين لمدة سنتين ثم عاد بعدها إلى مصر مرة ثانية[٣].

مما سبق يتضح الدور السياسي والدبلوماسي الذي قام به أسامة بن منقذ في توثيق العلاقات السياسية بين الدول الإسلامية، وبينها وبين الفرنج، ونجاح أسامة في هذه السفارات، وفي تأدية ما طلب منه على الوجه الأكمل .

ثاني عشر: عقيدته :-

الإشارات قليلة في المصادر الإسلامية عن عقيدة أسامة بن منقذ. إلا أن هناك بعض الأخبار تتحدث عن ميوله المذهبية، ومن ذلك ما جاء عند أبي شامة، والإمام الذهبي، وابن العماد الحنبلي[٤].

فيقول عنه الذهبي[٥] الذي نقل عن ابن أبي طئ؛ المعروف بتشيعه، والذي لم تصل إلينا مؤلفاته بأنه: " كان إمامياً[٦] حسن العقيدة، إلا أنه كان يداري عن منصبه، ويظهر التقية، وكان فيه خير وافر، وكان يرفد الشيعة، ويصل فقرائهم، ويعطي الأشراف".

---

(١) **ابن القلانسي:** تاريخ دمشق، ص٤٨٨. **أبو شامة:** الروضتين، ط الرسالة، ج١، ص٢٦٧. **المقريزي:** اتعاظ الحنفاء، ج٣، ص ٢٠٢ . **أيمن فؤاد سيد:** الدولة الفاطمية في مصر، ص٢١٠ .

(٢) **ابن القلانسي:** تاريخ دمشق، ص٤٨٨ . **المقريزي:** اتعاظ الحنفاء، ج٣، ص ٢٠٢ .

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٣٧- ٤٠ . **ستيفن رنسيمان** : تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة خليل، ج٢، ص٣٨٩ . **عطا عبد الرحمن محيي الدين:** علي بن السلار الوزير في الدولة الفاطمية، ص ٥٢ .

(٤) الروضتين، ط دار الكتب العلمية ، ج١، ص ٣٤٤ . تاريخ الاسلام ،ج٤١ ، ص١٧٦. العبر ،ج٣ ، ص٨٨ . شذرات الذهب ،ج٦ ، ص ٤٥٩ .

(٥) تاريخ الإسلام ،ج٤١ ، ص ١٧٦ .

(٦) **إمامياً**؛ أي من الشيعة الإمامية، وهي جماعة من غلاة فرق الشيعة ولقبوا بهذا اللقب؛ لأنهم يرون أن الإمامة لعلي وأولاده، انظر: **الشهرستاني**، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني:

فقد أشار إلى أن ابن منقذ كان يتعامل بالتقية، فكان لا يظهر مذهبه، حفاظاً على مكانته في فترة كانت السيادة فيها للمذهب السني بعد القضاء على الدولة الفاطمية.

أما أبو شامة؛ فقد أورد أبيات منسوبة إلى أسامة بن منقذ، يستنتج منها تشيعه، وهي أنه عندما توفي الخليفة الفاطمى الفائز بن الظافر، وولى بعده ابن عمه العاضد بن يوسف بن الحافظ سنة (٥٥٥هـ/١١٦٠م)، وهو آخر الخلفاء الفاطميين في مصر، وصل لابن منقذ كتاب من الصالح بن رزّيك كتاب يعلمه بذلك، فكتب إليه أسامة[١]:

هناء بنعمى قلَّ عن قدرِها الشكرُ   وصبراً لرزءِ لا يقوم به الصبرُ
مضى الفائز الطُّهر الإمام وقام بالـ   إمامة فينا بعده العاضد الطُّهر
إماماً هدى ، لله في نقل ذا إلى   كرامته وفي إقامةِ ذا سِـرُّ
فعش أبداً واسلم لهم يا كفيلهم   تدافع عنهم كل حادثة تعرو

كذلك هناك بعض الإشارات التي جاءت في كتب الشيعة، والتي يمكن أن يستنتج منها تشيع أسامة بن منقذ؛ فمن شعره قوله[٢]:

ياحجج الله التى   لاتستطاع تجحدُ
أنتم لنا لبانةُ   فى قصدنا ومقصد
وعنكم لا صدر   ودونكم لا مورد
أمكم فاطمة   وجدكم محمد
وحيدر أبوكم   طبتم وطاب المولدُ

الملل والنحل، تحقيق: أمير علي مهنا، وعلي حسن، ط٣، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج١، ص ١٦٣ وما بعدها.

(١) **أبو شامة** : الروضتين ، ط دار الكتب العلمية ، ج١، ص ٣٤٤ . والأبيات من بحر الطويل .

(٢) **المازندراني**، أبو جعفر محمد بن علي بن شهر أشوب السروى المازندراني (ت٥٨٨هـ/١١٩٢م): مناقب آل أبي طالب، تحقيق: يوسف البقاعي، ط٢ ، دار الأضواء، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩١م ، ج٤، ص٣٩٦ . **محمد السماوي**: الطليعة من شعراء الشيعة، ج١، ص ١٢٥ . **الإمام السيد محسن الأمين العاملي**: أعيان الشيعة، حققه وأخرجه: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، مج ٣، ص ٢٥٣ . والأبيات من بحر الرجز .

وعلل بعض الباحثين عدم وجود هذه الأبيات التي نسبت إلى أسامة في ديوانه بأن أسامة اختصره، فربما قد حذف منه ما يظهر تشيعه إبان اتصاله بنور الدين وصلاح الدين السنّيين. كما ساق حججاً تفيد تشيعه؛ منها أنه لاحظ في مؤلفات أسامة وخاصةً كتابه " الاعتبار" أنه أفرد فيه مكانة خاصة لعلي بن أبي طالب، فعلي يتراءى لقيم مسجده، ويشفيه من مرضه[١]، ويتراءى لرجل مشلول عجز الأطباء عن علاجه حتى أنه كان لا يحس بالمسمار المحمي، ولكن علياً شفاه[٢]، وعقب بأن هذه الأقوال لا تصدر في ظل دولة سنية إلا عن رجل يتشيع[٣]، ومن هذه الحجج – أيضاً– أنه أورد في كتاب " لباب الآداب" حديثاً نسبه إلى النبيّ يقول[٤]: " لو ولد أبو طالب الناس كلهم كانوا شجعاناً"، وأكد أن هذا الحديث أثر من آثار تشيعه كما أن التشيع قديم في أسرة بني منقذ.

فبالرغم من تلك الإشارات التي جاءت في بعض المصادر الإسلامية وبعض كتب الشيعة إلا أننا لانستطيع أن نؤكد على تشيعه بهذا الشكل .

ثالث عشر: حياته الشخصية:–

يلاحظ أن أسامة بن منقذ لم يشر من قريب أو من بعيد إلى زوجته، وترجح الباحثة أن ذلك ربما يرجع إلى عادات العرب التي تتسم بالنخوة، والغيرة الشديدة على نسائهم مع احترامهن، ويتضح ذلك من حديث أسامة عن المرأة .

أما أولاده؛ فالمعروف منهم: الأمير عضد الدولة أبو الفوارس مرهف، والذي ولد سنة (٥٢٠هـ/١١٢٦م)، وأقام بمصر في عصر الدولة الأيوبية، وحظي بمودة السلطان الناصر صلاح الدين، حتى صار جليسه ونديمه وأنيسه، ولقيه ياقوت الحموي سنة (٦١٢هـ/١٢١٥م)، وكان قد جاوز التسعين من عمره، وأقعدته السن، ووصفه بأنه

---

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٨٧، ١٨٨ .

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٩١، ١٩٢ .

(٣) **حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وشعره، ج١، ص١٣٨ .

(٤) **ابن منقذ:** لباب الآداب، ص٣٦٨ . **حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وشعره، ج١، ص١٣٨.

" جمّاعه للكتب " [١]، وكانت وفاته سنة (٦١٣هـ/١٢١٦م)، وقد رأى ابن العديم مُدْرَجاً بخطه يتضمن ذكر وقعات ذكرها على وجه الاختصار [٢].

وله أيضاً ولد توفي في حياته عندما تجاوز عمره الثمانين، ويدعى " أبا بكر عتيق"، ولا يوجد أي إشارة إليه غير أنه خص جزءاً كبيراً من باب الرثاء في ديوانه لرثائه فقال:

عتيق كالهلال، إذا تبدى لساري الليل من تحت الغيوم

أزور قبرك والأشجان تمنعني من أن أهتدي لطريقي حيث أنصرفُ [٣].

وقال أيضاً :

إلى الله أشكو روعتى ورزيتى وحرقة أحشائي لفقد أبي بكر

رمتني في عشر الثمانين نكبة من الثكل يوهي حملها من له عشر [٤].

وقد رزق أسامة بطفلة، وهو فى سن الرابعة والسبعين، كناها " أم فروة "، فقال[٥]:

لما تخطتنى السبعون معرضة وساور الضعفُ بعد الضعفِ أركاني

رزقت فروة والسبعون تخبرها أن سوف تيتم عن قرب وتنعاني

وأشار زامباور إلى أن لأسامة غير أبو الفوارس مرهف، أولاد ثلاثة، هم: عز الدولة أبو الحسن علي، وبهاء الدولة أبو المغيث منقذ، ونجم الدولة أبو عبد الله محمد ، ونجم الدولة له ابن اسمه شمس الدولة أبي الحارث عبد الرحمن [٦]، ومن الظاهر أن زامباور قد اختلط عليه الأمر عندما ذكر أسماء أولاد أسامة، واختلط عليه أسماء أولاده بأسماء

---

(١) معجم الأدباء ، ج٢، ص٥٩٣.

(٢) بغية الطلب،ح ٦ ، ص ٢٨٠٧ . **إحسان عباس:** شذرات من كتب مفقودة ، ص١١٤،

(٣) **ابن منقذ** : الديوان ، ص٣٥، ٣٦ . والبيتين من بحر الوافر.

(٤) **ابن منقذ** : الديوان ، ص٣٤٧ . والبيتين من بحر الطويل.

(٥) **ابن منقذ** : الديوان ، ص٣٢٤ . والبيتين من بحر البسيط .

(٦) **زامباور:** معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي، ترجمة: زكي محمد حسن بك وآخرون ، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ١٦٥ .

إخوته، والدليل على ذلك ما ذكره أسامة في ديوانه أن شمس الدولة أبا الحارث عبد الرحمن ابن أخيه أبو عبدالله محمد[١]، وقد ذكر العماد الكاتب في ترجمته أنه ابن أخيه[٢].

قد أوهم طاهر النعساني عندما ذكر أن له أولاداً آخرين، فقال: " لقى أسامة ضيقاً شديداً في وقعة كانت بينة وبين الفرنج، قتل فيها ابنه حسام الملك، وأسر ابنه ناصر الدين، وأخوه نجم الدولة أبو عبدالله محمد، وأخذت خزانته، وحرمه، وقتل الفرنج كل من ظفروا به، وهو بمن معه تحصن فى الجبال " [٣].

فقد أخطأ النعساني في فهم ما كتبه أسامة عن تلك الوقعة، فقال: "وسرنا إلى يوم الأحد ثالث وعشرين ربيع الأول، فصبحونا الإفرنج في جمعهم على المويلح، فقتلوا عباساً، وابنه حسام الملك، وأسروا ابنه ناصر الدين، وأخذوا خزانته وحرمه ، وقتلوا من ظفروا به، وأخذوا أخي نجم الدولة أبا عبد الله أسيراً، وعادوا عنا، ونحن تحصنا عنهم في الجبال" [٤]، فالهاء في" ابنه حسام الملك " عائدة على عباس، وليس أسامة، فحسام الملك، وناصر الدين هما أولاد عباس .

رابع عشر: وفاته:-

كانت حياة أسامة سجلاً ضخماً، سطرته له الأحداث من حروب ومغامرات وفتن، التى باشرها، وخاض غمارها منذ أن كان فتى، مجاهداً للروم والصليبيين في شيزر، ثم مجاهداً مع كل من عماد الدين زنكي، والسلطان نور الدين محمود بن زنكى رحمهم الله .

وقضى أسامة آخر أيامه في دمشق، يشكو أعراض الشيخوخة، وما اعتراه من ضعفِ قواه وبصره وسمعه، واضطراب يده، وارتعاش كفيه، وانحناء ظهره، وقصر خطواته، إلى غير ذلك مما ذكره في شعره ونثره، ثم لحق باللطيف الخبير في ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة (٥٨٤هـ/١١٨٨م)- رحمه الله تعالى- ودفن من الغد شرقي جبل قاسيون، وتربته على جانبي نهر يزيد الشمالي، كما أكدت معظم

(١) **ابن منقذ** : الديوان ، ص١٥٩ ، ١٧١ ، ١٨٧ ، ١٩٩ .

(٢) **العماد الأصفهانى** : ذيل الخريدة ،ص ١٦٧ .

(٣) **طاهر النعسانى** : أسامة بن منقذ ، ص٣٠٥ .

(٤) **ابن منقذ:** الاعتبار ، ص ٨٦ .

المصادر[1]. وقد دخل ابن خلكان تربته، وقرأ عنده شيئاً من القرآن الكريم، وترحّم عليه[2]، وبعد وفاة صلاح الدين الأيوبي بنى أولاده المدرسة العزيزية موضع دار أسامة فى سنة (٥٩٢هـ/١١٩٦م) [3].

(١) **ياقوت الحموي:** معجم الأدباء، ج٢، ص٥٧٢ . **أبو شامة:** الروضتين، ج٤، ط دار الكتب العلمية، ص٣٥ . **ابن خلكان:** وفيات الأعيان ، ج١، ص ١٩٩ . **الذهبي:** الإعلام بوفيات الأعلام، ص ٣٩٤، الإشارة إلى وفيات الأعيان، ص٣٠٢، دول الإسلام، ج٢، ص٩٣ . **الصفدى:** الوافى بالوفيات، ج٨، ص ٢٤٥ . **العيني:** عقد الجمان، ج٢، ص١١٣ . **النعيمي:** الدارس فى المدارس، ج١، ص ٢٩١ ،٢٩٢ . **ابن العماد الحنبلي:** شذرات الذهب، ج٦، ص٤٥٩ . **الطباخ:** أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ج٤، ص ٢٦١ . أما **ابن الأثير:** فلم يذكرة فى وفيات سنة (٥٨٤هـ)، الكامل ، ج١٠ ، ص ١٧٩، ولكن محقق الكتاب علق على ذلك في الهامش وترجم لأسامة.

(٢) وفيات الأعيان، ج١ ، ص ١٩٩.

(٣) **النعيمى** : الدارس في تاريخ المدارس ، ج١،ص٢٩٣.



الفصل الثانـي

" مؤلفات أسامة بن منقذ "

أولاً: المؤلفات المطبوعة.

ثانياً: المؤلفات المخطوطة.

(أ)- المؤلفات المخطوطة الموجودة.

(ب)- المؤلفات المخطوطة المفقودة.

" مؤلفات أسامة بن منقذ "

يتناول هذا الفصل دراسة مؤلفات أسامة بن منقذ التي تتنوع ما بين التاريخية والأدبية وغيرها، مطولة كانت أو مختصرة.

ومن بين تلك المؤلفات ماهو مطبوع، ومنها ماهو مخطوط، ومنها ما هو مفقود، والأخيرة يمكن الوقوف عليها من خلال كتب المعاصرين لأسامة الذين أفادوا من تلك الكتب، كذلك سنحاول استنباط منهج أسامة بن منقذ في تأليف كتبه، مما سنعرض له فيما يلي:

أولاً – المؤلفات المطبوعة:

ألف أسامة عدداً ضخماً من الكتب، وتنوعت الموضوعات التي اهتم بها؛ فكانت المؤلفات التاريخية، والأدبية، والدينية وغيرها، واهتم بعض المؤرخين بمؤلفات أسامة؛ فعكفوا على دراستها وتحقيقها، بينما ضاع عدد كبير من مؤلفاته، واعتبرها الكتاب من الكتب المفقودة، ولكن هذا لا يعتبر رأياً نهائياً؛ إذ ربما تجود علينا يوماً إحدى مكتبات العالم ببعض تلك المؤلفات.

(١) كتاب الاعتبار:

كانت الأمة الإسلامية فيعصر الحروب الصليبية بحاجة ماسة إلى مؤلفات وتصانيف تستلهم الهمم، وتبث معاني الشجاعة والإقدام في نفوس أبنائها، وتزرع فيهم المُثل العليا، والتربية الدينية والعسكرية، فراجت تصانيف الجهاد، والسير، والمناقب.

وقد شارك أسامة في هذا النوع من المؤلفات متبعاً ومبتدعاً، فألف كتابه الموسوم بـ " الاعتبار" لصلاح الدين الأيوبي، وحشد فيه ما استخلصه من حياته المديدة الحافلة بالبطولات الحربية وغيرها من عبر وعظات، يستطيع أن ينتفع بها المجتمع في أي وقت، وفي أي مكان [(١)]، ويعتبره بعض المؤرخين من أوائل السير الذاتية [(٢)].

---

(١) **حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وآثاره، ج٢، ص٦٥ .

(٢) **أيمن فؤاد سيد:** الكتابة التاريخية ومناهج النقد التاريخي عند المؤرخين المسلمين، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٧م، ص١٥٢ .

كتب أسامة "الاعتبار" بعد تجاوزه سن التسعين، حيث تحدث فيه عن نفسه بعد أن بلغ التسعين؛ مما يدل على تأليفه للكتاب تم بعد ذلك(١)، ويدل عنوان الكتاب على غاية أسامة منه، إذ تغيا إيراد أخبار وأحداث ومشاهدات؛ لإستخلاص العبرة والعظة منها، والتي منها " أن الموت لن يقدمه ركوب الخطر، ولا يؤخره شدة الحذر، وأن العمر موقت لا يتقدم، ولا يتأخر، وأن القلوب لو صفت من كدر الذنوب، فوصلت إلى عالم الغيوب، علمت أن ركوب أخطار الحرب، لاينقص مدة الأجل المكتوب(٢)، وتجلى ذلك في إيراده روايات وأخبار متعددة متشابهة، تأكيداً علي أهمية هذه العبر، وحرصاً منه على إيصالها للقاريء(٣) .

طبعات الكتاب وترجماته:

عرف المؤرخون من الشرق والغرب على حد سواء كتاب "الاعتبار" بعد أن حققه المستشرق الألماني ديرنبورج، ونشره في ليدن(٤) معتمداً على مخطوطته الفريدة المحفوظة في مكتبة دير الأسكوريال بأسبانيا(٥)، ثم ألحقه بدراسة موسعة عن أسامة وأسرته وكتابه(٦)، ثم ترجمه للفرنسية فى باريس سنة (١٨٩٥م)، ومن بعدها بدأ المستشرقون في دراسته، فبدأت الترجمات إلى اللغات الأوربية تظهر، فترجم إلى الإنجليزية مرتين، وإلى الألمانية ثلاث مرات، هي الدانماركية، والروسية، والبولندية، ثم أتبع ذلك بترجمتين جديدتين، إحداها للفرنسية لأندريه ميكيل، والأخري للألمانية لهولجر برايسلر(٧).

وفي عام (١٩٢٧م) ترجم فيلب حتى- اللبناني الأصل – كتاب "الاعتبار" إلى الإنجليزية، ونشره في نيويورك في نفس العام، ثم ألحقه بتحقيق جديد للكتاب، معتمداً فيه

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار ، ص ١٧٩، ١٨٢.

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٨٠، ١٨٢.

(٣) **رغدة على الزبون:** قراءة تحليلية في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد(٧)، العدد(٢) ربيع الثانى ١٤٣٢هـ/ نيسان(ابريل) ٢٠١١م، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، ص١٤.

(٤) **ابن منقذ:** الاعتبار، اعتنى بتصحيحه هرتويغ ديرنبورج ، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٣م . وانظر: **يوسف سركيس:** معجم المطبوعات العربية والمعربة، ج١، ص٢٥٧ .

(٥) **ابن منقذ:** الاعتبار، مقدمة المحقق، ص٢٥.

(٦) **ابن منقذ:** الاعتبار، مقدمة المحقق، ص١٦ .**حجازي عبد المنعم:** إمارة شيزر في عصر بني منقذ، ص٧.

(٧) **ابن منقذ:** الاعتبار، مقدمة المحقق، ص١٦ .

على مخطوطة الأسكوريال الفريدة، ومعتمداً على نشرة ديرنبورج الذي اعترف له بفضل السبق في هذا المضمار، وطبع في برنستون بالولايات المتحدة عام (١٩٣٠م)(١)، ثم أعيد تحقيقه من قبل قاسم السامرائي، وصدر عمله عن دار الأصالة في الرياض بالمملكة العربية السعودية عام (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، وهي النسخة التي اعتمدت عليها الدراسة، ثم في عام(٢٠٠٢م) قام عبد الكريم الأشتر بتحقيقه مرة أخرى بترتيب مقاطع الأخبار، حسب مضامينها بداية ونهاية، ترتيباً خاصاً، وسماها "فقرات"، واختار لها أرقاماً متسلسلة؛ ليسهل الرجوع إليها، ووضع لكل فقرة عنواناً ليدل على مقصد الكاتب منها(٢)، وأخيراً قام قاسم السامرائي بإعادة تحقيقه ونشره عام (٢٠٠٩م) وصدر عمله عن وزارة الثقافة في الأردن، عمان(٣).

محتوى الكتاب ومضمونه:

رتب أسامة مادة الإعتبار في البداية إلى مقدمة وموضوعه الرئيس وهو استخلاص العبر من الحروب والوقائع التي شاهدها، ثم بعد ذلك ألحق بالكتاب ملحقين، الأول: ذكر فيه طرفاً من أخبار الصالحين، والثاني: عن أخبار الصيد .

أما المقدمة؛ فقد ضاعت مع عدة أوراق من الموضوع الرئيس(٤) إلا أن الإمام الذهبي- رحمه الله- قد نقل معظمها إن لم تكن كلها، فقال: " وعندى له مجلد، يخبر فيه بما رأى من الأهوال، قال: حضرت من المصافات والوقعات مهول أخطارها، واصطليت من سعير نارها، وباشرت الحرب وأنا ابن خمس عشرة سنة إلى أن بلغت مدى التسعين، وصرت من الخوالف، خَدِين المنزل، وعن الحروب بمعزل، لا أُعَدُّ لمهمّ، ولا أُدعَى لدفاع

---

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، مقدمة المحقق، ص١٧ .**عبد الرحمن حميدة:** أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، ص ٣٨٠ .

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار، تحقيق: عبد الكريم الأشتر، ط٣، المكتب الاسلامي، بيروت، لبنان،١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص٢٣ .

(٣) **براءة محمود السقرات:** كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ. دراسة تحليلية، رسالة ماجستير في الأدب قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، الأردن، ٢٠١١م، حاشية رقم(٥)، ص١٢.

(4) **Dana Sajdi**, An Arab-Syrian Gentleman and Warrior in the Period of the Crusades: Memoirs of Usamah Ibn-Munqidh by Philip K. Hitti, The Arab Studies Journal, Vol. 11/12, No. 2/1 (Fall 2003/Spring 2004), p 191 .

مُلِمّ، بعدما كنت أوّل من تنثني عليه الخناصر، وأكبر العُدَدِ لدفع الكبائر، أوّل من يتقدَّم السَّنْجَقِيَّة عند حملة الأصحاب، وآخر جاذب عند الجولة لحماية الأعقاب.

كم قَدْ شهدت منَ الحروب فليتني فِي بعضها مِن قبل نكسي أُقتلُ
فالقتلُ أحسن بالفتى من قبل أن يفنى ويُبْليه الزّمان وأجملُ
وأبيكَ ما أحجمتُ عَنْ خوض الرَّدى في الحرب، يشهد لي بذاك المنْصلُ
لكن قضاء الله أخَّرني إلى أَجَلي الوقت لي فماذا أفعلُ؟[1]

ثم أخذ يعد ما حضره من الوقعات الكبار قال: فمن ذلك وقعة كان بيننا وبين الإسماعيلية في قلعة شيزر، لما وثبوا على الحصن في سنة سبع وخمسمائة، ووقعة كانت بين عسكر حماة وعسكر حمص في سنة خمس وعشرين وخمسمائة، ومصاف على تكريت بين أتابك زنكي بن آق سنقر، وبين قراجا صاحب فارس في سنة ست وعشرين، ومصاف بين المسترشد بالله وبين أتابك زنكي على بغداد في سنة سبع وعشرين، ومصاف بين أتابك زنكي وبين الأرتقية وصاحب آمد على آمد في سنة ثمان وعشرين، ومصاف على رفنية بين أتابك زنكي وبين الفرنج سنة إحدى وثلاثين، ومصاف على قنسرين بين أتابك وبين الفرنج لم يكن فيه لقاء في سنة إحدى وثلاثين، ووقعة بين المصريين وبين رضوان الولخشي سنة اثنتين وأربعين، ووقعة بين السودان بمصر في أيام الحافظ في سنة أربع وأربعين، ووقعة كانت بين الملك العادل ابن السلار، وبين أصحاب ابن مصال في السنة، ووقعة- أيضاً- بين أصحاب العادل وبين ابن مصال في السنة -أيضاً- بدلاص، وفتنة قتل فيها العادل بن السلار في سنة ثمان وأربعين. وفتنة قتل فيها الظافر وأخواه وابن عمه في سنة تسع وأربعين، وفتنة المصريين وعباس ابن أبي الفتوح في السنة، وفتنة أخرى بعد شهر حين قامت عليه الجند، ووقعة كانت بيننا وبين الفرنج في السنة، ثم أخذ يسرد عجائب ما شاهد في هذه الوقعات، ويصف فيها شجاعته وإقدامه رحمه الله "[2].

وعلى هذا فيستشف من مقدمة أسامة للكتاب أنه قد رتبه على محورين: المحور الأول كما أشار الذهبي:" أخذ يعدّ ما حضره منَ الوقعات الكبار "؛ أي يعد لنا الحروب والوقائع والمصافات التي حضرها طيلة حياته، والمحور الثاني أشار إليه بقوله: " ثم أخذ

(١) الأبيات من بحر الكامل .

(٢)**الذهبي** : تاريخ الإسلام ، ج٤١ ، ص ١٧٤ - ١٧٦ .

يسرُد عجائب ما شاهد فِي هَذِهِ الوقعات..."، ومما يؤكد ذلك ما يقوله أسامة بعد أن عدّ لنا الوقعات التي حضرها، ما نصه: " وقد كان بين هذه الوقعات فترات شهدت فيها من الحروب مع الكفار والمسلمين ما لا أُحصيها، وسأورد من عجائب ما شهدته ومارسته في الحروب، وما يحضرنى ذكره، وما النسيان بمستنكَر لمن طال عليه ممرّ الأعوام، وهو وراثة بني آدم من أبيهم عليه الصلاة والسلام" [(١)].

وهنا بيّن أسامة المحوران الأساسيان اللذان بنى عليهما موضوع كتابه، وحدد لنا منهجه فى انتقاء مادتة التاريخية ،كما يتضح –أيضاً– من كلام الإمام الذهبي الموضوعات التي تحدث عنها أسامة في الجزء المفقود، وهي[(٢)]:

(١)– وقعة بين أهل شيزر والإسماعيلية الباطنية في سنة (٥٠٧هـ/١١١٣م)، وما يدل على أنه ذكرها في الجزء المفقود ما قاله بعد أن ذكر رواية عن خادمه نمير العلّاروزي[(٣)]: " وهو أحد الثلاثة الذين رماهم الإسماعيلية من حصن شيزر، وقد تقدم ذكرهم".

(٢)– وقعة عسكر حماة وعسكر حمص سنة (٥٢٥هـ/١١٣٠م)، التي " جرح فيها وقتل حصانه، وكان قد ترك شيزر ثامن شهر رجب من سنة (٥٢٥هـ/١١٣٠م) مفارقاً عمه ووالده إلى حمص بعد النفرة التي طالت بينهما، فحضر حرباً بين عسكر –صاحب حمص– خير خان بن قراجا، وعسكر عماد الدين زنكي – صاحب حماة– تحت إمرة حاجبه صلاح الدين الياغسياني، فجرح وأخذ مأسوراً إلى حماة حيث اعتقل في قلعتها، ثم أطلق من الاعتقال، فذهب إلى الموصل، والتحق في خدمة عماد الدين زنكي"[(٤)].

---

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٥٨.

(٢)انظر ترتيب قاسم السامرائي للقسم المفقود، مقدمة كتاب الاعتبار ص٨–١٤، وعن هذه الوقعات انظر مراحل حياته وحروبه في الفصل الأول من هذه الدراسة، ص(٧٧) وما بعدها .

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص ١٠٠. وقد أشار أسامة إلى وقعة الإسماعيلية في شيزر أكثر من مرة في مواضع مختلفة. انظر: ص ١٣٧، ١٤٤،١٤٥، ١٧٨–١٨٠ . وانظر أيضاً: **ابن منقذ:** لباب الآداب ، ص ١٩٠. وقد ذكر فيها أنها وقعت بشيزر سنة(٥٢٧هـ)، وربما هذا خطأ من الناسخ أو من ابن منقذ نفسه، لكن ما ذكره في كتاب الاعتبار هو الأصح، وذلك بمراجعة المصادر المعاصرة للحدث، مثل ابن القلانسي الذي ذكرها فى حوادث سنة (٥٠٧هـ)، انظر: **ابن القلانسي:** تاريخ دمشق، ص ٣٠٣،٣٠٤ .

(٤)**ابن منقذ:** الاعتبار، مقدمة المحقق، ص٨ .وقد أشار أسامة إلى وقعة حمص، وجرحه فيها في قصيدة أرسلها إلى أخيه بهاء الدولة المغيث منقذ، وهو بحماة مأسور سنة(٥٢٥هـ/١١٣٠م). انظر: مخطوطة=

(٣)- وقعة على تكريت بين عماد الدين زنكي وبين قراجا الساقي (صاحب فارس) سنة (٥٢٦هـ/١١٣١م).

(٤)- وقعة بين الخليفة المسترشد بالله وبين أتابك زنكي على بغداد سنة (٥٢٧هـ/١١٣٢م).

(٥)- وقعة بين أتابك زنكي وبين الأرتقية وصاحب آمد في آمد سنة (٥٢٨هـ/١١٣٣م).

(٦)- وقعة على رفنية بين أتابك وبين الإفرنج سنة (٥٣١هـ/١١٣٦م).

أما ما وصلنا من الكتاب؛ فيبدأ من منتصف تأريخه عن وقعة على قنسرين سنة (٥٣١هـ/١١٣٦م) بين أتابك زنكي وبين الإفرنج، بقوله : "... ولم يكن القتل في ذلك المصاف في المسلمين كثيراً، وكان وصل من الإمام الراشد بن المسترشد رحمهما الله، ابن بشر رسولاً إلى أتابك يستدعيه، فحضر ذلك المصاف، وعليه جوشن[١] مذهب، فطعنه فارس من الإفرنج، يقال له ابن الدقيق، في صدره أخرج الرمح من ظهره رحمه الله؛ بل قتل من الإفرنج خلق كثير، وأمر أتابك رحمه الله، فجمعت رؤوسهم في حقل مقابل الحصن، فكانت قدر ثلاثة آلاف رأس" [٢].

ويقول أسامة في تحديد موضوع كتابه ومنهجه في انتقاء مادتة التاريخية ما نصه: " وقد كان بين هذه الوقعات فترات، شهدت فيها من الحروب مع الكفار والمسلمين ما لا أُحصيها. وسأورد من عجائب ما شهدته ومارسته في الحروب ما يحضرنى ذكره، وما النسيان بمستنكّر لمن طال عليه ممرّ الأعوام، وهو وراثة بني آدم من أبيهم عليه الصلاة والسلام" [٣]. أي أن هذا القسم من الكتاب يروي فيه أسامة قصة حياته، والوقائع التي حضرها، والأحداث التي شاهدها، والتجارب التي مرّ بها، والعجائب التي رآها، وهو أكبر

=ديوان أسامة(كتابخانة مجلس شوراي ملي- طهران) برقم٣٢٢ طباطبائي، ورقة رقم (٢٩)،انظر الملاحق: صورة ، ص. http://wadod.org/

(١) **الجَوشْن:** (الصدر)، ومنه سمي جوشن الحديد. والجوشن: (الدرع) زرد يلبسه الصدر والحيزوم. **الزبيدي:** تاج العروس ، ص٣٥٥ .

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٢٥ .

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٥٨. **جليلة الطريطر بلحاج يحيي:** الاعتبار لأسامة بن منقذ نموذجاً في الكتابة السير ذاتية العربية القديمة، حوليات الجامعة التونسية ، العدد (٣٧)، تونس، ١٩٩٥م، ص٢٦٩ .

أقسام الكتاب[١].

أما الملحقان؛ فالأول: يستهله أسامة قائلاً: " هذه طرف أخبار، حضرت بعضها، وحدثني ببعضها من أثق به، جعلتها إلحاقاً فى الكتاب، إذ ليست مما قصدت ذكره فيما تقدم. وبدأت منها بأخبار الصالحين، رضي الله عنهم أجمعين " [٢]، فقد أورد فيه أخباراً طريفة، وجدها جديرة بالذكر، ولم يتسع لها مجال القول فيما تقدم من الكتاب وهي وثيقة الصلة بحياته، حضرها بنفسه، أو حدثه بها من يثق به، ولهذا ألحقها بالكتاب [٣].

أما الملحق الثاني؛ فهو أطول من سابقه، فقد جعله أسامة وقفاً على ما حضره وشاهده من الصيد والقنص، وما يتعلق بهما من ذكر الجوارح، والجياد، وطباع الحيوان، وآلات الصيد، يقول: " قد ذكرت من أحوال الحرب وما شاهدته من الوقعات والمصافات والأخطار ما حضرني ذكره، ولم ينسنيه الزمان ومره؛ فإن العمر طال، ولزمت الانفراد والاعتزال، والنسيان متوارث متقادم من أبينا آدم عليه السلام. وأنا ذاكر فصلاً فيهن فيما حضرته وشاهدته من الصيد والقنص والجوارح، فمن ذلك ما حضرته بشيزر في صدر العمر، ومن ذلك ما حضرته مع ملك الأمراء أتابك زنكي بن آق سنقر رحمه الله، ومن ذلك ما حضرته بدمشق مع شهاب الدين محمود بن تاج الملوك رحمه الله، ومن ذلك ما حضرته بمصر، ومن ذلك ما حضرته مع الملك العادل نور الدين أبي المظفر محمود بن أتابك زنكي رحمه الله، ومن ذلك ما حضرته بديار بكر مع الأمير فخر الدين قرا أرسلان بن داود بن أرتق رحمه الله" [٤].

وعلق بعض الباحثين على هذا الترتيب والتقسيم الذي اصطنعه أسامة وارتضاه بأنه ترتيب لم يفسد وحدة الموضوع في كتابه أو سيرته؛ بل قوَّاها؛ لأن أسامة لو نثر أخباره الطريفة وأخبار الصيد والقنص خلال صور المعارك الدامية التي يزخر بها الجزء الأول من كتابه، لقلل ذلك من ترابط الأحداث، وأفسد الوحدة الموضوعية التي تجمعها، ولو أنه أهملها؛ لأخلّ ذلك بجوانب مهمة من حياته وحياة عصره[٥] .

---

(١) **حسن عباس** : أسامة بن منقذ حياته وآثاره ، ج٢ ، ص ٧٤.

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٨٤.

(٣) **حسن عباس** : أسامة بن منقذ حياته وآثاره ، ج٢ ، ص ٧٤.

(٤) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٢٠٠ .

(٥) **حسن عباس** : أسامة بن منقذ حياته وآثاره ، ج٢ ، ص ٧٥ .

أهمية الكتاب وقيمته:

يعد كتاب الاعتبار من أوثق مصادر القرن السادس الهجرى؛ نظراً لأن ابن منقذ امتاز عن غيره من مؤرخي القرن السادس بعدد من الميزات ، مما جعل رواياته أكثر دقة وقيمة وأهمية، منها:

أولاً: أنه شامي المولد والنشأة، وبذلك يقدم لنا صورة واضحة، ورؤية خاصة عن بلاد الشام في ذلك العصر من خلال كتابات أحد أبنائها، مما يعني أنه اختلف عن غيره حيث أن صفة الشامية أعطت رواياته التاريخية طابعاً مميزاً، فهو ليس بالوافد الغريب عن المنطقة بل أحد أبنائها(١).

ثانياً: أن صفة الفروسية والخبرة العسكرية وحب الصيد، جعلت اهتمامات أسامة تختلف عن اهتمامات غيره من الرحالة والمؤرخين، مما انعكس على رواياته التي قدمها لنا، فكانت طابع مختلف عن تلك التي قدمها معاصريه.

ثالثاً: أدت العلاقات الحسنة والوطيدة بين أسامة والصليبيين في وقت السلم إلى تسليط أسامة الضوء على المجتمع الصليبي من الداخل، لتقدم لنا مادة زخمة عن هذا الكيان المحتل لبلاد الشام، وهذا ما لم يتأت لغيره من المؤرخين والرحالة(٢).

كما تكمن أهمية كتاب الاعتبار في مضمونه التاريخي والمعلومات الذي دونها أسامة فيه، إذ يجد الدارس فيه أخباراً ومعلومات تعطي صورة عن العصر الذي عاش فيه من نواح عدة: سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وعلمية، وثقافية، وجغرافية وغيرها (٣).

أما من الناحية السياسية؛ فيشكل الكتاب صفحة من تاريخ الصراع بين المسلمين والصليبيين في تلك الحقبة، إذ عرض فيه أسامة أخباراً عن الوقائع والأحداث الدي دارت بينهما، وما آلت إليه هذه الوقائع من هزيمة وانتصار، كما صور الدور الكبير الذي بذله المسلمون رجالاً ونساءً في التصدي لهذا الغزو، فمن الوقائع التى تحدث عنها معركة

---

(١)**محمد مؤنس عوض:** الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، ص٢٤٦ .**عبد الحميد الفراني:** القيمة العلمية لروايات ابن منقذ الشفوية في كتاب الاعتبار، ص٣٦٧ .

(٢)**محمد مؤنس عوض:** الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، ص٢٤٧.**عبد الحميد الفراني:** القيمة العلمية لروايات ابن منقذ الشفوية في كتاب الاعتبار، ص٣٦٨ .

(٣)**رغدة على الزبون:** قراءة تحليلية فى كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ، ص١٨ .

دانيث أو معركة البلاط –كما يسميها أسامة في مواضع مختلفة من الكتاب– سنة (٥١٣هـ/١١١٩م)، والتي مُنِي الصليبيين فيها بهزيمة كبيرة، وقتل فيها صاحب أنطاكية روجار وجميع جنوده [١]، ومعركة أفامية سنة (٥١٧هـ/١١٢٣م) التي كانت في ذلك الوقت للصليبين، وقد أغار عليهم بنو منقذ وصاحب حماة شهاب الدين بن قراجا، لكنهم انهزموا من الصليبيين بسبب مكان القتال الذي به حجارة وأعمدة وأصول الحيطان التي تعجز الخيل عن الحركة فيه[٢]. كما أشار أسامة إلى دور سلاجقة فارس في الدفاع عن بلاد الشام وصد خطر العدو الصليبي، فانظر ما ذكره عن حملة شرف الدين مودودبن ألتونتكين (حاكم الموصل) باسم السلطان محمد السلجوقي[٣] في أصبهان، والذي أرسله السلطان على رأس جيش لمحاربة تانكرد (صاحب أنطاكية) استجابة لطلب الخليفة المستظهر بالله العباسي[٤]، ونزل على شيزر، ودارت بينه وبين الصليبيين مناوشات سنة

---

(١) ويسميها مؤرخو الحملات الصليبية معركة حقل الدم،أو ميدان الدم (Ager Sanguin) ،وهي معركة حدثت بين المسلمين بقيادة نجم الدين إيلغازي بن أرتق (صاحب ماردين وحلب)، وبين الصليبين في أنطاكية بقيادة روجار، وتم اللقاء بدانيث يوم الجمعة الخامس من جمادى الأولى سنة (٥١٣هـ/١١١٩م)، وكانمن نتائجها أن قتل روجار، وجميع عسكره، ولم يعد إلى أنطاكية من الصليبيين سوى أقل من عشرين رجلاً، وسار بلدوين الثاني ملك بيت المقدس (٥١١–٥٢٦هـ/١١١٨–١١٣١م)، إلى أنطاكية فتسلمها.**ابن منقذ:** الاعتبار، ص ٦٢، ١٣٩–١٤٠ . وللاستزادة انظر: **ابن الأثير:** الكامل، ج٩، ص ١٨٥، ١٨٦. **ابن العديم** : زبدة الحلب، ج٢، ص ١٨٨، ١٨٩.**فوشيه الشارتري:** الاستيطان الصليبي في فلسطين تاريخ الحملة الى بيت المقدس، ص٢٤٠، ٢٤١ . **وليم الصوري:** الحروب الصليبية، ج٢، ص٣٤٨–٣٥٧ . ودانيث هي قرية من أعمال حلب . **ياقوت الحموي:** معجم البلدان، ج٢، ص٤٣٤ .

(٢)**ابن منقذ:** الاعتبار، ص٦٩–٧١.

وهذه المعركة تمت بين الفرنج وبنو منقذ المتحالفين مع صاحب حماة شهاب الدين بن قراجا، التي أصيب فيها ابن قراجا بسهم أدى إلى وفاته بعد يومين من انتهاء المعركة على حسب قول أسامة.**ابن القلانسي:** تاريخ دمشق، ص ٣٣٥. **ابن الأثير:** الكامل، ج٩، ص ٢٢٥، ٢٢٦. والواضح أن ابن الأثير نقلها عن ابن القلانسي لاتفاق اللفظ، وهما لا يذكران دور أسامة أو دور شيزر في الاشتراك في تلك المعركة .

(٣) **السلطان محمد السلجوقي:** غياث الدنيا والدين محمد بن ملك شاه ، توفي بأصفهان في الحادي عشر من ذي الحجة سنة (٥١٠هـ/١١١٦م)، وقام مقامه في السلطنة ولده محمود. **ابن القلانسي:** تاريخ دمشق، ص ٣١٦.

(٤) **المستظهر بالله:** أمير المؤمنين، أبو العباس أحمد ابن المقتدي بأمر الله أبي القاسم عبد الله ابن الذخيرة محمد ابن القائم بأمر الله عبد الله بن القادر الهاشمي. العباسي، ولد في شوال سنة (٤٧٠هـ/١٠٧٧م)، واستخلف عند وفاة أبيه في سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، وله من العمر ست عشرة سنة، وثلاثة أشهر. كان موصوفا بالسخاء والجود، ومحبة العلماء، وأهل الدين، والتفقد للمساكين، مع الفضل والنبل والبلاغة، وعلو الهمة،=

(٥٠٥هـ/١١١١م)[١]، وانظر –أيضاً– ما ذكره عن حملة إسباسلار برسق بن برسق السلجوقي الذي أرسله السلطان محمد السلجوقي على رأس جيش لبلاد الشام بعد قتل الأمير مودود، ودارت بينهم وبين الصليبيين معارك كثيرة في كفرطاب ودانيث سنة (٥٠٩هـ/١١١٥م) دوَّنها أسامة بدقة، وبإسهاب لحضوره هذه الأحداث، ومشاهدتها، ومعاينتها[٢].

=وحسن السيرة. وتوفي يوم الخميس، ٢٦ ربيع الآخر سنة(٥١٢هـ/١١١٨م).**الذهبي:** سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص ٣٩٦.

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٩١، ٩٢.

خرج شرف الدين مودود بن ألتونتكين، ومعه مجموعة من الأمراء، وكتب إليهم سلطان بن علي بن منقذ (صاحب شيزر) يعلمهم بنزول تانكرد (صاحب أنطاكية)في أرض شيزر، وشروعه في بناء تل في مقابلة شيزر، وحمل الغلال إليه،فرحلوا إلى الشام، وقطعوا الفرات، ونزلوا على تل باشر، وقاتل المطوعة والسوقة هذا الحصن ونقبوه، فأنفذ جوسلين (صاحب تل باشر) إلى بعض الأمراء يلاطفه بمال وهدية للانضمام إاى صفه، وسأله الرحيل عن الحصن، فأجابه إلى ذلك، وفي ذلك الوقت اشتد مرض سكمان القطبي، فرحل، فعادوا عن تل باشر إلى حلب، ونزلوا عليها، ولكن الملك فخر الملوك رضوان صاحب حلب أغلق أبوابها، وتفرقوا، وعاد الأمراء مع جيش سكمان القطبي، وتخلف منهم الأمير مودود مع أتابك ظهير الدين (أتابك دمشق)، ولما عرف الصليبيين رحيل العساكر، اجتمع في أفامية: بغدوين، وتانكرد، وابن صنجيل، وصاروا يداً واحدة، وساروا لقصدهم، فخرج سلطان بن منقذ من شيزر بنفسه ومعه جماعته، واجتمع مع أتابك ومودود، وحرضهما على الجهاد، ونزلوا في جنوبي شيزر، ونزل الصليبيين شمالي تل ابن معشر، فضيق عليهم عسكر المسلمين وصول الميرة إليهم، فلما رأوا قوة المسلمين عادوا إلى أفامية، وتبعهم المسلمون، فتخطفوا من أدركوه منهم، وعادوا إلى شيزر.**ابن القلانسي** : تاريخ دمشق ، ص ٢٧٩–٢٨٣ .**ابن الأثير:** الكامل، ج٩، ص ١٤٣، ١٤٤ . **ابن العديم:** زبدة الحلب، ج ، ص ٣٦٥، ٣٦٩–٣٧١ .**وليم الصوري:** الحروب الصليبية،ج٢، ص ٢٩٦ . أما **ابن الجوزي** فى المنتظم، فلم يذكر عن هذه الحملة غير أن السلطان محمد بعث إلى الصليبيين بالأمير مودود ومعه جيشاً كبير العدد في خلق عظيم . المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧، ص ١٢٣.وانظر أيضاً. **فوشيه الشارتري:** الاستيطان الصليبي في فلسطين، ص٢١٦–٢١٨.**محمد مؤنس عوض:** الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ص١٥٣، ١٥٤ .

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٩٥–٩٨. كانت هذه المعركة بين برسق بن برسق السلجوقي (صاحب همذان) مع جماعة من الأمراء وبين الفرنج، لقد أرسل السلطان محمد السلجوقي فى عام (٥٠٩هـ/١١١٥م) برسق بن برسق لقتال إيلغازي وطغتكين بعد ثورتهم عليه، ثم محاربة الصليبيين، وعبروا نهر الفرات، واستولوا على حماة، وهي تابعة لطغتكين، ثم ساروا الى كفر طاب وهي للصليبيين، واستولوا عليها، وكان نصراً كبيراً للمسلمين، ثم ساروا الى حلب، وقبل دخولها أغار عليهم روجار (صاحب أنطاكية)، وهزمهم فى دانيث، وهي بين كفرطاب وحلب، وعادت كفر طاب مرة ثانية للصليبيين. انظر: **ابن الأثير:** الكامل، ج٩، ص=

كما عرض شيئاً من المعاهدات[١] والإتفاقات التي أبرمت بين المسلمين والصليبيين، وبين المسلمين أنفسهم حين اشتعال نيران الفتنة بينهم[٢].

=١٥٨، ١٥٩ .**فوشيه الشارتري**: الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ص٢٢٥، ٢٢٧، ٢٢٨ .**ابن العديم**: زبدة الحلب، ج١، ص٣٧٩-٣٨٢ . **ابن كثير**: البداية والنهاية، ج١٦، ص٢٢٧ .

(١) عرفت المعاهدات التي عقدت بين الدويلات الإسلامية وبعضها بعقود الصلح، بينما سميت التي عقدت بينها وبين غير الدويلات الإسلامية وخاصة الصليبيين بعدة مسميات أو مصطلحات، منها: الموادعة، والمهادنة، والمسالمة، والمقاضاة، والمواصفة، وهى مصطلهات تدل كلها على المعاهدة، فالموادعة تعني الراحة من تعب الحرب ومسئولياته، والمهادنة لغوياً تعني المصالحة، والاسم هدنة، أما المسالمة، فإنها تحقق السلم لكافة الجهات، والمقاضاة بمعنى الفصل والحكم، واستخدمت المواصفة؛ لأن الاتفاقية تصف ما يوقع عليه الصلح، أما فى الشرع، فإن المهادنة، وما يرادفها، عبارة عن صلح يقع بين زعيمين أو ملكين فى زمن معلوم بشروط مخصوصة، والأصل فيها أن تكون بين مسلم وكافر، ويعرف القانون الدولي " الهدنة" على أنها كل اتفاق له أهمية سياسية حدث بين قوات المتحاربين؛ لوقف القتال بصفة مؤقتة. **حجازي عبد المنعم**: إمارة شيزر فى عصر بني منقذ، حاشية (١)، ص ٣٠٨ .

(٢) أما ما يخص إتفاقات الصلح المعقودة بين ملوك وأمراء العالم الإسلامي وبين الصليبيين؛ فمن ذلك ما ذكره عن اتفاق الصلح بين تانكرد (صاحب أنطاكية) وبين أمراء شيزر، وقد أشار إلية بقوله: " كان نزل علينا دنكري، وهو أول أصحاب أنطاكية بعد ميمون، فقاتلنا ثم أصطلحنا ....،ومضى على هذا سنة أو أكثر، وأنقضت مدة الصلح، وجاءنا دنكري في عسكر إنطاكية، فقاتلنا عند سور المدينة "، وأشار إلى الصلح الذي تم بين الملك فولك(٥٢٤-٥٤٨هـ/١١٣٠-١١٤٣م) وبين البوريين في دمشق بقوله : " كنت أتردد إلى ملك الأفرنج في الصلح بينه وبين جمال الدين محمد بن تاج الملوك -رحمه الله- ليد كانت للوالد -رحمه الله- على بغدوين الملك، والد الملكة امرأة الملك فلك بن فلك"، وأشار إلى ذلك الصلح في موضع آخر قائلاً: " وقد حاكمتهم مرة على قطعان غنم أخذها صاحب بانياس من الشَعْراء، وبيننا وبينهم صلح، وأنا إذ ذاك بدمشق. فقلت للملك فلك بن فلك: "هذا تعدى علينا، وأخذ دوابنا... ".

ومن أبرز مظاهر العلاقات الدبلوماسية بين بني منقذ والصليبيين ما ترتب على الزيارات المتكررة التي اعتاد فرسان أنطاكية القيام بها إلى شيزر، فكان منها ما تعلق بالفروسية، وأخلاقها، ورجالها، وخيولها، وإبصار ذوي الطعنات القوية الغير إعتيادية، وكان منها ما تعلق بنواحي سياسية دبلوماسية، مما حدا بتنكرد صاحب أنطاكية أن يرسل في طلب بعض الخيول من شيزر..." **ابن منقذ**: الاعتبار، ص٨٧، ٨٨، ٨٩، ١٠٣ . **حجازي عبد المنعم** : إمارة شيزر فى عصر بني منقذ، ص ٣٠٧، ٣٠٨ .

واما ما يخص اتفاقات الصلح بين الإمارات الإسلامية في بلاد الشام وبعضها؛ ما ذكره عن علاقة أمراء شيزر بصاحب حماة شهاب الدين محمود بن قراجا، وقد تأرجحت هذه العلاقة بين العداء الذي يظهر من قول أسامة: " وكانت الحرب بيننا وبينه ما تَغِبّ "، وبين الصلح الذي قصده أسامة بقوله: " وكذلك شاهدت شهاب الدين محمود بن قراجا وقد انصلح ما بيننا وبينه ". **ابن منقذ**: الاعتبار، ص٥٨، ٦٩.

واهتم أسامة بقضية أخرى تعكس ملمح من ملامح العلاقات الدبلوماسية السياسية بين الطرفين الإسلامي والصليبي، ألا وهي قضية الأسرى[1]، ومعاملة الطرفان الإسلامي والصليبي لأسراهم إما بالقتل أو بالفداء، وحظيت مسألة افتداء الأسرى على اهتمام أسامة بن منقذ قولاً وفعلاً [2].

وعرض فيه –أيضاً– لبعض الفتن والمؤامرات التي كانت تنشب للوصول إلى السلطة، فمن المؤامرات التي تحدث عنها أسامة تلك التي قتل فيها علي بن السلار (والي الإسكندرية والبحيرة)، وذلك حين تآمر عليه حفيد زوجته ابن عباس والظافر، ويكشف

---

(١) لم تكن العلاقات بين المسلمين والصليبيين دوماً عدائية أو سلمية، وبالرغم من ذلك؛ فقد بقيت الحرب هي العامل المسيطر في العلاقات بين الطرفين خاصةً في المرحلة المبكرة من الحملات الصليبية، ومع استمرارية المواجهة بين الطرفين ترتب على ذلك ضرورة التعامل مع قضية مهمة، وهي كيفية التعامل مع الأسرى، والبحث عن وسائل لتحريرهم، وذلك إما باللجوء إلى المفاوضات الدبلوماسية، أو دفع فدية تعتمد على أهمية ومكانة الأسير. فكان موضوع الأسرى دوماً من أهم بنود المعاهدات بين المسلمين والصليبيين، سواء فيما يتعلق بطرق تحرير الأسرى، أو أخذ رهائن مقابل ضمان تنفيذ كل طرف لبنود الاتفاقية. **منى حماد:** الأسرى المسلمون والصليبيون وطرق معاملتهم بين الإطار القانوني والواقع التاريخي (٤٩٠-٥٨٦هـ/١٠٩٧-١١٩١م)، مجلة الآداب والعلوم الإجتماعية، جامعة السلطان قابوس، عمان، ص٥٥ .

(٢) ومما ذكره عن هذه القضية، أنه قد سعى إلى افتداء أسرى من الحجاج المسلمين من شمال أفريقيا (المغرب) الذين وقعوا في أسر الفرنجة، فقال: " ... فاشتريتهما، واشتريت لي منهم نفراً، واشتريت للأمير معين الدين –رحمه الله– منهم نفراً بمائة وعشرين ديناراً، ووزنت ما كان معي، وضمنت عليَّ بالباقي. وجئت إلى دمشق فقلت للأمير معين الدين –رحمه الله–: " لقد اشتريت لك أُسارى أختصك بهم، وما كان معي ثمنهم. والآن قد وصلت إلى بيتي؛ إن أردتهم وزنت ثمنهم، وإلا وزنته أنا"، قال: لا بل أنا أزن والله ثمنهم، وأنا أرغب الناس في ثوابهم. وكان رحمه الله أسرع الناس إلى فعل خير، وكسب مثوبة، ووزن ثمنهم " . كما روى أيضاً أنه بعد سقوط كفرطاب بيد المسلمين سنة (٥٠٩هـ/١١١٥م) فاوض المسلمون الصليبيون من أجل افتداء أسراهم، وطلبوا فداء أحد فرسان الفرنجة بـ (٦٠٠ دينار) فرفض. وهكذا قرر المسلمون اقتياد الأسرى الصليبيين معهم كل اثنين مقيدين بالسلاسل" فإن الأمراء اقتسموهم، وأبقوهم معهم ليشتروا أنفسهم. إلا ما كان من أمير الجيوش، فإنه تقدم الذين طلعوا في سهمه، ضرب رقاب جميعهم قبل أن يتوجه إلى حلب". كما تعرض لدور أمراء شيزر في توسطهم لإطلاق سراح الملك بلدوين الثاني (ملك بيت المقدس) بعدما وقع فى الأسر عام (٥١٧هـ/١١٢٣م) من قبل نور الدولة بلك. انظر. **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٠٣-١٠٥، ٩٨، ٩٩، ١٤١.**منى حماد:** الأسرى المسلمون والصليبيون وطرق معاملتهم بين الإطار القانوني والواقع التاريخي، ص٦١. وعن أسر بلدوين الثاني. انظر: **فوشيه الشارتري:** تاريخ الحملة إلى القدس، ص ٢٥٢.**ابن العديم:** زبدة الحلب، ط دار الكتب، ص٢٨٤-٢٨٩ .

أسامة عن تآمر ابن عباس مع الخليفة الظافر على قتل أبيه أيضاً[١].

كما ذكر عدداً كبيراً من المصطلحات العسكرية المستخدمة في زمنه؛ مما حدا ببعض الباحثين إلى جمع هذه المصطلحات العسكرية التي ذكرها أسامة في كتاب " الإعتبار"، سواء الخاصة بآلة الحرب، أو بالوظائف العسكرية والتعريف بها[٢].

وعرض أسامة صوراً من الصراع المذهبي في تلك الحقبة مع الإسماعيلية، وذكر بعض النعوت التي كانوا ينعتوهم بها نحو: الباطنية[٣]، والحلاجين[٤]، وأورد بعض الأفعال التي قامت بها هذه الطائفة من اغتيالات للقادة المسلمين، مثل: هجومهم على حصن الخربة، وقتل واليه وابنه وغلامه[٥]، وهجومهم -أيضاً- على شيزر، وقد أشار أسامة إلى بعض الوقائع التي دارت بينهم في شيزر في مواضع متفرقة من الكتاب[٦].

أماعن الناحية الإقتصادية؛ فتظهر من إشارة أسامة إلى بعض المحاصيل الزراعية التي اشتهرت بها بلاد الشام كالقطن الذي يزرع في ناحية كفرطاب[٧]، كما تناول أسامة بالذكر المحاصيل الزراعية التي تجود زراعتها في المروج الواسعة الواقعة شمال بلاد الشام آنذاك، من غلة (القمح)، والقطن، وأشجار الزيتون والفاكهة على مختلف أنواعها[٨]، والإشارة الى البساتين الصغيرة داخل القرى والمدن [٩].

---

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٤١، ٤٢. **رغدة الزبون:** قراءة تحليلية في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ، ص١٨.

(٢) **نزار اللبدي:** المصطلح العسكري في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ دراسة معجمية ، ص ٢٧-٥٠ .

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٤٥، ١٧٨ .

(٤) **ابن منقذ:** الاعتبار ، ص١٤٥ .

(٥) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٠٠، ١٠١. وأيضاً من اغتيالاتهم للقادة المسلمين: قتلهم جناح الدولة حسين (والي حمص) التابع لرضوان بن تاج الدولة تتش في جامع حمص بعد صلاة الجمعة. انظر: **ابن العديم:** بغية الطلب، ج٦، ص٢٨٠٧ .

(٦)**ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٤٤، ١٤٥، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١.**رغدة الزبون:** قراءة تحليلية في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ، ص١٩ .

(٧)**ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٧٠ .

(٨) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٦٥، ١٧٠، ١٧٦ .

(٩)**ابن منقذ:** الاعتبار، ص١١٣، ١١٤.**عبد الحميد الفراني:** القيمة العلمية لروايات ابن منقذ الشفوية، ص٣٨٣.

وأشار إلى غنى المنطقة الممتدة بين بانياس والشعراء[١] بالمراعي الخصبة التي كانت تنتشر فيها قطعان الأغنام[٢]، التي اشتهر أهالي بلاد الشام ومصر بتربيتها إلى جانب الأبقار، والجواميس، والشياه، والجمال، والبغال، وخاصة السروجية منه[٣]، والتي ذاع صيتها كنوع جيد من البغال في ذلك العصر، مما يدل على رواج تجارة الدواب[٤]، إلى جانب المتاجرة بالأعلاف الحيوانية كالشعير والتبن في أسواق دمشق[٥] .

ولا تخلو روايات أسامة من الحديث عن الصناعة والصناع الحرفيين، فنجده يورد بعض الدلالات حول بعض الصناعات كصناعة السروج[٦] التي اشتهرت بها مدينة غزة آنذاك، وذاع صيتها في مصر[٧]، وصناعة السيوف في شيزر التي لقيت رواجاً في ذلك العصر كسلاح رئيس استخدم في الجهاد ضد الصليبيين والإسماعيلية[٨]، كما أشار إلى شهرة مدينة ديبق في صعيد مصر بصناعة الثياب الديبقي، ودمياط بصناعة الثياب المبطنة بفراء السنجاب، والتي عرفت بالمسنجب الدمياطي، إلى جانب شهرة مدينة بغداد بنسيج السقلاطون[٩].

---

(١) **الشعراء**: هي ناحية مجاورة لبانياس، كثيرة الأشجار، ملتفة الأغصان، ذكرها ابن الأثير وأبو شامة. التاريخ الباهر، ص١٣١. الروضتين، ج١، ط الرسالة، ص٣٢٩ .

(٢) **ابن منقذ**: الاعتبار ، ص٨٦-٨٧ .

(٣) **ابن منقذ**: الاعتبار ، ص٣٦، ٤٨، ٦٣.**سروجية**: أي نسبة الى بلدة سروج وهي قريبة من حران من ديار مضر الى الشمال من منبج، وبالتحديد في الشمال الشرقي من بلاد الشام. **البكري**: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج٣، ص٧٣٧ . **ياقوت الحموي**: معجم البلدان، ج٣، ص٢١٦ .

(٤) **ابن منقذ**: الاعتبار ، ص٩٢، ١٨٢ .

(٥) **ابن منقذ**: الاعتبار ، ص١٧٩ .**عبد الحميد الفراني**: القيمة العلمية لروايات ابن منقذ الشفوية، ص٣٨٣ .

(٦) **السروج** جمع سرج، وهو رحل الدابة، والسراج: بائع السروج وصانعها. ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص ٢٩٧ .

(٧) **ابن منقذ**: الاعتبار، ص ٥٢.

(٨)**ابن منقذ**:الاعتبار ، ص١٣٧ .

(٩) **ابن منقذ**:الاعتبار ، ص٣٤ . **عبد الحميد الفراني**: القيمة العلمية لروايات ابن منقذ الشفوية، ص٣٨٣. **السِقْلاطَون**: نوع من نسيج الحرير المزركش بالذهب. والذي ينسج منه في بغداد ذو شهرة عظيمة. وقد شاعت هذه الكلمة في كل أوربا في القرون الوسطى. انظر: **دوزي**: تكملة المعاجم العربية، ج٦، ص٩٦ .

ومما يتصل بالناحية الاجتماعية ما ذكره أسامة عن بعض أنواع المهن التي كانت موجودة في عصره نحو: الجرائحي، وهو الطبيب المداوي للجروح [١]، والمجبر الذي يعالج الكسور[٢]، والمرخّم الذي يعمل في الرخام وتركيبه [٣]، والمغربل[٤].

كما ذكر بعض المهن التي تتصل بالصيد، مثل: السّباع، وهو من يعتني بالأسود والسباع[٥]، والبازدارية حفاظ البزاة ومدربوها[٦]، والصقارون، والفهادون، والكلابزيين، وهم من يعتنون بالكلاب وتدريبها[٧]، والوشاقية وتعني حملة الشموع[٨].

كما يعرض أسامة في الكتاب صورة مشرقة للمرأة في المجتمع آنذاك، فقد ذكر عن المرأة أخباراً وصف فيها: ورعها، وعفتها، ونخوتها، وحكمتها، ودورها في الجهاد، فكانت نموذجاً من النماذج التي تفخر بها المرأة المسلمة في كل مكان وزمان، فمن صور المرأة التقية الورعة حديث أسامة عن جدته التي عمرت مائة عام، وهي تصلي واقفة، وتحرص على تأدية النوافل أيضاً[٩]، ومن النماذج التي تظهر نخوة المرأة ما قدمته زوجة القائد مقبل، وذلك لما جلب جارية كانت من الأشراف قبل أسرها، ولما علمت زوجه قصتها؛ أخبرته بها، وقام بمساعدتها، فأخبر الخليفة الحافظ بأمرها، فطلب بإحضارها، ورفعها إلى القصر[١٠].

ويعرض أسامة – أيضاً– صورة مشرقة للمرأة المجاهدة، التي ضربت بشجاعتها وعفتها وطهرها أروع الأمثلة في القتال مع الصليبيين والإسماعيلية، فهذه أم أسامة تختار أن تموت ابنتها على أن تقع بأيدي الأعداء من الإسماعيليين [١١]، وتلك امرأة مسلمة تقتل

---

(١)**ابن منقذ**: الاعتبار ، ص، ٢١٦ ، ٢٣٨ .

(٢)**ابن منقذ**:الاعتبار ، ص ١٩٧ .

(٣) **ابن منقذ**:الاعتبار، ص ٢١٨ .

(٤) **ابن منقذ**:الاعتبار ، ص٢٨٧ .

(٥) **ابن منقذ**:الاعتبار ، ص ١٨٩ .

(٦) **ابن منقذ**:الاعتبار، ص ٢٩٥ .

(٧)**ابن منقذ**:الاعتبار ، ص ٣٠٦ .

(٨) **ابن منقذ**:الاعتبار، ص ٣٠٢ .**رغدة الزبون**: قراءة تحليلية في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ، ص٢٠.

(٩) **ابن منقذ**:الاعتبار ، ص ٢١٣ .

(١٠) **ابن منقذ**:الاعتبار، ص ٨٩ .**رغدة الزبون**: قراءة تحليلية في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ، ص٢١.

(١١)**ابن منقذ**:الاعتبار ، ص ١٤٥ .

زوجها لما علمت بأنه يعمل مع الصليبيين ضد المسلمين(١).

وكذلك لم ينس المرأة الصليبية، فهي عنصر فعّال في المجتمع الصليبي، والتي أهملها المؤرخين المعاصرين للحملات الصليبية من المسلمين والصليبيين، فذكر لنا بعض الأحاديث الشيقة عنها وعن شجاعتها، فمنها على سبيل المثال: المرأة التي تنتصر لزوجها فتجرح فارساً مسلماً (٢).

كل ذلك بالإضافة إلى ما ذكره من معلومات عن الطيور والحيوانات،والذي يمثل عصارة خبرة اكتسبها أسامة من تجربته الذاتية التي عاشها في ميدان الصيد، ويستحق أن يفرد له باب من الكتب والموسوعات المتصلة بهذه الموضوعات، ومن هذه الزاوية نتبين للكتاب جانباً آخر من جوانب أهميته.

أما ما يتعلق بالأهمية الجغرافية؛ فيذكر أسامة في معرض حديثه عن الحروب التي خاضها، وعن رحلات صيده معلومات عن الأماكن التي مر بها، أو سكنها مدة من الزمن، فيصفها، ويتحدث عن أهلها وطبائعهم، وأسماء العاملين عليها من أمراء ووزراء وقادة، والقبائل التي تقيم فيها، أو بالقرب منها، والصعوبات التي يجدها المرتحل من بلد إلي بلد آخر في ذلك الوقت، كتعرضه لقطّاع الطريق وترصد العيارين والحرامية لهم، ونفاد الزاد والماء منهم، وهو بهذا الحديث يزودنا بمعلومات جغرافية وإدارية عن تلك الأماكن(٣)، ومن أمثلة هذا حديثه عن عكا فيقول: " وسكان ضِياعَ عكا كلهم من المسلمين، إذا وصل إليهم الأسير أخفوه، وأوصلوه إلى بلاد الإسلام "(٤)، ووصفه للصعوبات التي تعرض لها في وادي موسى، وفي هذا يقول(٥): " فسرنا في أشد من الموت في بلاد الإفرنج، بغير زاد للرجال، ولا علف للخيل، إلى أن وصلنا جبال بني فهيد –لعنهم الله– في وادي موسى، وطلعنا في طرقات ضيقة وعرة إلى أرض فسيحة، ورجال شياطين رجيمة، من ظفروا به منا منفرداً قتلوه، وتلك الناحية لا تخلو من بعض بني ربيعة الأمراء الطائيين. فسألت: من

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار ، ص ٦٩ .

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٨٢ . **بتول كامل مزهر الياسري:** الجغرافيون والرحالة العرب في بلاد الشام ، ص ١٣٦ .

(٣) **رغدة علي الزبون:** قراءة تحليلية في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ، ص١٩ .

(٤) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص ١٠٤ .

(٥) **ابن منقذ:**الاعتبار، ص٥١ .

هنا من أمراء بني ربيعة؟ قالوا: منصور بن غدفل[1] وهو صديقي... " .

ومن هنا تبرز أهمية كتاب " الاعتبار" لعدة أمور، منها ما يتصل بالجانب التاريخي الإسلامي العام، والجانب الخاص ببلاد الشام، وهي تفرّده بتصوير أحوال المسلمين داخل مدنهم وبيوتهم، وما أحسوه بينهم وبين أنفسهم، وهم يقابلون غزوة الاستيطان الصليبي الأولى للأرض الإسلامية، وبالجانب الأدبي حيث يعتبر واحد من الكتب النادرة في فن السيرة الذاتية في المكتبة العربية، والجانب اللغوي؛ إذ هو صورة حيَّة من لغة الكلام في شمالي الشام يومذاك، فضلاً عن الجانب الذاتي المتصل بأحوال قلعة شيزر وما حولها، وما اتصل بتاريخها.

<u>(٢)- كتاب المنازل والديار:</u> ذكره ابن الساعي و المقريزى[2]، وهو كتاب يقع فى(٤٨٠) صفحة من الحجم الكبير، جمع أسامة فيه أشعار معاصريه وأشعار الشعراء السابقين منذ الجاهلية إلى عصره في موضوع بكاء المنازل والديار، وما يتصل به من مرادفات أخرى، مثل: الربوع، والأطلال، والمغاني، والرسوم، والآثار ...الخ، تلك الأشعار التى تُعزف فيها أنغام الحزن والأسى لفقدان الأهل والأقرباء، ممتزجة بمشاعر الحنين إلى الأوطان، وجفوة الغربة ووجع الفراق، بالإضافة الى جمع كل ما يمس بصلة لهذا الموضوع من كتب التاريخ والتراجم، وكتب الأدب، والنوادر، والحِكَم، والخُطَب مما يبرد اللوعة،

---

(١) الأصح (دغفل) من وجهة نظر الباحثة لما جاء فى نسبهم، وربما يكون هى خطأ سماعي؛ إذ المعروف عن "الاعتبار" أن أسامة أملاه وهو في سن كبير. **بنو طئ:** بفتح الطاء وتشديد الياء، وهمزة في الآخر، قبيلة من كهلان من القحطانية، وهم بنو طي بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، والنسبة إليهم طائي، وإليهم ينسب حاتم الطائي المشهور بالكرم، وكانت منازلهم باليمن، فخرجوا منها على أثر خروج الأزمنة، ونزلوا سهيراً، وقيل في جوار بني أسد ثم غلبوهم على اجاء وسلمى، وهما جبلان في بلادهم يعرفان الآن بجيلي طي، وافترقوا في أول الإسلام في الفتوحات. وهم أصحاب الرياسة في العرب إلى الآن بالعراق والشام، وبمصر، منهم بطون والمشهور من بقايا طيء الموجودين الآن خمسة أبطن: البطن الأول: ربيعة. وهم بنو ربيعة بن حازم بن ابن علي بن الفرج بن دَغفل بن جراح بن شبيب.وكان ربيعة هذا قد نشأ في أيام الأتابك زنكي وابنه العادل نور الدين صاحب الشام. وولد له أربعة أولاد، وهم فضل، ومرا، وثابت، ودغفل ومنهم الأربعة تفرعت آل ربيعة. وكانت الرياسة على طيء أيام الفاطميين لبني الجراح، ثم صارت لمرا بن ربيعة. **القلقشندي:** نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص: ٣٢٦ . قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ص ٧٤ .**عمر رضا كحالة:** معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ج٢، ص٤٢١، ٤٢٣.

(٢) الدر الثمين فى أسماء المصنفين ، ص ٢٩٧ . المقفى الكبير ، ج٢ ، ص ٤٨.

ويسكن الوجدان، وألفه أسامة عزاء لنفسه، ومواساة لقلبه، حين عاد الى بلده، فوجدها رسوماً عافية، ومنازل خاوية، ودياراً فانية، بعد زلزال مروع أصاب بلده شيزر سنة (٥٥٢هـ/ ١١٥٧م)، فأصبحت " كأن لم تغن بالأمس" [١].

طبعات الكتاب:

ظلت النسخة الخطية الوحيدة للمؤلف قابعة فى زوايا النسيان إلى أن عثر عليها فى خزانة "المتحف الأسيوى بلييننجراد" في روسيا[٢]، وقام هذا المعهد بنشره عام (١٩٢٥م) من قبل المستشرق الروسى كراتشكوفسكي بطريقة التصوير[٣]، وقام المستشرق " أنس خالدوف "بنشره عام (١٩٦١م) عن طريق تصوير المخطوطة كما هي، واكتفى بإضافة الفهارس العلمية الدقيقة في خاتمة الكتاب من غير تعليق لوضوح النسخة تماماً، وعدم احتياجها إلى أي نوع من التعليقات من وجهة نظره[٤].

ثم طبع الكتاب في دمشق من قبل المكتب الإسلامى على نفقة الشيخ على بن عبدالله آل ثانى (حاكم قطر السابق)، وجعله وقفاً لله تعالى، ثم أعيد طبعه مرتين في مصر وتحقيقه وفق منهج علمى صحيح من قبل الأستاذ مصطفى حجازى، الأولى عام (١٩٦٨م)، والثانية عام (١٩٩٢م)[٥] بعناية لجنة إحياء التراث بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف، وهى النسخة التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة.

محتوى الكتاب ومضمونه:

فرغ أسامة من تدوين كتابه في حصن كيفا في جمادى الأولى لسنة (٥٦٨هـ/ ١١٧٢م)[٦] مرتباً له على مقدمة، وستة عشر فصلاً، يعددها بالتفصيل فى نهاية المقدمة، والتزم بها، ولكل فصل عنوان خاص، في ذكر: المنازل، والديار، والمغاني، والأطلال،

---

(١)**ابـن منقـذ:** المنـازل والـديار، تحقيـق: مصـطفى حجـازي ، لجنـة احيـاء التـراث، المجلس الأعلـى للشـئون الإسلامية ، وزارة الأوقاف، القاهرة ١٤٣٢هـ/٢٠١١م ، مقدمة المحقق، ص٧ .

(٢)**ابن منقذ** : المنازل والديار، تصدير الكتاب بقلم: محمد أبو الفضل إبراهيم رئيس لجنة إحياء التراث، ص ٤ .

(٣) **نجيب العقيقي:** المستشرقون ، ج٣ ، ط٣، دار المعارف، مصر، ١٩٦٥م، ص ٩٥٦ . **محمد عدنان قيطاز:** أسامة بن منقذ ، ص ٤٤ .

(٤) **محمد التنوجى** : المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات ، عالم الكتب، د. ت ، ص ١٨٦ .

(٥)**محمد عدنان قيطاز** : أسامة بن منقذ ، ص ٤٤ .

(٦)**ابن منقذ** : المنازل والديار، ص ٤٨٠ . **كارل بروكلمان** : تاريخ الأدب العربي، ج٦ ، ص ٢٥.

والربع، والدمن، والرسم، والآثار، والمساكن والمحال والمعاهد والأعلام والمعالم والعرصات، والأرض، والأوطان والمدن والبلاد والدار والبيت، وختم كتابه بفصل في بكاء الأهل والإخوان.

جمع أسامة في كل فصل أشعاره، وقطعاً نثرية حول المعنى الذى ينضوى عليه عنوان الفصل، ويعطي – أحياناً– شرحاً وتفسيراً للمصطلح أو اللفظه التي هي عنوان الفصل، وحولها تدور الأشعار، ويبدأ الفصل –غالباً– بما يجده مناسباً لهذا المصطلح من آيات القرآن الكريم مع تفسيرها من المأثور، ثم يورد ما يوافق اللفظه أو المصطح من الأحاديث النبوية، ثم يفيض في مختاراته الشعرية مع الأخبار المتعلقة بها، ثم يسوق أشعاره وأشعار أقربائه في آخر كل فصل، هذا مع توضيح وشرح للكلمات التى يراها صعبة الفهم. وقد أورد في كتابه قرابة خمسة آلاف بيت من الشعر [١].

الأهمية الأدبية والتاريخية للكتاب وقيمته:

يُعَد كتاب المنازل والديار من المصادر المهمة في الأدب التاريخي حيث لا تكمن أهميته في الحقل الأدبى فحسب؛ بل يُستفاد منه في كثير من المجالات المتعلقة بعلم التاريخ بشكل أو بآخر، ويمكن تلخيصها في الآتي :

للكتاب قيمة أدبية بصفته من كتب المختارات الشعرية، حيث جمع المؤلف فيه أشعاره على سبيل التأسى بما قاله الشعراء قبله في بكاء المنازل والديار، والوقوف على الدمن والأطلال، ومجموعها خمسة آلاف بيت من جيد الشعر العربي، الأمر الذي يجعل من هذا الكتاب واحداً من كتب المختارات الشعرية الموضوعية، وحلقة في سلسلة الكتب التى تشبهه في هذا النهج، مثل: كتب الحماسة، وكتب الأمانى ..ونحوها، فضلاً عن أنه حفظ لنا قدراً كبيراً من الأشعار لا نجدها في كتب الدواوين[٢]، بالإضافة إلى أنه قدم لنا مادة غزيرة من الشعر والنثر الذى قالته العرب في: المنازل، والديار، والرسوم، والأطلال والدمن، والمعاهد، والمحال، والعرصات ...الخ؛ فجاء ذا وحدة موضوعية مختارة بشكل ممتاز، يغلب عليه حس الشاعر المرهف، وبصر الأديب الناقد[٣].

---

(١) **حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وأثاره، ج٢، ص٣٣، ٣٩ .

(٢)**ابن منقذ** : المنازل والديار ، مقدمة المحقق ، ص٩ .

(٣) **ابن منقذ** : المنازل والديار ، مقدمة المحقق ، ص ١٠ .

وللكتاب قيمة واضحة تكمن في كونه أثراً أدبياً من آثار القرن (السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى)، تنعكس فيه روح ذلك العصر، وشخصية أسامة أيضاً، وقيمته تزداد لقلة الإصدارات النقدية لآثار ذلك القرن، فمؤلِف كأسامة، أديب وشاعر، في اختياره لمادة كتابه هذا ، إنما يلعب – بهذا الإختيار – دوراً هاماً جداً في دراسة الأدب فى ذلك العصر؛ ذلك لأن أسامة يمتلك الذوق الأدبي الفني في اختيار المقطوعات، وهذا يعطينا صورة عن طبيعة تقييمه ونقده الشعر.

أما أهمية الكتاب الأساسية، فتتركز في كونه بطريقة ترتيبه، ومادته المجموعة فيه، هو يعطى مادة غزيرة ضخمة، يمكن أن تكون أساساً حياً لدراسة الموضوعات الأدبية في الشعر العربي، كما أنه في نفس الوقت يساعد بشكل ملحوظ على تطور هذا الإتجاه في البحث والدراسة في علم الأدب وتاريخه[1] .

أما عن المرويات التاريخية في الكتاب؛ فبالرغم من أن هذا الكتاب أدبي الطابع إلا أن أسامة استطاع أن يضمّن كتابه مادة تاريخية متنوعة، أراد من خلالها أن يعطي لكتابه جاذبية للقارىء، تخفف من جفاف مادته إذ يقول: " فافتتحت كل فصل بما يوافق حالي، ثم أفضت فيما يوافق ذا القلب الخالي، لكيلا يأتي الكتاب كله عويل ونياحة، ليس فيه لسوي البث راحة "[2] وتتمثل هذه المادة فيما يأتي:

١- استشهادة بأحداث ووقائع تاريخية قيل فيها الأشعار المختارة[3]، كإيراده خبر خروج عبد الله بن يحيي الكندي[4]،

---

(١) **وهيب طنوس** : الوطن فى الشعر العربى ، ص ١٤٧ .

(٢) **ابن منقذ** : المنازل والديار ، مقدمة المؤلف ، ص ٥.

(٣) المنازل والديار، ص١٢، ١٣،٢١، ٦٦،٧٢،٩٤،٩٧، ١٣٣، ١٣٨، ٢١٤،٢٢٠، ٢٦١، و٤٥٨.

(٤) **عبد الله بن يحيي بن عمرو بن شرحبيل بن عمرو بن الأسود الكندي**: خارجي، وأحد بني عمرو بن معاوية، كان أعور، وخرج على الدولة الأموية في حضرموت، وكان يلي حكمها إبراهيم بن جبلة، حين قدم إليه المختار بن عوف من البصرة، فبايعه على الخلافة، وسمي "طالب الحق"، واستخلف على حضرموت عبدالله بن سعيد الحضرمي، وتوجه الى صنعاء واستولى عليها سنة (١٢٩هـ/٧٤٦م)، ودعا إلى خلع الخليفة مروان بن محمد . انظر: **البلاذري**، أحمد بن يحيي بن جابر البلاذري: جمل من أنساب الأشراف تحقيق وتقديم: سهيل زكار، ورياض زركلي، ج٩، ط١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ٢٨٥-٣٠٣ .**الطبري**، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج٧، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦٧م، ص ٣٤٨، ٣٩٤ . **أحمد صبحي سالم أبو مصبح**:=

الإباضـــيّ[1] على الخليفة مروان بن محمد سنة(١٣٠هـ/٧٤٨م)، واستيلائه على صنعاء وكثير من بلاد اليمن، وجهز أبا حمزة[2] على رأس جيش من الإباضية، فاستولى على المدينة ومكة، فجهز إليه مروان بن محمد جيشاً بقيادة عبد الله بن عطية[3]، فلقيه أبو حمزة بوادي العفرة، فقُتِل أبو حمزة ومن معه، واستولى عبد الله بن عطية على مؤنهم، وبلغ ذلك عبد الله بن يحيى، الملقب "بطالب الحق"، وهو بصنعاء، فسار يريد عبد الله بن عطية، وبلغ مسيره ابن عطية، فسار إليه، فالتقى الجيشان فظفر به عبد الله بن عطية، وقُتِل عبد الله بن يحيى الكندي، ومعظم جمعه، وتفرق من سلم منهم من القتل في البلاد، وبعث برأسه إلى مروان بن محمد[4]، ثم أورد الأشعار المختارة التي قيلت رثاء ممن قتلوا من الإباضية [5].

=مروان بن محمد في مرويات الطبري(٧٢-١٣٢هـ/٦٩١-٧٤٩م) دراسة تاريخية منهجية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ٢٠١٤م، ص١٧٧ .

(١) **الإباضية:** هي إحدى فرق الخوارج، تنسب إلى عبد الله بن إباض التميمي المري، وهو مرة بن عبيد من بني تميم، والإباض هو الحبل الذي يشد في ذراع الجمل، وافترقت الإباضية إلى عدة فرق، مثل: الحفصية، والحارثية، واليزيدية. انظر: **ابن قتيبة**، ابي محمد عبدالله بن مسلم: المعارف، تحقيق وتقديم: ثروت عكاشة، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ص ٦٢٢. **الخوارزمي:** أبو عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب: مفاتيح العلوم، ط١، راجعه وعلق حواشيه: محمد كمال الدين الادهمي، قام بطبعه وتصحيحه عثمان خليل على النسخة التى قام بطبعها المستشرق ج. فان فلوتن، مطبعة بريل، ليدن، هولندا، سنة١٨٩٥م، ١٩٣٠م، ص١٩ .**ابن الأثير:** اللباب في تهذيب الأنساب،ج١، ص ٢٣ .

(٢) **المختار بن عبد الله بن مازن بن مجاشر الأزدي الأباضي**، أحد بني سلمة، من أهل البصرة، خرج على الخلافة الأموية سنة (١٢٩هـ/٧٤٦م)، الذي طلب البيعة فيها لطالب الحق عبد الله بن يحيي الكندي، وخلع الخليفة مروان بن محمد، وهو صاحب وقعة قديد، ووادي القرى التي بعدهما سيطر على مكة والمدينة. **البلاذري:** أنساب الأشراف، ج٩، ص ٢٨٩ – ٣٠١ .**الطبري:** تاريخ الرسل والملوك، ج٧، ص ٣٧٤، ٣٩٣-٣٩٩ .**أحمد صبحي سالم أبو مصبح:** مروان بن محمد في مرويات الطبري، ص ١٧٧.

(٣) فى رواية البلاذري والطبري " عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي " وليس عبدالله بن عطية كما ذكر أسامة. **البلاذري:** أنساب الأشراف، ج٩، ص ٣٠١. **الطبري:** ج٧، ص ٣٩٨ .

(٤) المنازل والديار، ص ٤٥٧، ٤٥٨. وللاستزادة عن هذه الثورة. انظر: **البلاذري:** أنساب الأشراف، ج٩ ، ص ٢٨٣-٣٠٣ .**الطبري:** ج٧، ص ٣٩٣-٤٠٠ .**أحمد صبحي سالم أبو مصبح:** مروان بن محمد في مرويات الطبري، ص ١٧٧-١٨٠ .

(٥)المنازل والديار ، ص٤٥٨ .

٢- ذكر أخبار وروايات تفسر الأبيات الشعرية المختارة [١]، كقوله بعد أن انتهى إلى قول الشاعر:

وللحمية لا عن زلة حكمت بالبعد فارقت إخواناً وأوطانا

تخيفني بلدة حتى أميل إلى أخرى، كأني عمران بن حطانا[٢]

قلت: ربما وقف على هذين البيتين من يتطلع إلى معنى قول أبي الفتيان: "كأني عمران بن حطان"؛ فرأيت أن أذكر شيئاً من أخباره، وإن لم يقتض التأليف ذلك. ثم أتى على خبر عمران بن حطان وهروبه من الحجاج بن يوسف الثقفي[٣].

٣- ذكر أخبار وحوادث أوجبت الأبيات الشعرية إيرادهاعلى حد قوله. كقوله عندما ينتهي إلى قول الشاعر:

ما للمنازل لا يجبن حزبنا أصممن أم قدم البلى فبلينا؟!

لا، بل بلين فهجن داء ساكناً لمتيم، وأثرن منه دفينا

روحوا العشية روحة مذكورة إن متن متن، وإن حيين حيينا[٤]

قلت: مرت بي هذه الأبيات في خبر استطرفته، فأوردته، وليس مما قصدت له، لكن الأبيات أوجبت إيراده[٥]، ثم أورد قصة الطفيلي الذى رأى عشرة يسيرون في طريق البصرة؛ فظنهم في الطريق إلى طعام، فاندس بينهم، وكان الخليفة المأمون قد أمر باستدعائهم؛ لأنهم من الزنادقة، فلما اقتيدوا إليه ببغداد، أمر بضرب أعناقهم، ثم سأل الطفيلي عن سبب حضوره معهم، فقص عليه قصته، فضحك المأمون منها، وأمر بتأديبه،

---

(١)المنازل والديار ، ص ١٦٥ ،٢٢٦ ، ٢٣١ .

(٢)البيتين من بحر البسيط .

(٣) المنازل والديار، ص ٢٣١- ٢٣٥ .**الحجاج بن يوسف الثقفي** أبو محمد بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسي الثقفي، عامل عبد الملك بن مروان على العراق وخراسان، فلما توفي عبد الملك، وتولى الوليد أبقاه على ما بيده. توفي في رمضان سنة (٩٥هـ/٧١٣م) وهو كهلاً. **ابن العديم:** بغية الطلب، ج٥ ، ص ٢٠٣٧ . **ابن خلكان:** وفيات الأعيان، ج٢، ص ٢٩ وما بعدها، .**الذهبي:** سير أعلام النبلاء ،ج٤، ص٣٤٣ .

(٤)الأبيات من بحر الكامل .

(٥)المنازل والديار ، ص ٤٩ .

وكان إبراهيم بن مهدي حاضراً، فقص على المأمون قصة وقعت له تناسب قصة الطفيلي، وجاءت فيها الأبيات المذكورة[1].

٤- إيراد أخبار تاريخية لها صلة بالنص القرآني المستدل به. كإيراده خبر قتل كعب بن الأشرف[2] في سياق طويل عندما تعرض في ذكر الديار لتفسير قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ...)[3]، ويعقب على ذلك بقوله: " قلت: اقتضت الآية ذكر قتل كعب بن الأشرف؛ فذكرته، وإن لم يكن مما قصدت له"[4].

ومن الأمثلة التي أوردناها ترى الباحثة أن المادة التاريخية في كتابه جاءت معظمها غير منفصلة عن المكان موضوع الكتاب، إذ تشير اليه بشكل أو بآخر، ولهذا نلمس فيها بروز الحنين الى الأوطان والرثاء والتأسى على ما فات، وهو ما يخدم الغرض الذى وضع لأجله هذا الكتاب، ولهذا نستطيع أن نقول لمن يطلقون على الروايات التاريخية الموجودة في الكتاب استطراد إنه استطراد مفيد، يخدم الغرض منه .

---

(١)المنازل والديار ، ص ٤٩- ٥٤ .**حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وأثاره، ج٢، ص٣٥، ٣٦ .

(٢) المنازل والديار، ص ٥٥-٦١ .**كعب بن الأشرف،** من طيء، أحد بني نبهان، وكانت أمه من بني النضير، بعث سيدنا محمد ﷺ سرية لقتل كعب بن الأشرف اليهودي. وذلك لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً من هجلرة رسول الله ﷺ وكان سبب قتله أنه كان رجلاً شاعراً يهجو النبي ﷺ وأصحابه، ويحرض عليهم، ويؤذيهم. فلما كانت وقعة بدر كبت وذل، وقال: بطن الأرض خير من ظهرها اليوم، فخرج حتى قدم مكة، فبكى قتلى قريش، وحرضهم بالشعر. ثم قدم المدينة فقال رسول الله: "اللهم اكفني ابن الأشرف بما شئت في إعلانه الشر، وقوله الأشعار". وقال أيضاً: "من لي بابن الأشرف فقد آذاني؟ فقال محمد بن مسلمة: أنا به يا رسول الله، وأنا أقتله. فقال: افعل وشاور سعد بن معاذ في أمره". واجتمع محمد بن مسلمة، ونفر من الأوس، منهم: عباد بن بشر، وأبو نائلة، والحارث بن أوس بن معاذ، وأبو عبس بن جبر، فقالوا: يا رسول الله نحن نقتله، فاذن لنا. وكان أبو نائلة أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة، فخرجوا إليه وقتلوه.**ابن اسحاق:** محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني، سيرة ابن إسحاق(السير والمغازي)، تحقيق: سهيل زكار، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص٣١٦-٣١٩ . **ابن سعد:** ابو عبدالله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري البغدادي المعروف بابن سعد: الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ج٢، ص ٢٤ .**الواقدي:** محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني: المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، ط٣، دار الأعلمي، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ج١، ص١٢١-١٢٣ .**الطبري:** تاريخ الرسل والملوك، ج٢، ص٤٨٧-٤٨٩ .**ابن كثير:** البداية والنهاية، ج٥، ص ٣٢٦.

(٣) سورة الحشر، من الآية (٢) .

(٤) المنازل والديار ، ص ٦١. **حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وأثاره، ج٢، ص٣٦ .

(٣)- كتاب العصا:

ذكره ياقوت الحموي باسم " القضا "[١]، وعلل حسن عباس ومحمد عدنان قيطاز بأنه تصحيف من قبل الناسخ أو المحقق إذ لا يعتقدان أن ياقوتاً لا يعرف بدقة تسميه كتاب العصر؛ فهو قريب العهد بمؤلفه، ونقل الكثير عنه، وعن أعلام أسرته من معاصريه. وتتفق الباحثة معهم في ذلك؛ حيث بالرغم من أن العماد الكاتب لم يتطرق إلى مؤلفات أسامة إلا أن كتاب " العصا" هو المؤلف الوحيد الذي صرح به العماد في خريدته من خلال مكاتبته بين أسامة والقاضي الفاضل[٢]، ومن المعروف أن " الخريدة " من المصادر الأساسية التي اعتمد عليها الحموي في ترجمة أسامة وأسرته.

طبعات الكتاب وتحقيقه:

اهتم المستشرق الفرنسي هارتويغ درنبورج الذي نشر كتاب الاعتبار عام (١٨٩٢م) بأثار أسامة بوصفه معاصراً للحروب الصليبية، وله فيها مشاهدات دوّنها فى مؤلفاته، فكان أول من أشار إلى كتاب العصا، حيث أعقب نشر " الاعتبار" بنشر منتخبات من كتاب العصا، ومن ديوان أسامة عام (١٨٩٣م)[٣]، ويبدو أن هذه المنتخبات قد وصلت ،إلينا فعمل على تحقيقها عبد السلام هارون، ونشرها في كتابه نوادر المخطوطات[٤] على أنها الكتاب كاملاً، ولكن لم يرد فيها ما ذكره أسامة في مقدمة كتابه، يقول: " وقد افتتحته بذكر عصا موسى ثم ذكر عصا سليمان بن داوود "، ومن يتصفح ما نشر من كتاب " العصا" في " نوادر المخطوطات" لا يقع على عصا موسى أو سليمان -عليهما السلام- مما يدل على أن ما نشره عبد السلام هارون ما هو إلا نبذة صغيره من كتاب العصا [٥].

---

(١) **ياقوت الحموي:** معجم الأدباء، ج٢، ص٥٧٩ .

(٢) الخريدة، قسم شعراء الشام، ج١، ٥٤٠ .

(٣) **محمد عدنان قيطاز:** أسامة بن منقذ والجديد من آثاره، ص٤٨ .

(٤) **عبد السلام هارون:** نوادر المخطوطات، ج١، ص١٧٥ .

(٥) **ابن منقذ:** العصا، مقدمة المحقق، ص١-٤ .**حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وآثاره، ج٢، ص١٧،١٦. **محمد عدنان قيطاز:** أسامة بن منقذ والجديد من آثاره، ص٤٨ .

ولم ينشر كتاب العصا كاملاً إلا في القاهرة سنة (١٩٧٨م) على يد الباحث: حسن عباس الذي عثر على ثلاث نسخ خطية منه في إيطاليا، وهولندا، والهند، وقام بالتحقيق والتعليق عليه، ثم طبع ثانياً عام (١٩٨١م)[١]، وهى النسخة التي اعتمدت عليها الدراسة.

مضمونه ومحتواه:

أفاض أسامة في هذا الكتاب في ذكر الأخبار والأشعار التي وردت عن العصا، ابتداء من عصا موسى عليه السلام، وعصا سليمان بن داود عليه السلام، وانتهاء بأشعاره عن عصاه التي اعتمد عليها في شيخوخته[٢]، وقد دارت بين أسامة وبين القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني مراسلات بشأن هذا الكتاب سنة (٥٧١هـ/١١٧٥م)، حفظها العماد الأصفهاني في خريدته، وكان أسامة وهو مقيم في بديار بكر قد أرسل هذا الكتاب إلى وزير مصر، وعندما عاد أسامة إلى دمشق بدعوة صلاح الدين له، كاتبه القاضي الفاضل – وكان وقتئذ بمصر – برأيه في هذا الكتاب[٣]، إذ يقول : " وعلى ذكر العصا؛ فإن تيسَّر الكتاب المجموع فيها، حُسِب أنه ثانية العصا، وأُضيف إلى محاسنها التي لا تحصى أو يُحصى الحصا "[٤] .

و" كتاب العصا " يشبه كتاب " المنازل والديار "، ووجه الشبه في كونه –أيضاً– يتألف من مجموعة أشعار وأخبار تدور حول موضوع واحد هو " العصا " [٥].

منهجه ومادته:

لم يقف أسامة على" كتاب العصا" المفقود،[٦] ذلك الكتاب الذى قصّ عليه أبوه أنه رأه عند الشيخ العالم أبي يوسف القزويني، وكيف نهر هذا الشيخ الجليل علي بن البوين

---

(١) **محمد عدنان قيطاز:** أسامة بن منقذ والجديد من آثاره، ص٤٩ . وانظر. **حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وآثاره، ج٢، ص١٧ .

(٢) **وهيب طنوس** : الوطن في الشعر العربى ، ص ١٥٧ .

(٣) **محمد أحمد حسين:** أسامة بن منقذ صفحة من تاريخ الحروب الصليبية، ص٩٦ .

(٤) الخريدة، قسم شعراء الشام، ج١، ٥٤٠ .

(٥) **وهيب طنوس** : الوطن في الشعر العربى ، ص ١٥٧ .

(٦) ذكر أسامة بن منقذ في مقدمة كتابه "العصا " أن باعثه و هدفه من كتابه هو إحياء لكتاب يحمل اسم " العصا" ظل طيلة حياته يبحث عنه، إلى أن حداه اليأس وتعذر وجودة ألف هذا الكتاب وأطلق عليه نفس الإسم .

الشاعر النحوي الكاتب عندما مدّ يده إليه، وضنّ عليه بالمطالعة فيه، فشغل أسامة نفسه بالبحث عن الكتاب، وظل يبجث عنه في كل أرض يطؤها لمدة ستين عاما"، دون أن يهتدي إليه[1]، يقول: " ولي منذ سمعت هذا نحو من ستين سنة أتطلب " كتاب العصا " بالشام ومصر، والعراق، والحجاز، والجزيرة، وديار بكر، فلا أجد من يعرفه، فكلما تعذر وجوده ازددت حرصًا على طلبه، إلى أن حداني اليأس منه على أن جمعت هذا الكتاب وترجمته بكتاب العصا " [2]،

ومن المؤكد أن أسامة أنفق كل هذه الأعوام في جمع ما يتعلق بالعصا من أشعار وأخبار، حتى توفرت لديه مادة ضخمة، مكنته من تأليف كتابه، ويعرض لنا أسامة خطته في تأليف هذا الكتاب ومادته، فيقول: " وكتابي هذا وإن كان خاليًا من العلوم التي تتجمل التصانيف بها، ويرغب أولو الفضل في طلبها، فما يخلو من أخبار وأشعار تميل النفوس إليها، ويحسن موقعها ممن وقف عليها. وقد افتتحته بذكر عصا موسى (عليه السلام) ثم ذكر عصا سليمان بن داود (عليه السلام) ثم أفضت في ذكر الأخبار والأشعار التي يأتى فيها ذكر العصا، ولا أدعي أنني أتيت على ذكر العصا فيما جمعته، وإنما أوردت منه ما حفظته وسمعته "[3] .

وذكر بعض الباحثين أن عبد السلام هارون توهم عندما ذكر أن" كتاب العصا" الذي ظل أسامة يبحث عنه هو للجاحظ، وانما هو من مباحث كتاب " البيان والتبيين " وأن أسامة التبس عليه الأمر، فظن ذلك الكتاب الذى دار حوله الحديث كتاباً مستقلاً لمؤلف آخر غير الجاحظ[4]، ودلل على رأيه بأن رجلا كأسامة، جاب الآفاق، والتقى بالرجال، ورأى مكتبات القصر الفاطمي وديار بكر_ وغيرها، وفقد فى يوم واحد أربعين ألف مجلد من مكتبته الخاصة، وورث شغفه بالكتب عن أسرة عريقة في هذا المضمار، لا يقع في هذا الوهم الساذج ، بالإضافة إلى أنه قد نقل عن كتاب الجاحظ في العصا نقولاً

(١) **حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وآثاره، ج٢، ص١٧ .

(٢) **ابن منقذ:** العصا، مقدمة المؤلف، ص٤ .

(٣) **ابن منقذ:** العصا، مقدمة المؤلف، ص ٥ .

(٤) **عبد السلام هارون:** نوادر المخطوطات، ج١، ص١٧٨ .

طويلة، وأن اسم الجاحظ قد تردد فى الكتاب غير مرة، وليس هذا أول عهد أسامة بالبيان والتبيين، فقد نقل عنه في كتابه:" البديع فى نقد الشعر "[١].

ثم رجّح رأياً، وذكر أنه الأقرب إلى الصواب، فقال:" إن الكتاب الذي ظل أسامة يبحث عنه دون أن يجده هو رسالة العصا لشرف الدين الطوسي، إذ يقول ابن خلكان : " استنبط الشيخ شرف الدين الطوسي، المذكور في ترجمة الشيخ كمال الدين ابن يونس رحمهما الله تعالى، وهو شيخه في فن الرياضة أن يضع المقصود من الكرة والاسطرلاب في خط، فوضعه وسماه " العصا "، وعمل له رسالة بديعة، وكان قد أخطأ في بعض هذا الوضع، فأصلحه الشيخ كمال الدين المذكور وهذّبه، والطوسي أول من أظهر هذا في الوجود، ولم يكن أحد من القدماء يعرفه ".

وذكر أن بمعهد المخطوطات العربية مصورة لهذه الرسالة عنوانها: " رسالة في عمل عصا الشرف الطوسي، تحت رقم ٩٧ علوم، بإصلاح كمال الدين ابن يونس. [٢]

أما أهمية الكتاب فتتركز في جمع أسامة للكثير من الأشعار الممزوجة بالقصص والنكت والنوادر، التي رافقتها- أحياناً- بعض الشروح والإيضاحات اللغوية، وتتخلل هذه القصص أخبار عن عصر أسامة، يعطينا فيها صوراً حية عن حياة ذلك العصر[٣].

<u>(٤)- كتاب لباب الآداب:</u>

ذكره المقريزى [٤]، وهو كتاب يقع فى(٤٦٨) صفحة من الحجم الكبير، وهو نموذج من مؤلفات ذلك العصر الذى نشأ فيه أسامة، ألا وهو كتب الثقافة الأدبية العامة. وهذا النوع من التأليف لا يختص بعلم واحد؛ بل يأخذ من كل علم، ومن كل فن ما يخدم موضوعاته، بمعنى جمع المادة العلمية حسب موضوع معين من كتب التاريخ والفلسفة

---

(١) **حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وآثاره، ج٢، ص٢٠ .

(٢) **حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وآثاره، ج٢، ص٢١ .

(٣) **وهيب طنوس** : الوطن في الشعر العربى ، ص ١٥٧ . حيث ذكر طرفا من أخباره ومشاهداته في شيزر ص٢٣٥، وفي الموصل سنة (٥٢٦هـ) ص٤١٨، ٤١٩، وسنة (٥٦٥هـ) ص٤٤٣، ٤٤٤، وفي بيت المقدس سنة (٥٣٢هـ) ص٢٣٤، وفي ميافارقين سنة (٥٦١هـ) ص٤٣٠، وفي حصن كيفا سنة (٥٦٧هـ) ص١٨٣، وفي دمشق ص٢٤٢، وفي مصر سنة (٥٣٩هـ) ص٤٢٠ .

(٤) المقفى الكبير ، ج٢ ، ص ٤٩ .

والحكمة والشعر والنثر[١]. إذاً الكتاب كالروض العامر بما لذَّ وطاب من الموضوعات الآسرة، المدلل عليها بالشواهد من القرآن والحديث والتاريخ الشعر والنثر على اختلاف ضروبه.

ويعتبر هذا الكتاب من كتب التراث الموسوعي، وهو أقرب الى الكتب التربوية، حيث جمع فيه أسامة بوعي مدرك الآداب العامة، والقيم التربوية والأخلاقية.

انتهى أسامة من تأليف كتاب (لباب الآداب) فى صفر سنة (٥٧٩هـ/ ١١٨٣)م[٢]؛ أي قبل وفاته بخمس سنوات تقريباً، وهو ابن إحدى وتسعين سنة. أما بداية عمله في هذا الكتاب؛ فترجع إلى عزلته في حصن كيفا، وذلك لأن هذا الكتاب ضخم يحتاج إنجازه إلى وقت وجهد، لم يتوافرا لأسامة قبل عزلته في حصن كيفا[٣]، ولكنه على الرغم من ذلك لم يفرغ منه؛ لأنه شغل عنه بالعودة إلى الحياة السياسية. وحين شارف على التسعين، اضطر إلى ملازمة بيته، واعتزال الحياة الرسمية، ومن ثم عاد إلى العمل فيه، ولكنها عودة الشيخ الذي يملي[٤] على الناسخ، وليست عودة الشيخ القادر على الكتابة بيده[٥].

ويؤيد ذلك ما ذكره بعض الباحثين أن الكتاب يضم مواضع من خطأ السماع، **أو**تصحيف السماع[٦] وهذه المواضع ما كانت لتخفى على أسامة لو نسخ كتابه بيده.

طبعات الكتاب:

نشر هذا الكتاب بتحقيق:" أحمد محمد شاكر عام (١٣٥٤هـ/١٩٣٥)م[٧]، وأعيدت طباعة التحقيق نفسه ثانية عام(١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م،) وهي الطبعة التى اعتمدت عليها

---

(١)**سمر روحى الفيصل:** لباب الآداب، مجلة التراث العربي، سوريا، مجلد(٢٣)، العدد(٩٠)، ٢٠٠٣م، ص٢١٠.

(٢)**ابن منقذ:** لباب الآداب، خاتمة الكتاب ، ص٤٦٨ .

(٣) **سمر روحى الفيصل:** لباب الآداب ، ص ٢١٠ ، ٢١١ .

(٤)**الإملاء:** هو أن يملي الشيخ الحديث على التلميذ، سواء أكان إملاؤه من حفظه أم من كتابه، والتلميذ يكتب عنه، يقال: أملى الشيخ على التلميذ حديثه، بمعنى: قاله له، فكتبه عنه، ويقال: استملى التلميذ الحديث من شيخه، أي: سأله أن يمليه عليه. **انظر: عبد الهادي الفضلي:** أصول الحديث، ط٣، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٢٢٥.

(٥) **سمر روحى الفيصل:** لباب الآداب ، ص ٢١١.

(٦) **ابن منقذ:** لباب الآداب، مقدمة الدكتور يعقوب صروف، ص ٨ .

(٧) **ابن منقذ:** لباب الآداب، خاتمة الكتاب، ص ٤٦٨ .

الدراسة[١]، وفي هذه الطبعة مقدمتان، الأولى: للمحقق أحمد محمد شاكر، وهي مقدمة مقتضبة في أربع صفحات، والثانية: يعقوب صروف الذي كان له فضل الكشف عن الكتاب، وعرضه أول مرة في مجلة المقتطف عام(١٣٢٥هـ/١٩٠٧م)[٢]، وبنى تحقيقه على مخطوطتين، الأولى: كانت عند الدكتور يعقوب صروف، وقد نسخ هذا المخطوط عام (٥٧٩هـ /١١٨٣م)، وأهداه أسامة إلى ابنه مرهف، والثانية: بدار الكتب المصرية، ونسخت فى آخر سنة (١٠٦٦هـ/١٦٥٥م)[٣]، وقد ضم التحقيق: فهارس للأبواب، والأعلام، وأيام العرب، والأماكن ، والقوافي.

منهجه في تأليف الكتاب:

اختط أسامة لنفسه منهجاً ضبط فيه الأركان، واستحكم من خلاله زمام الأمر، وذلك وفق الآتي:

رتب كتابه على سبعة أبواب، هي: باب الوصايا، باب السياسة، باب الكرم، باب الشجاعة، باب الآداب، باب البلاغة، باب ألفاظ من الحكمة في معان شتى. وجعل كل باب موضوع قائم بذاته، وتعامل مع كل موضوع، حسب حاجته من مرويات معينه، تصلح لأداء المعني الخاص بالموضوع، وسعي فيه الي الإحاطة بما قيل في المعني الذي يدور الموضوع حوله من آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، وأخبار، وأقوال، وأشعار.

كما أقام كل موضوع على خطة خاصة به وترتيب معين؛ فالموضوعات منها ما يندرج تحته العديد من العناوين الفرعية، مثل باب الآداب[٤]، ومنها ما تناول تطوره تاريخياً ابتداء من العصر الجاهلي، ومروراً بعصر النبوة ثم الخلفاء الراشدين، مثل: موضوع الشجاعة[٥] ومنها ما قسمه إلى فصول، مثل: باب الآداب الذي سبق ذكره [٦].

---

(١) **ابن منقذ:** لباب الآداب، تحقيق: أحمد محمد شاكر، منشورات مكتبة السنة، القاهرة، ودار الجيل للطباعة، بيروت، ١٩٨٧م.

(٢) **أنور محمود زناتى** : دراسات تحليلية فى مصادر التراث العربى، دار زهران للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م ، ص ٢٤٩ .

(٣)**محمد أحمد حسين:** أسامة بن منقذ صفحة من تاريخ الحروب الصليبية ، ص ١٠١ .

(٤) **ابن منقذ** : لباب الآداب ، ص ٢٢٦ .

(٥) **ابن منقذ** : لباب الآداب ، ص ١٤٨ .

(٦) **ابن منقذ** : لباب الآداب ، ص ٢٢٧ وما بعدها .

بنى أسامة الأبواب والفصول كلها على نهج واحد، إذ كان يبدأ الباب بآيات من القرآن الكريم، ويثنيه بعدد من الأحاديث النبوية باختصار دون شرح وتفسير، ويختمه بطائفة من أخبار كتب التاريخ وأقوال الأدباء والشعراء والحكماء والفلاسفة باستفاضه[١]. وقد وضح منهجه بقوله : "وسأورد في هذا الكتاب ما يحضرني منها في اختصار، وأفتتحه بشيء مما ورد الكتاب العزيز من ذلك ، ثم ما روى عن النبى ﷺ، ثم أفيض في سوى ذلك"[٢]، وبهذا يكون منهجه قائم على الإختصار في الآيات القرآنية والأحاديث ، ثم يفيض ويستطرد في الأخبار والروايات وما غير ذلك، بمعنى جمع الآيات والأحاديث المتصلة بعنوان الباب دون شرحها وتفسيرها، وذلك كما فعل في كتاب المنازل والديار.

مضمونه وموضوعه ومحتواه التاريخي:

يتضمن الكتاب سبعة أبواب، وكل باب موضوع قائم بذاته، وأما ما ذكره ابن منقذ من الحوادث والوقائع والأخبار التاريخية في هذا الكتاب كثيرة، وجاءت كمورد أساسي لاختيارات أسامة في كل أبواب وفصول الكتاب، ومنهجنا هنا ذكر موضوع كل باب ومضمونه، وما يحتويه من أخبار تاريخية، مع ذكر نماذج لها على سبيل المثال لا الحصر؛ وذلك حسب ترتيب أبواب الكتاب كالآتي:

<u>الأول: باب الوصايا</u>: وتناول فيه بعد البسملة: تعريف الوصية، وأنواعها، وحكم تنفيذها، والدليل عليها من الكتاب والسنة، وحكمها، ثم جمع كل ما يمت بها بصلة من القرآن والسنة، وأخبار ووقائع تاريخية، وأقوال الحكماء والأدباء، وأشعار الشعراء.

ونطالع في هذا الباب من الروايات التاريخية ما قصّه المؤلف عن الصحابي ثابت ابن قيس بن شماس الأنصاري[٣] رحمه الله، ووصيته لبلال بن رباح بعد موته[٤]، ونطالع –أيضاً– وصية الخليفة أبي بكر الصديق لعثمان بن عفان عندما حضرته الوفاة دعا

---

(١) **ابن منقذ** : لباب الآداب ، مقدمة يعقوب صروف ، ص ٨ .

(٢) **ابن منقذ** : لباب الآداب ، ص ٢ .

(٣) **ثابت بن قَيْس** (ت ١٢هـ/ ٦٣٣ م)، ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي الأنصاري: صحابي، كان خطيب رسول الله ﷺ وشهد أحدا وما بعدها من المشاهد. وفي الحديث: نعم الرجل ثابت. ودخل عليه النبي ﷺ وهو عليل، فقال: أذهب الباس ربَّ الناس عن ثابت بن قيس بن شماس. قتل يوم اليمامة شهيدا في خلافة أبي بكر. انظر. **ابن عساكر**: تاريخ دمشق، ج٤، ص ٣٢٦ .**الزركلي**: الأعلام، ج٢، ص٩٨ .

(٤) لباب الآداب ، ص١٢ –١٥ .

عثمان، وقال له: اكتب: " بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ: هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قُحافة، في آخر عهده بالدنيا، خارجاً منها، وعند أول عهده بالآخرة، داخلاً فيها؛ حيث يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر، ويصدِّق الشاك المكذب: إني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا، فإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيراً، فإن عدل؛ فذلك ظني به، وعلمي فيه، وإن بدّل فلكلّ امرىء ما اكتسب، والخير أردت، ولا يعلم الغيب إلا الله (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)[١]والسلام عليكم ورحمة الله"[٢].

<u>الثاني: باب السياسة</u>: وهو يورد في هذا الباب ما يتعلق به، مما جاء في القرآن الكريم، ثم ما ورد من أحاديث تتصل به، ثم يورد نماذج تاريخية لسياسات الملوك والخلفاء والأمراء ...الخ، ثم يورد المأثور من أقوال الحكماء والشعراء في السياسة والسلطان.

وفي هذا الباب الكثير من الروايات التاريخية التى نطالع منها ما قصّه المؤلف عن سياية معاوية بن أبي سفيان، فحكى عن عوانة[٣] قول زياد بن أبيه[٤]: ماغلبني معاوية في

---

(١) سورة الشعراء، من الآية (٢٢٧) .

(٢) لباب الآداب ،ص ٢١ . انظر: **ابن سعد:** الطبقات الكبرى،ج٣، ص١٤٩ . **الذهبي:** تاريخ الاسلام، ج٣، ص١١٦، ١١٧ .

(٣) **عوانة بن الحكم** بن عوانة بن عياض الأخباري المشهور الكوفي، ت(١٥٨هـ/٧٧٤م)، يُنظر: **ابن مندة:** عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق ابن مندة العبدي الأصبهاني: المستَخرجُ من كُتب النَّاس للتَّذكرة والمستطرف من أحوال الرِّجال للمعرفة، تحقيق: عامر حسن صبري التَّميميُّ، إدارة الشئون الدينية، وزارة العدل والشئون الإسلامية، البحرين، د.ت، ج٣، ص٤٠١ .**ابن حجر:** لسان الميزان، ج٤، ص٣٨٦. **ابن العماد:** شذرات الذهب ، ج٢، ص٢٦١ .

(٤) **زياد بن أبيه**، يعرف بزياد بن عبيد، وكان عبيد مملوكاً لرجل من ثقيف، فتزوج سميه، وكانت أمه للحارث بن كلده، فأعتقها، فولدت له زياداً، فصار حرا، وزعم للناس انه ابن أبي سفيان، ونشأ غلاما عاقلاً أديباً، فأخذه المغيره بن شعبه معه الى البصره حين وليها من قبل عمر بن الخطاب، وولاه الكتابة. فلما ولى على بن ابى طالب ولى زيادا على البصرة سنة (٣٩هـ)، ،ثم ولى حكم فارس وكرمان، وذكر الطبري سبب توليته فارس وكرمان أنه لما قتل ابن الحضرمي، واختلف الناس عَلَى علي بن أبي طالب، طمع أهل فارس وأهل كرمان في عدم دفع الخراج، فغلب أهل كل ناحية على ما يليهم، وأخرجوا عمالهم. فاستشار عليا الناس في رجل يوليه فارس، حين امتنعوا من أداء الخراج، فقال له جارية بن قدامة: ألا أدلك يا أمير المؤمنين على رجل صليب الرأي، عالم بالسياسة، كاف لما ولي؟ قال: من هو؟ قال: زياد، قال: هو لها، فولاه فارس وكرمان، ووجهه في أربعة آلاف رجل، فاستطاع السيطرة على تلك البلاد. **الدينوري**، أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري: الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال، ط١، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة، ١٩٦٠م ص: ٢١٩ وما بعدها.**ابن الأثير:** الكامل، ج٣، ص٢٤٩ .

شيء من أمر السياسة إلا في شيء واحدٍ، وذاك: أنه استعمل رجلاً على دست ميسان[1]، فكسر الخراج، ولحق بمعاوية، فكتب إليه يسأله أن يبعثه إلي، فأجابه معاوية بقوله:" بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فإنه ليس ينبغي لمثلي ومثلك أن نسوس الناس جميعاً بسياسةٍ واحدةٍ: أن نشتد جميعاً، فنحرجهم، أو نلين جميعاً، فنمزجهم؛ ولكن تكون أنت تلي الفظاظة والغلظة، وأكون أنا ألي الرأفة والرحمة؛ فإذا هرب هارب من بابٍ، وجد باباً، فدخل فيه. والسلام "[2].

كما نطالع نموذج لما شاهده أسامة من سياسة بطرك مصر في تولية بطرك الحبشة، حيث جاء رسول ملك الحبشة، ومعه كتاب إلى الوزير العادل " أبي الحسن علي بن السلار "، وسأله أن يأمر البطرك بمصر أن يعزل بطرك الحبشة وكانت البلاد الولاية في ذلك لبطرك مصر ؛ فأمر الملك العادل بإحضار البطرك، فحضر، وكان شيخاً نحيفاً مصفرَّاً، وأخبره ابن السلار، أن ملك الحبشة قد شكا من البطرك الذي يتولى بلاده، وطلب التقدم إليك بعزلة. فقال البطرك" يا مولاي، ما وليته حتى اختبرته، ورأيته يصلح للناموس الذي هو فيه، وما ظهر لي من أمره ما يوجب عزله، ولا يسعني في ديني أن أعمل فيه بغير الواجب، ولا يجوز لي أن أعزله". فاغتاظ الملك العادل من قوله، وأمر باعتقاله، فاعتقل لمدة يومين. ثم أحضره مرة أخرى، وقال له: " لا بد من عزل هذا البطرك لأجل سؤال ملك الحبشة في ذلك". فقال: " يا مولاي، ما عندي جوابٌ غير ما قلته لك، وحكمك وقدرتك إنما هي على الجسم الضعيف الذي بين يديك، وأما ديني فما لك عليه سبيل، والله ما أعزله، ولو نالني كل مكروه ". فأمر الملك العادل– رحمه الله – بإطلاقه، واعتذر إلى ملك الحبشة [3].

<u>الثالث: باب الكرم:</u> وأورد فيه الآيات القرآنية، ثم الأحاديث النبوية ثم طائفة من الروايات التاريخية، وأقوال الحكماء، والشعراء، الدالة على الكرم .

---

(١) **دَستُمِيسَانُ:** كورة جليلة بين واسط والبصرة والأهواز، وهي إلى الأهواز أقرب. **ياقوت الحموي:** معجم البلدان، ج٢، ص٤٥٥.

(٢) لباب الآداب ، ص ٥٢ . وانظر: **الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد:** محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، ط١، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ج١، ص ٢١١ .**الذهبي:** سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ١٥٤ .

(٣) لباب الآداب ، ص ٧٢، ٧٣ .

وبالنسبة للروايات التاريخية الدالة على الكرم، فمنها: ما رواه عن الواقدي والخليفة المأمون، عندما رفع الواقدي –رحمه الله– إلى المأمون رقعةً يذكر فيها كثرة الدين، وقلة صبره عليه. فوقَّع فيها المأمون: " أنت رجلٌ فيك خلتان: السخاء والحياء. فالسخاء أطلق ما في يديك، والحياء منعك من إبلاغنا ما أنت عليه. وقد أمرت لك بمائة ألفٍ، فإن كنتُ أصبتُ إرادتك، فازدد في بسط يدك، وإن لم أصبْ إرادتك، فبجنايتك على نفسك. وأنت كنت حدثتني– إذ كنت على قضاء الرشيد– عن محمد بن اسحق عن الزهري عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: " إن مفاتيح أرزاق العباد بإزاء العرش، يبعث الله عز وجل إلى عباده على قدر نفقتهم، فمن قَلَّل قُلِّل له، ومن كثَّر كُثِّر له". فقال الواقدي: فلمذاكرة أمير المؤمنين أعجب إليَّ من الجائز " (١) .

<u>الرابع: باب الشجاعة:</u>وهو من أمتع الفصول في الكتاب إذ عرض أسامة الآيات القرآنية والأحاديث الدالة على الشجاعة ،ثم تطرق فيه الى ما ورد في أسماء الشجاعة من كتب اللغة (٢)، وذكر بعد ذلك أول من أوتى فضيلة الشجاعة، وهو هود عليه السلام، وترجم له بعد ذكر نسبه ثم تناول قصته مدللاً بها على شجاعته (٣)، ثم تطرق إلى من اشتهر بالفتك في الجاهلية، ومن اشتهر بالفتك في الإسلام، متخذاً منهجاً واحداً في عرضهم، وهو ذكر الرجل، ويتبعة بأمثلة على شجاعته في الحروب والوقعات مدللاً بها على شجاعته .

ومن الروايات التاريخية فى هذا الباب على سبيل المثال ما ذكره عن شجاعة الزبير بن العوام(٤)، وذلك عندما كتب عمرو بن العاص من مصر – وهو يومئذٍ واليها – إلى

(١) لباب الآداب ،ص ٨٣، ٨٤ . **انظر**. **أبو حيان التوحيدي:** علي بن محمد بن العباس: البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، ج٦، ص٢٤٠، ٢٤١ .**القاضي عياض**،أبو الفضل بن موسى اليحصبي: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: عبد القادر الصحراوي، ج٣، ط١، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ١٩٧٠م، ص٢١٣ .**ابن عساكر**: تاريخ دمشق، ج٥٤، ص٤٦٥ .

(٢) لباب الآداب ، ص ١٦٥.

(٣) لباب الآداب ، ص ١٦٨.

(٤) **الزبير بن العوام** ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، حواري رسول الله ﷺ ، وابن عمته صفية بنت عبد المطلب ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أهل الشورى ، وأول من سل سيفه في سبيل الله ، أبو عبد الله رضي الله عنه، أسلم وهو حدث ، له ست عشرة سنة ، كان رجُلاً طويلاً فارع الطُّول، إذا ركب الفرَس تخطُّ رِجْلاه بالأرض، خفيف اللّحية والعارضَين، يَميل إلى السمرة، روى أحاديث يسيرة، حدث عنه بنوه : عبد الله ، ومصعب، وعروة ، وجعفر، ومالك بن=

الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) يخبره بأن أمر إفريقية، اضطرب بتنازع أعيانِها على الرئاسة فيها، وأنه قد عزم أن يسيّر إليها جيشاً، واستدعى من عمر (رضي الله عنه) نجدةً. فكتب إليه عمر يستصوب رأيه، ويذكر له: أنه سوف يرسل إليه على إثر كتابه بألف فارس، فوصل إليه الزبير بن العوام (رضي الله عنه) وحده، ومعه كتاب عمر (رضي الله عنه): " قد أنفذت إليك الزبير بن العوام، وهو عندي يعدل ألف فارس إن شاء الله "، ثم سيَّر عمرو الجيش إلى إفريقية. فلما انتهوا إلى مفرق طريقين خافوا أن يسلكوا في أحدهما، فتقع بهم مكيدة في الأخرى، فقال لهم الزبير (رضي الله عنه): " أفردوني في إحدى الطريقين، فإني أكفيكموها"، فسار وحده في أحد الطريقين، وسلك الجيش في الطريق الأخرى، واتفق أن كانت طريق الزبير قريبة جداً، فلم تزل الشمس بازغة حتى وصل إلى حصن إفريقية، فنزل عن دابته ،واحتش لها بقلاً، يشغلها به، وقام يصلي، ونظر عليه مجموعة من الحصن، فرأوه حسن الطمأنينة، غير قلق في موضعه، ولا مستوحش من محله، فقالوا لرجل من شجعانهم" اخرج إليه، واكفنا مؤونته" فخرج إليه، وركب الزبير فرسه، وجاوله فقتله، وخرج إليه فارسان، فطعن أحدهما، فقتله، وهرب الآخر منه، وصار إلى أصحابه، فقال: " لو خرجتم بأجمعكم إلى هذا الرجل لقتلكم" فريعوا منه، ووجهوا إليهم أسقفهم، فقالوا: "يا هذا، ما تلتمس ؟ وهل جئتنا وحدك أو في جماعة ؟ فقال: أنا واحدٌ من جمعٍ كثير قد توجهوا معي إليكم، والذي ألتمسه أن تسلموا، أو تؤدوا إلينا الجزية، قال: فنحن نجيب إلى أحدهما"، فماسحوه، وفتحوا له الباب، ووافى الجيش، وقد فتح الزبير (رضي الله عنه) إفريقية وحده[1].

الخامس: باب الآداب: قسمه المؤلف الى خمسة عشر فصلاً على حد قوله[2]،حيث جعله فى الأدب، والقناعة، والصبر، والحياء، وترك الرياء، والإصلاح بين الناس، والتعفف عن السؤال، والتحذير من الظلم، والإحسان وفعل الخير، ومداراة الناس والصبر على

=أوس بن الحدثان، والأحنف بن قيس، ومسلم بن جندب، وأبو حكيم مولاه ، وآخرون. انظر : **الذهبي:** سير أعلام النبلاء ، ج١ ، ص ٤١، ٤٢ وما بعدها .

(١) لباب الآداب، ص ١٧٣-١٧٥ .

(٢) لباب الآداب، ص ٢٢٧.

الأذى، لكنه في هذا الباب زاد فصلاً آخر، وهو" فصل في حفظ التجارب، وغلبة العادة من أقوال الحكماء"[1].

وفي الحقيقة أن الروايات التاريخية في هذا الكتاب كثيرة، وفى كل فصل من فصوله الستة عشر لكن نذكر منها –على سبيل المثال– ما ذكره عن كعب الأحبار[2]، عندما دخل على عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وهو على فراش، وهم يمينه ويساره وسادتان، فقال له عمر: اجلس يا أبا اسحق، وأشار بيده الى الوسادة، فثناها كعب، وجلس على البساط. فقال له عمر: " ما يمنعك من أن تجلس على الوسادة ؟ قال: فيما أوصى سليمان بن داوود عليهما السلام: لا تغش السلطان حتى يملَّك، ولا تنقطع عنه حتى ينساك، وإذا دخلت عليه، فاجعل بينك وبينه مجلس رجلٍ أو رجلين، فعسى أن يأتي من هو أولى منك بذلك المجلس". فاستلقى عمر رضي الله عنه وقال: " ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون "[3].

السادس: باب البلاغة: تحدث فيه عن إعجاز القرآن، وأورد جوامع كلم الرسول ﷺ، ونماذج من كلام البلغاء، وجاء بكثير من محاسن الشعر الموجز البليغ، الدال على مكارم الأخلاق، وقطعاً لأغراض مختلفة من الشعر.

واستهله بمقدمة بليغة فقال: " قلت وبالله التوفيق: كلام المخلوقين تتميز فيه البلاغة من العيّ، والفصاحة من اللّكن. وأما كلام الخالق تبارك وتعالى، فعقول البلغاء تعجز عن تدبّر بلاغته، وتحار في اطّراد فصاحته، فماذا يورد المورد منه ؟ وبماذا يترجم عنه ؟ وقد تحدّى الله سبحانه به خلقه أجمعين، فقال – وهو أصدق القائلين – في سورة يونس: {وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا

---

(١) لباب الآداب، ص ٣٢٥ .

(٢) **كعب الأحبار بن ماتع الحِميّري**، ويكنى بأبي إسحق، كان يهودياً، فاسلم في خلافة أبي بكر، وقيل عمر ، سكن الشام، وروى عن جماعة من الصحابة كأبى هريرة ، ودخل بيت المقدس، واستشاره عمر بن الخطاب في موضع القبلة، وتوفى بحمص سنة (٣٢هـ) فى زمن الخليفة عثمان (رضى الله عنه)، انظر: **مجير الدين الحنبلى:** أبو اليمن القاضى مجير الدين الحنبلى، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، منشورات المكتبة الحيدرية ،النجف ، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م ، ج١ ، ص ٢٩٠ .

(٣) لباب الآداب ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ . انظر. **الجاحظ**، عمرو بن بحر بن محبوب: البيان والتبيين، ج١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ،ص٦٦ .

رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}(١).

وقدّم لكلام النبى بكلمة فقال: " كلام النبوة دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوقين، فيه جوامع الكلام، ومعجزات البلاغة والفصاحة"(٢).

ومن الروايات التاريخية فى هذا الباب –على سبيل المثال– ما ذكره عن المهلب بن أبي صفرة (٣) عندما هزم عبد ربه الحروري، قال: هل من رجل حازم أبعث به إلى الحجاج مع رؤوس هؤلاء القوم ؟ فدلَّ على بشير بن مالك الخرشي، فوجهه إلى الحجاج. فلما دخل عليه قال له" الحجاج: ما اسمك ؟ قال: بشير بن مالك. فقال الحجاج: بشارةٌ وملكٌ، كيف تركت المهلب ؟ قال: تركته – أصلح الله الأمير – قد أدرك ما طلب، وأمن ما خاف. قال: الحمد لله على ذلك، فكيف تركت العدو ؟ قال: كانت له الدولة، ولنا العاقبة. فقال الحجاج: العاقبة للمتقين. فكيف تركت الجند ؟ قال: أرضاهم الحق، وأغناهم النفل، وإنه مع ذلك ليسوسهم سياسة الملوك، ويقاتل عنهم قتال الصعلوك. قال: فكيف أبناء المهلب ؟ قال: أعباء البيات حتى يأمنوه، وأصحاب السرح حتى يروِّحوه. قال: فأيهم أفضل ؟ قال: ذاك إلى أبيهم. قال: وأنت فقل، فإني أراك عاقلاً ؟ قال: هم كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفها. فقال الحجاج: أكنت أعددت ما سمعت ؟ فقال: لا يعلم الغيب إلا الله ". فالتفت الحجاج إلى جلسائة فقال: "هذا والله الكلام الخالص، لا الكلام المصنوع" (٤).

---

(١) لباب الآداب ، ص ٣٢٨ .سورة: يونس، آية ٣٧، ٣٨ .

(٢) لباب الآداب ، ص ٣٣٠ .

(٣) **المهلّب بن أبي صفرة الأزدي**، وكنيته أبو سعيد، كانت له بنت اسمها صفرة وبها كان يكنى، واسمه ظالم بن سراق بن صبح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الأرت بن العتيك بن الأزد العتكي البصري، هو من ولاة الأمويين على خراسان عينه الحجاج عاملاً على خراسان عام (٧٨هـ/٦٩٧م)، وقام بفتوح واسعة فيما وراء بلاد النهر؛ فقد قاد المهلب حملة استولى من خلالها على إقليم "الصغد"، وغزا "خوارزم" وافتتح جرجان وطبرستان وبذلك فرض سيطرة الدولة الأموية على أراض كثيرة فيما وراء النهر، وكان لها أكبر الأثر في إثراء الحضارة الإسلامية، وقد مات المهلب بخراسان سنة (٨٢هـ/٧٠١م) . أنظر : **ابن خلكان** : وفيات الأعيان ، ج٥ ، رقم ٧٥٤ ، ص ٣٥٠ .

(٤) لباب الآداب، ص ٣٣٨ .

السابع : باب ألفاظ من الحكمة في معان شتى: ونهج فيه نهج سلفه من الأبواب، إذ أورد فيه بعد ذكر الآياتِ القرآنية والأحاديث الدالة على الحكمة باقة من الحكم الرائعة الموجودة في كتب التاريخ والأدب وأشعار الشعراء، ثم أورد فصل من كلام الحكماء[١].

ومن خلال ما أوردناه من أمثلة نستخلص أن أسامة لم يحدد مروياته التاريخية بزمن أو بمكان أو بجانب، ولكن أبوابِ الكتاب هي التى فرضت عليه هذا الإختيار إذ استند في اختياراته التاريخية إلى حاجة أبواب الكتاب لمرويات تاريخية معينة تصلح لأداء المعنى الخاص بالباب، وأيضاً لم يرتب أسامة مروياته بأي نوعٍ من أنواع الترتيبِ، فبدت مروياته التاريخية معبرةً عن جوانب المعنى المفيد، ولكنها تفتقر إلى منهج في عرضها للقاريء مثل ترتيبها زمنياً، أو من عصر الى عصر .

الأهمية الأدبية والتاريخية للكتاب وقيمته:

لقد تميزَ كتاب (لباب الآداب) بالإضافة إلى دلالته على شخصية أسامة كناقد له منهجه الرصين المتميز، وذوقه الأدبى الشاعري المهذب لإحساسه المرهف، الممزوج بعقلانية العالم، وأسلوب الفيلسوف، تميز بكونهِ موسوعةً في الثقافة الأدبية العامة، حشد فيها المؤلف من المعارف ما لا يمكن حصره، فالكتاب كما قال المحقق " إن هذا الكتاب من أجود كتب الأدب وأحسنها، وسيرى قارئه أنه ينتقل فيه من روض إلى روض، ويحتني أزاهير الحكمة، وروائع الأدب، ويقتبس مكارم الأخلاق " [٢].

فالكتاب عبارة عن أخلاقيات الأمة الإسلامية، وأفكارها، وقيمها الدينية، والاجتماعية، ويكفينا منه ذلك الأدب الرفيع من آيات كريمة، وأحاديث شريفة، وأشعار رقيقة، وأمثال، وحكم، وأقوال العلماء والأدباء، وأخبار ووقائع تاريخية من مختلف العصور. وهذه الأهمية للكتاب جعلته مصدراً مهماً من مصادر الأدبِ لا يستغنى عنه، ومرجعاً بارزاً في: الفلسفة، واللغة، والبلاغة، والتاريخ، والأنساب، والأمثال، وعلم الحكمة، والأخلاق، ورواية الشعر لا يقل من حيث مستواه، وثراء محتواه، وتنوع موضوعاته، وعلو مكانته عن كتب الثقافة الأدبية الشهيرة .

---

(١) لباب الآداب، ص ٤٢٨ .

(٢) لباب الآداب : مقدمة المحقق ، ص ٦

والكتاب على جانب كبير من الأهمية التاريخية لاعتبارات كثيرة، لعل من أهمها: احتواء الكتاب على عدد لا بأس به من ترجمات الأعلام، حتى وإن كانت قصيرة في معظمها، لا تكتمل فيها عناصر الترجمات المتعارف عليها بالإضافة إلى التعرف على بعض جوانب أو حكم الخلفاء والأمراء، كما أن الكتاب يعد انعكاس لثقافة ذلك العصر من معلومات: تاريخية، وأدبية، وبلاغية، وحكم، وأمثال .

٥- ديوان أسامة

ذكر اسماعيل باشا البغدادى [١] بأنه جمع فيه أسامة ما نظمه من أشعار مدة عمره، من أيام فتوته إلى آخر أيامه في شيخوخته، وعني أسامة بجمعه وكتابته بخط يده، ثم عنى به من بعده ابنه مرهف [٢]، وكان صلاح الدين مشغوفاً به، ودائب النظر فيه[٣]، وقد رآه ابن خلّكان، وذكر أنه بأيدي الناس، وأنه من جزأين[٤] وذكره اليافعي، وابن العماد الحنبلي، وحاجي خليفة[٥] وأكد على ذلك من المحدثين عمر رضا كحالة[٦].

طبعات الديوان:

طُبِع ديوان أسامة بن منقذ أكثر من طبعة منها: طبعة عام(١٨٩٣م)، وضمت منتخبات نشرها المستشرق دورنبورغ، و طبعتة وزارة التربية والتعليم في المطبعة الأميرية بالقاهرة عام (١٩٥٣م) بتحقيق :أحمد أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد[٧]، و أعادت نشرها:عالم الكتب في بيروت، سنة (١٩٨٣م)، وذيلا عملهما بوضع مقدمة في أول الديوان بقلم المحققين تتحدث عن أسامة وشعره، ووضعا فهارس الأعلام، والقوافى حسب الموضوعات الشعرية، وهي التي اعتمدت عليها الدراسة، وطبعة دار صادر في بيروت،

---

(١) هدية العارفين ، ج١ ، ص ١٩٦ .

(٢) الديوان ، مقدمة المحقق أحمد أحمد بدوي، ص ١٣ .

(٣) **أبو شامة:** الروضتين ، ج٢ ، ص ٢٤٥ .

(٤) وفيات الأعيان ، ج١ ، ص ١٩٦ .

(٥) مرآة الجنان ، ج٣ ، ص ٣٢٣ .شذرات الذهب ، ج٦ ،ص٤٥٩ . كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج١ ، ص ٧٧٥ .

(٦) معجم المؤلفين، ج١ ، ص ٣٣٧

(٧)**أحمد قدري الكيلاني** : الأمير الفارس والأديب الشاعر أسامة بن منقذ سيرة حياة ، ص ٧٢ .

سنة(١٩٩٦م)، وظهر المستدرك على الديوان بجمع: محمد عدنان قيطاز، وهو بعنوان : "أسامة بن منقذ والجديد من آثاره و أشعاره ونشرته وزارة الثقافة بسوريا، سنة (١٩٩٨م).

وفي كل الطبعات اعتمدوا على مخطوطة الديوان الموجودة بدار الكتب التى كتبت سنة(٦٨٨هـ/١٢٨٩م) بخط النسخ في ثلاثمائة وتسعين صفحة، وفي كل صفحة ثلاثة عشر سطراً، والمحفوظة بالدار تحت رقم (١٦٨٧٧)[١]، ولكن هناك نسخة أخرى في إيران، وبالتحديد في كتابخانة مجلس شوراي طهران تحت رقم (٣٢٢) طباطبائى، كتبت في حياة المؤلف[٢] لم يتيسر للناشرين الرجوع اليها، وهي أقدم نسخة معروفة للديوان، ذكرها حسن عبد العال عباس محمد في رسالته الجامعية : " أسامة بن منقذ حياته وآثاره مع تحقيق كتاب العصا " وذكر أنها كتبت في حياة المؤلف. وقد كان محمد عدنان (صاحب المستدرك) يتمنى أن ترى هذه النسخة النور على أيدي الباحثين[٣].

ومنها نسخة مصوره في موقع ودوود للمخطوطات على شبكة الإنترنت في مائتين وثلاثة عشر صفحة، وكل صفحة ثلاثة عشر سطراً[٤]، ومَنْ نظر فيها وقف على نفاستها؛ لأنها كتبت في حياته، ولأن قصائدها موثقة كلها بالمكان الذي قيلت فيه كقوله: " وقال بشيزر في زمن الصبا"[٥]، "وقال بدمشق"، "وقال بمدينة حماه"، "وقال بنابلس"، "وقال بمصر"...وهكذا؛ ويؤرخ قوله أحياناً مثل: "وقال في طريق الحجاز سنة خمس وخمسين وخمسمائة" [٦]، كما يذكر مناسبة القول مثل: "وقال بمدينة حماة، وكتبها على طوق خوذه"[٧]، " وقال بمصر، وغسل رأسه في بركة في بستان له، فرأى شعراً أبيض قد سقط من شعره على وجه الماءِ" [٨]، وقد خلا الديوان المطبوع من بعض هذه الأمور، وهو ما يفتح مجال أمام الباحثين لدراسة التطور الشعري عند أسامة، وارتباط ذلك بتنقلاته بين بلاد العالم الإسلامي.

---

(١) الديوان ، مقدمة المحقق أحمد أحمد بدوى، ص ٢٢ .

(٢) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مجلد (٦) ، القاهرة ، مايو –نوفمبر، ١٩٦٠م ، ص ٣٢٨ .

(٣)أسامة بن منقذ و الجديد من آثاره و أشعاره ، ص ٥٩، ٦٠ .

(4)http://wadod.org/

(٥) مخطوطة كتابخانة مجلس شورای طهران ، إيران ، ص ٤٣ .

(٦) مخطوطة ، إيران ، ص ٢٢ .

(٧) مخطوطة إيران ، ص ٣٤ .

(٨) مخطوطة إيران ، ص ٤٧ .

منهجه في ترتيبه وتصنيفه:

افتتح أسامة ديوانَه بمقدمة استهلها بالحمد لله، والثناء عليه، والصلاة على النبي محمد خاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه وأزواجه، صلاة دائمة إلى يوم الدين، ثم وضح قيامه بتقليل وتلخيص ديوانه، وأن هذا الجزء من الديوان هو ما حصلَ منه على الاختصار، لا على الاختيار، ثم وضح منهجه في ترتيب قصائد ديوانه، وسبب ترتيبه على هذه الطريقة.

رَتّبَ أسامة ديوانه بحسب الأغراضِ الشعرية المعروفه في ستة أبواب، وكل باب منها مرتب ترتيباً هجائياً كما أشار إلى ذلك في مقدمته: " وقد جعلته مشتملاً على ستة أبواب: الباب الأول: الغزل، وينتظم في سلكه شكوى الفراق، ووصف الحنين والاشتياق، ثم ما يجوز أن يلتحق به من مكاتبات الإخوان، ومعاتبات الخلان، وما يجذب هذا المعنبأهدابه. الباب الثانى: الأوصاف. الباب الثالث: المُلَح. الباب الرابع: المديح، ويتشبث به القول في الفخر، المتضمن مآثر الانسان وخلانه، ثم الحماسة، الراجع معناها إلى التمدح بالشجاعة والبسالة. الخامس: الأدب، ويتعلق بسببه الأمثال، وما يجري مجراها، أو يلاحظ مغزاها، ثم وصف الشيب والكبر، ثم الزهد لمن تأمل واعتبر، السادس: المراثى. وكل باب من هذه الأبواب المذكوره مرتب على حروف المعجم، فصلاً فصلاً، ليقرب تناول ما يقصد منه... "[١].

ومما سبق يلاحظ أن الديوان خلا من باب الهجاءِ، وأكد أسامة على ذلك في المقدمة، فقال: "على أني بحمد الله ما فهت برفث ولا هجاء "[٢]، ويعلق المحقق أحمد أحمد بدوي على هذا بقوله[٣]: "ويظهر أنه قد أصر على ألا يكون في شعره هذا اللون برغم الدوافع التي كانت تسوقه إلى أن يهجو، حتى لقد قال:

ظلمت شعري وليس الظلم من شيمي	يطيعني حين أدعوه وأعصيه
يهم أن يذكر القوم اللئام بما	فيهم، فأزجره عنهم، وأثنيه
وليس من خلقي ثلب الغنى وإن	جنى ولا ذكر ذي نقص بما فيه

(١)**ابن منقذ** : الديوان ، ص ٤٨، ٤٩ .

(٢) الديوان، مقدمة المؤلف ، ص ٤٧ .

(٣) الديوان ، مقدمة المحقق أحمد أحمد بدوي، ص ١٣ . والأبيات من بحر البسيط .

إن التصنيف على الأغراض أوجب على أسامة أن يجّزيء القصيدة الواحدة، وإيراد كل جزء منها في أحد الأبواب المذكورة[١]، فيضع غزلها مثلاً في باب الغزل، ومديحها أو فخرها في باب المديح أو الفخر، وكان يشير إلى ذلك حين يعرض قصائده، ولهذا النظام فائدته في تتبع الدراسة الفنية لكل فن من فنون الشاعر على حدة، وإن كانت الحاجة تدعو، عند دراسة بناء القصيدة، إلى دراسة أجزائها كلها، لمعرفة الجو الذي توحي به، وإدراك مدى الصلة التي تربط بين عناصرها[٢].

أهمية الديوان وقيمته التاريخية:

لديوان أسامة مكانة أدبية كبيرة عبّر عنها العماد الكاتب عندما وصف ليلة كان فيها عند صلاح الدين، وكان يذكر جماعة من شعراء هذا العصر، ورأى عنده ديوان أسامة " وهو به مشغوف، وخاطره على تأمله موقوف، وإلى استحسانه مصروف، وقد استحسن قصيدة له طائية، لو عاش الطائيان؛ لأقرا بفضلها، وأنخواطر المبتكرين لتقصر عن مثلها، على أن الشعراء المحدثين ما منهم إلا من نظم على رويها ووزنها، واستمد خصب خاطره من مزنها "[٣] .

أما عن قيمته التاريخية فإن أكثر الحوادث الهامة في عصره، وحياته الشخصية قد لاقت صدى وانعكاساً في شعره، ولذلك فشعره يمثل وثيقة تاريخية مهمة، فقد أشار أسامة في قصائده إلى أهم المعارك الحربية التى وقعت بين المسلمين والصليبيين وعاصرها[٤]، إلى جانب تسجيل البطولات الإسلامية في صراعهم مع الصليبيين، ناهيك عن الجوانب الاجتماعية، والأحداث السياسية، والتى أبرزت سمة المجتمع الإسلامي في حينه، كما أن

---

(١) الديوان، مقدمة المحقق أحمد أحمد بدوي، ص ١٤. **عمر موسى باشا** : الأدب فى بلاد الشام، ص ٢٥٠ .

(٢) الديوان : مقدمة المحقق أحمد أحمد بدوي ، ص ١٤.

(٣) **أبو شامة:** الروضتين ، ج٢ ، ص ٢٤٥ .**عمر موسى باشا** : الأدب فى بلاد الشام، ص٢٤٩ .

(٤) ونجد ذلك فى القصيدة التي أرسلها الملك الصالح طلائع بن رزيك إلى أسامة يذكر فيها وقائعه وسراياه إلى الصليبيين، وتسييره الجيوش، وأسماء مقدميها من المصريين الأبطال ، ويحاول التقرب من نور الدين محمود؛ ليتحدوا فى حرب الصليبيين وتحرير القدس الشريف، وهى ملحمة طويلة " من الطويل " استهلها بقوله: أبى الله إلا أن يدين لنا النصر ... ويخدمنا فى ملكنا العز والنصر

واطلع نور الدين عليها، وأمر أسامة بالرد بقصيدة يعدد فيها كل الفتوحات التى أفاء الله بها عليه واستهلها بقوله:

أبى الله إلا أن يكوننا الأمر ... لتحيا بن الدنيا ويفتخر العصر

انظر : الديوان ، ص ٢٥١- ٢٥٦ .

قصائده توضح لنا جانبا من حياته الخاصة[1]، فهذه القيمة تكمن فيما يحتويه الديوان من قصائد تعد ترجمة وافية لمختلف مراحل حياته. بالإضافة إلى قصائد توصف الأحداث والمعارك التاريخية الكبرى.

واختلف منهج أسامة في ترتيب ديوانه عن الشعراء السابقين، إذ رتبه على الأغراض الشعرية تاركاً غرض الهجاء، إلا أن الملامح الهجائيةلشعره ظهرت في باب " الملح "، وهو يمزح وينكت على شخص أعرج[2].

ويصنف أسامة قصائده حسب موضوعاتها، مما يخلق جواً واحداً للقصائد ذات اللون الواحد، فيسهل دراسة طريقة الشاعر ومنهجه في كل غرض من أغراضه؛ إلا أنه كان من المفيد لو قام أسامة بتأريخ قصائده، والإشارة الى مناسبتها، ليدرك الدارس للقصيدة الجو الذى أحاط به عندما قرضها[3].

وامتاز أسلوبه فيه بأنه كان قوياً بألفاظ وعبارات رصينة معبرة، قريبة الفهم، عميقة الفكرة، وخلافاً لأكثر شعراء ذلك العصر، لم يسع أسامة إلى التزيين اللفظي الذي كان الميزة الفنية للشعر حينئذ، فاستعماله للطباق والجناس والمقابلة والاستعارة لم ينته به إلى التلاعب اللفظي، والذى كان الشغل الشاغل لمعظم معاصريه [4].

ويُرَجّح أن قوة الأسلوب ترجع إلى أن أسامة لم يدوّن كل ما قاله من الشعر؛ لأنه لم يرض عن كل ما صدر منه، فحذف منه ما لم يرقه، حيث يقول:

كلما رددتُ في شعري النظر   بان ضعف العي فيه وظهرَ

ليس يرضيني، ولا يمكنني   جحد ما قد شاع منه، واشتهرَ

فأجيل الفكر في تقليله   فإذا قا اختصرت المختصرَ

---

(١) ونطالع ذلك فى قصيدته الطويلة التى أرسلها إلى الأمير معين الدين أنر، حيث وضح لنا الأسباب التي دفعته للخروج من دمشق. انظر: الديوان ، ص ٤٠ ، ١٩٦- ١٩٨ . ووضح عمر موسى باشا مراحل حياة أسامة من الصبا إلى الشيخوخة من خلال أشعاره ، ومنها معلومات لاتوجد في مصادر ترجمته، أو في كتاب الإعتبار. أنظر: **عمر موسى باشا:** الأدب في بلاد الشام، ص ٢٥١- ٢٥٧ .

(٢) **وهيب طنوس:** الوطن في الشعر العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي، ص ١٣٦ .

(٣) **وهيب طنوس:** الوطن في الشعر العربي ، ص١٤٠ .

(٤) **وهيب طنوس:** الوطن في الشعر العربي ، ص ١٣٨، ١٣٩ .

وبه فقر إلى ذي كرم إن رأى ما فيه من عيب سترَ

وذاك يدل على تطلع أسامة إلى مثل أعلى، كان ينبغي أن يصل إليه مستوى شعره، ولا بد أن كان لذلك أثره في تهذيب أسامة لشعره، وأخذه إياه بالتقويم والتنقيح، حتى ظهر شعره في هذا الثوب من القوة والجزالة، مما يذكرنا بشعر الفحول الذين سموا بنفسهم عن مظهر التلاعب بالألفاظ، أو الجري وراء محسن لفظي، دون أن يوجد في البيت معنى جليل، أو خاطر سام، أو شعور صادق، أما أسامة فلديه ما يقوله، في أسلوب قوي، وعبارة رصينة(١).

أما عن أسلوبه في الغزل؛ فالقارىء لشعر الغزل عنده سيشعر بعدم وجود هذه الحرارة القوية التى تشعرنا بقلب أضناه الحب، ولوعة الغرام، ولا يتبين له إحساساً عاطفياً خاصاً تفرد به دون غيره من الشعراء، أو لمحات غزلية امتاز بها، بل على العكس نراه في غزله يستعمل تشبيهات الأقدمين من الشعراء، وأساليبهم التقليدية في وصف عواطفه ومشاعره(٢).

وبالنسبة لقصائد الديوان فيستطيع القارىء لهذا الديوان أن يلمس بحسه التذوقى تنوع الألحان فيه، فلكل قصيدة ايقاعها الخاص الذى يتواءم مع طبيعة الحالة الشعورية لدى الشاعر، وكل القصائد لا تنفصل عن بعضها البعض بالرغم من تباينها إلا أنها تصدر عن نفس شعري واحد، يمتاز بالبعد عن التعقيد، ومعبرةً عن أفكاره بكل صدق وإخلاص، وتتنوع قصائده حسب الطول والقصر، فكتب قصائد قصيرة، وقصائد يطول فيها النفس الشعرى، ويصل الى تسعين بيتاً تقريباً(٣)، وترى في قصائده التحام الخواطر وتسلسلها، ولا تجد ذلك في مقطوعاته القصيرة فحسب، بل في قصائده الطويلة أيضاً، حتى ليخيل إليك –أحياناً– أنك تقرأ قطعة منثورة، لا قصيدة منظومة(٤).

---

(١) الديوان: مقدمة المحقق أحمد أحمد بدوي، ص ١٤ ، ١٥.

(٢) الديوان: مقدمة المحقق أحمد أحمد بدوي ، ص ٣٧ .

(٣) انظر قصيدته إلى الوزير المصرى طلائع بن رزيك التي كتبها على لسان نور الدين، يعدد فيها وقائعه مع الصليبيين، الديوان ، ص ٢٥١–٢٥٦ .

(٤) الديوان : مقدمة المحقق أحمد أحمد بدوي، ص١٥

والقارىء لقصائده سيلمح أن ثمة نصوص تشي بسريان روح بعض النصوص فيها من أشعار الشعراء الآخرين [١]، أو من القرآن الكريم، وهو ما يسمى " التضمين"، معبراً بهذا عن معرفة رائعة بشعر الشعراء الجاهليين والمخضرمين. ويبدأ قصائده في أغلب الأحيان- جرياً وراء التقليد - بالغزل، وأحياناً أخرى بنظم الشعر في الغرض الرئيس مباشرة دون مقدمات غزلية ، خاصة إذا كان غرض القصيدة مدح أو فخر [٢] ،كالقصيدة التي بعث بها إلى معين الدين أنريمدحه، وقد لقي الصليبيين وهزمهم، فقال[٣]:

كل يوم فتح مبين ونصر ... واعتلاء على الأعادي وقهر

٦- **كتاب البديع في نقد الشعر**

ذكره حاجى خليفة بـ " البديع في علوم الشعر "[٤]،هو كتاب في البلاغة، جمع فيه أسامة ما تفرق في كتب العلماء المتقدمين، المصنفة في نقد الشعر، وذكر محاسنه وعيوبه، وذلك في كتاب واحد، يغني من طالعه عن كتب عديدة .

وقد طبع الكتاب بالقاهرة سنة(١٣٨٠هـ/١٩٦٠م)، وتصدى لتحقيقه: أحمد أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد، وراجعَ عملهما: إبراهيم مصطفى، وهي النسخة التى اعتمدت عليها هذه الدراسة[٥]، وطبع ثانية ببيروت عام (١٩٨٣م) بطريقة التصوير، ثم أعاد تحقيقه عبد أعلى مهنا عام (١٩٨٧م) [٦].

أما عن الغرض من تأليفه؛ فيتضح من عنوان الكتاب أن أسامة هَدِف منه إلى وضع دراسة شاملة في نقد الشعر، وهو ما يتضح من مقدمته للكتاب، حيث يقول[٧] :

---

(١) ويظهر التضمين بوضوح في قصيدته الميمية ص(١٩٦ ، ١٩٨) حيث يضمن شعره أشعار من شعر المتنبي، وفي قصيدته الرائية (١٢٢ ، ١٦٨) يضمن شعره من أشعار أبي فراس الحمداني، للاستزادة في هذه النقطة. انظر: الديوان ، مقدمة المحقق أحمد أحمد بدوي، ص ١٦ .

(٢) الديوان ، مقدمة المحقق أحمد أحمد بدوي، ص١٥. **وهيب طنوس:** الوطن في الشعر العربي ، ص ١٣٩ .

(٣) الديوان ، ص ٢٢٠ . والبيت من بحر البسيط .

(٤) كشف الظنون ، مجلد٢ ، ص ١٤٠١ ، وانظر مجلد١ ، ص٢٣٥ يسميه بديع أسامة.

(٥) **ابن منقذ** :البديع في نقد الشعر، تحقيق: أحمد أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد، مراجعة: إبراهيم مصطفى، الجمهورية العربية المتحدة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

(٦) **ابن منقذ:** البديع في البديع فى نقد الشعر، تحقيق: عبد مهنا ، ط١ ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

(٧) البديع في نقد الشعر، ص ٨ .

" ... فهذا كتاب جمعت فيه ما تفرق في كتب العلماء المتقدمين، المصنفة في نقد الشعر، وذكر محاسنه وعيوبه، فلهم فضيلة الابتداع، ولي فضيلة الاتباع ، والذى وقفت عليه كتاب البديع لابن المعتز، وكتاب الحالي والعاطل للحاتمي، وكتاب حلية المحاضرة للحاتمي أيضاً، وكتاب الصناعتين للعسكري، وكتاب اللمع للعجيمي، وكتاب نقد الشعر لقدامه، وكتاب العمدة لابن رشيق، فجمعت من ذلك أحسن أبوابه، وذكرت منه أحسن مثالاته، ليكون كتابي مغنياً عن هذه الكتب؛ لتضمنه أحسن ما فيها" .

ويشتمل كتاب " البديع فى نقد الشعر" على خمسة وتسعين باباً، لم يجعلها كلها مقصورةً على البديع فقط؛ بل جعلها دراسة شاملة لعلم المعاني، وعلم البيان أيضاً. أما دراسته النقدية؛ فتتمثل في الأبواب التي عقدها لدراسة مشكلة السرقات، وتلك التى عقدها لدراسة محاسن الشعر وعيوبه، وتطول بعد ذلك الأبواب التي درس أسامة فيها ألوان البديع؛ لما لأهل عصره من ولع به وشغف [(١)].

١- **مختصر مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزي:**

يوجد " مختصر مناقب عمر بن الخطاب" مخطوطاً في دار الكتب المصرية تحت رقم (٢٣٣٤) تاريخ، ومنه نسخة أخرى بالدار تحت رقم(٧٢٨) مجاميع، وهو مجموع فيه السيرتين للبدريين الورعين المسماييين بـ " العمرين الصحابي والتابعي رضى الله عنهم"، وهما الإمام عمر بن الخطاب، والإمام عمر بن العزيز[(٢)] – وهي النسخة التي اعتمدت عليها الدراسة للمقابلة بين هذا المختصر وبين مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي[(٣)].

وقد ذكر بعض الباحثين[(٤)] أن المختصر نشر بعناية طاهر النعساني بالاشتراك مع أحمد قدري الكيلاني في تحقيقه وضبطه، وطبع بمطبعة مصطفى محمد صاحب المكتبة

---

(١) **حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وآثاره ، ج٢ ، ص١٣٦ . وللاستزادة عن كتاب البديع ومنهج أسامة فيه وأهميته البلاغية، ومواقفه النقدية والبلاغية فيه .انظر: **حسن عباس** ، ج٢ من كتابه أسامة بن منقذ ، ص١٣٦-٢٠٦ .

(٢) انظر فهرس المخطوطات المصورة بدار الكتب المصرية، الجزء الخامس، التاريخ، ط١، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م، ص٣٣٦ .

(٣) **ابن الجوزي:** مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، مكتبة جامعة الملك سعود" قسم المخطوطات "، رقم (٥٠٣٢ ف)، تاريخ النسخ(١٢٨٥هـ)، الناسخ عبد الله بن درويش الشهير بابن السكري .

(٤) **أحمد قدري الكيلاني:** أسامة بن منقذ سيرة حياة، ص٧٦ ، **حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وآثاره ، ج٢، ص٨٧ .

التجارية الكبرى بمصر، تحت عنوان" تاريخ عمر بن الخطاب، أول حاكم ديمقراطي في الاسلام "، وبعد الرجوع إلى هذه الطبعة وبمطابقتها مع مخطوط ابن الجوزي تبين أنها ليست المختصر لأسامة، ولكن هي كتاب " مناقب عمر بن الخطاب" لابن الجوزي [١].

أما مختصر أسامة، فطُبِعَ بدار الكتب العلمية ببيروت، وذلك بتحقيق: زينب إبراهيم القاروط سنة (١٠٤٧هـ/١٩٧٨م)، ثم أعاد تحقيقه حلمي محمد إسماعيل عام (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)[٢].

عمل أسامة في اختصار الكتاب:

كان جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي قد ذاع صيته، حتى ملأ الأسماع في وقت مبكر من القرن (السادس الهجري) إذ كان علامةَ عصره، وإمام وقته في الحديث، وصناعة الوعظ[٣]، وقد كان له باع طويل في التصنيف في المناقب، عد له سبطه ثلاثة وعشرين كتاباً في هذا الفن، منها: " مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه " في مجلد، و"مناقب عمر بن عبد العزيز" في مجلد "[٤].

وقد استحسن أسامة هذين الكتابين، وأعمل ذهنه وقلمه في اختصارهما، وبدأ عمله بتقديم يوضح فيه اسم الكتاب، ومؤلفه، ومنهجه في الاختصار، ووجهة نظره في ذلك فقال[٥]: " إننى وقفت بمدينة إسعرد[٦] في شوال سنة سبع وستين وخمسمائة على كتاب مناقب أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) تأليف الإمام العالم

---

(١) **ابن الجوزي:** تاريخ عمر بن الخطاب أول حاكم ديمقراطي في الاسلام ، مطبعة التوفيق الأدبية، مصر، د.ت .

(٢) **ابن الجوزي:** مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تحقيق: حلمي محمد إسماعيل، دار ابن خلدون، الإسكندرية، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، مقدمة المحقق ص٦ .

(٣) **ابن خلكان:** وفيات الأعيان، ج٣ ، ص ١٤٠ .**الذهبي:** سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص٣٧٠ .

(٤) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج٢٢، ص٩٧ . **حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وآثاره ، ج٢، ص٨٤، ٨٥ .

(٥) **ابن الجوزي:** مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص١١، وفي هذه النسخة إسقاطات لبعض الكلمات، وتصحيف، وتحريف لبعضها، وقد أثبت التصويبات من المخطوط . انظر الملاحق ص .

(٦) **إسعرد:** هى من مدن دبار بكر، حيث جاء في معجم البلدان في رسم ديار بكر:" ومنه حصن كيفا وآمد وميافارقين، وقد يتجاوز دجلة إلى سعرت وحيزان وحيني". انظر: **ياقوت الحموي:** معجم البلدان،ج٢، ص٤٩٤ .

الزاهد ناصر السنة أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي (رضى الله عنه) مروية عن الثقاة، مسندة إلى الأئمة الأثبات، فرأيت – وبالله التوفيق- أني جردتها عن الأسانيد إذ كانت أشهر من النهار، وأشيع من أن تدفع بالإنكار، وفضائله تشهد بها آثاره في الإسلام، وتأييده الدين، إجابة لدعوة الرسول ﷺ، والناس فيه بين رجلين: رجل عرف فضله، فأقر وفوّض، ورجل ران على قلبه الشك، فأنكر وأعرض، فالمقر العارف لا يزيد يقينه الإسناد، والمنكر الجاحد لا تصده الرواية عن العناد ... ".

ثم انتقل بعد ذلك إلى مقدمة ابن الجوزي للكتاب، ذاكراً لها كما وضعها المؤلف، ثم شرع في ذكر أبواب الكتاب، فكانت جهوده كالآتي:

(١)- حذف الأسانيد الطويلة التي حرص ابن الجوزي على إثباتها في كتابه، تأكيداً لصحة ما يروي من الأحاديث والأخبار، واكتفى بذكر من تنتهي إليه عنعنة الحديث[١]، كقول ابن الجوزي: الباب الأول في ذكر مولده (رضى الله عنه) عن محمد بن سعد يرفعه إلى زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر، قال... "[٢].

وبدأه أسامة بقوله[٣]: " الباب الأول في ذكر مولده (رضى الله عنه) عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر قال... ".

ومثله قوله: " الباب السابع في ذكر سبب وقوع الإسلام في قلبه عن شريح بن عبيد الله، قال عمر بن الخطاب..." اختصاراً لقول ابن الجوزي:" عن صفوان حدثنا أحمد بن علي عن شريح بن عبيد قال عمر بن الخطاب" [٤].

(٢)- وانطلاقاً من حذف الأسانيد؛ فقد تصرف أسامة في مادة الكتاب بالحذف، سواء الروايات التي تكررت في حديث واحد، أو غير ذلك، وذكر الخبر بأسلوبه، كقول ابن الجوزي: " وقد حكى أبو نعيم الأصفهاني عن ابن إسحاق أنه قال: أمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة وأبو جهل خاله. فتأملت فإذا هو غلط، وقد ذكره الدارقطني على الصواب، فقال هى حنتمة بنت هاشم ذو الرمحين بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة.

---

(١) **حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وآثاره ، ج٢، ص٨٨ .

(٢) **ابن الجوزي:** تاريخ عمر بن الخطاب ، ص٢ .

(٣) **ابن الجوزي:** مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص١٣ .

(٤) **ابن الجوزي:** مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص١٧ . تاريخ عمر بن الخطاب ، ص ٦ .

قال: ومن قال بنت هشام؛ فقد وهم؛ لأن هشام بن المغيرة والد أبي جهل وأخوته، وهذه بنت هاشم عم الحارث بن هشام وأبي جهل بن هشام. قلت : ألا إن قول الدارقطني أن هاشما كان يقال له ذو الرمحين، فيه نظر؛ لأن الزبير بن بكار أعرف بالنسب، وقد قال: ولد المغيرة بن عبد الله هاشما، وبه كان يكنى، وهشاماً وأبا حذيفة، واسمه مهشم وربيعة، وهو ذو الرمحين، واسمه عمرو، وأبا أمية، وهو زاد الراكب. فقد بان بهذا أن هاشما وهشاما أخوان، فهاشم والد حنتمة أم عمر، وهشام والد الحارث وأبي جهل، وقال عبد الغني الحافظ هي حنتمة بنت سعد بن المغيرة، وهو غلط، والصحيح ما ذكرناه "[1] .

واختصره أسامة بالآتي: "وقد روي عن ابن إسحاق أن حنتمة بنت هشام بن المغيرة وأبو جهل خاله. قال الشيخ: هذا وهم، والزبير بن بكار أعرف بالنسب، وقد قال: ولد المغيرة بن عبد الله هاشما، وبه كان يكنى، وهشاماً وأبا حذيفة، واسمه مهشم، وأبا ربيعة وهو ذو الرمحين، واسمه عمرو وأبا أمية، وهو زاد الراكب. فقد بان بهذا أن هاشماً وهشاماً أخوان، فهاشم والد حنتمة أم عمر (رضى الله عنه)، وهشام والد الحارث وأبي جهل "[2] .

(٣)- تصرف أسامة في مادة الكتاب بوضع إضافات وتعليقات، فمن ذلك أنه لما انتهى إلى قول ابن الجوزي[3]: " عن أبي عبيدة قال: قال عبد الله: أفرس الناس ثلاثة أبو بكر في عمر، وصاحبة موسى حين قالت "استأجره"، وصاحب يوسف" .

أداه إلينا بقوله: " قال عبد الله (يعني ابن مسعود) - رضى الله عنه - أفرس الناس ثلاثة: أبو بكر في عمر، وصاحبة موسى عليه السلام حين قالت: " استأجره" وصاحبة يوسف عليه السلام" [4].

وعندما ينتهي إلى قول ابن الجوزي: "عن صالح بن كيسان عن عمر بن عبد العزيز قال: لما انتهى قتل أبي عبيد إلى عمر، واجتماع أهل فارس على رجل من آل كسرى، نادى في المهاجرين والأنصار، وخرج حتى أتى صرار، وقدم طلحة بن عبيد الله، وسمي لميمنته عبد الرحمن بن عوف، ولميسرته الزبير بن العوام، واستخلف علياً على المدينة، واستشار الناس، فكلهم أشار عليه بالسير إلى فارس، فنهاه عبد الرحمن. وقال: إن يهزم

---

(١) تاريخ عمر بن الخطاب ، ص٣ .

(٢) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص١٣ ، ١٤ .

(٣) تاريخ عمر بن الخطاب ، ص٥٢ .**حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وآثاره ، ج٢، ص٨٩ ،٩٠ .

(٤) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص ٥٨ .

جيشك، فليس كهزيمتك، وأشار عليه بسعد، فذهب إلى القادسية، وعاد إلى المدائن ففتحها"(١).

نجد أسامة يضيف بعد قوله" وأشار عليه بسعد ": " وهو سعد بن أبي وقاص الزهري، أحد العشرة رضوان الله عليهم، وهو الذي هزم الفرس بالقادسية، وفتح مدائن كسرى، فذهب إلى القادسية، وعاد إلى المدائن؛ ففتحها" (٢).

وعندما ينتهي إلى قول ابن الجوزي على لسان حفصة(٣): " وكان لنا صاع من سلت، وإني نخلته ذات يوم وطبخته لرسول الله" . فيضيف أسامة موضحاً معنى السلت فيقول: " وكان لنا صاع من سلت – يعني من حنطة رديئة – وإني نخلته ذات يوم وطبخته لرسول الله" (٤).

وقد أضاف أسامة إلى مادة الكتاب بعدما انتهى ابن الجوزي في الباب الأربعين (في ذكر حذره من المظالم وخروجه منها بتسليم نفسه للقصاص) بقوله(٥) " عن جابر الجعفي أنه سمع سالم بن عبد الله، قال: نظر عمر إلى رجل أذنب ذنباً، فناوله بالدرة، فقال الرجل: يا عمر لئن كنت أحسنت، فلقد ظلمتني، وإن كنت أسأت، فما علّمتني، قال. صدقت، فاستغفر الله لي دونك، فاقتص من عمر، فقال الرجل: أهبها لله، وغفر الله لي ولك".

فأضاف أسامة إلى هذا قوله: " فإن قال قائل: كيف جاز لعمر أن يقول لمن ضربه اقتص مني، والقصاص لا يكون في الضرب بالعصا إجماعا؟ . وأبلغ من هذا ما روى محمد بن سعد من حديث الفضل بن العباس أن النبي ﷺ قال في مرضه: أيما رجل أصبت من عرضه شيئاً فهذا عرضي فليقتص أو من ماله شيئاً فهذا مالي فليأخذ ..، واعلموا أن أولاكم بي رجل كان له من ذلك شئ، فأخذه وحللني، فلقيت ربي، وأنا محلل لي.

فالجواب: أما النبي ﷺ؛ فإنه منزه أن يكون ضرب أحداً بغير حق، إنما أبان بما قال الواجب على من ضرب أحداً بغير حق أن يعزر، والتعزير ضرب، لكنه لا يقع قوداً لكن تعزيراً، فلذلك قول عمر بن الخطاب (رضوان الله عليه): من كنت ضربته –يعني بغير

---

(١) تاريخ عمر بن الخطاب ، ص٩١ ،٩٢ .**حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وآثاره ، ج٢، ص٩١.

(٢) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص٨٩ .

(٣) تاريخ عمر بن الخطاب ، ص١٤٥ .

(٤) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص١٣٧ .

(٥) تاريخ عمر بن الخطاب ، ص ١١٥ . **حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وآثاره ، ج٢، ص٩٤ .

حق- فليضربني، على وجه التعزير، لا معنى القصاص؛ فإن عمر هو الإمام، وإذا وجب لبعض رعيته عليه حق، جاز أن يأذن في استيفائه، وإقامته، فأما القصاص في الضرب بالعصا، فقد أجمع الفقهاء على أنه لا قصاص في ذلك، ولا يعدل عن الإجماع المعصوم بخبر محتمل. ثم لا يجوز للنبي ﷺ، ولا لعمر أن يبيحا من أنفسهما ما لم يبحه الله تعالى من الضرب، كما لايجوز لأحد أن يقول لآخر: اجرحني أو اقتلني؛ لأن النفوس محرمة لحق الله تعالى. وإنما أبيح القصاص في الجراح والقتل " [1].

(٤)- ظهر الجانب النقدي لديه في المختصر إذ نراه إذا ما وجد خطأ في المادة المروية، فيتصدى لها، ومن ذلك في الباب التاسع والثلاثين في ذكر قوله وفعله في بيت المال عندما نصل إلى قول ابن الجوزي[2]: " فكان ربما يؤتى بالجفنة، وقد صنعت بالزيت، وما يليه منها بسمن، فيعتذر إلى القوم ويقول: إني رجل عربي، ولست استمرئ الزيت" .

نجد أسامة ينبري للرد على هذا القول بقوله[3]: " قلت من غير رد على الشيخ المصنف -رحمه الله- أمير المؤمنين -رضوان الله عليه- منزه عن هذا، وقد أجمع أصحاب السير أنه حرم على نفسه السمن، وأكل الزيت حتى اسودّ لونه، فكيف يأكل من جفنة واحدة بين يديه سمن، وبين يدي مواكليه زيت؟ هذا ينافي فعله وخلقه" .

(٥)- التغيير في وضع المادة المروية مع الحفاظ على الشكل العام لترتيب فصول الكتاب، بمعنى نقل مرويات في باب معين يرى أسامة استحسان وضعها تحت باب آخر، ففي الباب الرابع والستين وهو (في ذكر نعي الجن لعمر) يورد من الأحاديث والأشعار ما لم يرد عند ابن الجوزي إلا في الباب الثاني والسبعين وهو(في ذكر نوح الجن عليه)، فإذا وصل عند هذا الباب نجده حذفه كله، ولم يبق إلا العنوان ويقول: " قلت هذا الباب قد تقدم جميع ما تضمنه من حديث وشعر، فما رأيت إعادته " [4].

---

(١) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص١١٠ .

(٢) تاريخ عمر بن الخطاب ، ص١٠٨ .

(٣) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص١٠٤ .

(٤) **ابن الجوزي**: مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص٢٠٣، ٢٢٣. تاريخ عمر بن الخطاب ، ص ٢٠٨، ٢٢٨ .

٢- **مختصر مناقب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي .**

وهذا كتاب آخر وقف عليه أسامة من مؤلفات ابن الجوزي، وهو " مناقب عمر بن العزيز" فاختصره كسابقه. ويوجد مختصر مناقب عمر بن عبد العزيز مخطوطاً في دار الكتب المصرية تحت رقم (٢٣٣٤) تاريخ، مع مختصر مناقب عمر بن الخطاب(١)، وقد طبع المختصر سنة(١٩١٦م) (٢)، وهي النسخة التي اعتمدت عليها الدراسة في المقارنة بينه وبين سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي(٣) .

وذكر بعض الباحثين أن هذا الكتاب هو أولى بالاختصار من كتاب " مناقب عمر بن الخطاب"؛ لما فيه من التكرار الكثير في مادة الكتاب، وأن ابن الجوزي كان يعيد الأحاديث والأخبار مراراً في المكان الواحد؛ لوجود اختلاف بسيط، أو زيادة طفيفة في لفظه(٤).

عمل أسامة في اختصار الكتاب:

بدأ أسامة عمله بتقديم يوضح فيه اسم الكتاب، واسم مؤلفه، ومنهجه في الاختصار، ووجهة نظره في ذلك، فيقول: " إنني وقفت على كتاب مناقب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز (رضى الله عنه)، تأليف الشيخ الإمام العالم جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي، (رضى الله عنه)، يرويه بإسناده إلى المشايخ العلماء، فلم أظفر في عاجل الحال بمن لديه رواية، أقرأه عليه، وأسند الرواية إليه، وقصر بلوغي الثمانين بسطة الأمل عن أن أرجو روايته في المستقبل، فجردته من الأسانيد، وحذفت ما فيه من التكرار إذ كان القصد في إيراد الأحاديث من طرق شتى الروايات، وإذا حذفت الأسانيد، فليس في تكرارها فائدة، وكتبته بخطي وأضفته إلى مناقب جده أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)"(٥).

---

(١) فهرس المخطوطات المصورة بدار الكتب المصرية، ج٥، ص٣٣٦، وانظر الأصل لابن الجوزي، ص٣٦٦.

(٢)**ابن الجوزي:** مناقب عمر بن عبد العزيز، طبعة برلين، ١٩١٦م .

(٣) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، ضبطه وشرحه: نعيم زرزور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

(٤) أسامة بن منقذ حياته وآثاره ، ج٢، ص١٠١ .

(٥) **ابن الجوزي:** مناقب عمر بن عبد العزيز، ص٢ .

ثم انتقل بعد ذلك إلى مقدمة ابن الجوزي للكتاب، ذاكراً لها كما وضعها المؤلف، ثم شرع في ذكر أبواب الكتاب، فكانت جهوده كالآتي:

-حذف الأسانيد الطويلة التي حرص ابن الجوزي على إثباتها في كتابه تأكيداً لصحة ما يروى من الأحاديث والأخبار، واكتفى بذكر من تنتهي إليه عنعنة الحديث، كقول ابن الجوزي: " الباب الأول (في ذكر مولده)، حدثنا الحارث بن أبي أسامة، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال ... "[1].

وصاغه أسامة بقوله[2]: " الباب الأول في (ذكر مولده) عن محمد بن سعد قال: ...".

-حذف الروايات المتشابهة وبأسانيد مختلفة، كرواية ابن الجوزي لنسب عمر بن عبد العزيز عن محمد بن سعد، ثم روى رواية أخرى لنسبه بإسناد عبد الله بن سهد الزهري، فأورد أسامة نسبه عن محمد بن سعد – فقط– ولم يذكر رواية الزهري؛ لتشابهها[3].

ومثل ذلك – أيضاً– مارواه ابن الجوزي في الباب السادس(في ذكر ما يروى من شهادة رسول الله ﷺ له بأنه خير أهل زمانه)، حيث ذكر ثلاث روايات متواليات متشابهات لقصة دفن عمر الحية الميتة، ولكن بأسانيد مختلفة ، فأورد أسامة رواية واحدة تحت عنوان هذا الباب، وحذف الروايات المتكررة [4].

-حذف ما ليس له علاقة بعنوان بالباب، وإيراد الروايات المتعلقة به فقط، فقد أورد ابن الجوزي تحت عنوان الباب الخامس: (في ذكر غزارة علمه، وفصاحته، وثناء الناس عليه) مرويات تفيد بأن صلاته أشبه بصلاة رسول الله ثم أفاض في روايات في علمه وفصاحته. ونجد أسامة يأتي بعد عنوان الباب بالروايات التي توضح علمه وفصاحته، وترك عدد كبير من الروايات التي تسبقها عن صلاته التي تشبه صلاة رسول الله، استحسانا منه بأن يروى تحت عنوان الباب ما يخصه فقط [5].

---

(١) **ابن الجوزي:** سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، ص٩ .

(٢) **ابن الجوزي:** مناقب عمر بن عبد العزيز، ص٧ .

(٣) **ابن الجوزي:** سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، ص٣٩ ، ٤٠ ، مناقب عمر بن عبد العزيز، ص ١٥ ، ١٦.

(٤) **ابن الجوزي:** سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، ص٩ ، مناقب عمر بن عبد العزيز، ص٧ .

(٥) **ابن الجوزي:** سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، ص٣٤ ، ٣٥ . مناقب عمر بن عبد العزيز، ص ١٣ .

-كان ابن الجوزي إذا روى خبراً بسندها ثم يأتي برواية أخرى بها زيادة عن الرواية الأولى يذكرها بتمامه وبسندها، أما أسامة؛ فيختصر عن طريق ذكر الرواية الأولى ثم يستغني عن القسم الأول من الرواية الثانية المكرر، وعن ذكر سند الرواية الجديدة، بقوله: " وزاد فيه برواية أخرى" ثم يكتب الزيادة الموجودة في الرواية الثانية[١]، وهو بهذه الإشارة يستغني عن إعادة سند الرواية الجديدة والجزء الموجود بالرواية الأولى .

-تصرف أسامة في مادة الكتاب بوضع إضافات وتعليقات، وذكر بعض الباحثين[٢] أن إيضاحات أسامة وتعليقاته في هذا الكتاب أكثر دقة ووضوحاً من مثلها في كتاب مناقب عمر بن الخطاب، إذ يقدم لملحوظات ابن الجوزي؛ بنحو قوله: " قال الشيخ أبو الفرج المصنف"، ويقدم لملحوظاته الشخصية بقوله: " قلت " وكأنه بهذا يريد أن يفصل ملحوظاته الشخصية عن ملحوظات ابن الجوزي حتى لا تختلط على من يطالع الكتاب. فمن ذلك قول أسامة في الباب الثلاثون(في ذكر خوفه من الله تعالى):

" عن مالك قال: قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لما خرج من المدينة، يا مزاحم، نخشى أن نكون ممن نفت المدينة ". قال الشيخ أبو الفرج المصنف رحمه الله: إنما أشار إلى قول النبي ﷺ في صفة المدينة : "تنفي خبثها "[٣] .

ومن ذلك قول أسامة في الباب الثاني(في ذكر نسبه)[٤]: " ... وقال عاصم: يا أبتاه لا زوجة لي، فزوجني. فبعث إلى الجارية، فزوجها من عاصم، فولدت لعاصم بنتاً، قلت: هي أم عاصم، وولدت البنت عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه " .

---

(١) انظر ما رواه ابن الجوزي في الباب الثامن عشر في ملاحظته لعماله، ومكاتبته أياهم في القيام بالعدل: سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، ص١٠٠، ١٠١، مناقب عمر بن عبد العزيز، ص ٤٨. وانظر قوله بعد ذكر الرواية الأولى " أعاد هذا الحديث عن عبد الله بن المبارك، وزاد فيه أن مزاحماً قال ..." ثم ذكر الزيادة التى في الرواية الثانية. انظر مناقب عمر بن عبد العزيز، ص ٧٦ .

(٢) أسامة بن منقذ حياته وآثاره ، ج٢، ص ١٠٧ .

(٣) مناقب عمر بن عبد العزيز، ص ١١٧ ، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، ص٢٢٤ .

(٤) مناقب عمر بن عبد العزيز، ص ٨ ، ٩ .

ثانياً- المؤلفات المخطوطة:-

(أ)- المؤلفات المخطوطة الموجودة:

(١)- كتاب أخبار النساء:-

ذكره المقريزى[١]، وقد أورد فيه بعض نوادر عن النساء، وأخبارهم، والأشعار التي قيلت فيهن[٢] .

وأشار أسامة إليه في كتاب المنازل والديار، عندما روى قصة بيهس بن صهيب ومحبوبته " صفراء " فقال[٣]: " وقد أوردت أخباره وأشعاره في صفراء في كتابي المترجم بكتاب "أخبار النساء"، فاقتصرت على ما ذكرته هنا من شعره، لما اقتضاه التأليف من ذكر الدمن".

وذكره- أيضاً- في " كتاب العصا " مرتين، الأولى: عندما روى خبر سعدي أم أوس بن لأم، وابنها أوس عندما أسر بشر بن أبي خازم، وكان يهجوه، ويذكر أمه سعدى في هجائه، فقالت له أمه :" أطلقه وأحسن إليه، فلا يغسل هجاءه عنك إلا مدحه إياك" . فلما أطلقه أوس مدحه بشر كثيراً، وعقب أسامة على هذا الخبر بقوله : " قد أوردت هذا الخبر بتمامه في كتابي المترجم بأخبار النساء" . والثانية بعد إيراد قصيدة الحطيئة في مدح بغيض بن بدر وقمه بني أنف الناقة[٤].

وإشارة أسامة إليه في كتاب المنازل والديار تعني أنه ألفه قبل عام (٥٦٨هـ/ ١١٧٢م) [٥]، كما وضح المقريزي مضمونه قائلاً: " بدأ فيه بحواء، وذكر فيه أم موسى، ومريم ابنة عمران، وأخبارهن وأمهات العرب، والأخوات، والزوجات، والبنات المنجبات والنساء التى سارت بذكرهن الأشعار، واستقصى أخبار الجميع وأشعارهن، وما قيل فيهن"[٦].

---

(١) المقفى الكبير ، ج٢ ، ص ٤٨ .

(٢) **محمد أحمد حسين** : أسامة بن منقذ صفحة من تاريخ الحروب الصليبية، ص١٠٢ .

(٣) ص ١٦٦ .

(٤) ص ٢١٧، ٣٠٠ .

(٥) **وهيب طنوس:** الوطن في الشعر العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي، ص١٧٦ .

(٦) المقفى الكبير ، ج٢ ، ص ٤٨ .

وهذا النص الذى أورده المقريزي يؤكد إطلاعه على كتاب " أخبار النساء"، واستيعاب ما فيه من مضمون ومادة علمية؛ مما يدل على أنه كان متداولاً بين الناس في القرن التاسع الهجرى.

وقد اعتمد على هذا الكتاب الإمام جلال الدين السيوطي في كتابه " المستظرف من أخبار الجواري "، وهذا ما أكده محقق الكتاب الدكتور صلاح الدين المنجد في تمهيده للكتاب [١]، ونقل منه السيوطي مصرحاً باسم الكتاب ومؤلفه في أربعة مواضع، منها خبراً عن "خزامى" جارية المقين[٢]، و" فضل " الشاعرة اليمامية جارية المتوكل[٣]، "وقاسم" جارية ابن طرخان[٤]، وجارية تدعى" ممنعة " [٥].

وهناك بعض المحاولات التي قام بها بعض العلماء للكشف عن المخطوطات المتناثرة للكتاب في مكتبات باكستان، منها ما قام به الدكتور أحمد خان، ونشره في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق[٦]، عندما قدم للتعريف عن مخطوطه وجدها في مكتبة بباكستان، وعقد العزم على التعريف بها، ووصفها في المجلات العربية لمحبي التراث أملاً في معاونته لمعرفة عنوان هذا المخطوط ومؤلفه، فقال :

" إنها مخطوطة من كتب الأدب العربي، أسلوبها جميل خلاّب، تمور بالأبيات الكثيرة . ويظهر من قدامة ورقها، ونمط خطها أنها قد تكون وليدة القرن السادس الهجري. ولكني لم أهتد إلى عنوان هذا الكتاب، ولا إلى مؤلفه؛ لأن النسخة ناقصة من أولها وآخرها، كما أن أوراقها مفككة ومضطربة، ولا أكاد أعرف من أية ورقة تبتدئ المخطوطة، وبأي ورقة تنتهي ".

---

(١) ط٢، دار الكتاب العربي الجديد، بيروت، لبنان، ١٩٧٦م، مقدمة المحقق، ص٥ .

(٢) المستظرف من أخبار الجواري، ص٢١ ، ٢٢ . هناك خطأ في الكتابين، والصحيح أنها جارية المعتز كما ذكر الزمخشري. انظر كتابه: ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج٢، ص٤٤٢ .

(٣) المستظرف من أخبار الجواري، ص٥٤ ، ٥٥ .

(٤) المستظرف من أخبار الجواري، ص٥٦ .

(٥) المستظرف من أخبار الجواري، ص٦٧ ، ٦٨ .

(٦) ما هذا الكتاب؟ مجلد (٦٣) ، سوريا، ١٩٨٨م ، ص ٧٣٣ –٧٣٧ .

وهذه المخطوطة تحوي (١٦٠) ورقة، بقطع (٢٩ ×٢١ سم)، وفى صفحتها (١٥) سطر. وها هي رؤوس الأبواب أو الفصول التي وجدتها في المخطوطة مكتوبة بقلم جليّ، قد تدل على شيء من مادة الكتاب، وعسى أن ترشد إلى هذا الكتاب القيم:

- من كره الزواج من البنات أو كرهه لهن غيرهن.
- فصل في ذكر البنات.
- فصل من أخبار البنات.
- من خطب لنفسه فتزوج.
- من خُطبت إليه ابنته فزوّج مكرها .
- من خطب ورُد.
- من خطبت إليه ابنته فرد الخاطب.
- وأد البنات.
- مراثي البنات.
- اللطف بالبنات والشفقة عليهن.
- برّ البنات بالآباء ولطفهن بهم.
- ذكر حوّاء عليها السلام ووصف خَلْقها.
- ذكر أم موسى عليه السلام.
- ذكر مريم بنت عمران عليها السلام.
- أم صفارة بنت ثروان ابن أخي شعيب عليه السلام.
- بركات الأمهات.
- الرضاع والشبه.
- جلد الأمهات وإحتسابهن وكرمهن .
- كتاب الأمهات .
- فصل في صفات النساء .
- فصل أسنان النساء وأعضاء النساء .
- فصل في أخلاق النساء .
- من طلق زوجتة مكرها .
- وفاء النساء لأزواجهن .

-كتاب الزوجات وصالهن بأزواجهن .
-فصل في الطلاق .
-بركات النساء.
-كرم أفعال النساء مع أزواجهن وغيرهم .
-حداد المرأة على زوجها .
-آسية بنت مزاحم إمرأة فرعون .
-أم خديجة بنت خويلد رضى الله عنها .
-ذكر إمرأة أيوب علية السلام .
-ذكر بلقيس .
-خلاف الأبناء للأمهات .
-مراثي الأمهات والجدات والخالات .
-صفات النساء المحمودة والوصاء بهن .
-وصايا الأمهات.
-غض البصر .
-اليتامى .
-غشيان النساء فى الصوم .

وإن هذة الفصول أو الابواب ليست بمرتبة ترتيباً صحيحاً، فإننا كتبناها كما وجدناها في الأوراق المضطربة"(١).

وبعد التماسه من علماء اللغة ومحبي التراث أن يرشدوه إلى عنوان هذا الكتاب ومؤلفه، ونسخه الأخرى في مكتبات العالم لمضاهاتها بالنسخة التي معه ليسهل عليه ترتيب فصول الكتاب وأبوابه، ونشر صفحات من المخطوط، رد عليه الأستاذ محمد عُزَيز شمس في نفس المجلة(٢)، بأنه من حسن حظه أنه سافر إلى باكستان، وقابل الأستاذ أحمد خان في مدينة إسلام آباد، ونزل عنده، واطلع على بعض المخطوطات، منها هذه

(١) **أحمد خان** : ما هذا الكتاب ؟ ص ٧٣٣ –٧٣٥ .
(٢) هذا كتاب أخبار النساء لابن منقذ، مجلة مجمع اللغة العربية ، دمشق، سوريا، ١٩٩٠م، مجلد(٦٥)، عدد(٢)، ص ٣٣٤-٣٤٢ .

المخطوطة، وبدأ يقرأها ويقلبها ورقة ورقة إلى أن اقتنع بأنها كتاب مهم في الأدب، لمؤلف قديم، جمع فيه أخبار النساء وصفاتهن وتراجمهن، وما قيل فيهن من شعر.

وبدأ الأستاذ محمد عُزَيز شمس يصف المخطوطة، فقال: " ووجدته يختلف عن الكتب المطبوعة في هذا الباب، إذ إنه يتناول كل موضوع بتفصيل، ويأتي المؤلف فيه بغرر النقول، وطرائف الأخبار، ومحاسن الأشعار. وكدت انتهي من إلقاء نظرة على الكتاب، وأتركه من يدي إذا بارق أمل يلمع لي، فقد وجدت في موضع منه أن المؤلف يشير إلى كتاب آخر له بعنوان: التاريخ البدري، ويحيل القارئ إليه لمعرفة بعض التراجم التي كتبها هناك بالتفصيل. وفي موضع آخر منه يذكر شخصاً قابله في شيزر، وروى عنه خبراً "[١].

أخذ بعد ذلك الأستاذ محمد عُزَيز شمس يبحث عن مؤلف كتاب التاريخ البدري، فلم يعثر على ذكره في كتب الأثبات وفهارس المخطوطات، وبدأ البحث في منحنى آخر، وهو البحث في تراجم المنسوبين إلي مدينة شيزر، مثل ترجمة: أبي الغنائم مسلم بن محمود الشيزري(ت بعد ٦١٧هـ)[٢] مؤلف "جمهرة الإسلام" و"عجائب الأشعار"، ثم قرأ ترجمة أسامة بن منقذ (صاحب قلعة شيزر) فى مقدمات كتبه المنشورة، وفرح عندما وجد التاريخ البدرى من بين مؤلفاته، وازداد يقيناً عندما ورد ذكر التاريخ البدري فى ترجمة أسامة للذهبى والمقريزي، فضلاً عن إشارة أسامه نفسه عن هذا الكتاب في كتبه مثل العصا، ومختصر مناقب عمر بن الخطاب، وبذلك تأكد أن هذه المخطوطة لأسامة بن منقذ.

أما عن عنوانها؛ فتعرف عليه من إحالات أسامة إليه في مؤلفاته، مثل: المنازل والديار، وكتاب العصا، كما أن فصول وأبواب المخطوطة تتحدث عن النساء، فضلاً عن وصف المقريزى لكتاب أخبار النساء لأسامة، وهوما ينطبق تماماً على ما وجده في المخطوطة من فصول وأبواب .

ويتضح مما سبق أن الكتاب من مؤلفات أسامة المخطوطة الموجودة.

---

(١) **محمد عُزَيز شمس:** هذا كتاب أخبار النساء لابن منقذ، ص ٣٣٥ .

(٢) **أمين الدين، أبو الغنائم:** هو مسلم بن محمود بن نعمة بن أرسلان، الشيزري أديب شاعر، كان جده أرسلان من مماليك (ابن منقذ) صاحب شيزر. مولده ومنشؤه بدمشق. انتقل إلى اليمن، وأكثر من مدح صاحبها الملك المسعود يوسف بن محمد وصار من خاصته. وصنف لخزانته جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام ، وله عادات النجوم .انظر **ابن خلكان:** وفيات الأعيان، ج٢،ص ٥٢٤ ، ٥٢٥ .**الزركلي:** الأعلام، ج٧ ، ص ٢٢٣ .

(ب)–**المؤلفات المخطوطة المفقودة:**

١- **كتاب تاريخ أيام أسامة بن منقذ** . لا يعرف عنوانه بالدقه؛ ولكن ليس ثمة شك في أنه كتاب آخر غير كتاب" الاعتبار" فإن ياقوت الحموي[١]، وابن الساعي[٢]، والصفدي[٣] يذكرانه، كما أن المقتطفات المأخوذه منه بكثره لدى ابن واصل[٤] والتي لا نجدها في كتابه" الاعتبار" تثبت أن لأسامة كتاباً آخراً مهماً في تاريخ أيامه، بالإضافة إلى أن هذه النصوص المقتبسة من " تاريخ أسامة" تختلف عن نصوص" الاعتبار" لخلو هذه النصوص من استخلاص العبر كما هو الحال في نصوص الاعتبار، وعلى الأرجح يعد هذا الكتاب السيرة الذاتية لأسامة التي كتبها بنفسه، وسيظل هذا الترجيح قائماً إلى أن نعثر علي هذا الكتاب، ويثبت غير ذلك.

والتساؤل الذي يطرح نفسه، ما دافع أسامة لتأليف هذا الكتاب؟ فالراجح أن ما تهيأ لأسامة من الوسائل بفضل صلاته السياسية واتصالاته الرسمية بالملوك والأمراء، فضلاً عن المشتركين في الأحداث، جعلته يُقبل على تأليف مثل هذا النوع من التصنيف؛ بل وجعلت مادته تحمل طابع الوثائقية، مما يعطي للكتاب أهمية كبيرة.

وسنعرض الآن بعض نصوص من كتاب " مفرج الكروب" المنقولة عن كتاب " تاريخ أسامة بن منقذ " : ومنها ما ذكره أسامة عن مصاف عقرقوف[٥] الذي وقع بين الأتابك عماد الدين زنكي والخليفة المسترشد بالله العباسي، والذي حضره أسامة وهو في خدمة الأتابك زنكي، فقال في معرض حديثه عن وصف الخليفة المسترشد بالله: " كان الإمام المسترشد بالله يلحق بالصدر الأول من سلفه في علو الهمة، وحسن السياسة، والإقدام العظيم، فإنه لما التقى هو وعماد الدين زنكي بن آق سنقر في المصاف بعقرقوف، وأنا حاضر المصاف، ضرب له خيمة أطلس أسود، ووضع له فيها تخت، وجلس عليه، والخيل تطرد، فكسر عسكر أتابك ، وذلك يوم الاثنين السابع والعشرين من

---

(١) معجم الأدباء ، ج٢ ، ص ٥٧٩ .

(٢) الدر الثمين في أسماء المصنفين، ص ٢٩٧ .

(٣) الوافى بالوفيات ، ج٨ ، ص ٢٤٧ .

(٤) مفرج الكروب ، ج١ ، ص٥٠ ، ٥١ ، ١٠٠ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٢٤ ، ١٢٧ .

(٥) **عقرقوف:** قرية من نواحي دجيل قرب بغداد. **البكري** : معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ج٣، ص ٩٥١ . **ياقوت الحموى،** معجم البلدان، ج٤، ص١٣٧.

رجب سنة ست وعشرين وخمسمائة، فاستولى على كل ما فيه، وانهزم أتابك زنكي إلى الموصل، وذلك الإقدام العظيم كان سبب تلفه" [1]، ونقل ابن واصل منه_ أيضاً_ تعليق أسامة على طريقة موت الأتابك زنكي، فقال : " قال الأمير مؤيد الدولة بن منقذ : فكأن الشاعر – وهو المتنبي – عناه بقوله:

وقد قابل الأقران حتى قتلنه   بأضعف قرن في أذل مكان[2].

ونقل منه– أيضاً– أحداث أسر جوسلين صاحب تل باشر[3] فقال: " وذكر الأمير مؤيد الدولة ابن منقذ أن أسر جوسلين إنما كان في سنة خمس وأربعين وخمسمائة، وذكر أن صورة أسره أنه خرج من مدينة تل باشر، وسار في الليل، فأدركه النوم، فنزل ومعه نفر يسير من أصحابه، وقال لباقي أصحابه: " انطلقوا فأنا ألحقكم "، ونزل فنام، فمرت به سريّة من التركمان اتفاقاً، فانهزم أصحابه، وأخذ جوسلين أسيراً، وهم لا يعرفونه، فاجتازوا به من الغد على رجل أرمني، فجاء وقبّل يده، فقالوا له التركمان: من هذا؟ فقال: هذا جوسلين صاحب تل باشر، فلما عرفوه، احتفظوا به، وبلغ خبره إلى مجد الدين أبي بكر بن

---

(١) **ابن واصل** : مفرج الكروب ، ج١ ، ص٥٠ ، ٥١ .
وقد ساءت العلاقة بين الأتابك زنكى والخليفة المسترشد بالله العباسى، وكانت بينهما وقعات، منها: ما كان عند عقر قوف فى ٢٦ رجب سنة (٥١٦هـ/ ١١٣١م) واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم الأتابك زنكي بسبب تدخل الخليفة المسترشد بنفسه فى الحرب، مما أضعف معنويان قوات زنكي، وزاد من تقوية معنويات جنوده. وللاستزادة عن ذلك انظر: **ابن العمراني** ،محمد بن علي بن محمد، المعروف بابن العمراني: الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي ، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة ،١٤٢١هـ/٢٠٠١ م، ص ٢١٧.**العماد الأصفهاني**: البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ص: ٣٤٥ .**ابن الجوزي**: المنتظم ،ج ١٧، ص ٢٧١ . **ابن العبري**، غريغوريوس، أبو الفرج بن أهرون الطبيب الملطي، المعروف بابن العبري: تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، ط٢، دار الرائد، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص ٣٥٣، ٣٥٤ . **أبو الفدا**: المختصر في أخبار البشر، ج٣ ، ص ١٢. **جابر سلامة المصري**: عماد الدين زنكي بين الخلافة العباسية والسلطنة، مجلة كلية التربية،جامعة الأسكندرية، مصر، مجلد (٣)، العدد (٢)، ١٩٩٠م، ص٣٢٥-٣٢٧ .

(٢) مفرج الكروب، ج١ ، ص ١٠٠ . والبيت من بحر الطويل .

(٣) **تَلُّ باشِرٍ**: الشين معجمة: قلعة حصينة وكورة واسعة في شمالي حلب، بينها وبين حلب يومان، وأهلها نصارى أرمن، ولها ربض وأسواق، وهي عامرة آهلة.**ياقوت الحموى** : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٤٠ .

الداية – النائب بحلب – فأحضر التركمان، وأعطاهم حتى أرضاهم، وأخذ جوسلين، وتركه عنده، فلما وصل نور الدين إلى حلب كحل جوسلين وأهلكه "[١].

ويبدو أن ابن واصل كان يقارن بين ما أرخه أسامة عن تلك الأحداث، وبين ما دوّنه ابن الأثير الجزري، فذكر ذلك فى موضعين، الأول: عندما تحدث عن الدولة الأتابكية بعد موت الأتابك زنكي فقال: " قد ذكرنا مقتل الأمير عماد الدين، وتملك ولده سيف الدين غازي الأكبر الموصل، وتملك ولده نور الدين محمود حلب، وكانت بعلبك قد ملكها الشهيد، واستناب بها الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي (والد الملك الناصر صلاح الدين)، فلما بلغه وفاة الشهيد كاتبه الأمير مجير الدين آبق بن محمد بن بوري ابن طغتكين [٢] – صاحب دمشق – في تسليمها، وبذل له أموالاً كثيرة، وقرايا من أعمال دمشق، فسلّمها إليه، وانتقل نجم الدين أيوب إلى دمشق، وأقام بها، وذلك لأربع بقين من ربيع الآخر من هذه السنة – أعني سنة إحدى وأربعين وخمسمائة – وتسلم نور الدين من حاجب أبيه صلاح الدين محمد بن أيوب الياغيسياني حماة، وعوضّه عنها مدينة حمص وقلعتها، قلت: وهكذا ذكر ابن منقذ؛ وذكر ابن الاثير: أن حمص كانت بيد الأمير سيف الدين غازي،

---

(١) مفرج الكروب ، ج١ ، ص ١٢٤. وقد اتفقت المصادر، ومنهم أسامة على أن من أسر جوسلين هم جماعة من التركمان، لكن يفهم من رواية أسامة أن هؤلاء التركمان لم يعرفو جوسلين، مع أن معظم المصادر ذكرت أن نور الدين هو من احتال على جوسلين، فَاحْضُرْ جمَاعَة من التركمان، وبذل لَهُم العطايا من الإقطاع وَالْأَمْوَال إن هم ظفروا بجوسلين، إمَّا قتلا وَإِمَّا أسرا وبالفعل احتالوا على جوسلين، وهو يتصيد، وأسروه . وللاستزادة عن هذا انظر: **ابن القلانسي** : تاريخ دمشق، ص ٤٨١ . **ابن الأثير**: الكامل، ج٩، ص ٣٦٩، ٣٧٠ ، الباهر فى الدولة الأتابكية، ص ١٠٢ .**ابن العديم**: زبدة الحلب، ج٢، ص ٣٠٢،٣٠١.**أبو شامة**: الروضتين، ج١، ص ٢٤٤. **ابن العبري**: تاريخ مختصر الدول، ص٢٠٨،٢٠٧ . **الذهبي**: العبر في خبر من غبر،ج ٢ ، ص ٤٦٦ .**ابن أيبك الدواداري**، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر، الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق: صلاح الدين المنجد، ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦١ م، ج٦، ص ٥٥٥ .

(٢) **الملك المظفر مجير الدين**، أبو سعيد ، أبق ، صاحب دمشق، وابن صاحبها جمال الدين محمد بن تاج الملوك بوري بن طغتكين البعلبكي المولد،حكم بعد أبيه وهو صغير السن، ودبر الدولة أنر الطغتكيني، والوزير ابن الصوفي، فلما مات أنر استقل بالملك مجير الدين، مات ببغداد سنة (٥٦٤هـ/١١٦٨م) كهلاً وقد حكم مجير الدين أبق مدينة دمشق من سنة (٥٣٤ إلى سنة ٥٤٩هـ) حيث انتقل ملكها إلى نور الدين محمود بن زنك، وتوفي مجير الدين، وهو آخر من حكم دمشق من الأسرة البورية .أنظر: **الذهبي**: سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص ٣٦٥ ، ٣٦٦.**ابن تغري بردي**: النجوم الزاهرة ، ج٥ ، ص ٣٦١ .

وإنما تسلمها نور الدين بعد"[١]، والموضع الثانى فى حوادث سنة (٥٥٠هـ /١١٥٥م) فقال: " وذكر ابن الأثير أن فتح تل باشر كان في هذه السنة، وأن نور الدين بعث إلى حسّان – صاحب منبج – في أن يتسلمها، فتسلمها. وكنا حكينا عن ابن منقذ أن تسلمها كان في سنة ست وأربعين، وما ذكره ابن الأثير هو الأصح، فإنه ذكر أنه لما ورد عليه رسل النواب بتل باشر، يبذلون التسليم إليه كان نور الدين نازلاً على دمشق، ومنازلة الماء كانت في هذه السنة"[٢].

وبالرجوع إلى ابن الأثير وُجِدَ أنه قد ذكر في كتابه " الكامل " فى حوادث سنة (٥٤٦هـ/١١٥١م) ما نصه: " ولما أسر– يعني جوسلين– سار نور الدين إلى قلاعه، فملكها، وهي تل باشر، وعين تاب...وغير ذلك من أعماله في مدة يسيرة، يرد تفصيلها"[٣]، وفي حوادث سنة (٥٤٩هـ/١١٥٤م) قال: " في هذه السنة، أو التي بعدها، ملك نور الدين محمود بن زنكي قلعة تل باشر، وهي شمالي حلب من أمنع القلاع، وسبب ملكها أن الفرنج لما رأوا ملك نور الدين دمشق، خافوه، وعلموا أنه يقوى عليهم، ولا يقدرون على الانتصاف منه، لما كانوا يرون منه قبل ملكها، فراسله من بهذه القلعة من الفرنج، وبذلوا له تسليمها، فسير إليهم الأمير حسانا المنبجي، وهو من أكابر أمرائه، وكان إقطاعه ذلك الوقت مدينة منبج، وهي تقارب تل باشر، وأمره أن يسير إليها ويتسلمها، فسار إليها، وتسلمها منهم، وحصنها، ورفع إليها من الذخائر ما يكفيها سنين كثيرة " [٤]، وذكرها في كتابه "الباهر في الدولة الأتابكية " في أحداث سنة (٥٤٦هـ/١١٥١م)[٥].

أما ابن القلانسي الذى تجتمع فيه ميزة المعاصرة والمواطنة يذكر ما يؤكد صحة تأريخ أسامة لتسليم تل باشر، فقال: "وورد الخبر إِلَى نور الدين بتسلم نائبه الأمير حسان المنبجي مدينة تل باشر بالأمان فِي يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول

---

(١) مفرج الكروب ، ج١ ، ص ١٠٩ ، ١١٠ .

ولم يذكر ابن الأثير أي شئ عن مدينة حمص؛ بل ذكر فقط أن مدينة حماة كانت إقطاع لصلاح الدين الياغسيانى، وأن سيف الدين غازى كان في ذلك الوقت في مدينة شهرزور، وتركها، وتسلم حكم الموصل بعد موت أبيه . انظر: الكامل في التاريخ ج٩ ، ص ٥٤٢ ، ٣٤٥ ، التاريخ الباهر ، ص ٨٥ .

(٢) مفرج الكروب ، ج١ ، ص ١٢٧.

(٣) ج ٩ ، ص ٣٦٩، ٣٧٠ .

(٤) ج ٩ ، ص ٣٩٩ .

(٥) **ابن الأثير** : ص ١٠٢، ١٠٣ .

سنة ست وأربعين، وضربت في عسكره الطبول والكوسات والبوقات بالبشارة، وورد معالمبشر جماعة من أعيان تل باشر لتقرير الأحوال[1]،ويبدو أن أبي شامة نقلها عن ابن القلانسي، إذ ذكر ذلك بنفس الصيغة [2] .

وقد نقل عنه أبو الفدا فى كتابه المختصر إذ يقول: " ونحن نورد أخبار بني منقذ محققة، حسبما نقلناها من تاريخ مؤيد الدولة أسامة بن مرشد، وكان المذكور أفضل بني منقذ، قال: وفي سنة ثمان وستين وأربعمائة، بدأ جدي سديد الملك أبو الحسن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني بعمارة حصن الجسر، وحصر به حصن شيزر. وكان في شيزر وال للروم، اسمه دمتري، فلما طالت المضايقة لدمتري المذكور، راسل جدي، هو ومن عنده من الروم، في تسليم حصن شيزر إليه، باقتراحات اقترحوها عليه، منها مال يدفعه إلى دمتري المذكور، ومنها إبقاء أملاك الأسقف الذي بها عليه، فإنه استمر مقيماً تحت يد جدي حتى مات بشيزر، ومنها أن القنطارية، وهم رجالة الروم، يُسلّفهم ديوانهم لثلاث سنين، فسلم إليهم جدي ما التمسوه، وتسلم حصن شيزر يوم الأحد، في رجب، سنة أربع وسبعين وأربعمائة، واستمر سديد الملك علي بن مقلد المذكور مالكها إلى أن توفي فيها، في سادس المحرم سنة تسع وسبعين وأربعمائة، وتولى بعده ولده أبو المرهف نصر بن علي إلى أن توفي، سنة إحدى وتسعين وأربعمائة. وتولى بعده أخوه أبو العساكر سلطان بن علي إلى أن توفي فيها، وتولى ولده محمد بن سلطان إلى أن مات تحت الردم، هو وثلاثة أولاده بالزلزلة، في هذه السنة المذكورة، أعني سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة، في يوم الاثنين ثالث رجب. انتهى ما نقلناه من تاريخ ابن منقذ "[3].

وهذا الكتاب من المصادر التى اعتمد عليها ابن واصل في مفرج الكروب، وأبو الفدا فى تأليف المختصر، وقد سماه أبو الفدا: " تاريخ ابن منقذ "، وتارة " تاريخ مؤيد الدولة

---

(١) تاريخ دمشق، ص ٤٨٩ .

(٢) الروضتين ، ج١ ، ص ٢٦٠ .

(٣) المختصر فى أخبار البشر،ج٣، ص ٤٣ ،٤٤. وطبعة الحسينية المصرية، ج٣، ص٣١-٣٢ .
ويرجح محمد عدنان قيطاز أن هذا النص ربما يكون من القسم المفقود من كتاب الإعتبار، ولكن الباحثة تشك في ذلك؛ لأن نصوص الاعتبار للعبرة والعظة، حتى الجزء المفقود هو من قسم الحروب، والنص الذى معنا هو سرد لأخبار بنى منقذ من بداية قيام جد أسامة سديد الملك علي بن مقلد بعمارة حصن الجسر؛ لتحصين حصن شيزر سنة (٤٦٨هـ/١٠٧٥م) إلى أن أنهت الزلازل ملك بني منقذ سنة (٥٥٢هـ/١١٥٧م) . **محمد عدنان قيطاز**: أسامة بن منقذ والجديد من آثاره ، ص ٦٩ .

أسامة بن منقذ" .كما يحتوي هذا النص على وثيقة تاريخية توضح العلاقات بين المسلمين والدولة البيزنطية في ذلك الوقت، وتعطينا نصوص المعاهدة التى أبرمت بين جد أسامة ووالي الروم، للتنازل عن حصن شيزر التابع في ذلك الوقت للبيزنطيين، مما يوضح أهمية هذا الكتاب المفقود.

وقد تبين من هذه النقول سالفة الذكر أن أهم ما يتميز به هذا الكتاب، ثرائه بالمعلومات التفصيلية عن أشخاص ذلك العصر، مثل: عماد الدين زنكي وأولاده[١]، ومن الشخصيات الصليبية جوسلين صاحب تل باشر[٢]، هذا إلى جانب تأريخ لأحداث ووقائع تاريخية، مثل: مصاف عقرقوف[٣].

وبالنسبة لمضمون الكتاب ومحتواه، فعنوان الكتاب يدلنا على أن المقصود منه أن يكون تأريخاً جامعاً لعصر أسامة[٤]، مما يعني أنه يحتوى على أحداث عاصرها المؤلف، ورتبها على شكل يوميات، ذكر فيها معلومات دقيقة ومسهبة لا غنى للباحث في تلك الحقبة عنها.

أما عن أثر الكتاب وأهميته، فيعتبر تاريخ أسامة من المصادر الأصلية المهمة التي أفاد منها من جاء بعده من المؤرخين المسلمين، أمثال: ابن واصل، وابن الأثير، وأبو شامة، وأبو الفدا، في التأريخ للدولة الأتابكية والنورية، وعلاقتهم بجيرانهم، ودورهم في رد الهجمة الصليبية، كل ذلك يجعل لهذا الكتاب أهمية كبيرة في دراسة الأحوال الداخلية للعالم الإسلامى في القرن السادس الهجري، وحركة توحيد الجبهة الإسلامية، ومقاومة أدعياء الدفاع عن الصليب.

(٢)- كتاب تاريخ القلاع والحصون. أطلق عليه المقريزي" الديرة والحصون"[٥]. وهو مؤلّف أرخ فيه أسامة للقلاع والحصون الموجودة في عصره، ودوّن فيه الحوادث إلى

---

(١) مفرج الكروب ، ج١ ، ص ١٠٠ ، ١٠٩ ، ١١٠ .

(٢) مفرج الكروب ، ج١ ، ص ١٢٤ .

(٣) **ابن واصل** : مفرج الكروب ، ج١ ، ص٥٠ ، ٥١ .

(٤) **حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وآثاره، ج٢، ص ٢٥٣ .

(٥) المقفى الكبير ، ج٢ ، ص ٤٩ .

عام (٥٦٦هـ/١١٧٠م)[١]. ولم يرتب مادته ترتيباً زمنياً؛ بل خص كل حصن أو مدينة بمقالة مستقلة [٢]، وقد ذكر بعض الباحثين ما يناقض ذلك، وهو أن مادته غير موزعة طبقاً للنظام الجغرافي؛ بل حسب التسلسل التاريخي[٣].

وقد نقل عن هذا الكتاب بعض المؤرخين الذين كتبوا عن القلاع والحصون في بلاد الشام، ومن هؤلاء أبو الفدا في كتابه " تقويم البلدان" عندما تحدث عن حصن المرقب وبانياس فقال[٤]: " المرقب اسم للقلعة، وهي قلعة حصينة، حسنة البناء، مشرفة على البحر، وبانياس اسم لبلدتها، وبينهما قريب من فرسخ[٥] وهي ذات أشجار، وفواكه، وحمض كثير، ويزرع بها قصب السكر، ولها أعين كثيرة، قال العزيزي: ومدينة بانياس: دون مدينة جبلة، وبينها وبين الطرطوس اثنا عشر ميلاً، وهو حصن أحدثه المسلمون فى سنة أربع وخمسين وأربع مائة نقله ابن منقذ في تاريخ القلاع والحصون " .

ويعد هذا الكتاب من الكتب المهمة؛ وذلك لأنه صدر عن مؤرخ معاصر للحوادث التي شهدتها بلاد الشام ومصر والعراق وديار بكر في ذلك الوقت، بل وشارك فيها مشاركة فعالة هذا إلى جانب سفاراته السياسية التي قام بها إلى تلك النواحي، مما أتاح له الفرصة لمعاينة الحصون والقلاع الموجودة بها، والإقامة في معظمها، ولهذا خصها بهذا الكتاب .

(٣)- كتاب أخبار أهله . ذكر ياقوت الحموي أنه رآه، كما ذكره الصفدي[٦]،وهو عبارة عن تأريخ لإمارة بنى منقذ من بداية تأسيسها، وحتى نهايتها بالتفصيل .

---

(١) **أحمد قدري الكيلاني** : أسامة بن منقذ ، ص٧٦ .**محمد أحمد حسين** : أسامة بن منقذ صفحة من تاريخ الحروب الصليبية، ص ١٠١ .

(٢) **أحمد قدري الكيلاني** : أسامة بن منقذ ، ص٧٦. **محمد أحمد حسين** : أسامة بن منقذ صفحة من تاريخ الحروب الصليبية، ص ١٠١ .

(٣) **وهيب طنوس:** الوطن في الشعر العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي، ص١٧٥ .

(٤) ص ٢٥٥ .

(٥) **الفرسخ:** كلمة فارسية، أصلها فرسنك، دخلت العربية بمعنيين، الأول: يدل على الزمن، والثانى: ارتبط بمسافة معلومة، وقدر العلماء الفرسخ بثلاثة أميال، والميل ثلاثة آلاف ذراع، والذراع أربع وعشرون إصبع، والإصبع ست حبات شعير، مصفوفة بطون بعضها إلي بعض. انظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، ص٣٣٧.

(٦) معجم الأدباء ، ج٢ ، ص ٥٧٩ .الوافى بالوفيات ، ج٨ ، ص ٢٤٧ .

وترجح الباحثة أنه تأريخ لأسرته بني منقذ، يوضح فيه بداية حكمهم وسياستهم الداخلية مع رعاياهم، وسياستهم الخارجية مع جيرانهم، وعلاقتهم بالصليبيين وسقوطهم في سنة (٥٥٢هـ/١١٥٧م). ولا يستنكر على أسامة أن يضع تاريخاً لأسرته، وهم القادة الفرسان الشعراء الذين استطاعوا تأسيس إمارة، وكانت لهم اليد الطولى في ميادين السياسة والأدب في كل مكان حلّوا به[١]. كما يعد هذا الكتاب من مصادر التاريخ المهمة عن بلاد الشام عامة، وعن تلك الإمارة خاصة، والتى قامت في فترة من أصعب الفترات التى مرت على الأمة الإسلامية، ألا وهي فترة الحروب الصليبية، بسبب الدور الذي قامت به هذه الإمارة في تلك الفترة، والتي وضح أسامة بعض منه من خلال عرضه للأهوال والأحداث التي عايشها في كتاب الإعتبار.

(٤)- **كتاب أخبار البلدان** . انفرد الذهبي بالإشارة إليه، وحدده بقوله: " كتاب أخبار البلدان في مدة عمره "[٢]، ونسبه ابن خلكان إلى أسامة بقوله: "... وذكر أسامة بن منقذ في كتاب له صغير ذكر فيه من أدركه في عمره من ملوك البلاد..." [٣]، وقال أيضاً في موضع آخر: " قال أسامة بن منقذ المقدم ذكره في كتابه الذى ذكر فيه البلاد وملوكها الذين كانوا في زمانه ..." [٤]

كان هذا الكتاب كالسراج المظلم إلىأنظهر وميضٌ من النور يوضح ما غمضَ علينا منه من محتوى، وهو أن ابنخلكان نقل من هذا الكتاب في موضعين، الأول عندما تطرق لحادثة حصار بغداد سنة(٥٢٦هـ/١١٣١م) في أيام الخليفة المسترشد، وانهزم عماد الدين زنكى الى تكريت [٥]، فقال: " قال أسامة بن منقذ – المقدم ذكره – في كتابه الذى ذكر

(١) **حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وآثاره ، ج٢، ص ٢٥٦، ٢٥٧ .

(٢) **الذهبى** : تاريخ الإسلام، ج٤١، ص١٧٦ .

(٣) وفيات الأعيان ، ج٥ ، ص ٣٠٣ .

(٤) وفيات الأعيان ، ج٧ ، ص، ١٤٢ .

(٥) وفيات الأعيان ، ج٧ ، ص، ١٤٢ .

وتكريت بفتح التاء والعامة يكسرونها: بلدة مشهورة بين بغداد والموصل، وهي إلى بغداد أقرب، وهي مدينة كبيرة واسعة الإرجاء، فسيحة الساحة، حفيلة الأسواق، كثيرة المساجد، غاصة بالخلق، أهلها أحسن اخلاقاً وقسطا في الموازين من أهل بغداد، ولها قلعة حصينة على شاطئ نهر دجلة، وهي قصبتها المنيعة ويحيط بالبلد سور قد أثر الزمن فيه، وهي من المدن العتيقة . **ابن جبير:** رحلة ابن جبير، ص ٢٠٨ . **ياقوت الحموي:** معجم البلدان، ج٢، ص ٣٨.

البلاد وملوكها الذين كانوا في زمانه: إنه حضر هذه الوقعة مع زنكي في التاريخ المذكور، ذكر ذلك في موضعين، أحدهما في ترجمة إربل، والثاني فى ترجمة تكريت " .

أما الموضع الثاني في ترجمة قطب الدين مودود(١)، ونقد ما ذكره أسامة في هذا الكتاب عن تاريخ وفاة قطب الدين مودود، فقال:

"... وذكر أسامة بن منقذ في كتاب له صغير، ذكر فيه من أدركه في عمره من ملوك البلاد: أن قطب الدين المذكور توفي سلخ ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة، وليس بصحيح، فإن أخاه نور الدين كان بالموصل في شهر ربيع الآخر، وجاءته رسل الخليفة وهو مخيم على الموصل في الشهر المذكور، ولم يتوجه نور الدين إليها إلا بعد وفاة أخيه قطب الدين ".

وذكر ابن الفرات(٢) نفس الرواية، وربما يكون نقلها عن ابن خلكان للإتفاق الواضح بين الروايتين(٣).

ويتضح من كلام ابن خلكان وابن الفرات أن الكتاب صغير الحجم، وهو تأريخ للبلدان وملوكها، لكنه مقتصر على من أدركه أسامة في عمره من الملوك والأمراء. كما ذكر فيه تاريخ كل بلد، ومن يحكمها من ملوك وأمراء مختصر، وخص كل بلد بمقالة بدليل ما قاله ابن خلكان أنه ذكر روايته في موضعين، أحدهما: ترجمة إربل، والثاني في ترجمة تكريت(٤)، أما عن صحة ما ذكره من رواية تاريخية أو عدمه، فبعد مراجعة المصادر اتضح أن أسامة أخطأ في التأريخ لوفاة قطب الدين مودود بن الأتابك زنكي

---

(١) وفيات الأعيان ، ج٥ ، ص ٣٠٣ .

و**قطب الدين مودود بن زنكي**، ابن آقنسقر، صاحب الموصل، تولى السلطنة بالموصل عقيب موت أخيه سيف الدين غازي الأكبر، توفي سنة (٥٦٥هـ/١١٦٩م) وعمره نحو أربعين سنة، وكان ملكه إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفاً، وكان فخر الدين هو المدبر للأمور والحاكم في الدولة، وكان من أحسن الملوك سيرة، وأعفهم عن أموال رعيته، محسناً إليهم، كثير الإنعام عليهم، محبوباً إلى كبيرهم وصغيرهم، عطوفاً على شريفهم ووضيعهم، كريم الأخلاق، حسن الصحبة لهم . **ابن الأثير**: الكامل، ج١٠، ص٢٤ .**ابن خلكان**: وفيات الأعيان، ج٥، ص ٣٠٣ .

(٢) تاريخ ابن الفرات ، مجلد ١ ، نشره : حسن محمد الشماع ، ط بغداد ، ص ١٠٠ .

(٣) **محمد كمال الدين عز الدين علي**: أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٩٢م ، ص ١٠٠ ، ١٠١ .

(٤) وفيات الأعيان ، ج٧ ، ص، ١٤٢ .

(صاحب الموصل)، إذ أجمعت المصادر على أنه توفي في ذي الحجة سنة (٥٦٥هـ/ ١١٦٩م)[١]، وأن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي توجه إلى الموصل في أوائل سنة (٥٦٦هـ/ ١١٧٠م) عندما علم بوفاة أخيه قطب الدين مودود [٢].

وقد ذكر بعض الباحثين أنه وردت إشارة عن هذا الكتاب في كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات لأبى الحسن علي بن أبي بكر الهروي، حيث سجل ما سمعه من ابن منقذ حول وجود اثني عشر ألف مسجد في الأسكندرية[٣]، مما يرجح أن يكون أسامة تناول – أيضاً – تاريخ بلدان مصر إلى جانب بلاد الشام والجزيرة .

ظلت تلك الإشارات هي النصوص الوحيدة التي وصلتنا من هذا الكتاب إلى أن رأيت نصين ذكرهما ابن العديم لأسامة الأول في ذكر " قلعة الراوندان" [٤]، نقلاً عن أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي[٥]، والثاني نقلاً عن أبو الحسن محمد بن أبي جعفر بن علي،

---

(١)**ابن الأثير**: الكامل، ج١٠، ص٢٤ .**ابن شداد**: النوادر السلطانية، ص٨٣ .**ابن واصل**: مفرج الكروب، ج١، ص١٨٨ .**أبو الفدا**: المختصر في أخبار البشر، الطبعة المصرية، ج٣، ص٤٩ .**ابن الوردي**: تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٧٦. **اليافعي**، مرآة الجنان، ج٣، ص٢٨٥. **ابن خلدون**، عبد الرحمن بن محمد بن محمد: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة ، ج٥، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م، ص ٢٩٣ . أما ابن العبري فذكر أنه توفي في سنة (٥٦٥هـ/١١٦٩م) ولكن في شهر شوال. انظر: **ابن العبري**: تاريخ مختصر الدول، ص٣٧١ .

(٢) **العماد الأصفهاني الكاتب**: البرق الشامي، تحقيق: فالح حسين، ج٥، ط١، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، الأردن، ١٩٨٧م، ص ٧٨ .**ابن الأثير**: الكامل، ج١٠، ص٢٩،٣٠ .**ابن العبري**: تاريخ مختصر الدول، ص٣٧٢.**الذهبي**: تاريخ الاسلام، ج٤٠، ص٢٢٢ .

(٣) **حسن عباس**: أسامة بن منقذ حياته وآثاره ، ج٢، ص٢٥٧ . **محمد عدنان قيطاز**: أسامة بن منقذ والجديد من آثاره وأشعاره ، ص ٧٠ . انظر: **الهروي**، أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي (ت٦١١هـ/ ١٢١٤م): الإشارات إلى معرفة الزيارات، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٣هـ، ص٤٧ .

(٤) بغية الطلب ، ج١ ، ٣٢٤ .

وقلعة الراوندان هي قلعة صغيرة على رأس جبل عال، منفرد في مكانه، لا يمكن أن يسيطر عليها منجنيق، ولا يصل إليها نبل، ولها ربض صغير في لحف جبلها، وهي من أقوى القلاع، وأحسنها، ويحف بها واد من جهة الغرب والشمال هو كالخندق، وفيه نهر جار. انظر: **ابن العديم**: بغية الطلب ، ج١ ، ٣٢٤ .

(٥) **أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي فرح الأنصاري الخزرجي المالكي القرطبي**. مصنف التفسير المشهور، الذي سارت به الركبان،والتذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخر،. سمع من ابن رواج، ومن الجميزي وعدة. وروى عنه بالإجازة ولده شهاب الدين أحمد. إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على إمامته، وكثرة إطلاعه، ووفور فضله. مات بمنية بني خصيب من الصعيد الأدنى سنة (٦٧١هـ١٢٧٢م)=

وهو عن مدينة حمص [١]، ويرجح أنهما من نصوص كتاب أخبار البلدان؛ لما يحتويان من مادة تخص البلدان وملوكها.

ويرجح بعض الباحثين بأنه يمكن أن يكون هذا الكتاب هو نفس كتاب القلاع والحصون[٢]، وتختلف معه الباحثة؛ لما أورده ابن خلكان من التصريح باسم الكتاب، وهو قريب العهد بأسامة، ألا يستطيع التفريق بينه وبين كتاب القلاع والحصون؟ فضلاً عما أورده أبي الفداء من اقتباس صريح من كتاب القلاع والحصون، وأن منهجه في كتاب القلاع مختلف عن تناوله لكتاب البلدان .

(٥)- التاريخ البدري: أشار إليه أسامة في كتاب العصا، فقال: " وقال الحجاج بن يوسف لأنس بن مالك، والله لأقلعنك قلع الصمغة، ولأعصبنك عصب السلمة، ولأجردنك جرد القضيب، ولألحونك لحو العصا. المؤلف أطال الله بقاءه، وقد ذكرت الخبر بتمامه في كتابي المترجم بالتاريخ البدري"[٣].

وذكره – أيضاً – في مقدمة مختصر مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، قال: " وقد كنت أوردت في كتابي المترجم بالتاريخ البدري، المشتمل على ذكر أهل بدر –رضى الله عنهم– في مناقبه وفضائله وفتوحاته وأحكامه وآثاره في الإسلام ما فيه مقنع وكفاية، ولكن الزيادة في الخير خير"[٤].

وذكره ابن الساعي بأنه في خمسة أجزاء[٥]، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء[٦]، وفي تاريخه بأنه جمع فيه أسماء من شهد بدراً من الفريقين[٧]، كما وضح المقريزي مادة الكتاب، ومنهجه قائلاً: " ذكر فيه أهل بدر وعدتهم، وأسماءهم، وأنسابهم، وأحوالهم، وذكر

=**الذهبي:** تاريخ الإسلام، ج٥٠، ص ٧٤، ٧٥ .**السيوطي:** طبقات المفسرين العشرين، تحقيق:علي محمد عمر، ط١، مكتبة وهبة ، القاهرة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ص ٩٢ .

(١) بغية الطلب، ج٦ ، ص ٢٨٠٧ .

(٢) **وهيب طنوس:** الوطن في الشعر العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي، ص١٧٥ .

(٣) **ابن منقذ:** العصا، ص٣٠٦ .**حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وآثاره ، ج٢، ص٢٥٣ –٢٥٤ .

(٤) **ابن الجوزي:** مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ص١١ .

(٥) **ابن الساعي:** الدر الثمين في أسماء المصنفين ، ص ٢٩٦ .

(٦) **ج٢١، ص١٦٦** .

(٧) تاريخ الإسلام ، ج٤١ ، ص ١٧٦ .

فيه مغازي النبي ﷺ وجميع أحواله من أول أمره إلى آخره، واستقصى ذلك في خمس مجلدات كبار على حروف المعجم "[1].

ويبدو مما سبق أنه كتاب ضخم فى السيرة النبوية، استوعب فيه السيرة والمغازى معاً؛ لأنه مع اشتماله على أسماء أهل بدر، اتسع لكل ما ذكره عن عمر بن الخطاب، وربما احتوت الترجمة فيه على اسم المترجم له، ونسبه وأحواله، ونتف من أخباره كما وضح في خبر الحجاج الثقفي، وأنس بن مالك.

وقد ذكر بعض الباحثين ما يفيد بأن هناك مخطوطة في دار الكتب الظاهرية بدمشق عن موضوع أهل بدر، ورجح بأن تكون للإمام الذهبى، وذيل كلامه بحاشية توضح المخطوط ومواصفاته ومحتواه، وكانت المفاجأة عندما ذكر أنه اطلع على النسخة، ووصف محتواها، ومنهج ترتيبها، فجاء وصفه طبقاً لما ذكره ابن الساعي، والذهبي نفسه، والمقريزي عن كتاب أسامة، فكان كلامه الآتى[2]:

" النسخة ضمن مجموع برقم (٤٧)، وهي بين الورقتين (١٣٥- ١٤٨) والورقتين (١٦٦- ١٧٣). وقد ذهب أول الكتاب، والنسخة مغلوطة الترتيب محترقة من طرفها الأسفل، ورجح المرحوم الأستاذ يوسف العش أنها لعلم الدين البرزالى المتوفى سنة (٧٣٩هـ) (فهرس المخطوطات، ص ٤٦-٤٧). ولما اطلعنا عليه رجحنا أنه للذهبى، ذلك أن مترجمى البرزالى لم يذكروا له مثل هذا الكتاب. وتتكون النسخة من فصول ذكر المؤلف فيها : من شهد بدراً من غير خلاف، ثم تسمية من شهدها، وذكر الإختلاف فيهم، وشهداء بدر من قريش والأنصار، ورتب كل ذلك على حروف المعجم ، وتكلم على عدة البدريين، والأحاديث الواردة في فضل بدر".

وبعد مطابقة وصف المخطوطة مع ما ذكره المقريزى والذهبي، ترجح الباحثة أنها لأسامة، وليست للذهبي، ويبقى هذا الترجيح هو محاولة للوصول إلى حقيقة هذا المخطوط إلى أن يثبت غير ذلك .

---

(١) المقفى الكبير ، ج٢ ، ص ٤٨ .

(٢) **بشار عواد معروف:** الذهبي ومنهجه في كتاب تاريخ الإسلام، ط دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، حاشية رقم (٨) ، ص ١٨٥ .

(٦)- **فضائل الخلفاء الراشدين:** أشار إليه أسامة فى كتاب " لباب الآداب " قائلاً[١]: " لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضوان الله عليه- التقدمة في الإقدام، والصيت الشائع في الشجاعة. فإنه شهد مع رسول الله ﷺ وقعة بدر، وهي أول وقعة كانت في الإسلام، ورسول الله ﷺ في ثلاثمائة رجل وثلاثة عشر من المهاجرين والأنصار، ومن تبعهم، والمشركون تسع مائة رجل، فنصر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ ، وقتل من المشركين سبعون رجلاً، وأُسر سبعون رجلاً، فكان من قتله منهم علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أربعة وعشرين رجلاً، سوى من شارك في قتله. وقد ذكرت شيئاً من حروبه ووقعاته في كتابي المترجم بكتاب (فضائل الخلفاء الراشدين) رضي الله عنهم أجمعين، فغنيت عن إعادته هنا".

ولم يذكر هذا الكتاب فى أى مصدر من المصادر التي ترجمت لأسامة قديماً غير المقريزي في كتابه " المقفى الكبير " بالرغم من إشارة أسامة إليه [٢].

وترجح الباحثة أنه بنى كتابه على أربعة أبواب، وكل باب هو ترجمة لخليفة من الخلفاء الأربعة، أتى فيه على سيرته قبل البعثة وبعدها، متدرجاً بعناصر ترجمته من أعماله وحروبه ووقعاته إلى فضائلهم ومناقبهم حتى ينتهي إلى وفاتهم .

(٧)- **كتاب أزهار الأنهار**: ذكره ابن العديم[٣] وحاجي خليفة[٤]. ولا نعلم عن هذا الكتاب شيئاً، سوى النصين الذين نقلهما ابن العديم منه، الأول في ترجمة أسامة، قال:

" قرأت بخط مؤيد الدولة أسامة في كتابه الموسوم بأزهار الأنهار، وقد أجاز روايته مع غيره لجماعة أجازوا لنا ذلك عنه، منهم: الشيخ أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان، قال: ومما يخصّني من غرائب اللبن أنني حين ولدت التمس لي من يرضعني، فقدر الله سبحانه الرزق من امرأة كبيرة، قد نيفت عن الستين سنة، ليس لها ولد صغير، فدرت علي، وأرضعتني إلى حين فطمت، وعاشت بعد فطامي نحواً من خمس عشرة سنة وكانت – رحمها الله- متى عصرت ثديها، طار منه اللبن، كأنها مرضعة " [٥].

---

(١) ص ١٧٣ .

(٢) ج٢ ، ص ٤٨ .

(٣) بغية الطلب: ج٣ ، ص ١٣٦١، وج ١٠، ص ٤٦٤٣، ٤٦٤٤ .

(٤) كشف الظنون، ج١ ، ص ٧٢ .

(٥) بغية الطلب ، ج٣ ، ص١٣٦١ .

والثانى في ترجمة القاضي أبو النمر بن العنزي قال[١] :

" فانني نقلت من خط أسامة من كتابه الموسوم بأزهار الأنهار، قال: حدثني القاضي أبو النمر ابن العنزي –رحمه الله– بحصن شيزر قال: سافرت إلى اليمن، فاتصلت ببعض سلاطين اليمن، فأتاه الخبر بعصيان أهل بلد من بلاده، فركب وسار إليه، وأنا صحبته، وهو في خلق كثير من الركاب، وأقسم ليستبيحنَّ دماءهم وأموالهم، فسرنا حتى نزلنا على المدينة، وأمر بالتأهّب لقتالهم، وهجم المدينة، فرأينا امرأة قد خرجت من المدينة وجاءت تتخطَّى الناس حتى وصلت إلى السلطان، وأنا عنده، فسلَّمت عليه، فرحَّب بها وأكرمها، وأجلسها ثم قال لها: ما حاجتك؟ قالت: جئتك أسألك أن تهب لي هذه المدينة وأهلها، فقال: هؤلاء قد أظهروا العصيان والشقاق، وقد أقسمتُ أن أستبيح دماءهم وأموالهم، فقالت :بل ترجعُ عن هذا إلى المعتاد من صفحك وكرم عفوك، وتهبُ لي ذنبهم ودماءهم وأموالهم، فقال: ما أفعل، ولا أفسد مملكتي، وأستدعي عصيانَ رعيتي بصفحي عن هؤلاء المنافقين، فغضبت، وقالت: نسيتَ حقّي وحُرْمَتي واطرحتني حتى إني أسألك في المدينة من مدائنك لتقضي بها حقي، ولا توجب سؤالي، ثم ولت، فأطرق ثم قالَ: ردُّها، فلما عادت اعتذر إليها، وتلطفها وقال: قد وهبت لك البلدَ وأموالَ أهله ودماءهم، وها أنا راحل، ثم أمر الناس بالرحيل، ونفذ من رتب أمر البلد وسار، فسالتُ عن تلك المرأة، فقيل لي إن هذه امرأة كانت ترضعه، وكان أبوه مالكَ هذه البلاد، فقام عليه أخوه، فقتله، وملك البلاد، وهذا إذ ذاك طفل، فتطلبه عمه؛ ليقتله، فخبّته هذه المرأة بينها وبين ثيابها وأخفته، وخرجت به من البلد، فربته في خمول، واختفى حتى كبر، وجار عمه على الرعية، وأساء إليهم، فوثبوا عليه قتلوه، ونفذوا أحضروا هذا، وملكوه عليهم كما ترى، فهي تذكّرهُ بما فعلته في حقه، وهو يرعى لها ذلك الصنع" .

ويستشف من النصين أن الكتاب يتطرق إلى موضوعات عديدة في علوم الدين، منها: موضوع الرضاع، وباستعمال القياس نرجح أن أسامة سار فيه على نفس النهج الذي

---

(١) بغية الطلب ، ج ١٠ ، ص ٤٦٤٣، ٤٦٤٤ .**حسن عباس** : أسامة بن منقذ حياته وآثاره ، ج٢ ، ص٢٥٨. **إحسان عباس:** شذرات من كتب مفقودة في التاريخ ، ١١٧ ، ١١٨.

وأبو النمر بن العنزي: القاضي، من بيت كبير بالشام، مشهور، ولهم اتصال بملوكها، وحرمة عندهم، وأصلهم من كفر طاب، وسكنوا حماة بعد استيلاء الفرنج على كفر طاب، وهذا القاضي أبو النمر كتب عنه مؤيد الدولة أسامة بن مرشد بن منقذ. انظر :**ابن العديم:** بغية الطلب ، ج ١٠ ، ص ٤٦٤٣، ٤٦٤٤ .

انتهجه في لباب الآداب، لكن فيما يخص موضوعات في علوم الدين. بمعنى أنه جمع تحت باب الرضاع كل ما يتعلق به من آيات قرآنية وأحاديث نبوية ثم نوادر وأخبار، وأقوال العلماء مع المستحسن من الأشعار في الرضاع. وهذا لا يتعارض مع ترجيح بعض الباحثين فى أن الكتاب في الأنساب، أو في علوم الدين، نظراً لما يجمع بين النصين من الحديث عن الرضاع [١] .

(٨)- **كتاب شعراء الشام المتأخرين:** هو كتاب في تراجم الشعراء، سماه ابن الساعي:" كتاب شعراء الشام المتأخرين" [٢]، وأثبت منه ياقوت الحموي في معجمه خمسة أبيات لجد أسامة سديد الملك، وسماه" مجموع أسامة " [٣]، ويسميه الصفدي " مجموع أشعار المحدثين " في ترجمة القاضي أبو سعد عبد الغالب بن أبي حصين، حيث نقل عن أسامة بيتين ذكرهما للقاضى المذكور[٤]، ويسميه المقريزى: " المختار من محدث الأشعار "[٥]، ورجح بعض الباحثين تسمية المقريزي؛ لانسجامها ومقاربتها لأسلوب أسامة فـ تسمية مؤلفاته، حيث كان السجع هو السمة الغالبة عليها[٦]، لكننا نرجح ما سماه به ابن الساعى لقربه من عصر أسامة .

وقد أورد ابن العديم تراجمَ لبعض شعراء الشام نقلاً عن أسامة، يبدو أنهم من تراجم كتاب أسامة عن شعراء الشام، منهم ترجمة للشاعر أبو العلاء صاعد بن سمان[٧]، والشريف أبو المجد سالم بن هبة الله الهاشمي[٨]، والشاعر عبد الله بن الدويدة المعري[٩]،

---

(١) **حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وآثاره ، ج٢ ، ص ٢٥٨ .

(٢) الدر الثمين في أسماء المصنفين، ص ٢٩٧.

(٣) معجم الأدباء ، ج٢ ، ص٥٨٦ .

(٤) الوافي بالوفيات، ج١٩، ص ١٥ .**حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وآثاره ، ج٢ ، ص٦١ .

و**القاضي أبو سعد المعري** عبد الغالب ابن أبي حصين عبد الله، وهو أخو القاضي أبي يعلى عبد الباقي ابن أبي حصين المعري، ولهم أخ ثالث يسمى أبوغانم عبد الرازق، من بنو أبي حفص من معرة النعمان، وذكر العماد الأصفهاني نسبهم إلى آدم عليه السلام. انظر: **العماد الأصفهاني:** خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء الشام ، ج٢ ، ص ٥٧ -٦٢ .**الصفدي:** الوافي بالوفيات ، ج١٩ ، ص ١٥ .

(٥) المقفى الكبير ، ج٢، ص ٤٩ .

(٦) **محمد عدنان قيطاز:** أسامة بن منقذ والجديد من آثاره وأشعاره، ص ٨٣ .

(٧) بغية الطلب، ج٨ ، ص ٣٧٩١ .

(٨) بغية الطلب، ج٩، ص ٤١٧٣ .

(٩) بغية الطلب، ج٢، ص ٧١٩ .

والشاعر أبو البركات بن أبي جوزة[١]، والشاعر نظام الدين أبو المكارم حميد بن الظريف[٢]، والشاعر مكين الدولة أبو الغنائم حميد بن مالك بن حميد[٣]،ومنهم ترجمة للأمير المهند، المعروف بالخَيْشي، يقول: " نقلت من خط أبي المظفر أسامة بن مرشد بن علي منقذ، وأخبرنا به أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي عنه، إجازة، قال: ومن شعراء الشام الأمير المهند أبو نصر أحمد بن عبيد الله الأسدي المعروف بالخيشي، وهو شاعر مجيد عجيب الأسلوب، طويل النفس، يخرج من حسن إلى حسن، وكان يبسط لسانه بالهجو سراً، ويترفع عنه ظاهراً؛ فمن شعره يمدح ضياء الدولة أبا علي حسن بن منيع قصيدة أولها..، هكذا ذكره أسامة، ونسبه إلى جده عبيد الله، وأسقط ذكر أبيه حمزة [٤].

ومن النص السابق يستشف أنه من كتاب شعراء الشام المتأخرين، وليس من الجزء الذى كتبه لابن الرشيد؛ ليلحقه في كتاب " الجنان"، وذلك لاعتبارات منها:

(أ)- أن ابن العديم عندما اقتبس من كتاب مجموع أسامة لإبن الرشيد يذكر ذلك صراحة، ويحدد أنه من هذا الجزء [٥].

(ب)- انه ذكر بعد تمام النقل من أسامة أن هذا الشاعر ترجمته توجد في كتاب الجنان[٦]، وذكر ما قاله ابن الرشيد عنه، وساق أبيات شعرية له مختلفة تماماً عما ذكره أسامة له من أشعار (١٧بيت من الشعر)، وذكر أبيات شعرية قالها المترجَم له في جد

(١) بغية الطلب، ج١٠، ص ٤٣٣٢.

(٢) بغية الطلب، ج٦، ص ٢٩٧٢ .

وحميد بن الظريف: أبو المكارم الواعظ القرشي، شريف فاضل، واعظ شاعر، حكى عنه أبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ، وقدم حلب، ووعظ بها في المسجد الجامع، وحضر مجلسه الأكابر.انظر : **ابن العديم:** بغية الطلب ، ج٦ ، ص ٢٩٧٢ . ولم تقف الباحثة على ترجمة له في غير البغية.

(٣) بغية الطلب، ج٦، ص٢٩٧٥ .

و أبو الغنائم حميد بن مالك بن مغيث،ابن نصر بن منقذ بن محمد بن منقذ بن نصر بن هاشم، الملقب بمكين الدولة الكناني، الأمير، كان شاعراً مجيداً وفارساً شديداً، وكان ولد بشيزر، ومات بحلب، روى عنه مؤيد الدولة أبو الفضل أسامة بن مرشد بن علي ابن منقذ، وأبو علي الحسين بن رواحة ، مات بحلب بعد حدوث الزلزال سنة (٥٥٨هـ/١١٦٢م)،انظر: **العماد الأصفاني** : ذيل خريدة القصر وجريدة العصر، ص ١٦٥ ، ١٦٦ .**ابن العديم:** بغية الطلب ، ج٦ ، ص ٢٩٧٥ .

(٤) بغية الطلب ، ج٢ ، ص ٧١٦ - ٧١٨ .

(٥) أنظر البغية ، ج٣ ، ص١١٥٨ ، ١٢٨٢ ،

(٦) بغية الطلب ، ج٢ ، ص ٧١٨ ، ٧١٩ .

أسامة سديد الملك ، ولم يذكرها أسامة في النص المنقول منه بالرغم من العدد الكبير الذى ذكره له من أشعار.

(٩)- مجموع أسامة كتبه بخطه إلى الرشيد بن الزبير[١] ليلحقه بكتاب الجنان:

وهو عبارة عن مجموع ترجم فيه أسامة لجماعة من الشعراء، سأله الرشيد بن الزبير المصري عنهم؛ ليلحقهم بكتابه " جنان الجنان ورياض الأذهان"، فكتب إليه أسامة ما أراد، وضمن كتابه مجموعة من أخبارهم وأشعارهم.

ذكره ابن خلكان في ترجمة أسامة، فقال: " قلت : ثم وجدت جزءاً كتبه بخطه للرشيد بن الزبير حتى يلحقه بكتاب "الجنان"، وكتب عليه أنه كتبه بمصر سنة إحدى وأربعين وخمسمائة" [٢] ، كما نقل عنه في ترجمة أبو نصر ابن جهير[٣]، كما نقل عنه ابن الصابوني في كتابه التكملة عند حديثه عن أبي نصر التميمي، المعروف بالدميك الحلبي، قائلاً[٤]:

" منصور بن المسلم بن علي بن محمد بن أحمد بن أبي الخرجين التميمي السعدي، المعروف بالدميك الحلبي النحوي المؤدب، المكنى بأبي نصر: أديب فاضل ذكره الأمير مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مرشد بن منقذ -رحمه الله- فيما علقه لابن الزبير من

(١) **القاضي الرشيد ابن الزبير** هو أبو الحسين أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمد بن الحسين بن الزبير الغساني الأسواني؛ كان من أهل الفضل والنباهة والرياسة، صنف كتاب جنان الجنان، ورياض الأذهان، وذكر فيه جماعة من مشاهير الفضلاء، وله ديوان شعر، ولأخيه القاضي المهذب أبي محمد الحسن ديوان شعر أيضاً، وكان مجيدين في نظمهما ونثرهما. ثم قتل ظلماً وعدواناً في المحرم سنة (٥٦٣هـ/١١٦٧م)، قتله شاور ظلماً؛ لميله إلى أسد الدين شيركوه . انظر. **ياقوت الحموي:** معجم الأدباء، ج١، ص٣٩٩ .**ابن خلكان** : وفيات الأعيان ، ج١ ، ص ١٦٠ – ١٦٤ .**الصفدي:** الوافي بالوفيات، ج٧، ص١٤٤ .

(٢) وفيات الأعيان ، ج١ ، ص ١٩٦

(٣) وفيات الأعيان ،ج٥ ، ص ١٣٢ .

وأبو نصر محمد بن محمد بن جهير، الملقب فخر الدولة شرف الوزراء مؤيد الدين الموصلي الثعلبي؛ كان ذا رأي وعقل وحزم وتدبير، خرج من الموصل، وصار ناظر الديوان بحلب، ثم عزل عنه، وانتقل إلى آمد، وأقام بها مدة طويلة، ثم توصل إلى أن تولى الوزارة للأمير نصر الدولة أحمد بن مروان الكردي (صاحب ميافارقين وديار بكر)، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي نصر الدولة، وقام بالأمر ولده نظام الدين. أنظر: **ابن خلكان:** وفيات الأعيان ،ج٥ ، ص ١٢٧ -١٣٤ .**ابن الفوطي:** مجمع الآداب في معجم الألقاب، ج٣، ص١٦٨ .

(٤) تكملة إكمال الإكمال ، ص ١٧٧ .

أحوال الشعراء الذين استمدهم منه؛ ليودعهم كتابه جنان الجنان، وذكر عنه أنه معلماً فيه حدة تغلب على عقله" .

وأشار إليه المقريزى بأن فيه شعر جماعة، سأله ابن الزبير عنهم[١]، أما ابن العديم؛ فقد نقل عنه مرات عديدة، مشيراً فيها بأنه قرأها بخط مؤيد الدولة أبي المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ في جزء كتبه لابن الزبير بأسماء جماعة من الشعراء، سأله عنهم ليودع ذكرهم كتابه المعروف بـ " جنان الجنان ورياض الأذهان "، ومنهم أبي علاء المعري[٢]، وأحمد بن منير الطرابلسي [٣]، وأبو نصر المنازي[٤]، والفقيه أبو علي الحسن بن أحمد المعلم[٥]، والأمير أبو الفتح بن أبي حصينة[٦]، والرئيس أبو تراب حيدرة بن أحمد المعروف بابن قطرميز[٧]، والشيخ أبو المعافى سالم بن عبد الجبار بن المهذب[٨] .

(١٠)- **<u>كتاب تاريخ ذكر الحوادث من أول الهجرة إلى زمانه مختصراً</u>**: تفرد بذكره المقريزي[٩]، وقد أورد الذهبى فى السير نصاً يُحتمل أنه من نصوص هذا الكتاب، وهو عن السلطان السلجوقي ألب أرسلان[١٠]، قال:" قال مؤيد الدولة ابن منقذ: سمعت أبا

---

(١)المقفى الكبير ، ج٢ ، ص ٤٩ .

(٢) بغية الطلب، ج٢ ، ص ٩٠٨ .

(٣) بغية الطلب، ج٣ ، ص ١١٥٨ ، ١١٥٩ .

(٤) بغية الطلب، ج٣ ، ص ١٢٨٢ ، ١٢٨٣.

(٥) بغية الطلب، ج٥ ، ص ٢٢٧٨ .

(٦) بغية الطلب، ج٥ ، ص ٢٤١٨ – ٢٤٢٠ .

(٧) بغية الطلب، ج٦ ، ٣٠٠٩ – ٣٠١١ .

(٨) بغية الطلب، ج٩ ، ص ٤١٤٦ ، ٤١٤٧ .

(٩) المقفى الكبير ، ج٢ ، ص٤٨ ،٤٩ .

(١٠) **ألب أرسلان** (٤٥٥–٤٦٥هـ/١٠٦٣–١٠٧٢م): هو أبو شجاع محمد بن جعفري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، الملقب عضد الدولة ألب أرسلان، وهو ابن أخي السلطان طغرلبك، ولما مات السلطان طغرلبك نص على تولية الأمر لسليمان بن داود أخي ألب أرسلان المذكور، ولم ينص عليه إلا لأن أمه كانت عنده، فتبع هواها في أن يتولى ابنها الحكم من بعده، فثار سليمان على أخيه ألب أرسلان وعمه شهاب الدولة قتلمش، وجرت بينهم حروب، فلم يتم لسليمان الأمر، وكانت النصرة لأخيه ألب أرسلان. فاستولى على الممالك، وعظمت مملكته، ورهبت سطوته، وفتح من البلاد ما لم يكن لعمه طغرلبك مع سعة ملك عمه، وقصد بلاد الشام، فانتهى إلى مدينة حلب، وصاحبها يومئذ محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي، فحاصره مدة ثم جرت المصالحة بينهما، فقال ألب أرسلان: لا بد من دوس بساطي،=

النجار رسولَ ناصر الدولة ابنِ حَمدان، المتغلب على مصر إلى ألب أرسلان يستدعيه، ويطلبُ عساكره؛ ليتسلم ديار مصر، لِمَا وَقع بينه وبين السودان، وكانت المراسلةُ في سنة ٤٦٣، فوردت عليه بخراسان، فجهز جيشاً كثيراً، ووصل هو إلى ديار بكر، ثم نازل الرها، وحاصرها، وسيَّر رسوله إلى متولي حلب محمود بن نصر، يستمده، ويأمُره أن يطأ بِساطه أُسوة بغيره من الملوك، فلم يفعل وخاف، فأقبل هو، فنازل حلب، وانتشرت عساكره بالشام، ثم خرج محمود إلى خدمته، فأكرمه، وصالحه، ثم فتر السلطانُ عن مصر، فحرَّكه طاغيةُ الروم أرمانوس[١]، ومات أبوه صاحب خراسان بسرخس في رجب في سنة إحدى وخمسين وأربعمائة[٢]، وله سبعون سنة، وكان في مقابلة أولاد محمود بن سبكتكين، وكان ينطوي على بعض عَدْلٍ ودين، ويُنكر على أخيه طُغْرُلْبَك ظُلمه"[٣].

=فخرج إليه محمود ليلاً ومعه أمه، فتلقاهما بالجميل، وخلع عليهما وأعادهما إلى البلد، ورحل عنها. ثم التقى بملك الروم سنة (٤٦٣هـ/١٠٧٠م) في معركة ملاذكرد، ومني الروم فيها بهزيمة وأسر ملكهم. وتوفي سنة(٥٦٥هـ/١١٦٩م)، وكانت ولادته سنة (٤٢٤هـ/١٠٣٢م)، وكانت مدة ملكه تسع سنين وأشهراً، ونقل إلى مرو، ودفن عند قبر أبيه داود وعمه طغرلبك. انظر ترجمته: **ابن العديم**: بغية الطلب، ج٤، ص١٩٧١ .**ابن خلكان**: وفيات الأعيان، ج٥، ص٦٩-٧١ .**الذهبي**: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٤١٤ .**ابن الفوطي**: مجمع الآداب في معجم الألقاب، ج١، ص٤٠٥.

(١) **رومانوس الرابع (١٠٦٧-١٠٧١م/٤٦٠-٤٦٤هـ)**: بعد وفاة قسطنطين العاشر، تزوجت أرملته "يودكيا" من القائد رومانوس الرابع الذي كان قائداً شجاعاً، نشطاً مشهود له بالكفاءة العسكرية، ومن أهم أعماله تنظيم أحوال الجيش المتدهور، وإعداد خطة لصد نفوذ السلاجقة، كما أعد حملة عسكرية ضد إمارة حلب. بالإضافة إلى تميزه وتفوقه في الحرب ضد البوشناق. انظر: **السيد الباز العريني**: تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة، ١٩٦٠م، ص٧٢٦ .**عفاف صبرة**: تاريخ الدولة البيزنطية، ط١، دار المسيرة، عمان، الأردن، ٢٠١٢م، ص٣٧٩ .

(٢) ذكرت المصادر أن داود أبو ألب أرسلان مات في نفس السنة، ولكن ببلخ. أما الذهبي فاتفق مع أسامة بأن وفاته في نفس السنة المذكورة بسرخس. انظر : **ابن خلكان**: وفيات الأعيان، ج٥، ص٧٠ . **الذهبي**: تاريخ الاسلام، ج٣٠، ص٣٠٣ . **ابن الفوطي**: مجمع الآداب في معجم الألقاب، ج١، ص٤٠٥.

(٣) سير أعلام النبلاء ، ج١٨، ص ٤١٧ ، ٤١٨ . وانظر: **ابن العديم**: بغية الطلب، ج٤، ص١٩٧٤ .**الذهبي**: تاريخ الإسلام، ج٣١، ص١٠ .

(١١)- **ذيل يتيمية الدهر للثعالبي**[١]: يفهم من عنوانه أنه كتاب تراجم لرجال عصر أسامة من شعراء وأدباء وأصحاب بلاغة وفق أقاليمهم، ذيّل به كتاب يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر للثعالبي.

ذكره ياقوت الحموي[٢]، وابن الساعي،[٣] والصفدي[٤] ، وذكره الذهبي بأنه ذيل لخريدة القصر للباخرزي[٥]، والمعروف أن الخريدة للعماد الأصفهاني أما الباخرزي؛ فله كتاب دمية القصر، وكلها كتب انتهجت منهجاً واحداً، وهو جمع تراجم تحوي أشعار وأخبار الشعراء المعاصرين للمؤلف.

(١٢)- **الشيب والشبا:** .ذكره ياقوت [٦] والصفدي[٧]، وأشار ياقوت أن أسامة ألفه لوالده، إلا أن المقريزي بين موضوعه ومنهجه، فقال: "وكتاب الشيب والشباب، ذكر فيه الخضاب، وما جاء فيه، ورتبه على سبعة أبواب في كل باب فصول"[٨]. كما أشار إليه أسامة في كتابه لباب الآداب[٩] تحت عنوان " ومن بليغ ما قيل في الشيب" من باب البلاغة، فقال: " قلت: ما رأيت أن أخلي هذا الباب من شعر في ذكر الشيب، فذكرت هذه الأبيات مختصراً، فإنني أفردت لذكر الشيب والكبر والشباب – أيضاً- كتاباً ترجمته

---

(١) **الثعالبي: هو** العلامة شيخ الأدب ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري ، الشاعر مصنف كتاب " يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر "، وله كتاب " فقه اللغة "، وكتاب " سحر البلاغة " . وكان رأساً في النظم والنثر . مات سنة (٤٣٠هـ/١٠٣٨م) ، وله ثمانون سنة .**الذهبى** : سير أعلام النبلاء ، ج ١٧ ، ص ٤٣٨ .

(٢) معجم الأدباء ، ج٢ ، ص ٥٧٩ .

(٣) الدر الثمين فى أسماء المصنفين ، ص ٢٩٧ .

(٤) الوافى بالوفيات ، ج٨ ، ص ٢٤٧ .

(٥) تاريخ الإسلام، ج٤١، ص ١٧٦ .

و**الباخرزي:** هو أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي الشاعر، الفقيه الشافعي . تفقه على يد أبي محمد الجويني، ثم برع في الإنشاء والأداب ، وتنقل في الكثير من البلدان، وسمع الحديث، وهو مؤلف " دمية القصر"، وكتابه هو ذيل ل " يتيمة الدهر " للثعالبي . وقد ذيل علي بن زيد البيهقي الأديب عليه بكتاب " وشاح الدمية " وللباخرزي ديوان كبير، ونظمه رائق، قتل بباخرز من أعمال نيسابور في سنة (٤٦٧م/١٠٧٤م)، وكان من كبار كتاب الإنشاء. **الذهبي:** سير أعلام النبلاء ، ج١٨، ص ٣٦٣ ، ٣٦٤ .

(٦) معجم الأدباء ، ج٢ ، ص ٥٧٩ .

(٧) الوافى بالوفيات ، ج٨ ، ص ٢٤٧ .

(٨) المقفى الكبير، ج٢ ، ص ٤٨ .

(٩) **ابن منقذ** : لباب الآداب ، ص ٣٧٧ .

بكتاب: (الشيب والشباب) اشتمل على كثير مما يُتطلع إليه من هذا النوع، فغنيت به عن الإطالة هاهنا. فمن وقف عليه من الفضلاء عرف ما بينه وبين كتاب (الشهاب في ذكر الشيب والشباب) تأليف المرتضى رضي الله عنه، وعلم أن الفضل للمقدم في البيان، لا في التّقدّم في الزمان"

ويبدو أن أسامة أراد أن يحذوَ حذو الشريف المرتضى صاحب كتاب " الشهاب فى ذكر الشيب والشباب"، فجمع ما ورد فيه من آيات الله تعالى ثم من آحاديث رسوله ثم كل ما قيل فيه من أشعار العرب، وأشعار أهله، وأورد شيئاً من شعره على غرار ما فعله في مؤلفاته(١).

(١٣)- **كتاب استدراك المرتاب:** ذكر المقريزي أنه كتاباً ملحقاً بكتاب الشيب والشباب(٢)، وعلل بعض الباحثين قصد أسامة من هذا الاستدراك هو تعزيز قيمة كتابه الشيب والشباب، وأن يدفع عنه كل مأخذ أو شبهه أو ارتياب في صدور الذين قد يزعجهم ترجيح كتابه على كتاب الشريف المرتضى " الشهاب في ذكر الشيب والشباب"، وحقه في التقديم ، مع احترامه لمكانة المرتضى الدينية والعلمية(٣) .

لم يورد ذكر الكتاب في المصادر القديمة دون إشارة المقريزي إليه، وليس لدينا أية معلومات أخرى تختص بتوضيح مادته من حيث المحتوى والتقسيم ... وإلى غير ذلك من أمور نستعين بها في دراسة الكتاب، ويبقى الإبهام محيط به إلى أن يشاء الله بمعرفة مكان وجود المخطوط.

(١٤)- **كتاب التأسي والتسلي:** أشار إليه أسامة في لباب الآداب مرتين، الأولى: تحت عنوان " الصبر" ضمن " باب الأدب" (٤).فقال: " قلت وبالله التوفيق: قد أوردت في كتابي المترجم بكتاب التأسي والتسليمن ذكر الصبر، ما ورد فيه في الكتاب العزيز، والأحاديث المرفوعة، وشيئاً من أقوال الحكماء، ومن الأشعار والأخبار، فغنيت عن الإطالة فيه في كتابي هذا، فأوردت فيه هذا الفصل مختصراً، وإن كان الصبر الأدب الذي يبدأ به العاقل، وإليه يضطر الجاهل، وهو كمال في الدنيا، أجر في الآخرة، حجاب عن

---

(١) **محمد عدنان قيطاز** : أسامة بن منقذ ، ص ٧٢ ، ٧٣ .

(٢) المقفى الكبير، ج٢ ، ص ٤٨ .

(٣) **محمد عدنان قيطاز**: أسامة بن منقذ ، ص ٧٤ .

(٤) **ابن منقذ** : لباب الآداب ، ٢٩٤ .

الشمات، عونٌ في النائبات، ولو لم يكن من فضله إلا أن الله سبحانه أوصى به رسوله ﷺ وعلى آله وصحبه رضوان الله أجمعين" .

والإشارة الثانية: تحت عنوان " من بليغ المراثى" ضمن " باب البلاغة " [١] فقال: " قلت: ما رأيت أن أخلي هذا الباب من ذكر شيء من المراثي، فذكرت هذه النبذة منها، وقد أوردت في كتابي المترجم بكتاب التأسي والتسلي من المراثي والتعازي ما غنيت به عن الإطالة هاهنا."

ولعله ألف هذا الكتاب متأثراً بما أصاب بلاد الشام سنة(٥٥٢هـ/١١٥٧م) من زلزال مدمر، والذى أودى بحياة أهله في شيزر، وكان هذا دافعاً له على جمع مادة هذا الكتاب، وتصنيفه على غرار ما فعل بكتاب المنازل والديار[٢]، وكأن غرض أسامة من تأليفه أن يكون تأسية وتسلية له، ولمن جاء بعده من أجيال، ممن تصعقهم كوارث الزمان، وتحرمهم من أحبائهم.

(١٥)- <u>**مكاتبات ومراسلات وأشعار:**</u>

(أ)- مجموع مكاتبات طلائع بن رزيك: وهو مجموع دوّن فيه أسامة ما تردد بينه وبين الوزير الصالح طلائع بن رزّيك من مراسلات نثرية ومكاتبات شعرية، وذكر فيه مكاتبات الوزير، وقصائده بتمامها، وأجوبة أسامة له من كتب وأشعار بتمامها، وقد أورد فى ديوانه المرتب على القوافي[٣] كثيرًا من هذه الرسائل والمكاتبات مختصرة، وفى أحيان أخرى يكتفي بمطلعها ولكنه يشير الى ذكر تمامها في هذا المجموع [٤]، وعلى سبيل المثال بعد ذكر جزء من قصيدة كتبها الملك الصالح من نظمه بخطه يقول أسامة: "وهي طويلة أثبتها مع مراسلاته" [٥].

وقال أيضاً في موضع آخر: " ... وهي قصيدة طويلة قد ذكرتها فيما تردد بيني وبينه -رحمه الله- من الكتب والأشعار" [٦]، وقال أيضاً: "والقصيدة بتمامها قد أوردتها في

---

(١) **ابن منقذ** : لباب الآداب، ص ٤١٠ .

(٢) **حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وآثاره، ج٢، ص٥٥، **محمد عدنان قيطاز:** أسامة بن منقذ ، ص ٧٥ .

(٣) نسخة مخطوطة كتابخانة مجلس شوراى طهران ، إيران.http://wadod.org/ .

(٤) **حسن عباس:** أسامة بن منقذ ، ج٢، ٦١، ٦٢ .

(٥) الديوان ، نسخة إيران ، ص ١٢٣ .

(٦) الديوان ، نسخة إيران ، ص ١٤٦ .

موضعها من مكاتباته رحمه الله" [١]، وقال : " وهي قصيدة طويلة ذكرتها بتمامها في موضعها" [٢].

(ب)- رسالة أسامة إلى أخية أبي المغيث منقذ: وقد أشار اليها ابن العديم في ترجمة تاج العلى الأشرف بن الأعز قال:

" ظفرت بكتاب كتبه مؤيد الدولة أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ الكناني إلى أخيه أبي المغيث منقذ بن مرشد على يد تاج العلى إلى آمد، دفعه إليّ القاضي بهاء الدين أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن الخشاب، يتضمن التنبيه على فضل تاج العلى، وذكر مناقبه، فنقلت من خط أسامة في أثناء الكتاب: ينهي عبدك أنه اجتمع بالأمير السيد الأجل الأوحد، العالم علاء الدين أبي العزّ، الأشرف بن الأعز الحسني، أدام الله علوه، فرأى آنه بحر لجميع العلوم، زاخر، مضاف إلى النسب الشريف الفاخر، جليسه منه بين روضة وغدير، وأدب بارع، وفضل غزير، قد احتوى على فنون الأدب، وأحكم معرفة السير والنسب، وما أصف لك يا مولاي فضله غير أنني والله ما رأيت مثله، وما أنت يا مولاي – جعلت فداءك– ممن ينبه على فضيلة، ولا يحث على مكرمة، فاصرف همتك إلى ما تلقاه به من الإكرام والتبجيل لفضل علمه الغزير، وشرفه الأصيل"[٣].

(١٦)- **كتاب وسائل السائل:** أشار إليه المقريزى بأنه يتضمن الأدعية وأوقاتها، وما ورد فيها[٤].

(١٧)- **كتاب تعاليق أسامة:** انفرد شاكر مصطفي بذكره، وأشار إلى أنه عبارة عن أخبار متفرقة، نقل منها صاحب كتاب " الذخائر والتحف" نصاً يمتد حوالي خمس صفحات[٥]، وبالرجوع إلى كتاب الذخائر والتحف تبين أن النص هو زيادة على نص الكتاب، اختارها الأمير الأجل شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدي المقرئ الشافعي. فقد قرأ في كتاب صغير، تصنيف الرئيس ناصر الدين شافع بن علي الكناني الكاتب، سبط القاضي الرئيس محيي الدين عبدالله بن عبد الظاهر الكاتب، المشتمل على

---

(١) الديوان ، نسخة إيران ، ص ١٤٧ .

(٢) الديوان ، نسخة إيران ، ص ١٥٠ .

(٣) بغية الطلب في تاريخ حلب ، ج٤ ، ص ١٨٧٧ .

(٤) المقفى الكبير ، ج٢ ، ص ٤٨ .

(٥) التاريخ العربي والمؤرخون، ج٢، ص ٢٤٥ .

ذكر جملة من غرائب الأبنية التي في الدنيا كالأهرام وإيوان كسرى وغيرها، ما نصه[1]: " رأيت في بعض تعاليق أسامة بن منقذ فصلاً غريبا، أثبته ههنا، تعجباً منه. والعهدة فيه عليه، قال: كان لكسرى أنو شروان مملكة لم تكن لأحد من الأكاسرة والملوك. فمنها ... ".

(١٨)- **كتاب ردع الظالم ورد المظالم:** ذكره المقريزي[2]، ويسميه بروكلمان[3]" درء الظالم "، ولكن الأصح " ردع الظالم"، حيث ذكره أسامة في لباب الآداب تحت عنوان : " التحذير من الظلم ضمن باب الآداب " فقال: " قلت: هذا فصل يتعين اتّساع القول فيه لحاجة الناس إلى الكفّ عن الظلم، غير أنّني قد أوردت في كتابي المترجم بكتاب (ردع الظّالم وردّ المظالم) منه ما غنيت به عن الإطالة في إيراده في كتابي هذا" [4].

(١٩)- **كتاب مكارم الأخلاق:** ذكره ابن الساعي[5]، وأشار المقريزي بأنه " في عشرين مجلدة، صنفه في مدة عشر سنين مدة مقامه بمصر".[6]

(٢٠)- **التجائر المربحة والمساعى المنجحة:** ذكره المقريزي باسم: " التجارة المربحة والمساعى المنجحة" [7]، وذكره حاجي خليفة[8] واسماعيل باشا البغدادى[9] باسم: " التجاير المربحة "، واستصوب محمد قيطاز ما ذكره صاحب كشف الظنون[10].

(٢١)- **كتاب النوم والأحلام:** ذكره المقريزي[11]، وأشار اليه أسامة في الإعتبار وقد أتى على ذكر شيء من غريب الأحلام، فقال[12]: " وقد تقدم ذكر شيء من غريب

---

(١) **القاضي الرشيد بن الزبير**، أبو الحسين أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمد بن الحسين بن الزبير الغساني: الذخائر والتحف، تحقيق: محمد حميد الله، تقديم ومراجعة، صلاح الدين المنجد، التراث العربي، الكويت، ١٩٥٩م، ص ٢٦٥ – ٢٦٩ .

(٢) المقفى الكبير : ج٢ ، ص ٤٨ .

(٣) تاريخ الأدب العربي ، ج٦ ، ص ٢٥ .

(٤) **ابن منقذ** : لباب الآداب، ص ٣١١ .

(٥) **ابن الساعي** : الدر الثمين في أسماء المصنفين، ص ٢٩٧ .

(٦) المقفى الكبير ، ج٢ ، ص ٤٨ .

(٧) المقفى الكبير، ج٢ ، ص ٤٩ .

(٨) كشف الظنون ، مج١، ص ٣٤٤ .

(٩) هدية العارفين ، ج١ ، ص ١٩٦ .

(١٠) **محمد عدنان قيطاز:** أسامة بن منقذ ، ص ٨٠ .

(١١) المقفى الكبير ، ج٢ ، ص ٤٨ .

(١٢) **ابن منقذ** : الاعتبار ، ط المكتب الإسلامي ، ص٢٨٩، ٢٩٠ .

الأحلام، وقد أوردت في كتاب المترجم بكتاب النوم والأحلام، من ذكر النوم والأحلام، وما قيل فيها، وفي أوقات الرؤيا، وفي أقوال العلماء فيها، واستشهدت على أقوالهم بما ورد فيها من أشعار العرب، ووسعت الشرح، واشبعت فيه المعنى، فما حاجة إلى ذكر شيء منه ها هنا؛ لكنني ذكرت هذا الخبر واستظرفته، فأوردته: كان لجدي سديد الملك أبي الحسن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ –رحمه الله– جارية يقال لها: لؤلؤة، ربَّت والدي مجد الدين أبا سلامة مرشد بن علي رحمه الله. فلما كبر، وانتقل عن دار والده انتقلت معه فرزقني، فربتني تلك العجوز إلى أن كبرت، وتزوجت، وانتقلت من دار والدي –رحمه الله– فانتقلت معي، ورزقت الأولاد؛ فربتهم، وكانت رحمها الله من النساء الصالحات صوامة قوامة، وكان يلحقها القولنج وقتاً بعد وقت، فلحقها يوماً من الأيام، واشتد بها حتى غاب ذهنها وآيسوها، فبقيت ذلك يومين وليلتين، ثم أفاقت، وقالت: لاإله إلا الله! ما أعجب ما كنت فيه! لقيت أمواتنا جميعهم، وحدثوني بالعجب، وقالوا لي في جملة ما قالوا: إن هذا القولنج ما يعود يلحقك. فعاشت بعد ذلك بمدة الطويلة، ولم يلحقها قولنج .وعاشت حتى قاربت المائة سنة، وكانت محافظة لصلواتها– رحمها الله– فدخلت إليها في بيت أفردته لها من داري، وبين يديها طست، وهي تغسل منديلاً لصلوات، فقلتما هذا يا أمي؟ قالت يا بني قد مسكوا هذا المنديل، وأيديهم زفرة من الجبن، وكلما غسلته فاحت مته رائحة الجبن. قلت أريني الصابون التي تغسلين بها .فأخرجتها من المنديل، فإذا هي قطعة جبن، وهي تظن أنها صابون، وكلما عركت ذلك المنديل بالجبن فاحت روائحه. قلت يا أمي هذه جبنة! ما هي صابونة، فنظرتها، وقالت صدقت يا بني ماظننتها إلا صابوناً، فتبارك الله أصدق القائلين، ومن نعمره ننكسه في الخلق" " .

ويبدو من كلام أسامة أنه كتاب موضوعه النوم والأحلام، وما قيل فيها، وفي أوقات الرؤيا، وفي قول العلماء فيها، أما منهجه فهو كمعظم مؤلفاته ذكر موضوع بحثه، وما يتصل به من أيات قرآنية، وأحاديث، وزاد على ذلك أراء العلماء، واستشهد على أقوالهم بما ورد فيها من أشعار العرب، ونوادر الأخبار في الأحلام والرؤيا، ووسع الشرح، وأشبع فيه المعنى .

(٢٢)– **<u>نصيحة الرعا:</u>** ذكره المقريزي بـ " نصيحة الدعاة "، لكن الأصح " نصيحة الرعاة"؛ لما جاء في قول أسامة في مقدمة كتاب: " مختصر مناقب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز" لابن الجوزي، فقال: " وأضفته إلى مناقب جده أمير المؤمنين عمر بن

الخطاب (رضى الله عنه)، وقد كنت أوردت من مناقبه وورعه، وحسن سيرته، وزهده في كتابي المترجم بكتاب نصيحة الرعاة، ما جاء مفرقاً في أثناء أبواب الكتاب، والله عز وجل الموفق"[1].

ويفهم من كلام أسامة أن منهجه فى هذا الكتاب جاء مرتباً له على أبواب تحمل على سبيل المثال عناوين، مثل: الزهد، والورع، وحسن السيرة والسريرة مع الرعية، وباستعمال منهج القياس على المؤلفات الموجودة نرجح أن أسامة يورد في كل باب ما يتعلق به، مما جاء في القرآن الكريم، ثم ما ورد من أحاديث تتصل به، ثم يورد نماذج لسياسات الملوك والخلفاء والأمراء مع الرعية، ثم يورد المأثور من أقوال الحكماء والشعراء فى السياسة والسلطان.

أما عن سبب تأليفه، فرجح بعض الباحثين أن أسامة كان قد كتبه لواحد من الوزراء أو الأمراء في ذلك العصر كما هي عادة معظم معاصريه، ومن الممكن أن يتشابه بالمحتوى والمضمون مع" لباب الآداب" وخاصة باب السياسة، ولكنه يفوقه بعدد الصفحات[2] . أما تاريخ تأليفه، فقد أشار إليه أسامة في مقدمة" مختصر مناقب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز"، مما يعني أنه ألفه قبل عام (٥٧٦هـ/١١٨٠م) .

(٢٣)- كتاب زجر عمرو بن بحر الجاحظ : ويسميه ابن الساعي" كتاب رسالة زجر الجاحظ "[3]، وذكره المقريزي، وقال: "وفيه النهي عن الزنا واللواط والفواحش" [4].

(٢٤)- وهنال عدة كتب أدبية تفرد بذكرها المقريزى:[5]

كتاب المحاسن، وكتاب الإشارة ،وكتاب المماثلة في الشعر، وكتاب الأقسام في الشعر، وكتاب نزهة الناظر في إملاء الخاطر، وكتاب المكارم والكرم ورعاية الذمم، وكتاب المنتخب من أشعار العرب، وكتاب معونة المساعد على حصر الشواهد : في الشعر أيضاً، وكتاب اختيار شعر أبي تمام، وكتاب ضربة الولاء، وكتاب الفرق بين المحبة والهوى، وكتاب زور أبى العلاء، وكتاب أمان الخائفين في الزهد .

---

(١) **ابن الجوزى:** سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز ، ص ٣.

(٢) **وهيب طنوس:** الوطن في الشعر العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي، ص١٧٩ .

(٣) الدر الثمين في أسماء المصنفين ، ص ٢٩٧ .

(٤) المقفى الكبير ، ج٢ ، ص ٤٨ .

(٥) المقفى الكبير ، ج٢ ، ص ٤٨ ، ٤٩ .

وبعد دراسة مؤلفاته على الوجه السابق ذكره يستشف الآتي:-

(١)- تدل مؤلفات أسامة المتنوعة على إلمام واسع، وإطلاع غزير بنواحي مختلفة، وتمكن فيها من ألوان كثيرة من العلوم، فكان فيها المؤرخ ، والأديب، واللغوي، والأخباري، وفوق كل هذا شاعراً يؤثر له الأبيات المشهورة .

(٢)- كما نلاحظ فى كتبه اهتماماًواضحاً بالشعر والشعراء، فقد أورد الكثير من أخبارهم، واستشهد بالعديد من أشعارهم في مؤلفاته المختلفة، فضلاً عن التصنيف الخاص بهم مثل: "المختار من محدث الأشعار"، و"المنتخب في أشعار العرب"، و"ذيل يتيمة الدهر" .

(٣)- اختلفت أغراض أسامة بن منقذ من التأليف وتنوعت، فكان لكل كتاب غرض معين، وقد درج أسامة على أن يبين الباعث له على تأليف كتابه في مقدمة كتابه كما كان يفعل أغلب المؤلفين منذ القدم .

(٤)- كما أنه اتبع في مؤلفاته خطة يحددها عادة في مقدمة مؤلفاته، أو في بداية الفصل كما حدث في كتاب " لباب الآداب"، وهو عادة يسير على نهجها، ولا يخالفها؛ ولذلك جاءت مؤلفاته سهلة التناول ومفيدة لمن أراد الوقوف عليها، إلا في كتاب الاعتبار؛ فقد جاءت مروياته التاريخية غير مرتبة زمنياً، أو وفق خطة بينة واضحة، ولهذا يواجه القارىء صعوبة بعض الشئ في الوقوف على ما يريدة.

(٥)- كان لأسامة أثر واضح في نقل الأحداث التاريخية المهمة، وقد زخرت المصادر التاريخية بروايته، وذكر لنا من الوقائع التاريخية والمعارك الحربية والأحداث التي أثرت على مسيرته الإنسانية ونلاحظ مما تقدم أن غالبية الكتب التاريخية قد التقفت مروياته، وذلك إما لأهميتها التاريخية المشتملة على أحداث هامة، أو لأنه انفرد بمرويات لم تكن لدى غيره من العلماء.وعلى هذا يمكن القول أن أسامة كان حلقة وصل بين مدوني التاريخ الذين جاءوا بعده في القرنين السابع والثامن وبين تاريخ عصره.

(٦)- لا تبدو مؤلفات أسامة بن منقذ جديدة على صور وأنماط الكتابة التاريخية المعروفة في عصره ، إلا بما يخص كتاب الاعتبار؛ فهو يعد من أوائل السير الذاتية التي كتبت في تاريخ الإسلام .



الفصل الثالث

مصادر أسامة بن منقذ في كتابة رواياته التاريخية

أولاً- أنواع المصادر:

أ- المشاهدة والمعاينة والمشاركة.

ب- المشافهة والسماع.

ت- المساءلة والمكاتبة.

ث- الوثائق والرسائل الرسمية.

ج- المؤلفات السابقة.

ثانياً- الإسناد إلى المصادر:

أ- الإشارة إلى المصادر.

ب- الإشارة إلى موضع النقل.

ت- بداية النقل وانتهاؤه.

ث- الاهتمام بموارد المصادر التي ينقل عنها.

ثالثاً- طرق النقل:

أ- الالتزام الحرفي بمادة مصادره.

ب- انتقاء المنقول مع الحفاظ على ألفاظ المصدر الأصلي والنسق الترتيبي للمورد الأساسي للمنقول.

ت- التصرف في النص من حيث اللفظ تعديلاً وإبدالاً، زيادة واختصاراً مع الحفاظ على النسق الترتيبي للمورد الأساسي للمنقول.

ث- الالتزام بالحرفية للألفاظ مع تغيير النسق الترتيبي وتعديله.

ج- التصرف في اللفظ والنسق الترتيبي معاً.

مصادر أسامة بن منقذ في كتابة رواياته التاريخية:

تعددت المصادر التي نقل عنها أسامة بن منقذ وتنوعت بحيث أضفتْ على مادته العلمية نوعاً من الدقة والمصداقية. كما أوضحت مدى الجهد الذي الذي بذله في تحصيل هذه المادة إضافةً إلى سعةِ اطلاعه على مصادره المعاصرة.

وفي ذلك يقول أحد الباحثين(1): " لا شك أن التعرف على المصادر التي اعتمد عليها المؤرخ في تدوين مادته التاريخية أمر مهم يكشف عن مقدار الجهد الذي بذله ذلك المؤرخ في بناء مادته التاريخية، ويكشف –أيضا– عن مدى عمق ثقافة المؤرخ، وسعة اطلاعه، هذا فضلاً عن كونه أمراً جوهرياً في تحديد مستوى مصداقية الرواية ".

أولاً أنواع المصادر :–

تعددت مصادر تدوين التاريخ في القرن (٦هـ/١٢م) وتنوعت موارده؛ إذ عمد مؤرخو هذا القرن الى استقاء مادتهم العلمية وأخبارهم التاريخية من المصادر المتاحة لهم، وهي مصادر كثيرة، تتوزع بين مصادر مباشرة، تتمثل في نقل الخبر حيّاً عن طريق المشاركة في الحدث أو مشاهدته أو الوقوف على آثاره، أو سماعه من ثقات توفرت فيهم شروط الضبط والعدالة، ونسبته إليهم، وذلك ما يطلق عليه بالمشافهة، وهذه المصادر هى المصادر الديوانية التي مثلتها كتب العماد الكاتب الأصفهاني كشاهد عيان في كتابه "الفتح القسي في الفتح القدسي"(2)، وبهاء الدين ابن شداد في كتابه " النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" (3)، وغيرهم من الموظفين الذين خدموا في دواوين صلاح الدين

---

(١) **إبراهيم بن محمد المزيني:** المشاهدة والمعاينة مصدراً من مصادر التدوين التاريخي عند المسلمين، مجلة الدّارة، دارة الملك عبد العزيز، السعودية، مجلد(٢٧)، العدد(٢)، ربيع الآخر ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص١٢.

(٢) حيث يتحدث فيه العماد عما شاهده أو سمعه بنفسه، أو وقف عليه في أثناء عمله بديوان الإنشاء، وهو يدعم حديثه –أحيانا– بالوثائق التي كتبها بنفسه، أو التي وصلت اليه؛ لأن الفتح في أغلبه وصف للحوادث والحروب التي وقعت في فلسطين والشام عامة في الفترة من سنة(٥٨٣هـ/١١٨٧م) وحتى وفاة صلاح الدين سنة(٥٨٩هـ/١١٩٣م) وهى فترة شهدها العماد بنفسه. انظر: **العماد الأصفهاني:** الفتح القسي في الفتح القدسي، مقدمة الناشر، ص٧.

(٣) حيث كان بهاء الدين ابن شداد يشغل منصب قاضي العسكر الصلاحي فى الدولة الأيوبية؛ مما يعني أنه سجل أحداث كتابه النوادر، والمعروف بسيرة صلاح الدين الأيوبي، وهو معاصر لأحداثه التي بدأها من سنة(٥٨٤هـ/١١٨٨م)؛ أي منذ أن قام بخدمته، وخصص لها ثلاثة أرباع الكتاب، واعتمد في تسجيلها=

الأيوبي، أما المصادر الغير مباشرة، فهى المصادر المكتوبة التي تتكون من مؤلفات مطولة أو مختصرة حول موضوع من الموضوعات، أو حدث من الأحداث، وتنقسم إلى مجموعة من المصادر التي يمكن للمؤرخ أن يستمد المعلومة التاريخية منها، سواء تلك المصادر التاريخية المختصة، أم المصادر ذات الصلة، وهي المصادر المساعدة من علوم ومعارف أخرى تثري الرواية التاريخية، وتضيف إليها معلومات مهمة(١)، ويتمثل ذلك في المصادر المتخصصة في التاريخ، أو تلك التي تتحدث عن النظم الإدارية، مثل كتب الدواوين أو الاقتصادية مثل كتب الخراج، أو الرسائل والكتب المتبادلة بين الحكام والسلاطين والخلفاء، ومنها المذكرات الذاتية أو السير أو التراجم؛ مما يثري عملية البحث التاريخي(٢)، وهو ما أفاد منه أسامة بشكل كبير فيما ألّف وكتب، فقد عكست كتاباته ما يدل على ذلك.

أ- **المشاهدة والمعاينة والمشاركة:**

يأتي هذا النوع من المصادر في مقدمة المصادر التاريخية، وأكثرها وثوقاً لتميزها بالمشاركة في الحدث أو مشاهدته حاضراً أو معاينة موقع الحدث وآثاره على مجرى الحدث، ومن ذلك جاء مصطلح " شاهد عيان "، ويختلف استخدام هذا النوع من المصادر من مؤرخ لآخر حسب الغرض الذي يستخدم المصدر من أجله، كما يختلف المؤرخين فيما بينهم في تحقيق الدقة والشمول والضبط في استخدام هذا المصدر، وهذا ناتج لوجود مؤثرات خارجية تنعكس على المؤرخ المشاهد أو المعاين للحدث، فتنساق الرؤية وفقها، كعاطفة المشاهد أو المعاين، ومدى تأثيرها في نقل الصورة، كذلك دقة الملاحظة أمر

=على المشاهدة والمعاينة أو على من يثق به من أهل الثقة. **ابن شداد:** النوادر السلطانية، مقدمة المحقق، ص٧، ١٤ . **السيد عبد العزيز سالم:** التاريخ والمؤرخون العرب، ص١٢٦ .

(١) **إبراهيم بن محمد المزيني:** المشاهدة والمعاينة مصدراً من مصادر التدوين التاريخي عند المسلمين، ص١١. وللاستزادة عن مصادر التاريخ الإسلامي انظر: **حسن محمد قرني:** دراسة في مصادر التاريخ الإسلامي، دار الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص١٢٧-٢٢٨ . **السيد عبد العزيز سالم:** التاريخ والمؤرخون العرب، ص١٦٩-٢٣٥ .

(٢) **فتحية النبراوي:** علم التاريخ دراسة في مناهج البحث، ص٥٩ .

يختلف فيه المشاهدون، فضلاً عن وجود أهداف وغايات يسعى المشاهد أو المعاين لاستخدام هذا المصدر دليلاً عليها[1].

وقد تتنوع مشاهدات المؤرخ خاصة إذا كان من الفرسان المحاربين، مثل أسامة: ما بين وصف لأحوال الدول التي عاصرها، أو لحوادث سياسية كان قريب منها، أو مشاركاً فيها، أو التعريف بأشخاص عاصرهم ممن لهم اليد الطولى في الأحداث أو وصفه لمواقع تاريخية شاهدها. وقد اعتمدَ أسامةُ على هذا النوعِ من المصادرِ، أي على ما شاهده وشارك فيه وعاينه فى الروايات الخاصة بأحداث عصره، وهي موجودة بنسبة كبيرة في كتابه "الاعتبار"[2]، فقد أفاد من مشاهداته في كثير من المواقعِ التي مر بها؛ إذ إنه يعد شاهد عيان لكثيرٍ من الأحداث التي أوردها في كتابهِ الاعتبار، وبخاصة عن بلاد الشامِ ومصر مما يعطي رواياته ميزة خاصة[3]، وأعلن عن ذلك بقوله[4]: " وقد كان بين هذه الوقعات فترات شهدت فيها من الحروب مع الكفار والمسلمين ما لا أُحصيها، وسأورد من عجائب ما شاهدته ومارسته في الحروب ما يحضرني ذكره ".

وقال في موضعِ آخر[5]: " قد ذكرت من أحوال الحرب وما شاهدته من الوقعات والمصافات والأخطار ما حضرني ذكره، ولم يُنسنيه الزمان ومَرُّه، فإن العمر طال، ولزمت الانفراد والاعتزال، والنسيان متوارث متقادم من أبينا آدم ﷺ. وأنا ذاكر فصلاً فيما حضرته وشاهدته من الصيد والقنص والجوارح. فمن ذلك ما حضرته بشيزر في صدر العمر، ومن ذلك ما حضرته مع ملك الأمراء أتابك زنكي بن آقسنقر رحمه الله، ومن ذلك ما حضرته بدمشق مع شهاب الدين محمود بن تاج الملوك رحمه الله، ومن ذلك ما حضرته بمصر، ومن ذلك ما حضرته مع الملك العادل نور الدين أبي المظفر محمود بن أتابك زنكي رحمه الله، ومن ذلك ما حضرته بديار بكر مع الأمير فخر الدين قرا أرسلان بن داود بن أرتق رحمه الله ".

---

(١) **إبراهيم بن محمد المزيني:** المشاهدة والمعاينة مصدراً من مصادر التدوين التاريخي عند المسلمين، ص١٢، ١٥.

(٢) **السيد عبد العزيز سالم:** التاريخ والمؤرخون العرب، ص١٢٦

(٣) **محمد مؤنس عوض:** الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، ص ٢٤٧ .
إبراهيم بن محمد المزيني: المشاهدة والمعاينة مصدراً من مصادر التدوين التاريخي عند المسلمين، ص٢٩.

(٤) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص٥٨ .

(٥) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص ٢٠٠ .

وقوله في كتاب " لباب الآداب"، وهو يحيل القارئَ الى كتابِ "الاعتبار"[١]: " قلت وبالله التوفيق: قد أوردت في كتابي المترجم بكتاب (الاعتبار) عجائبَ ما باشرته وحضرته وشهدته من الحروب والمصافَّات والوقائع، منذ كنت ابن خمسة عشر سنةً إلى أن تجاوزت التِّسعين، وما نالني فيها من الجراح والمكاره، ... وذكرت ما شاهدته من إقدام الرجال، وعجائب تصرُّف الآجال، فغنيت بما أوردته هناك عن الإطالة هاهنا، واقتصرت على ما أوردته ".

وما ورد في العبارات السابقة على لسان أسامة يؤكد أنه اعتمد على أن المشاهدة والمشاركة والمعاينة مصدراً أولياً وأساسياً من مصادر كتاب الاعتبار، وتأكيداً على أن المشاهدة والمشاركة في كتاب الاعتبار لها حضور واضح، حيث حظى أسامة بمكانة عظيمة من حكام عصره، وقد شاركهم حتى في رحلات صيدهم مما مكنه من توظيف مشاهداته تلك فيما يخدم مؤلفه هذا، كما أنه –أيضاً– استخدم كلمة " شاهدته " تارة مقترنه بكلمة " باشرتهُ " أو" مارستهُ " أو" حضرتهُ " وهي هنا تدل دلالة واضحة على أن المشاركةَ مقترنةُ بالمشاهدةِ، وتارة تأتي كلمة المشاهدة بدون اقتران وهي هنا تدل على اعتماده على المشاهدة فقط.

ويمكن أن نفرق بين نوعين من الأحداث في كتابات أسامة بن منقذ:

الأول: أحداث أرَّخها بناءً على مشاهدته، وفيها تدخلت ملاحظاته الشخصية. والثاني: أحداث شاهدها، وعاينها، وشارك فيها، وفي كلتا الحالتين أثرت شخصية أسامة فيما دوّن من أحداث.

وتجدر الإشارة إلى أن المفاهيم التي تدخلت في بناء الرواية التاريخية عند أسامة وهي: المشاهدة، والمشاركة، والمعاينة، وإيضاح مدلولاتها[٢]:

المشاهدة: وهي التي تعني معاصرة الراوي للحدث وتصويره عن طريق مشاهدة مجرياته، أو الرؤية الشخصية له عن قرب، ويمكن أن تقيّد المشاهدة أحياناً بمشاهدة

---

(١) **ابن منقذ** : لباب الآداب، ص ٢٢٦ .

(٢) انظر الى تعريف تلك المفاهيم الخاصة بالمشاهدة والمشاركة والعيان بتفصيل في: **إبراهيم بن محمد المزيني:** المشاهدة والمعاينة مصدراً من مصادر التدوين التاريخي عند المسلمين، ص١٣، ١٤.

الحدث مباشرة حال وقوعه، ودلالتها كلمة: " شاهدت "، "حضرت"، "رأيت"، " لقيته"... وغير ذلك من عبارات تفيد معنى الرؤية عن قرب والمشاهدة الشخصية بحضور الحدث.

أما المشاركة: وتعني حضور الراوي للحدث، والاشتراك في أحداثه ومجرياته. ودلالتها كلمة "حاصرنا "، " اجتمعنا "، وغير ذلك من عبارات المشاركة في الأحداث، وربما التأثير فيها.

وأما المعاينة: وتعني في الغالب الوقوف على موقع الحدث بعد حدوثه، ومعاينة آثاره ودلالاته، أو التأكد من صحة ما ذكر عنه من وصف أو تحديد بالوقف عليه، ومعاينة آثاره. ودلالاتها كلمة: "وقد وقفت عليه"، "ومررت به"، "وقد عاينته"، وهي تكثر عند من يدرس مواقع الأحداث الماضية ومشاهدتها.

وإليك أمثلة على تلك الأحداث التي أرخها بناءً على المشاهدة والملاحظة الشخصية المبنية على المشاهدة:

ومن ذلك ما حكاه عن مصاف عقرقوف الذي كان حاضراً به وشاهداً على أحداثه فقال: " ... وأنا حاضر المصاف ..." (١).

وأسامة هنا شاهد على هذا الحدث، ومفسراً ومعللاً له، إذ لم يكتف بذكر خبر المصاف، بل فسر الأسباب التي أدت إلى هزيمة عماد الدين زنكي أمام الخليفة العباسي المسترشد بالله، وهو الإقدام العظيم للخليفة، حيث تدخل الخليفة المسترشد بنفسه في الحرب أضعف معنويات قوات زنكى، وزاد من تقوية معنويات جنوده.

ومن مشاهداته –أيضا– ما حكاه عن شجاعة والده وعمه، فقال: " ولقد شهدتهما يوماً، وقد خرجا إلى الصيد بالبزاة نحو تل ملح، وهناك طير ماء كثير، فما شعرنا إلا وعسكر طرابلس قد أغار على البلد، ووقفوا عليه، فرجعنا وكان الوالد من أثر المرض، فأما عمي فخف بمن معه من العسكر، وسار حتى عبر المخاض إلى الإفرنج، وهم يرونه، وأما الوالد فسار والحصان يخب به، وأنا معه صبي، وفي يده سفرجله يمتص منها، فلما دنونا من الإفرنج قال لي أمض أنت أدخل من السكر، وعبر هو من ناحية الإفرنج " (٢).

---

(١) **ابن واصل** : مفرج الكروب ، ج١ ، ص٥٠ ، ٥١ .

(٢) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص٧٨، ٧٩ .

ومن أمثلة مشاهداته ما حكاه عن حصار عماد الدين زنكي لحصن الصور سنة (٥٢٨هـ/١١٣٣م)، فقال: " ولقد حضرت حصار حصن الصور مع ملك الأمراء، أتابك زنكي رحمه الله ...، وكان للأمير فخر الدين قرا أرسلان بن داود بن سقمان بن أرتق، وكان مشحوناً بالرجال الجرخية[١]، وذلك بعد كسرته على آمد، فأول ما ضربت الخيام نفذ رجلاً من أصحابه صاح تحت الحصن: "يا جماعة الجرخية! يقول لكم أتابك: ونعمة السلطان! لئن قُتل من أصحابي رجلاً واحد بنشابكم[٢] لأقطعن أيديكم!" ونصب على الحصن المجانيق[٣]. فهدمت جانباً منه، وما بلغ الهدم منه بحيث تطلع إليه الرجال، فجاء رجل من جَنداريَّة أتابك، من أهل حلب، يقال له: ابن العُرَيق، طلع في تلك الثغرة وضاربهم بسيفه، فجرحوه عدة جراح، ورموه من البرج إلى الخندق، وتكاثر الناس عليهم في تلك الثغرة، فملكوا الحصن، وطلع نواب أتابك إليه، فأخذ مفاتيحه نفّذها إلى حسام الدين تمُرتاش بن إيلغازي بن أرتق، وأعطاه الحصن، واتفق أن نشابة جرخ ضربت رجلاً من الخُراسانية في ركبته، قطعت الفلكة التي على مفصل الركبة، فمات، فأول ما ملك أتابك الحصن استدعى الجُرخية، وهم تسعة نفر، فجاؤوا وقسيهم موتورة على أكتافهم، فأمر بجز إبهاماتهم من زنودهم، فاسترخت أيديهم وتلفت، وأما ابن العريق، فداوى جرحه، وبرئ بعد أن شارف الموت، وكان رجلاً شجاعاً يحمل نفسه على الأخطار"[٤].

أما الأحداث التي كانت مشاهداته مقترنه بمشاركتة في صنعها، فهى كثيرة؛ حيث يتصل أكثرها بجانب أو أكثر من جوانب شخصية أسامة الذاتية لا سيما ما يتصل منها بالقتال ورحلات الصيد التي عاشها مع من كان يرتبط معهم بعلاقات سياسية واجتماعية[٥]، وفي هذه الأحداث لم يقف أسامة موقف الشاهد، بل نراه يشارك بفاعلية في

---

(١) **الجرخية:** وهم من يحملون **الجَرْخ:** وهى قاذفة، آلة من آلات الحرب القديمة، ترمى منها السهام والنفط، وجمعها جُروخ. **دوزي:** تكملة المعاجم العربية، ج٢، ص١٧٤ . **نزار اللبدي:** المصطلح العسكري، ص٣٢ .

(٢) **النّشاب:** وهو ما يرمى به عن القسيّ الفارسيّة . **القلقشندي:** صبح الأعشى ، ج٢، ص ١٣٥ .

(٣) **المِنجَنيق:** أسم أعجميّ وهو آلة من خشب، لها دفّتان قائمتان، بينهما سهم طويل، رأسه ثقيل، وذنبه خفيف، وفيه تجعل كفّة المنجنيق التي يجعل فيها الحجر، يجذب حتى ترفع أسافله على أعاليه، ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذي فيه الكفّة، فيخرج الحجر منه، فما أصاب شيئاً إلا أهلكه. **القلقشندي:** صبح الأعشى، ج٢، ص ١٣٦، ١٣٧ .

(٤) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص١٧٣، ١٧٤ .

(٥) **رغدة علي الزبون:** قراءة تحليلية في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ، ص١٥ .

الحدث، ويساهم في صناعته، وبالتالي يأتي إخباره عن هذا الحدث من داخله، ومن وجهة نظر شخص ذي اطلاع على هذا الحدث بكل تفاصيله، وهو على علاقة مباشرة مع الأشخاص المساهمين والمشاركين معه بهذا الحدث.

ومن هذه الأحداث ما رواه عن معركة أفامية سنة (٥١٧هـ/١١٢٣م) بين الفرنج وبنو منقذ المتحالفين مع صاحب حماة شهاب الدين بن قراجا[1]. فقال: " شاهدت شهاب الدين بن قراجا، وقد انصلح ما بيننا وبينه، وقد نفّذ إلى عمّي يقول له: " تأمر أسامة يلقاني، هو وفارس واحد إلى كرعة، لنمضي نبصر موضعاً نكمُن فيه لأفامية ونقاتلها ". فأمرني عمي بذلك، فركبت ولقيته وأبصرنا الموضع، ثم اجتمع عسكرنا وعسكره، وأنا على عسكر شيزر، وهو في عسكره، وسرنا إلى أفامية، فلقينا فارسهم وراجلهم في الخراب الذي لها، وهو مكان لا تتصرف فيه الخيل من الحجارة والأعمدة وأصول الحيطان الخراب، فعجزنا عن قلعهم من ذلك المكان، فقال لي رجل من جندنا: " تريد تكسرهم؟" قلت "نعم"، قال: "اقصد بنا باب الحصن"، قلت: "سيروا". وندم القائل، وعلم أنهم يدوسونا ويجوزون إلى حصنهم، فأراد أن يردّني عن ذلك، فأبيت وقصدت الباب، فساعة ما رآنا الفرنج قاصدين الباب عاد إلينا فارسهم وراجلهم، فداسونا وجازوا، ترجل الفرسان داخل باب الحصن، واطلعوا خيلهم إلى الحصن، وصفّوا عوالي قُنطاريّاتهم في الباب، وأنا وصاحب لي من مولّدي أبي رحمه الله، اسمه: رافع بن سُوتَكين، وقوف تحت السور، مقابل الباب، وعلينا شيء كثير من الحجارة والنِّشاب، وشهاب الدين واقف في موكب بعيد منهم، على حَوْف الأكراد. فقد طُعن صاحب لنا يقال له: حارثة النميري، نسيب جمعة، في صدر فرسه، طعنة معترضة. ونزلت القنطارية في الفرس، فتخبطت حتى وقعت القنطارية منها، ووقعت جلدة صدرها جميعاً، فبقيت مُسْبَلَة على أعضاده، وشهاب الدين بمعزل عن القتال، فجاء سهم من الحصن فضربه في جانب عظم زنده، فما دخل في جانب عظم زنده مقدار طول شعيرة، فجاءني رسوله يقول: " لا يزول مكانك حتى تجمع الناس الذين تفرقوا في البلد، فأنا قد جُرحت، وكأني أحس الجرح في قلبي، وأنا راجع فاحفظ أنت الناس"، ومضى، ورجعت أنا بالناس، نزلت على برج خريبه، وكان الإفرنج لهم عليه دَيْدَبان يكشفنا إذا أردنا الغارة على أفامية. ووصلت العصر إلى شيزر، وشهاب الدين في دار والدي يريد يحل جرحه ويداويه، وعمي قد منعه وقال: "والله ما تحل جرحك إلا في دارك". قال: أنا في دار

(١) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص ٦٩- ٧١ .

والدي يعني الوالد رحمه الله، قال: إذا وصلت دارك وبرأ جرحك دار والدك بحكمك، فركب المغرب وسار إلى حماة، فأقام الغد وبعد الغد، ثم اسودَّت يده، وغاب عنه رشده ومات، وما كان به إلا فراغ الأجل " .

هذه الدقة في وصفِ الأحداثِ ناتجة عن اقتران عنصر المشاركة في صنع الحدث مع المشاهدة، فهو يصف ما دار على أرض المعركة بدقة شديدة، وهذا الوصف قائم على أساس الملاحظةِ الدقيقةِ التي يتمتع بها أسامة، وإذا قابلت ما أورده أسامة مع ما سجله ابن القلانسي وابن الأثير عن هذا الحدث تستطيع أن تعرف الفرق بين رواية الخبر معتمداً على المشاهدة المقترنة بالمشاركة وبين الرواية التي اعتمدت على السماع أو النقل من مصدر سابق، فقد روى هذه الحادثة ابن القلانسي(١) بالسماع، فقال: " وفي هذه السنة ورد الخبر بأن محمود بن قراجة (والي حماة) خرج في رجاله وقصد ناحية أفامية، وهجم (على) ربضها، فأصابه سهمٌ من الحصن في يده ولما قلع منه عملت عليه، وتزايد أمرها فمات منه" ، أما ابن الأثير(٢) فمن المرجح أنه رواها نقلاً عن ابن القلانسي لاتفاق الرواية لفظاً، فقال: وفيها سار الأمير محمود بن قراجة (صاحب حماة) إلى حصن أفامية، فهجم على الربض بغتة، فأصابه سهم من القلعة في يده، فاشتد ألمه، فعاد إلى حماة وقلع الزنج من يده ثم عملت عليه، فمات منه ".

فمن العرض السابق يتبين مدى دقة الروايةِ القائمةِ على المشاهدة والمشاركة من الرواية القائمة على السماع، إذا أخذنا في الاعتبار أن أسامة وابن القلانسي من المؤرخين المعاصرين لهذا الحدث، لكن اختلفت الرواية لا في الدقة وحسب؛ بل في كثرة التفاصيل والتطرق لدقائق الأمور، وقد أشار أسامة في كتاب العصا على مدى دقة الرواية المعتمدة على المشاهدة عن الرواية المعتمدة على السماع، فقال بعد أن روى خبر غريب عن رجل زاهد من المسلمين كان يعيش في شيزر، سمعه من بعض من كان يخالطة: " لعل من يقف على هذا الخبر يدفعه ويكذبه، وقد جرى بشيزر ما هو أعجب من هذا وأنا

---

(١) تاريخ دمشق، ص ٣٣٥.

(٢) الكامل، ج٩، ص ٢٢٥، ٢٢٦ .

حاضر"[١]، ثم روى الخبرَ الذي أخبرنا أنه حدث وهو حاضر، ثم عقب عليه بقوله: " وما العِيَان كالإخبار والسّماع " [٢].

كما تظهر قيمة الرواية المعتمدة على المشاهدة والعيان إذا تفرد بها صاحبها، ولم تجدها عند غيره من المؤرخين، ومن هذا ما حكاه أسامة عن معركة كفرطاب[٣] التي بين المسلمين بقيادة إسباسلار برسق بن برسق السلجوقي ومجموعة كبيرة من أمراء الموصل والشام من جهة، وبين الصليبيين سنة (٥٠٩هـ/١١١٥م) من جهة أخرى، والتي دونها أسامة بدقة وبإسهاب، لأنه كان حاضر هذه الأحداث وشاهدها وعاينها، فقال: " فنزلوا على كفرطاب، وفيها أخوا ثيوفل والإفرنج، فقاتلوها، ودخلوا الخراسانية في الخندق ينقبون، والإفرنج قد أيقنوا بالهلاك. فطرحوا النار في الحصن، فأحرقوا السقوف، ووقعت على الخيل والدواب والغنم والخنازير والأسارى، فاحترق الجميع، وبقي الإفرنج معلّقين في أعلاه على الحيطان، فوقع لي أن أدخل في النَّقْب أُبصره، فنزلت في الخندق، والنشاب والحجارة مثل المطر علينا، ودخلت النقب، فرأيت حكمة عظيمة، قد نقبوا من الخندق إلى الباشورة، وأقاموا في جوانب النقب قائمتين، وعليهما عرضية تمنع من تهدم ما فوقها، ونظموا النقب بالأخشاب كذلك إلى أساس الباشورة، ثم نقبوا حائط الباشورة وعلقوه، وبلغوا أساس البرج. والنقب ضيق إنما هو طريق الى البرج، فلما وصلوه وسّعوا النقب فى حائط البرج، وحمّلوه على الأخشاب، ويُخرجون نقارة الحجار أولاً فأولاً. وأرض النقب من النقر قد صارت طيناً، فرأيته وخرجت ولم يعرفني الخراسانية، ولو عرفوني ما تركوني أخرج إلا بغرامة كثيرة لهم، وشرعوا في تقطيع الخشب اليابس، وحشوا النقب بذلك الخشب، وأصبحوا طرحوا فيه النار، وقد لبسنا وزحفنا إلى الخندق لنهجم الحصن إذا وقع البرج، وعلينا من الحجارة والنشاب بلاء عظيم، فأول ما عملت النار صار يسقط ما بين الأحجار من تكحيل الكلس، ثم انشق واتسع الشَّق ووقع البرج، ونحن نظن أنه إذا وقع تمكنّا من الدخول عليهم، فوقع الوجه البرّاني وبقي الحائط الجُوّاني كما هو، فوقفنا إلى أن حَمِيتْ علينا الشمس، ورجعنا إلى خيامنا، وقد نالنا من الحجارة أذىً كثير. فمكثنا إلى الظهر، وإذا قد

---

(١) **ابن منقذ** : العصا، ص٢٣٧.

(٢) **ابن منقذ** : العصا، ص٢٣٨ .

(٣) **كفر طاب:** من بلاد الشام، وسميت بذلك؛ لأن حواليها أرضاً كريمة، وثماراً كثيرة من زيتون ورمان وكروم وأشجار. **الحميري:** الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٥٠٠ .

خرج من العسكر راجل واحد معه سيفه وترسه[١]، فمضى إلى حائط البرج الذي قد وقع، وقد صارت جوانبه كدَرَج السلم، فتوقّل فيه حتى صعدا إلى أعلاه، فلما رآه رجال العسكر تبعه منهم قدر عشرة رجال تسرّعوا بعدّتهم، فصعدوا واحداً وراء واحد حتى صاروا على البرج، والإفرنج لا يشعرون بهم. ولبسنا نحن من الخيام وزحفنا، فكبّروا على البرج قبل أن يتكامل الناس عندهم. ففزعَ إليهم الإفرنجُ، فرموهم بالنشاب، فجُرح الذي طلع في الأول، فنزل. وتتابع الناس في الطلوع، وصاروا مع الإفرنج على بَدَن من الحيطان البرج، وبين يديهم برج في بابه فارس لابس، ومعه ترسه وقنطاريته، يحمي من دخول البرج، وعلى البرج جماعة من الإفرنج يقاتلون الناس بالنشاب والحجارة، فصعد رجل من الأتراك، ونحن نراه، ومشى والبلاء يأخذه إلى أن دنا من البرج، وضرب الذي عليه بقارورة نِفط، فرأيته كالشهاب على تلك الحجارة البُهم، وقد رموا نفوسهم إلى الأرض، خوفاً من الحريق، ثم عاد. وطلع أخر يمشي على البدن ومعه سيف وترس، فخرج عليه من البرج الذي في بابه الفارس، رجل منهم عليه زرديتان[٢]، وبيده قنطارية، وما معه ترس، فلقيه التركي، وفي يده سيفه، فطعنه الإفرنجي، فدفع سنان القنطارية عنه بالترس، ومشى إلى الإفرنجي وقد دخل، على الرمح إليه، فولّى عنه، وأدار ظهره، وأمال ظهره كالراكع، خوفاً على رأسه، فضربه التركي ضربات ما عملت فيه شيئاً، ومشى حتى دخل البرج، وقوي عليهم الناس وتكاثروا، فسلّموا الحصن ونزل الأسارى إلى خيام برسق بن برسق " [٣].

وقد ذكر ابن الأثير[٤] أحداث معركة كفرطاب باختصار شديد، فقال: " فقصد المسلمون كفرطاب وحصروها، فلما اشتد الحصار على الفرنج، ورأوا الهلاك، قتلوا أولادهم

---

(١) **التّرس:** وهو الآلة التي يتقى بها الضرب والرمي عن الوجه ونحوه، وتسمى :الجُنّة أيضاً، بضم الجيم، أخذا من الاجتنان، وهو الاختفاء؛ وربما قيل لها: الحجفة –بفتح الحاء المهملة والجيم– ثم هي تارة تكون من خشب، وتارة تكون من حديد، وتارة تكون من عيدان، مضموم بعضها إلى بعض بخيط القطن ونحوه؛ فإن كانت من جلد قيل لها: درقة بفتح الدال والراء المهملتين. **القلقشندي:** صبح الأعشى ، ج٢ ، ص١٣٦ .

(٢) **الزَّرْدِيَّة:** الدرع ، **ابن منظور:** لسان العرب، ج٨، ص ٨٢ . **القلقشندي:** صبح الأعشى ، ج٢ ، ص ١٣٥. **الزبيدي:** تاج العروس من جواهر القاموس، ج٢٠، ص ٥٣٧ . ووصف اللبدي الزردية الأوروبية بأنها تتكون من آلاف الحلق المتداخل في صفوف، وهى طويلة سابغة، أما الزردية التي استعملها المسلمون في الحروب الصليبية نوعان : السابغة المحكمة، وتصل إلى الركبة، ولها أكمام حتى الرسغ، والقصيرة وهي ذات أكمام بسيطة. **نزار اللبدي:** المصطلح العسكري، ص٣٦

(٣) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص ٩٥– ٩٨ .

(٤) الكامل، ج٩، ص ١٥٨، ١٥٩ .

ونساءهم وأحرقوا أموالهم، ودخل المسلمون البلد عنوةً وقهراً، وأسروا صاحبها، وقتلوا من بقي فيه من الفرنج، كما ذكر ابن العديم[١] أنهم: " ساروا إلى كفر طاب، وحصروا حصناً كان الفرنج عمروه بجامعها وأحكموه، فأخذوه وقتلوا من فيه"، أما فوشيه الشارتري الذي كان معاصراً لهذه الأحداث، لم يذكر معركة كفرطاب إلا بإشارة بعيدة وعامة، فقال: " فإن الأتراك ...، وتمركزوا داخل المناطق السورية، واستولوا على ما أمكنهم الاستيلاء عليه من القلاع، ونهبوا القرى، وعاثوا فى الريف فساداً، وأخذوا الأسرى والسبايا من الرجال والنساء "[٢].

ويؤكد بعض الباحثين أن معاصرةَ المؤرخ لأحداثِ زمانه تطبعُ روايته التاريخية بطابع الصدق والدقة، لأنه أقدر على تصوير وتأريخ أحداث عصره من غيره من المؤرخين اللاحقين، حيث إن هذا النوع من الكتابة التاريخية يعتمد كثيراً على المعاينة والمشاهدة والسماع من مصادر متنوعة شاهدت الحدث، والمعاينة تجنب المؤرخ من الوقوع في الأخطاء الناجمة من المؤرخين اللاحقين عن طريق النقول[٣].

وتختلف معه الباحثة في ذلك لأنه ليس بالضرورة أن يكون شاهد العيان صادقاً فيما يرويه وفيما يقوله إذ قد يتأثر بأهواءه وأراءه الدينية، مثلما فعل فوشيه الشارتري في كتابه "الاستيطان " عندما أرخ معركة بين الفرنج وبين المسلمين بقيادة شرف الدين مودود قرب شيزر سنة(٥٠٥هـ/١١١١م)[٤]، والذي كان حاضراً و شاهد عيان على أحداثها إلا أنه لم يكن موضوعياً في الحديث عنها، وبمقارنة ما كتبه أسامة وفوشيه الشارتري عن هذه الأحداث، وهما حاضران المعركة، أسامة في جيش المسلمين وفوشيه في جيش الصليبيين نجد فرق كبير بين ما أرخه أسامة عن هذه المعركة، وما أرخه فوشيه عنها، ومن هنا يتضح قيمة المشاهدة والمعاينة للحدث ومعاصرته التي تتطبع روايات المؤرخ بالصدق والدقة؛ إذ كان يتصف بالحيادية والموضوعية والبعد عن الأهواء، وبهذا تكون المشاهدة

(١) زبدة الحلب، ج١، ص٣٧٩-٣٨٢ .

(٢) الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ص٢٢٥، ٢٢٧-٢٢٨ .

(٣) التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ١٢٤ .

(٤) انظر ما قاله أسامة وفوشيه عن تلك المعركة. **ابن منقذ:** الاعتبار، ص ١٤٠، ١٤١ . **فوشيه الشارتري:** الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ص ٢١٦-٢١٨ .

مصدراً إيجابياً وتكون بمثابة الوثيقة، أما إذا كان غير ذلك؛ فتكون المشاهدة مصدراً سلبيا لرواياته لا قيمة لها.

فيجب علينا مراعاة الحيطة والحذر بشأن تلك الكتابات التي أرخها المعاصرون للأحداث، فقد يكون هناك ما يمنع المؤرخ من قول الحقيقة كالتقرب إلى الحكام أو الرهبة والخوف منهم، وغير ذلك مما يحمل المؤرخ على المجاملة أو الإفتراء أو مدح لمن لا يستحق (١) .

وفي كتاب الاعتبار أمثلة كثيرة على الأحداث التي أرخها بناءً على مشاهدته ومشاركته، ومنها ما حكاه عن تصرف والده حال هجوم محمود بن قراجا على شيزر، فقال: " ومره أخرى شاهدته، وقد أغارت علينا خيل محمود بن قراجا، ونحن على فسحة من البلد، وخيل محمود أقرب إليه منا، وأنا قد حضرت القتال، ومارست الحرب، فلبست كزاغندي(٢) وركبت حصاني وأخذت رمحي، وهو رحمه الله على بغلة. فقلت يا مولاي ما تركب حصانك! قال بلى..." (٣) وغيرها، ويظهر أسامة في هذه الحروب كشاهد عيان، ومشارك في صنع أحداثها.

ومما يدل - أيضاً -على مشاهدة أسامة لأحداث عصره، ومشاركته فيها، هي الطريقة التي عرض فيها الشخصيات الهامة التي التقى بهم، ولازمهم، وعاش فترة كبيرة معهم، فأصبح قادراً على تسجيل انطباعاته عنهم، ووصفهم وصفاً أقرب إلى الحقيقة؛ لأنه وصفهم بناءً على الملاحظة الشخصية من خلال مشاهدة تصرفاتهم وأفعالهم، والتي لم تأت إلا من خلال طول المجالسة والمعاشرة لهم، ومن تلك الشخصيات التي وصفها أسامة مثلاً شخصية صلاح الدين محمد بن أيوب الياغسياني (حاجب عماد الدين زنكي)(٤)،

---

(١) **حسن عبد الخالق حسن بقا:** كيف نعيد كتابة التاريخ الإسلامي؟ مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، الزقازيق، مجلد (٢) ، العدد (١١) ، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص ١٣٣ ، ١٣٤ .

(٢) **الكزاغند:** سُترة مضرّبة محشوة متخذة من القطن أو الحرير، تُستخدم عوضاً عن الدرع . **دوزي:** تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه: جمال الخياط، ج٩، ، ص ٧٧ .

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٧٩ .

(٤) أهملت المصادر الحديث عنه، إلا أننا نجد معلومات مفصلة عنه في اعتبار أسامة بن منقذ تكشف عن شخصيته وأسلوبه في التعامل مع جنوده، أو مع الأسرى الذين يقعوا تحت رحمته، وغير ذلك من أمور لا توجد في المصادر الأخرى.

يصفه قائلاً على لسان الأتابك عماد الدين زنكي بأنه: " ما يخاف الله ولا يخافني "[١]، ثم أكد أسامة بأنه شاهد منه ما يحقق قول الأتابك زنكي، فحكى عنه أمور تكشف عن جبروته، وعدم مخافة الله، فهو يوسط رجل أسير مسلم في نهار رمضان، ويعامل الشيوخ العجائز أقبح معاملة، ويسبي نساء اليهود والنصارى المعاهدين، وينهب من حصن الكرخيني خزانة ملأى بثياب خام مخيطة كانت صدقة لفقراء مكة [٢]، ويعلق أسامة على أفعاله قائلاً: " فالله سبحانه يتجاوز عنه " [٣] .

ومنها –أيضاً– وصفه لشخصية معين الدين أنر بأنه: " كان رحمه الله أسرع الناس إلى فعل خير، وكسب مثوبة " [٤]، " وكان رحمه الله من أشجع الفرسان " [٥].

ب – المشافهة والسماع[٦]:

بالنسبة لأهمية الرواية الشفهية وأثرها على للكتابة التاريخية؛ فإنه من يتتبع الكتابات التاريخية– منذ أقدم العصور– يجد أن البدايات الأولى كانت في الإعتماد على الروايات الشفهية؛ فاليونان –على سبيل المثال– وصلوا إلى حد تفضيل الرواية الشفهية على الكتابة التاريخية[٧]، وكذلك العرب في جاهليتهم ظهر عندهم لوناً من الرواية الشفهية تمثل في

---

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٧٦ .

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٧٦ – ١٧٨ .

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص ١٧٨ .

(٤) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٠٤ .

(٥) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٧١ .

(٦) **المشافهة:** تعود لدى اللغويين إلى جذرين، هما: شفا، وشفه. شفا تدل على معرفة الخبر، فيقال أخبرني فلان خبراً، اشتفيت، أي انتفعت فيه، بصحته وصدقه. أما الجذر الأخر، وهو شفه: وتدل على المشافهة، وهي المخاطبة من فيك إلى فيه، وشافهه أي أدنى شفته من شفته فكلمه، ويقال شفهية وليست شفوية. وقد علل اللغويون ذلك أنه نسبه إلى الحروف الشفوية، أما البعض الأخر منهم يقول أن شفهية لا تختلف عن شفوية، فكليهما مخرجهما من الشفة، وليس للحروف فيها من عمل. وفي المعنى الإصطلاحي يقصد بالرواية الشفهية تعريف أحوال الماضي القريب عن طريق أشخاص، عاصروا هذه الأحداث، أو كانوا قريبين منها، ومن ثم معالجتها واختبار دقتها بطريقة معينة . **ابن منظور:** لسان العرب، ج١٣، ص٥٠٦، ٥٠٧ . **محمد عبد القادر خريسات:** الرواية الشفهية في الكتابة التاريخية، مجلة الوثيقة، البحرين، مجلد(١٨)، عدد(٣٦)، يوليو ١٩٩٩م، ص١٦٩، ١٧٠ .

(٧) **فرانتز روزنتال:** مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ترجمة: أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦١م، ص ٢٢ . **محمد عبد القادر خريسات:** الرواية الشفهية في الكتابة التاريخية، ص١٧٠ .

حفظهم لأصول أنسابهم، وفخرهم بمآثر أقوامهم وترقية روح الإنتماء للعشيرة والقبيلة، وصاغوا كلّ ذلك شعراً ونثراً، حفظوه في صدورهم، وجرى على ألسنتهم[1]، ولما جاء الإسلام، كان لابد من اتباع منهج أو طريقة في نقل الأخبار والأحداث من جيل إلى جيل، ولم يجدوا إلا الرواية الشفهية في بداية الأمر، لكثرة الأمية بين المسلمين، ولتميزهم في ملكة الحفظ، وأمام هذا المنهج أصبح للرواية الشفهية أثر واضح في التأثير على التدوين التاريخي في الإسلام، وكان من الطبيعي في ظل مجتمع كانت القبلية الركيزة الأولى في أطره الاجتماعية أن تمد الروايات القبلية المتأخرين بمواد الكتابة في تارخ العرب قبل الإسلام بشكل خاص، وتأريخهم بعد الإسلام شكل عام، وبدأت الرواية الشفهية تظهر كطريقة لنقل الأخبار، وفي أحوال كثيرة كانت هذه الأخبار تمزج بالنواحي الأسطورية، ومن رواد هذا المنهج عبيد بن شريه الجرهمي(ت٦٧هـ/٦٨٦م)[2] الذي استدعاه معاوية بن أبي سفيان؛ ليحدثه بأخبار أهل اليمن والأخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم، ووهب بن منبه (ت١١٤هـ/٧٣٢م) [3]، ومن خلال هذه الروايات وصلنا كتاب أخبار عبيد بن

---

(١) **عبد العزيز عبد الغني إبراهيم:** الوثائق التاريخية المسجلة وأهمية مقارنتها بالروايات الشفهية، مجلة الوثيقة، البحرين، مجلد(١٩)، عدد(٣٨)، يوليو ٢٠٠٠م، ص١١١.

(٢) **عبيد بن شريه:** أدرك النبي ﷺ ولم يره، وهو أحد المعمرين؛ فقد عاش إلى خلافة عبد الملك بن مروان، وكان نسابة أخبارياً، واستحضره معاوية من صنعاء إلى دمشق، فسأله عن أخبار العرب الأقدمين وملوكهم، فحدثه، فأمر معاوية بتدوين أخباره، فأملى كتابين، سمى أحدهما: " كتاب الموك وأخبار الماضين "، وقد طبع مع كتاب " التيجان وملوك حمير " تحت عنوان: " أخبار عبيد بن شرية في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها " والثاني: " كتاب الأمثال، عاش عبيد بن شريّة الجرهميّ مائتين وأربعين سنة، وقيل ثلاثمائة سنة. انظر. **ابن حجر** أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ج٥، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، ص ٨٩ . **بكر بن عبد الله:** طبقات النسابين، ط١، دار الرشيد، الرياض، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص: ٢٢ . **الزركلي:** الأعلام، ج٤، ص ١٨٩ .

(٣) **وهب بن منبه** بن كامل بن سيج بن سحسار، من أبناء فارس، كنيته أبو عبد الله. مؤرخ، كثير الإخبار عن عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات، ويعد في التابعين. أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن، وأمه من حمير، ولد ومات بصنعاء، وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها، وروى عن طائفة من الصحابة، منهم: أبو هريرة، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عباس، وأبو سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله وغيرهم وعنده من علم أهل الكتاب شيء كثير، وحديثه في الصحيحين عن أخيه همام بن منبه، وكان ثقة واسع العلم، ويعتبر من العلماء الموسوعيين، الذين تناولوا موضوعات شتى، فقد كانت له عناية واهتمام بأحاديث أهل الكتاب الذين كثر عددهم في جنوب بلاد العرب، وهو من

شريه في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها، وهو يتضمن أسئلة معاوية، وأجوبة عبيد عنها(١).

وقد ازدهرت الرواية الشفوية في العهد الأموي بسبب شغف الخلفاء بأخبار العرب والأمم السابقة، وبعد اكتمال جوانب الحضارة الإسلامية في العصر العباسي واتضحت معالمها، اتسعت الكتابة التاريخية؛ فكانت الرواية الشفهية مصدراً من مصادر الكتابة، ولم تَعُدْ المادةَ الإخباريةُ مقصورة على أيام العرب وأشعارها، وأنساب القبائل وأخبارها؛ بل امتد ذلك إلى مغازي الرسول ﷺ وسيرته وأخبار الخلفاء الراشدين والفتوحات والفتن وإلى دواوين الشعر وشرحها، وكان أبوعبيد المتوفى(٢٠٩هـ/٨٢٤م) من المبرزين في هذا المجال؛ فكانت رواياته تشمل النواحي التاريخية، وأخبار القبائل وأيامها، والفتوحات والفتن، ويتطرق فى بعض الأحيان إلى الفرق الإسلامية. وعلى أية حال؛ فقد استقرت الروايات الشفهية في الفترة الإسلامية المبكرة في التاريخ على ثلاثة محاور: الأول يتعلق بأخبار الأمم الماضية من بدء الخليقة إلى أيام المؤلف، وقد نحى هذا المنحى معظم المؤرخين، وعلى رأسهم محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ/٩٢٢م) (٢) ، والثاني يتعلق بأيام العرب قبل الإسلام، وما ذكر فيها من أشعار، والثالث يتعلق بأخبار الرسول ﷺ وسيرته ومغازيه وبالخلفاء الراشدين

الثقات= =المعتمدين خاصة في قصص الأنبياء، وتوفي وهب في المحرم سنة عشر، وقيل أربعة عشر، وقيل ست عشرة ومائة بصنعاء في اليمن، وعمره تسعون سنة. **ابن سعد:** الطبقات الكبرى، ج٦، ص٧٠ . **ابن حبان،** محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ التميمي: مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، تحقيق: مرزوق على ابراهيم، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص١٩٨ . **ابن عساكر:** تاريخ دمشق، ج٦٣، ص٣٦٦ . **ابن خلكان:** وفيات الاعيان، ج٦، ص٣٦ . **الزركلي:** الأعلام ، ج٨، ص١٢٥ . **عبد الشافي محمد عبد اللطيف:** السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، ط١، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص٢٤ .

(١) **محمد عبد القادر خريسات:** الرواية الشفهية في الكتابة التاريخية، ص١٧٠ ، ١٧١.

(٢) **أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري،** ولد سنة (٢٢٤هـ/٨٣٨م) في طبرستان ثم رحل في طلب العلم فدرس التفسير والحديث والفقه والتاريخ، أقام ببغداد الى حين وفاته سنة (٣١٠هـ/٩٢٢م)، له التصانيف المشهورة، منها: تاريخ الأمم والملوك، وكتاب التفسير وغيرها. للمزيد عن سيرته انظر: **ياقوت الحموي،** معجم الأدباء،ج٦، ص٢٤٤١ . **ابن الأثير:** اللباب في تهذيب الأنساب، ج٢ ، ص٢٧٤. **ابن خلكان،** وفيات الأعيان، ج٤، ص١٩١. **السبكي:** طبقات الشافعية، ج٣، ص١٢٠. **ابن حجر:** لسان الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ج٧، ط١، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٢٥ .

وأعمالهم[١].

وتختلف الرواية الشفهية الإسلامية التي اعتمد عليها المسلمون في تدوين التاريخ الإسلامي اختلافاً جذرياً عن كافة الروايات غير الإسلامية، فقد ولدت الرواية الإسلامية بمناهجها، وأصبحت السنة النبوية هي الرافد الثاني للإسلام بعد القرآن الكريم، ومن ثم وضع للروايات ضوابط الجرح والتعديل، واعتدوا باتصال السند، ومن هنا اكتسبت الرواية الشفهية بحكم الجرح والتعديل واتصال السند، مكانة خاصة لدى المؤرخين المسلمين في الفترة التي شهدت بداية تسجيل تاريخهم، وأصبحت أمانة الكلمة المروية والثقة فيها تفوق الثقة في أي مصدر مسجل، وظل هذا المنهج معتمداً في كتابة العلوم الإنسانية عند المسلمين، غير أن ضوابط الجرح والتعديل، أخذت تتراخى قبضتها هوناً ما، فقد كان التمسك بها يكلف المؤرخ جهداً أكبر من جهد كتابة التاريخ، أما اتصال السند، فما عاد مع تنامي الزمن، وبُعد الراوي زمنياً عن المصدر الأول[٢].

أما عن أهمية الرواية الشفهية للمؤرخ؛ فإنها تشكل له أهمية باعتبارها أحد أدواته في توثيقه لحادثة تاريخية معينة أو معلومات تاريخية، وتكمن هذه الأهمية في أنها تضفي على الحدث التاريخي الحيوية والمصداقية، وذلك بالاستدلال برواية الشاهد المعاصر للحدث، بالإضافة الى أنها تمكن المؤرخ من الوصول إلى تفسير لبعض الحوادث التي يشوبها غموض، لتتضح له من خلال مواجهته للشاهد، فضلاً عن أنها تعطي المؤرخ مقدرة على ربط الأحداث ببعضها البعض، وملء ثغرات قد تصمت عنها مصادر أخرى اعتمد عليها المؤرخ في تسجيله لخبر أو حادثة ما[٣].

---

(١) **محمد عبد القادر خريسات:** الرواية الشفهية في الكتابة التاريخية، ص١٧٣ .

(٢) **عبد العزيز عبد الغني إبراهيم:** الوثائق التاريخية المسجلة وأهمية مقارنتها بالروايات الشفهية، ص١١٢، ١١٣ . وللاستزادة عن الضوابط التي وضعها المحدثون للرواية الشفهية وأثر ذلك على المؤرخين المسلمين . أنظر: **محمد أبو شعبان، ونعيم الصفدي:** أصول وضوابط الرواية اللفظية " الشفهية " عند المحدثين، أعمال مؤتمر التاريخ الشفوي الواقع والطموح، كلية الآداب، الجامعة الاسلامية، غزة، فلسطين، مايو٢٠٠٦، ص٤٣٥-٤٧٨ . **وليد حسن المدلل:** مسائل أخلاقية وقانونية في الرواية الشفهية، أعمال مؤتمر التاريخ الشفوي الواقع والطموح، كلية الآداب، الجامعة الاسلامية، غزة، فلسطين، مايو٢٠٠٦، ص١٣٢-١٤١ .

(٣) **ليلى بنت سليمان عبدالله العومي:** مصادر ابن عبد الملك المُراكشيّ في كتابه " الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة " دراسة تاريخية، رسالة ماجستير بكلية العلوم الإجتماعية قسم التاريخ والحضارة، جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص٢٥٠ .

وبالرغم من أهمية الروايةِ الشفهية إلا أنه يجبُ على المؤرخ التعامل معها بحذر، فلابد من دراستها دراسة كاملة من حال الراوي من ناحية الضبط والصدق والأمانة، والرواية نفسها، وموافقتها لعصر الراوي، وإخضاعها إلى النقد الظاهري والباطني، أو ما يعرف عند المحدثين بضوابط الرواية الشفهية(١).

أما بالنسبة لمؤرخنا أسامة بن منقذ؛ فقد اعتمدَ على الروايات الشفهية كمصدر من مصادر رواياته التاريخية، حيث كانت لمكانته السياسية وقربه من رجال الحكم في عصره، وحضوره العديد من المعارك والأحداث السياسية بصفته فارس من فرسان المسلمين، وقائد محنك خاض غمار الحروب، أثر بالغ على مصادره لكتابة تاريخه المعاصر، فبالإضافة الى مشاهداته الشخصية، ومشاركته لكثير من الأحداث اعتمد –أيضاً– على السماع شفهياً من أناس عايشوا الأحداث، سواء كانوا من أفراد العائلة، أو من أشخاص آخرين يثق بهم، بل أنه استقى بعض رواياته من أفواه زعامات إسلامية وصليبية وهذا التنوع في مصادر الرواية الشفهية أعطى لمعظم رواياته قيمة تاريخية مميزة (٢).

ومن الأمثلة على روايات أسامة الشفهية ما رواه عن الزَّمَرْكَل اللص الذي ذكر له أسامة أخبار كثيرة، منها ما أخذه شفهياً من معين الدين أنر فقال: " وهذا الرجل يقال له الزمركل من شياطين اللصوص، حدثني عنه الأمير معين الدين رحمه الله قال: ..." (٣).

ومما أخذه أسامة عن بعض القيادات الصليبية ما حكاه عن جهل الصليبين بالطب فقال: " ومن عجيب طبِّهم؛ ما حدثنا به كليام دبور صاحب طبرية، وكان مقدَّماً فيهم. واتفق أنه رافق الأمير معين الدين –رحمه الله– من عكا إلى طبرية، وأنا معه، فحدثنا في الطريق قال: " كان عندنا في بلادنا فارس كبير القدر، فمرض وأشرف على الموت، فجئنا إلى قس من قسوسنا، قلنا: تجيء معنا حتى تبصر الفارس فلاناً؟ قال: نعم. ومشى معنا ونحن نتحقق أنه إذا حطّ يده عليه عوفي! فلما رآه قال: أعطوني شمعاً. فأحضرنا له قليل شمع، فليّنه وعمله مثل عقد الإصبع، وعمل كل واحدة في جانب أنفه، فمات الفارس! فقلنا

(١) **ليلى بنت سليمان عبدالله العومي:** مصادر ابن عبد الملك المُراكشيّ في كتابه " الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، ص٢٥١ . **محمد أبو شعبان، نعيم الصفدي:** أصول وضوابط الرواية اللفظية " الشفهية " عند المحدثين، ص٤٥٣ –٤٥٧ .

(٢) **عبد الحميد الفراني:** القيمة العلمية لروايات ابن منقذ الشفوية في كتاب الاعتبار، ص٣٦٨ .

(٣) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص ٦٦ .

له: قد مات! قال: نعم كان يتعذب، سددت أنفه حتى يموت ويستريح " [1] .

كان أسامة ينهج نهج المحدثين في استعمال الرواية الشفهية، حيث نلحظ أنه جعل لرواياته الشفهية معاييراً لضبط تلقيها، وهي:

●**اهتمامه بالإسناد،** فهو يذكر المصدر الأصلي لرواياته مسنداً إياها عمن أخذها منه من شيوخه أو غيرهم، و من الأمثلة أيضاً على الأخبار التي رويت مسندة قوله : " حدثني الشيخ الخطيب سراج الدين أبو طاهر إبراهيم بن الحسين ..في ذي القعدة سنة اثنتين وستين وخمسمائة، قال حدثني أبو الفرج البغدادي.." [2]، وقوله: " أخبرني الشيخ الصالح أبو الحسن علي بن سالم بن الأعز علي السنبسي –رحمه الله– بثغر شيزر في سنة تسع وتسعين وأربع مائة، قال: حدثني الشيخ أبو صالح محمد بن المهذب بن علي بن المهذب بن أبي حامد –رحمه الله– بمعرة النعمان في منزله، قال: حدثني جدي أبو الحسين علي بن المهذب رحمه الله، قال: حدثنا جدي أبو حامد محمد بن همام، قال: حدثنا محمد بن سليم القرشي، قال: حدثنا إبراهيم بن هدبة عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ..." [3].

●**اهتمامه بتعيين مصدر سماعه** لروايته سواء كان من أبيه أومن شيوخه أو غير ذلك، فلا يكتفي بذكر الاسم الأول لناقل الخبر، وإنما كان يتوسع في ذكر نسبه على طريقة علماء الحديث، وهذا أمر يدل على الدقة والأمانة في نقل تلك الأخبار، مما يدل على أنها أخبار صادقة، رواها أناس معروفون في عصر أسامة، وفي العصور التي سبقته، ونرى ذلك واضحاً لديه في معظم رواياته الشفهية كقوله: " فحدثني الشيخ الإمام حجة الدين أبو هاشم محمد بن محمد بن ظفر رحمه الله قال:..." [4]. وإن لم يكن مصدره معروفاً ومشهوراً، يعطي معلومات عنه؛ كقوله: " وحدثني الرئيس سهري، وكان في خدمة الأمير شمس الخواص ألتونتاش صاحب رفنية، وكان بينه وبين علم الدين علي كرد (صاحب حماة) عداوة وخُلْف، قال ..."[5]، قوله: " وحكى لي صاحبي هذا عن ابن

---

(١) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص ١٥٦ .

(٢)**ابن منقذ** : الاعتبار، ص ١٨٤، ١٨٥ .

(٣)**ابن منقذ** : لباب الآداب، ص١، ٢ .

(٤) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص ١٣٣ .

(٥) **ابن منقذ** الاعتبار، ص ١٠٠ .

صاحب الطور، وكان طلع معي من مصر في سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، قال حدثني ابن والي الطور (وهي ولاية لمصر بعيدة، ... "[١]، وقوله: " ولقد حدثني رجل من رفاقه، يقال له سالم العجازي، انتقل إلى خدمة والدي بعد ما قُتل خلف بن ملاعب. قال: " نهضنا يوماً وأرسلنا عليّاً، عبد ابن أبي الريداء، بكرة يدبدب لنا، فجاءنا وقال ..." [٢].

- **استخدام مصطلحات أهل الحديث في سرد رواياته الشفهية**، مثل:(حدثني، قال ، قالوا، أخبرني) تارة بذكر الراوي، وتارة بدون ذكره، فيقول: " حدثني من أثق به..."[٣]، والأكثر بذكر اسم الراوي، وفي هذا استخدام اسلوب المحدثين .
- **ذكره للأماكن التي تلقى فيها الرواية من أصحابها مقترنه بزمن تلقيه لها**، فهو عندما يذكر الرواية التي أخذها خاصة من أساتذته؛ فإنه يذكر مكان لقياه به، وأخذه عنه، كما أنه يقرن المكان مع الزمن الذي تلقى فيه الرواية، كقوله: " حدثني الشيخ الإمام الخطيب سراج الدين أبو طاهر إبراهيم بن الحسين بن إبراهيم (خطيب مدينة أسْعَرْد) بها، في ذي القعدة سنة اثنتين وستين وخمسمائة. قال: حدثني أبو الفرج البغدادي قال: "شهدت مجلس الشيخ الإمام أبي عبد الله محمد الطبري ببغداد..." [٤]، وكذلك قوله: " حدثني الأجل شهاب الدين أبو الفتح المظفر بن أسعد بن مسعود بن بختكين ابن سبكتكين مولى معز الدولة ابن بويه بالموصل، في ثامن عشر شهر رمضان سنة خمس وستين وخمسمائة، قال: " زار المقتفي بأمر الله أمير المؤمنين رحمه الله مسجد صندوديا بظاهر الأنبار على الفرات الغربي ومعه الوزير وأنا حاضر، فدخل المسجد..." [٥]، وقوله: " ما حدثني به المؤيد الشاعر البغدادي بالموصل سنة خمس وستين وخمسمائة قال: ..."[٦]، وقوله[٧]: " أنشدني الخطيب العالم قدوة الشريعة أبو زكريا يحيى بن سلامة الحصفكي رحمه الله عند اجتماعي به بميافارقين في سنة سبع وعشرين وخمسمائة لبعض أهل المعرة،

---

(١)**ابن منقذ** : الاعتبار، ص ١٠٢ .

(٢)**ابن منقذ** : الاعتبار، ص ١٤٨ .

(٣) **ابن منقذ** : العصا، ص١٨٣، المنازل والديار، ص١٢ .

(٤) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص١٨٤، ١٨٥ .

(٥) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص١٨٧، ١٨٨ .

(٦) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص ٩٤ .

(٧) **ابن منقذ** : المنازل والديار، ص١٣ .

وقد اجتاز بقرية من أعمال المعرة، يقال لها: " سياث " وفيها علوج من الإفرنج يهدمون من جدرانها الحجارة، ويكسرونها بالمعاول، ليخف عليهم حملها، فوقف كالمتأسف، وقال:

مررت بربع من سياث فهاجني ... بها زجل الأحجار تحت المعاول

تصدى لها عبل الذراع، كأنما ... جنى الدهر فيما بينهم حرب وائل. (١)

وقوله: حدثني ما أثق به في شوال سنة سبع وستين وخمسمائة سنة بحصن كيفا قال: كان في خدمة الأمير نجم الدولة مالك بن سالم (صاحب قلعة جعبر) رجل عواد، يقال له: أبو الفرج حدثني قال: ..." (٢).

ت – المساءلة والمكاتبة:

وتكون بسؤال أسامة عن شئ ما بصورة شخصية، وقد تكون المساءلة عن طريق المكاتبة، حيث كانت الاتصالات جارية بين العلماء في السؤال عن التراجم والتعريف بالرجال، وخاصة الشعراء، والدليل على ذلك إرسال الرشيد ابن الزبير لأسامة يطلب منه مجموعة من شعراء الشام، ليودعهم في كتابه جنان الجنان(٣). وهذا ما قام أسامة به أيضاً، فقد كاتب الشيخ أبو المجد سالم بن هبة الله الهاشمي، فقال: " ومن شعراء الشام ... الشريف أبو المجد سالم بن هبة الله الهاشمي، من ولد الحارث بن عبد المطلب، مولده بحلب، وكان محترما عند ولاة حلب، له الميزة والفضل، وكان بينه وبين جدي ووالدي رحمهم الله مودة وخلطة، وكان كثير الدعابة والهزل، وله أشعار حسنة، حرصت على جمعها، وكاتبته في آخر عمره، وصدر عمري، أسأله إثباتها وإنفاذها، وهو اذ ذاك بحلب، فاعتذر بأنه ما عني بجمعها، ولا دوّنها، ولم أجد منه سوى ما نقلته من خط والدي رحمه الله، يقول أنشدنيه بشيزر سنة تسع وسبعين وأربعمائة..." (٤).

---

(١) الأبيات من بحر الطويل .

(٢) **ابن منقذ** : العصا، ص١٨٣ .

(٣) **ابن خلكان:** وفيات الأعيان ، ج١ ، ص ١٩٦. **المقريزي:** المقفى الكبير ، ج٢ ، ص ٤٩ .

(٤) بغية الطلب ، ج٩ ، ص ٤١٧٣ .

ث – الوثائق والرسائل الرسمية:

أفاد أسامة من مكانته الهامة في عصره، واتصاله بالشخصيات القيادية آنذاك في اطلاعه على العديد من الوثائق التي ضاعت أصولها، أو التي كتبها من أصحابها أنفسهم، مضمناً لها في مؤلفاته نصاً أو تلخيصاً، ومن أمثلة ذلك: ما ذكره عن الاتفاق الذي تم بينه وبين الوزير المصري رضوان بن الولخشي، فقال: " وتكرر الحديث بيني وبينه، حتى استقر وصوله إلى دمشق، وأن يكون له ثلاثون ألف دينار، نصفها نقد، ونصفها إقطاع، ويكون له دار العقيقي، ويَخرج لأصحابه ديوان، وكتب لي خطّه بذلك، وكان كاتباً حسناً " (١)، ومنها –أيضاً– قوله في كتاب العصا: " قال المؤلف أطال الله بقاءه: وقفت على كتاب كتبه الشيخ أبو العلاء أحمد بن سليمان المعرّي إلى الشيخ أبي القاسم جعفر ابن أبي العود فيه ذكر العصا أنا ذاكره، وهو:

" مولاي الشيخ الأجل الأوحد، أطال بقاءه، وأدام نعماءه وكبت أعداءه، واسمه جعفر والجعفر النهر الصغير الكثير الماء، وإنه لفرات يرده أهلُ الإظماءِ فيغني الورّاد عن القطر النازل من السماء، وكنيته أبو القاسم، وهو يقسم ما رزق بين الضعفاء، وطارق يجيب له حسن وفاء، وهو يشفق على بعيد وقريب، وأهل من القوم وغريب، والله جلت عظمته يريه ما يسره في نفسه وولده، ويجعل المسرّة مُقرَّة في خلده وأما أنا؛ فقد بلغت سناً تصير العالي من الشجر ثِنّا، وفي هذه المدة عرض لي ما يمنع من القيام، ويلحق النار الموقدة بالأيام، فإذا نهضت خلت أني متوقل في نيق يعجز ثعالى السوذنيق، وإذا مثلت قائماً لم أقدر على خطو إلا كما ضعف من القطو، كأن خطوي فتر، وبيد الله العافية والستر، ولابد لي من عصا معينة، فالعجب للدنيا اللعينة. وورد وليُّه الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي هاشم وهو موقر من أياد مازال لمثلها ذا اعتياد، والله يستجب منّي فيه، وفي أودائه ما يرفع من دعاء، فالرب الأول ملك الملوك، وراعي الرِّعاء" (٢) .

ومن ذلك ما كتبه في ترجمة الرئيس أبي تراب حيدرة، المعروف بابن قطرميز، قال: " شاهدت منه كتاباً الى والدي –رحمه الله– يقول فيه: وقد كنت بحسن رأيه، وبدوام علائه، رضي البال، بالغ الآمال، فحين علم الزمان ذلك من عيشتي الراضية رماني بسهام

---

(١) **ابن منقذ** : الاعتبار، ص ٥٤ .

(٢) **ابن منقذ** : العصا، ص٤٣٥– ٤٣٧ .

قاضية، فأعادت الصفاء رنقا والعذاب طرقا... ، وقال أسامة: ونقلته من خطه في الكتاب المذكور وصنف لوالدي كتابا في النجوم سماه (المنهاج) أحسن فيه افتتحه بقصيدة، لم أحفظ منها سوى هذين البيتين... "[1]. ومنه قوله: " اجتاز بي الأمير السيد الشريف العالم الواعظ، نظام الدين أبو المكارم حميد بن الظريف بحماة، فنزل بالقرب مني، ثم اجتمعت به بمدينة حلب، فذكرني على الكرسي بمجلسه بالجامع، وشكر وأطنب، ثم كتب إليّ رقعة عنوانها: الله قابل عذر العباد، وفي ذيلها: بعض خدمه حميد بن الظريف، وفيها هذه الأبيات:

أعف عن الخادم فيما قصرا ... من مدحك الواجب حين أظهرا
غرست فضلا فربا وأثمرا ... شكراً على مرّ المدى معمّرا
لكنني سترته فاستترا ... سلبته النقط فصار سكرا

قال أسامة: فكتبت إليه:

يا أوحد العصر علا وعنصرا ... وبحر فضل بالعلوم زخرا
أفحمني شكرك عن أن أشكرا ... نثرت من ذكري عليّ جوهرا
طوّقتني درا وفاح عنبرا ... وطاب من فيك فصار سكّرا "[2].

ومن نصوص الوثائق التي أوردها أسامة في رواياته وثيقة تصدّق الأرقم بن أبي الأرقم لولده عثمان بن الأرقم، فقال[3]: " ودعيت دار الأرقم دار الإسلام، وتصدق بها الأرقم على ولده، فقرأت نسخة صدقة الأرقم بداره: "بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما قضى الأرقم في ربعه ما حاز الصفا، أنها صدقة بمكانها من الحرم، لا تباع ولا تورث، شهد هشام بن العاص، وفلان مولى هشام بن العاص " .

---

(١) **ابن العديم:** بغية الطلب فى تاريخ حلب ، ج٦ ، ص٣٠١٠ – ٣٠١١ .

(٢) بغية الطلب ، ج٦ ، ص ٢٩٧٢ . "الأبيات من بحر الرجز "

(٣) **ابن منقذ:** المنازل والديار، ص ٣٤٢ . ومصدر أسامة لهذه الوثيقة هو كتاب " نسب الصحابة " للطبري. ولكني لم أهتد إلى هذا الكتاب للطبري، أما نص هذه الوثيقة فورد في مؤلفات بعض المؤرخين أمثال: **ابن سعد:** الطبقات الكبرى، ج٣، ص١٨٤ . **ابن الجوزي:** المنتظم، ج٥، ص٢٧٩، ٢٨٠ . **سبط ابن الجوزي:** مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج٧، ص٣٣٨ .

ج- المؤلفات السابقة:-

تعد المؤلفات السابقة البنية الأساسية التي بنى عليها رواياته التاريخية في مؤلفاته العصا، والمنازل والديار، ولباب الآداب، والمورد الرئيس لمادتهم التاريخية، ويمكن عزو مصادر ابن منقذ في مؤلفاته إلى أربعة أنواع:

١- كتب التفسير وعلومه:

نقل أسامة من مجموعة من كتب تفسير القرآن، وهي **تفسير مجاهد بن جبر** (ت١٠٤هـ/ ٧٢٢م) [(١)]، وقد اعتمد أسامة على تفسير مجاهد في عشر مواضع[(٢)]، محيلاً عليه عادةً كمصدر منفرداً بقوله : " قال مجاهد "، أو " رواية عن مجاهد "، وقد يورده مع عدد من المصادر كقوله: " وقال السدي، ومجاهد، وقتادة هو ... "[(٣)].

---

(١) **هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر** ، المكي، المخزومي، شيخ القراء والمفسرين، إمام، ثقة، فقيه، عالم، كثير الحديث، برع في التفسير وقراءة القرآن والحديث، روى عن ابن عباس فأكثر، وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقه، كما روى عن أبي هريرة وعائشة وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وأبي سعيد الخدري، وقد عرض القرآن على ابن عباس ثلاث مرات، يقف عند كل آية يسأله، فيم نزلت؟ وكيف كانت؟ قرأ عليه القرآن ثلاثة من أئمة القراءات، ابن كثير المكي، وأبو عمرو بن العلاء البصري، وحدّث عنه عكرمة وطاووس وعطاء، وهم أقرانه، وعمرو بن دينار وسليمان الأعمش وجماعة. **انظر ترجمته في: ابن سعد:** الطبقات الكبرى، ج٦، ص١٩، **ابن حِبان:** مشاهير علماء الأمصار، ص ١٣٣ . **ابن عساكر:** تاريخ دمشق، ج٥٧، ص١٧ . **ياقوت الحموي:** معجم الأدباء، ج٥، ص٢٢٧٢ . **الذهبي:** سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٤٤٩-٤٥٧، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، ج٣، ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م، ص٤٣٩ . **العلائي:** صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي العلائي: جامع التحصيل في أحكام المراسيل، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص ٢٧٣ . **الفاسي:** العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ج٦، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ص٣٣ . **الزركلي:** الأعلام، ج٥، ص٢٧٨ .

(٢) **ابن منقذ** : لباب الآداب، ص٨١، ٢٥٨، ٢٩٦، ٣١٩، ٤٢٢، العصا، ص٣٠، ٤٦، المنازل والديار، ص٣٥٥، ٣٧٣، ٣٧٦ .

(٣)**ابن منقذ** : العصا، ص٣٠ .

كما نقل عن **مقاتل بن سليمان** (ت ١٥٠ هـ/ ٧٦٧ م) [١]، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير، من أعلام المفسرين، له عدد من المصنفات أشهرها " التفسير الكبير"، وقد أخذ عنه أسامة، مكتفياً بذكر اسمه عند إحالته عليه في أربعة مواضع من كتبه[٢] بقوله: " قال مقاتل " .

ونقل –أيضا– عن **قَتَادَةُ بْنُ دِعَامَةَ السَّدُوسِيُّ** (ت ١١٧هـ/٧٣٥م) [٣]، أبو الخطاب السدوسي البصري، قدوة المفسرين والمحدثين، وكان رأساً في العربية والغريب، وأيام العرب وأنسابها[٤]، وكان ثقة مأموناً، حجة في الحديث[٥]، إلا أن بعضهم اتهمه بالتدليس[٦].

---

(١) **هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان** بن بشير الأزدي بالولاء، البلخي، من أعلام المفسرين. أصله من بلخ انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد، فحدث بها، وتوفي بالبصرة، كان متروك الحديث. من كتبه: التفسير الكبير، و نوادر التفسير، والرد على القدرية، و متشابه القرآن، والناسخ والمنسوخ، والوجوه والنظائر. **انظر ترجمته في: ابن سعد:** الطبقات الكبرى، ج٧، ص٢٦٣ . **ابن عدي:** أبو أحمد بن عدي الجرجاني، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ج٨، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص١٨٥ . **الخطيب البغدادي:** تاريخ بغداد، ج١٣، ص١٦١ . **ابن عساكر:** تاريخ دمشق، ج٦٠، ص١٠٩. **الذهبي:** سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٢٠١، ميزان الاعتدال، ج٤، ص١٧٣ . **العلائي:** جامع التحصيل في أحكام المراسيل، ص ٢٨٥. **ابن حجر:** لسان الميزان، ج٩، ص٤٢٩ . **الزركلي:** الأعلام، ج٧، ص٢٨١.

(٢) **ابن منقذ** : العصا، ص١٠، ٤٧، ٥٢، المنازل والديار، ص٢٧٢.

(٣) **هو أبو الخطاب قتادة بن دعامة** بن قتادة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سدوس بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة، البصري، ولد وهو أعمى، وعني بالعلم، فصار من حفاظ أهل زمانه وعلمائهم بالقرآن والفقه، روى عن: أنس بن مالك، وعبد الله بن سرجس وغيرهما، وروى عنه الأوزاعي، ومعمر بن راشد وغيرهما، وأخذ القراءة عن الحسن البصري وابن سيرين، مات بواسط وهو بن ست وخمسين سنة وكان أحد المشهورين بالتدليس، **انظر ترجمته في: ابن سعد:** الطبقات الكبرى، ج٧، ص١٧١. **ابن حبان:** مشاهير علماء الأمصار، ص١٥٤. **ياقوت الحموي:** معجم الأدباء، ج٥، ص ٢٢٣٣، ٢٢٣٤ . **ابن خلكان:** وفيات الاعيان، ج٤، ص٨٥ . **الذهبي:** سير أعلام النبلاء، ج٥، ص٢٦٩-٢٨٣، ميزان الاعتدال، ج٣، ص٣٨٥ . **العلائي:** جامع التحصيل في أحكام المراسيل، ص ٢٥٤ . **ابن حجر:** تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، المعروف بطبقات المدلسين، تحقيق: عاصم بن عبدالله القريوتي، ط١، مكتبة المنار، عمان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٤٣ . **بكر بن عبد الله:** طبقات النسابين، ص ٢٩ .

(٤) **الذهبي:** سير أعلام النبلاء، ج٥، ص٢٧٠، ٢٧٨ . **بكر بن عبد الله:** طبقات النسابين، ص ٢٩ .

(٥) **ابن سعد:** الطبقات الكبرى، ج٧، ص١٧١.

(٦) **ابن حبان:** مشاهير علماء الأمصار، ص ١٥٤ . **الذهبي:** ميزان الاعتدال، ج٣، ص٣٨٥ . **العلائي:** جامع التحصيل في أحكام المراسيل، ص ٢٥٤ . **ابن حجر:** طبقات المدلسين، ص٤٣ .

واعتمد أسامة على قتادة في بناء رواياته التايخية على(١٠) روايات[١]، ويستعمل في إسناد الرواية إليه لفظ " قال قتادة "، أو ما رواه قتادة "، أو لما ذكره قتادة "، وقد أورد له رواية بإسناده إلى شيخه أنس بن مالك عن النبي (ﷺ) فقال: " وقوله عز وجل: {وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ} فيه أربعة أوجه: أحدها: ما رواه قتادة عن أنس بن مالك – رحمه الله – قال: قال رسول الله (ﷺ): " أتي بي إلى السماء السابعة، فرفع لنا البيت المعمور، فإذا هو حيال الكعبة، لو خَرَّ خَرَّ عليهما، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، فإذا خرجوا منه لم يعودوا فيه"[٢]، ولم يعين أسامة المصدر القريب الذي استقى منه هذه الروايات، أما مضمون رواياته عن قتادة فهى أحاديث، وأخبار متعلقة بالأنبياء، وبالدابة التي تخرخ آخر الزمان، ورواية قتل كعب بن الأشرف، وكلها أخبار وروايات متعلقة بتفسير آيات الله عز وجل.

أما **القاضي الماوردي** (ت٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م) [٣]، فنقل عنه أسامة في ثلاثة مواضع[٤]، ويسميه عادة قبل إيراده المنقول عنه أو بعده بقوله: " قال القاضي الماوردي " ، وتركزت

---

(١) **ابن منقذ** : العصا، ص٢٦، ٣٥، ٤١، ٤٦، ٤٨، ٦٥ ، المنازل والديار، ص٥٦، ٦٢ ، ٣٦٩ ، لباب الآداب، ص ١٢، ٨١ .

(٢) **ابن منقذ** : المنازل والديار، ص٣٦٩ .

(٣) **أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي**، من كبار فقهاء الشافعية، وإمام في الفقه والأصول والتفسير، وبصير بالعربية، وهو صدوق وثقة، واتهم بالاعتزال، كان من رجال السياسة البارزين في الدولة العباسية، وخصوصًا في مرحلتها المتأخرة، نشأ الماوردي بالبصرة، وتعلّم وسمع الحديث من جماعة من العلماء، وتولى القضاء في كورة (أستوا) من ناحية نيسابور، ولقب بـ " أقضى القضاة " عام (٤٢٩هـ/١٠٣٨م). تألق نجم الماوردي عند عودته إلى بغداد وقيامه بالتدريس، ومن أبرز مؤلفاته: أدب الدنيا والدين، أعلام النبوة، الحاوي الكبير، الإقناع وهو مختصر لكتاب الحاوي الكبير، ومن أشهر كتبه في مجال السياسة قوانين الوزارة وسياسة الملك، ونصيحة الملوك، وتسهيل النظر وتعجيل الظفر، والأحكام السلطانية الذي يُعد من أشهر كتبه وأعظمها أثرًا. **انظر ترجمته في**: **ياقوت الحموي**: معجم الادباء، ج٥، ص١٩٥٥ . **ابن خلكان**: وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٨٢ . **الذهبي**: سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٦٤، ميزان الاعتدال، ج٣، ص١٥٥ . **السبكي**: طبقات الشافعية الكبرى، ج٥، ص٢٦٧ . **ابن كثير**: طبقات الشافعيين، ص٤١٨ . **ابن الملقن**: العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، ص: ٩١ . **ابن حجر**: لسان الميزان، ج٦، ص٢٤ . **حاجي خليفة**: سلم الوصول الى طبقات الفحول، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، ج٢، مكتبة إرسيكا، إستانبول، تركيا، ٢٠١٠م، ص٣٨١ . **الزركلي**: الاعلام، ج٤، ص٣٢٣ . **عادل نويهض**: معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، ج١، ط٣، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ص٣٧٥ .

(٤) المنازل والديار، ص٥٥، ٣٥٨، ٣٧٨ .

إفادته منه على آرائه في تفسير آيات الله عز وجل، ولعل هذا ما يؤكد أن أسامة اعتمد على تفسير الماوردي، المعروف بـ " النكت والعيون "[١].

٢- كتب الحديث والوعظ:

وأبرز كتب الحديث التي اعتمدها أسامة، وصرح بذكرها، كتاب " تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين "، تصنيف **أبو الليث السمرقَنْدي** (ت ٣٧٥هـ/٩٨٥م)[٢]، وقد اعتمد أسامة على كتابه " تنبيه الغافلين " في موضعين، تارة بتعيين الكتاب مختصراً فيقول: " أورد الإمام أبو الليث السمرقندي -رحمه الله- في كتاب تنبيه الغافلين... "[٣]، وتارة يحيل عليه بدون تعيينه [٤].

كما نقل أسامة بن منقذ عن كتاب " حلية الأولياء وطبقات الأصفياء" **لأبي نعيم الأصبهاني** (ت٤٣٠هـ / ١٠٣٨ م) [٥]، وقد اعتمد عليه في موضع واحد

---

(١) هو تفسير كامل للقرآن يقع في أربعة مجلدات، متوسطة الحجم، جمع بين الرواية والدراية من علم التفسير. انظر: **عامر عمران الخفاجي**: مصادر الماوردي في التفسير، مجلة جامعة بابل، كلية التربية العلوم الإنسانية،جامعة بابل، العراق، المجلد(١١)، العدد(١)، ٢٠٠٦م، ص١٨٦ .

(٢) **نصر بن محمد بن أحمد السّمرقندي**، الإمام الفقيه المحدث . ترك عدة مؤلفات أبرزها: تفسيره، وهو متوسط الحجم، جمع فيه الأقوال المأثورة في التفسير، وقد ترجم إلى التركية، وسمي " بحر العلوم" ، وكتاب تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، وكتاب عيون المسائل . **انظر ترجمته في**: **الذهبي**: سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص٣٢٢ . **ابن قطلوبغا**: زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني الجمالي الحنفي، تاج التراجم، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص٣١٠ . **الزركلي**: الأعلام، ج٨، ص٢٧. **عادل نويهض**: معجم المفسرين، ج٢، ص٧٠٠ .

(٣) **ابن منقذ** : لباب الآداب، ص١٦١ .

(٤) **ابن منقذ** : لباب الآداب، ص١٦٢ .

(٥) **أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني**: حافظ، مؤرخ، من الثقات في الحفظ والرواية، ولد بأصبهان، وكان أوحد عصره في فضله وجمعه ومعرفته من تصانيفه: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، و معرفة الصحابة و طبقات المحدثين والرواة " وغير ذلك. وقال عنه ابن حجر أنه صدوق . **انظر ترجمته في**: **ابن عساكر**: تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص٢٤٦ . **الذهبي**: ميزان الاعتدال، ج١، ص١١١ . **السبكي**: طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص١٨ . **ابن الملقن**: العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، ص٨٧ . **ابن حجر**: لسان الميزان، ج١، ص٥٠٧ .

في كتاب العصا [١] مشيراً إليه مختصراً بقوله : " قال أبو نعيم الحافظ في كتاب الحلية " [٢].

٣- مصادر تاريخية تضم بعض كتب المغازي والسير والتاريخ والتراجم:

صرح أسامة بالنقل عن بعض الإخباريين والمؤرخين تارة مع تعيين اسم الكتاب الذي نقل عنه، وتارة أخرى بدون تعيين، ومن ذلك **محمد ابن إسحاق** (ت ١٥١هـ/ ٧٦٨م)[٣]، نقل عنه أسامة في(٥) مواضع [٤]، وتعددت طرائق إحالته عليه، فتارة يسميه قبل إيراده الخبر بقوله: " قال ابن اسحاق .."، أو ربما أورد الخبر ثم يذكره في الآخر[٥]، وتارة يحدد الكتاب الذي نقل عنه، فيقول: " روى ابن اسحاق في سيرته .. "، " وذكر ابن اسحاق في سيرته .." [٦] يقصد كتاب (السيرة النبوية) أو السير والمغازي[٧] لابن اسحاق، وتركزت

---

(١) **ابن منقذ** : ص٣٩٠ .

(٢) **كتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** في الحديث، مجلد ضخم، وهو كتاب حسن، معتبر؛ يتضمن أسامي جماعة من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من الأئمة الأعلام المحققين، والمتصوفة، والنساك، وبعض أحاديثهم، وكلامهم، وصدر ذكر الخلفاء إلى تمام العشرة في الترتيب، ثم جعل من سواهم إرسالاً، لئلا يستفاد منه تقديم فرد على فرد؛ ولكنه أطال فيه الأسانيد، وتكرير كثير من الحكايات، وأمور أخرى منافية لموضوعه. ولذلك اختصره ابن الجوزي، اختصاراً حسناً، وسماه: (صفوة الصفوة) . انظر: **حاجي خليفة**: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج١، ص ٦٨٩ .

(٣) **محمد بن إسحاق** بن يسار المطلبي بالولاء، المدني، من أقدم مؤرخي العرب ، من أهل المدينة. من مؤلفاته "السيرة النبوية "، وقد هذبها ابن هشام. ومن الأصل أجزاء مخطوطة كتبت سنة (٥٠٦هـ/١١١٢م)، في خزانة القرويين بفاس و" كتاب الخلفاء" و " كتاب المبدأ ". وكان قدرياً، ومن حفاظ الحديث، زار الإسكندرية سنة (١١٩هـ/٧٣٧م) ، وسكن بغداد، فمات فيها، ودفن بمقبرة الخيزران أم الرشيد. وكان جده يسار من سبي عين التمر. **انظر ترجمته في: ابن حبان:** مشاهير علماء الأمصار، ص ٢٢٢ . **ابن عدي:** الكامل في ضعفاء الرجال، ج٧، ص٢٥٤ . **الخطيب البغدادي:** تاريخ بغداد، ج١، ص٢٣٠ . **ياقوت الحموي:** معجم الأدباء، ج٦، ص٢٤١٨ . **ابن الساعي:** الدر الثمين في أسماء المصنفين، ص١٦١ . **الذهبي:** سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٣٣-٥٥، ميزان الاعتدال، ج٣، ص٤٦٨ . **العلائي:** جامع التحصيل في أحكام المراسيل، ص ١٠٩، ٢٦١ . **الزركلي:** الاعلام، ج٦، ص٢٨ . **بكر بن عبد الله:** طبقات النسابين، ص٣٣.

(٤) المنازل والديار، ص٥٦ – ٥٩ ، ٣٥٨-٣٦١ ، لباب الآداب، ص١٧٥، ١٧٦ ، العصا، ص٨٠، ٣٧٦ .

(٥) لباب الآداب، ص١٧٥، ١٧٦ .

(٦) العصا، ص٨٠، ٣٧٦ .

(٧) **كتاب السيرة النبوية** يعتبر من أهم كتب السير والمغازي، تناول ابن إسحاق في كتابه ثلاث موضوعات، اعتبرها مترابطة هي: أخبار الخليقة من آدم وحتى إسماعيل، ثم من إسماعيل حتى النبي محمد، ثم حياة=

إفادات أسامة منه على ذكر سرية قتل كعب ابن الأشرف، واجتماع قريش لبنيان الكعبة ، وبعض أخبار رسول الله ﷺ.

– **هشام بن محمد بن السائب الكلبي**(ت٢٠٤هـ/٨١٩م)[(١)]، العلامة، الأَخبارِيّ، النسابة، أبو المنذر هشام ابن الأخباري الباهر محمد بن السائب بن بشر الكلبي، الكوفي، الشيعي، أحد المتروكين كأبيه. روى عن أبيه كثيراً[(٢)]، كان عالماً بالنسب وأخبار العرب وأيامها ووقائعها ومثالبها[(٣)]، وله من التصانيف: كتاب الجمهرة، وكتاب حلف الفضول، وكتاب الكُنى، وكتاب ملوك الطوائف، وكتاب ملوك كندة، وغير ذلك من التصانيف[(٤)].

واعتمد أسامة في رواياته التاريخية على خمس روايات لإبن الكلبي[(٥)]، وأسامة عادةً يستعمل في إسناد الرواية اليه لفظ " ابن الكلبي "، وقد أورد له رواية بإسناده الى أبيه ثم

=النبي محمد وأعماله قبل البعثة وبعدها، واعتمد في القسم الأول على مادة الإسرائيليات التي تجمعت عند العرب قبله والتي أكملها هو خاصة أثناء تحصيله في مصر. واعتمد في القسم الثاني على مادة عربية شبه أسطورية، تتحدث عن أخبار العرب قبل الإسلام وأنسابهم. وبعد الفراغ من هذين القسمين اللذين جاءا كمقدمة أخذ ابن إسحاق بالحديث عن النبي محمد، ولم يسق هذا الحديث كقصة متسلسلة؛ بل ساقه كوقائع بعضها وقع للنبي محمد بالذات، وبعض آخر لغيره، وله مساس قريب، أو بعيد به، وحينما تحدث ابن إسحاق عن النبي محمد أثبت تقريباً جميع المادة الإخبارية التي كان المسلمون قد جمعوها عنه خلال القرن الأول الذي جاء بعد وفاته، ويبدو أن ابن إسحاق أولى الفترة المكية من حياة النبي اهتماماً أكبر من الفترة المدنية، وقدم لهذا القسم بمقدمة ذكر فيها علامات النبوة عند النبي محمد، وروى جميع قصص الارهاصات التي بشرت بقرب نبوته وصحتها. انظر: **سيرة ابن اسحاق**، مقدمة المحقق، ص ١٧ .

(١) **أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب** بن بشر بن عمر الكلبي الكوفي، الأخباري النسابة العلامة، أخذ عن أبيه أبي النضر محمد المفسر، وعن مجاهد، ومحمد بن أبي السري البغدادي، ومحمد بن سعد (كاتب الواقدي) وأبي الأشعث أحمد بن المقدام وغيرهم، وحدّث عنه جماعة، وتصانيفه تزيد على مائة وخمسين مصنفاً، وقال عنه ابن عدي: " إنما هو صاحب سمر ونسبة، وما ظننت أن أحداً يحدث عَنْهُ ". **انظر ترجمته في:** **ابن عدي:** الكامل في ضعفاء الرجال، ج٨، ص٤١٢ . **الخطيب البغدادي:** تاريخ بغداد، ج١٤، ص٤٥ . **ياقوت الحموي:** معجم الادباء، ج٦، ص٢٧٧٩–٢٧٨١ . **ابن خلكان:** وفيات الأعيان، ج٦، ص٨٢–٨٤. **الذهبي:** سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص١٠١، ميزان الاعتدال، ج٤، ص٣٠٤، ٣٠٥ . **ابن حجر:** لسان الميزان، ج٨، ص٣٣٨ . **بكر بن عبد الله:** طبقات النسابين، ص٤٧ .

(٢) **الذهبي:** سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص١٠١ .

(٣) **ياقوت الحموي:** معجم الأدباء، ج٦، ص٢٧٧٩ .

(٤) **الذهبي:** سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص١٠٢ . **ياقوت الحموي:** معجم الادباء، ج٦، ص٢٧٨٠،٢٧٨١ .

(٥) المنازل والديار، ص٢٢٠–٢٢٢، ٢٦١، العصا، ص ٢١٦، ٢٨٩ ، لباب الآداب، ص٣٨ .

إلى شيوخ سمعهم، فقال: " عن ابن الكلبي عن أبيه عن أشياخ من أهل ذمار – من أهل اليمن – أنه سمعهم يخبرون ..." [(١)].

– **الهيثم بن عدي الطائي** (ت٢٠٧هـ/٨٢٢ م)[(٢)]، كان راوية أخبارياً، نقل من كلام العرب وعلومها وأشعارها ولغاتها الكثير، واختص بمجالسة الخليفة العباسي المنصور، والمهدي، والهادي، والرشيد، وروى عنهم[(٣)]، وقد ألف الهيثم بن عدي ما يزيد على خمسين كتاباً في التاريخ والأدب والشعر والأنساب والمثالب، وأورد ياقوت الحموي وابن خلكان قائمة بكتبه[(٤)]، وقد ضاعت هذه المؤلفات، ولم يبق منها إلا ما تضمنته مؤلفات اللاحقين من روايات، ومنها الثلاث روايات التي نقلهم أسامة عنه[(٥)]، أو نقلهم من مصدر قريب، نقلها عن ابن عدي، ولكن أسامة لم يصرح بمصدره القريب المأخوذ عنه؛ لأن أسامة لم يذكر أسماء الكتب التي نقل عنها مادته، وهذه الروايات منها ما نقلها عنه مباشرة دون إسناد كقوله: " عن الهيثم بن عدي، قال: طلب الحجاج عمران بن حطان السدوسي، وكان من الخوارج، وكتب فيه إلى عماله، وإلى عبد الملك بن مروان، فهرب، فلم يزل يتنقل في

(١) المنازل والديار، ص٢٦١ .

(٢) **أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدى** بن عبد الرحمن بن زيد بن أسيد بن جابر بن عدي بن خالد الطائي الكوفي، أصله من "منبج". ولد بالكوفة، وهو مؤرخ عالم بالأدب والنسب، وكان يرى رأى الخوارج، وهو عند علماء الحديث من المدلسين، ومن غير الثقات. وكان يتعرض لأحوال الناس وأخبارهم، فيرويها على وجهها، ويشيع ما كتموا، فكره لذلك، وطعن في نسبه، وهجاه الشعراء. ورغم اجماع العلماء على تضعيفه في الحديث، إلا أنه كان عالماً بالأخبار والانساب. انظر ترجمته في: **ابن عدي**: الكامل في ضعفاء الرجال، ج٨، ص٤٠٠ . **الخطيب البغدادي**: تاريخ بغداد، ج١٤، ص٥٠ . **ابن عساكر**: تاريخ دمشق، ج٧٤، ص١١١ . **ياقوت الحموي**: معجم الأدباء، ج٦، ص٢٧٨٨–٢٧٩٢ . **القفطي**: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، ببيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٢م، ج٣، ص٣٦٥ . **ابن خلكان**: وفيات الأعيان، ج٦، ص١٠٦،١٠٧ . **الذهبي**: سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص١٠٣، ميزان الاعتدال، ج٤، ص٣٢٤ . **ابن حجر**: لسان الميزان، ج٨، ص٣٦١، طبقات المدلسين، ص: ٥٧ . **الزركلي**: الأعلام، ج٨، ص١٠٤ .

(٣) **ابن خلكان**: وفيات الأعيان، ج٦، ص ١٠٦، ١٠٧ .

(٤) معجم الأدباء، ج٦، ص٢٧٩١، ٢٧٩٢ . وفيات الأعيان، ج٦، ص ١٠٦، ١٠٧ . له من الكتب المصنفة كتاب " المثالب "، و " المعمرين "، و " بيوتات العرب "، و" هبوط آدم عليه السلام "، و " افتراق العرب ونزول منازلها، وغير ذلك من التصانيف.

(٥) المنازل والديار، ص٢٣١–٢٣٥ ، لباب الآداب، ص١٠١، ١٠٣ .

أحياء العرب، ..." [١]، ومنها ما أورد فيها أسانيد الهيثم إلى شيوخه، كقوله: " قال الهيثم بن عدي: حدثني أبو جَهضم– شيخٌ من بني العنبر– عن أبيه، قال ..." [٢]، وقوله: " عن الهيثم عن صالح بن حسان قال: قدم عبد الرحمن بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان رحمه الله، وكان رجلاً فقيهاً، فاضلاً، موسراً، كثير الغزو والحج، أعطى حتى بلغت عطاياه قواعد المسجد، قال..." [٣] .

–**الواقدي** (ت٢٠٧هـ/٨٢٣ م) [٤]، أخذ أسامة عن مغازي الواقدي روايتان، الأولى: في كتاب المنازل والديار عن قتل كعب بن الأشرف، وقد أحال عليه بلقبه فقال: " قال الواقدي: فلما بلغوا بقيع الغرقد كبروا. وقد قام رسول الله ﷺ تلك الليلة يصلي، فلما سمع رسول الله (ﷺ) تكبيرهم بالبقيع كبّر، وعرف أن قد قتلوه. ثم أتوا النبي (ﷺ) وهو واقف على باب المسجد، فقال: أفلحت الوجوه! فقالوا: ووجهك يا رسول الله! ورموا برأس كعب بين يديه، فحمد الله على قتله. ثم أتوا بصاحبهم الحارث، فتفَل على جرحه، فلم يؤذه، ... قال الواقدي: ففزعت يهود ومن معها من المشركين، فجاءوا إلى النبي (ﷺ) حين أصبحوا، فقالوا: لقد طرق صاحبنا الليلة، وهو سيد من ساداتنا، فقتل غيلة بلا جُرْمٍ، ولا حدثٍ علمناه. فقال النبي (ﷺ): إنه لو قَرَّ كما قرَّ غيره، ممن هو على مثل رأيه ما اغتيل، ولكنه

(١) المنازل والديار، ص٢٣١ .

(٢) لباب الآداب، ص١٠١ .

(٣) لباب الآداب، ص١٠٣ .

(٤) **أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء**، المدني، ، الواقدي: من أقدم المؤرخين في الإسلام، ومن أشهرهم، ومن حفاظ الحديث. ولد بالمدينة، وكان حناطاً (تاجر حنطة) بها، وضاعت ثروته، فانتقل إلى العراق سنة (١٨٠هـ/٧٩٦م)ـ، في أيام الرشيد، واتصل بيحيى بن خالد البرمكي، فأفاض عليه عطاياه، وقربه من الخليفة، فولي القضاء ببغداد. واستمر إلى أن توفي فيها. من كتبه "المغازي النبوية" و "فتح إفريقية" جزآن، و "كتاب الردة" و "فتح العجم" و "فتح مصر والإسكندرية" و "تفسير القرآن" و "أخبار مكة" و "الطبقات" و "فتوح العراق" و "سيرة أبي بكر ووفاته" و "تاريخ الفقهاء" و "الجمل" و "كتاب صفين" و غيرها، وأشهر من روى عنه كاتبه محمد بن سعد صاحب كتاب الطبقات الكبير. **انظر ترجمته في: البخاري،** أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري: التاريخ الكبير،ج١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، د.ت، ص١٧٨ . **ابن خلكان:** وفيات الأعيان، ج٤، ص٣٤٨ . **المزي**، أبو الحجاج جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف بن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، ج٢٦، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص١٨٠ . **الذهبي:** سير أعلام النبلاء، ج٩، ص٤٥٤، ميزان الاعتدال، ج٣، ٦٦٢ . **الزركلي:** الأعلام، ج٦، ص٣١١ . **بكر بن عبد الله:** طبقات النسابين، ص٥٠ .

نال منا الأذى وهجانا، ولن يفعل أحد منكم مثل فعله إلا كان له السيف. ودعاهم رسول الله (ﷺ) إلى أن يكتبوا بينهم كتاباً ينتهون إلى ما فيه، فكتبوا بينهم وبينه (ﷺ) كتاباً في دار رملة بنت الحارث. وخافت يهود من يوم قُتِل كعب ابن الأشرف " [(١)].

والرواية الثانية في كتاب العصا[(٢)] وهي عن غزوة عبد الله بن أنيس لقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي[(٣)].

-**عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافري**(ت: ٢١٣هـ/ ٨٢٨ م)[(٤)]، صاحب السيرة، كان إماماً في اللغة والنحو والعربية، أديباً أخبارياً نسابة [(٥)]، هذب سيرة ابن اسحاق التي سمعها من زياد البكائي (صاحب ابن إسحاق)، ونقّحها وحذف من أشعارها جملة [(٦)]، وقد

(١) **ابن منقذ:** المنازل والديار، ص٦١ . والنقل هنا بتصرف بسيط في بعض الألفاظ إما بإسقاط أو بإبدال اللفظ، ولكن لا يخل بالمعنى، مع اهتمام بالنسق الترتيبي. انظر: **الواقدي:** المغازي، ج١، ص١٩٠، ١٩٢ .

(٢) **ابن منقذ:** العصا، ص ٣٥٥ . والنقل هنا بتصرف بإبدال اللفظ، ولكنه لا يخل بالمعنى. انظر: **الواقدي:** المغازي، ج٢، ص٥٣١ .

(٣) غزوة عبد الله بن أنيس لقتل خالد بن سفيان بن نبيح كانت في المحرم سنة(٦هـ/٦٢٧م)، بعثه رسول الله ﷺ إليه وهو بنخلة أو بعرنة، يجمع لرسول الله ﷺ الناس ليغزوه، فقتله عبدالله بن أنيس، وكان لا يعرفه فقال: يا رسول الله، انعته لي حتى أعرفه. قال: إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان، وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قشعريرة، فخرج عبد الله متوشحاً سيفه، وكان وقت العصر، ووجد ما نعته به الرسول من قشعريرة فقتله. انظر. **الواقدي:** المغازي، ج٢، ص٥٣١ . **ابن هشام:** السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ج٢، ط٢، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٧٥هـ /١٩٥٥م، ص٦١٩.

(٤) **جمال الدين أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري**، مؤرخ، كان عالماً بالأنساب واللغة وأخبار العرب، ولد ونشأ في البصرة، قدم مصر، وحدّث بها بالمغازي وغيرها، وتوفي بها، روى المغازي عن زياد بن عبد الله البكّائي عن محمد ابن إسحاق. وكان ثقة. أشهر كتبه السيرة النبوية، المعروف بـ "سيرة ابن هشام"، رواه عن ابن اسحاق، وله القصائد الحميرية في أخبار اليمن وملوكها في الجاهلية، و كتاب التيجان في ملوك حمير، رواه عن أسد بن موسى، عن ابن سنان، عن وهب بن منبه، و شرح ما وقع في أشعار السير من الغريب وغير ذلك . **عن سيرته انظر: القفطي:** إنباه الرواة، ج٢، ص٢١١ . **الذهبي:** سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٤٢٩ . **السيوطي:** حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج١، ص٥٣١ . **حاجي خليفة:** سلم الوصول الى طبقات الفحول، ج٢، ص٣٠٩ . **الزركلي:** الأعلام، ج٤، ص١٦٦ .

(٥) **السيوطي:** حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج١، ص٥٣١ .

(٦) **حاجي خليفة:** سلم الوصول إلى طبقات الفحول، ج٢، ص ٣٠٩ .

صرح أسامة باعتماده على سيرة ابن هشام مرة واحدة، فنقل عنه أشعارَ عبد الله بن أنيس وهو يروي غزوة عبد الله بن أنيس لقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي[1].

-**أبو الحسن علي بن محمد المدائني**(ت: ٢٢٥هـ/٨٣٩م) [2]، هو العلامة الحافظ الصادق الأخباري، كان عالما بأيام الناس، وأخبار العرب، والفتوح، والمغازي[3]، ذكره ابن عدي بأنه " معروف بالأخبار، وأقل ما لَهُ من الروايات المسندة " [4]، وامتدحه الذهبي، فقال: صنف التصانيف، وكان عجباً في معرفة السير والمغازي والأنساب وأيام العرب، مصدقاً فيما ينقله، عالي الإسناد[5]، واعتبره ابن كثير أحد أئمة الأخباريين في زمانه[6]، وله من التصانيف فوق المائتين مصنف في المغازي، والسيرة النبويّة، وأخبار النساء، وتاريخ الخلفاء، وتاريخ الوقائع والفتوح، والجاهليين، والشعراء، والبلدان، حيث أورد له ياقوت الحموي قائمة بمؤلفاته في حوالي خمس صفحات[7].

---

(١) **ابن منقذ:** العصا ، ص ٣٥٦، ٣٥٧ . والنقل هنا عن ابن هشام نقل حرفي. انظر. **ابن هشام:** السيرة النبوية، ج٢، ص٦٢١ .

(٢) **أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني البصري،** ولد ونشأ بالبصرة وسكن المدائن، ثم انتقل الى بغداد وسكن بها إلى أن توفي، وله ثلاث وتسعون سنة. وسمع: قرة بن خالد، وهو أكبر شيخ له وشعبة، وجويرية بن أسماء، وعوانة بن الحكم وابن أبي ذئب وطبقته، وكان يسرد الصوم، ووثقه ابن معين وغيره. روى عنه الزبير بن بكار وغيره، له الكثير من التصانيف، منها: أخبار المنافقين، وكتاب الردة" وغيرهما. **عن سيرته انظر**: **ابن عدي:** الكامل في ضعفاء الرجال، ج٦، ص ٣٦٤ . **الخطيب البغدادي:** تاريخ بغداد، ج١٩، ص٩٧ . **ابن الجوزي:** المنتظم، ج١١، ص٩٤، ٩٥ . **ياقوت الحموي:** معجم الأدباء، ج٤، ص١٨٥٢-١٨٥٨. **الذهبي:** سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٤٠٠-٤٠٢، ميزان الاعتدال، ج٣، ص١٥٣. **ابن حجر:** لسان الميزان، ج٦، ص١٣ . **ابن العماد:** شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٣، ص ١١١ . **الزركلي:** الأعلام، ج٤، ص٣٢٣ . **بكر بن عبد الله:** طبقات النسابين، ص٥٤ .

(٣) **الخطيب البغدادي:** تاريخ بغداد، ج١٩، ص٩٧ . **ابن الجوزي:** المنتظم، ج١١، ص٩٥ .

(٤) الكامل في ضعفاء الرجال، ج٦، ص ٣٦٤ .

(٥) سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص ٤٠١

(٦) البداية والنهاية، ج١٤، ص٢٦٨ .

(٧) **ياقوت الحموى:** معجم الادباء، ج٤، ١٨٥٤-١٨٥٨ .

ومن هذه المؤلفات ما كتبه في أخبار النبيّ (ﷺ)، كتاب أمهات النبيّ(ﷺ)،. كتاب صفة النبيّ عليه السلام، كتاب أخبار المنافقين، كتاب عهود النبيّ عليه السلام. كتاب تسمية المنافقين ومن نزل فيه القرآن منهم ومن غيرهم، كتاب تسمية الذين يؤذون النبيّ(ﷺ)، وتسمية المستهزئين. كتاب رسائل النبيّ(ﷺ)، ... وغير ذلك من التصانيف . وللمزيد عن مصنفات المدائني انظر: **عماد عزام جوابرة:** علي بن محمد المدائني ودوره في=

ونقل أسامة عن المدائني (٢٥) رواية[١]، ولم يذكر أسامة أسماء مؤلفاته التي نقل منها، وجاءت بعض رواياته منقوله بإسناده الى النبي (ﷺ)[٢]، أو بإسناده إلى الصحابة كعبد الله بن عباس[٣]، ومصعب بن عبد الله الزبيري[٤]، وقد استعمل أسامة في الإشارة الى النقل عنه لفظ " المدائني " أو ينسبه إلى كنيته فيقول: أبو الحسن المدائني[٥] .

-**ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م)** [٦]، وقد نقل أسامة عنه مصرحاً به، ومعيناً كتابه الذي نقل عنه في رواية واحدة، وقد استعمل في الإشارة إليه لفظ " ابن قتيبة " فيقول: " ذكر ابن قتيبة – رحمه الله – في عيون الأخبار... " [٧] .

-**محمد بن جرير الطبري(٣١٠هـ/٩٢٣م)**، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن غالب. إمام المفسرين؛ ترك عدة مؤلفات نافعة، أبرزها تفسيره الكبير جامع البيان عن

=كتابة التاريخ، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، قسم التاريخ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس، فلسطين، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص١٧-٤٥ .

(١) المنازل والديار، ص٣٢٩، لباب الآداب، ص١٦، ١٨، ٣٥، ٤٠، ٤١، ٨٤، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٤، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩، ١٧٣، ١٨٩، ٣٤٤، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٨٩ . وقد ذكر عماد عزام أن أسامة نقل من المدائني (٢٧) رواية في كتاب لباب الآداب، ولكن الباحثة لم تقف إلا على (٢٤) رواية فقط في اللباب. **عماد عزام جوابرة:** علي بن محمد المدائني ودوره في كتابة التاريخ، ص٤٢٤ .

(٢) كقوله: "وعن أبي الحسن المدائني عن النبي (ﷺ)" . لباب الآداب، ص٨٤ .

(٣) قال: " قال أبو الحسن المدائني: قال عبد الله بن عباس رحمه الله...." . لباب الآداب، ص٩١.

(٤) قال: " روى المدائني عن مُصعب بن عبد الله الزبيري قال...". لباب الآداب، ص١٧٣ .

(٥) لباب الآداب، ٤٠، ٨٤، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٤، ١٠٧، ١٠٩، ٣٤٤، ٣٨٩ .

(٦) **أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري**، وقيل المروزي، النحوي اللغوي كان فاضلاً ثقة، سكن بغداد وحدث بها عن إسحاق بن راهويه وأبي حاتم السجستاني وتلك الطبقة، وروى عنه ابنه أحمد وابن دُرستُويه الفارسي، وتصانيفه كثيرة، منها: كتاب "المعارف" و "أدب الكاتب"، و "غريب القرآن الكريم" و "غريب الحديث"، و "عيون الأخبار"، و" طبقات الشعراء" وغير ذلك. وأقرأ كتبه ببغداد إلى حين وفاته، وقيل أن أباه مروزي، وأما هو فمولده ببغداد، وقيل بالكوفة، وأقام بالدِّينورِ مدةً قاضياً، فنسب إليها، وقال عنه ابن حجر أنه صدوق. انظر ترجمته في:

التنوخي، أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر المعري: تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، دار هجر ، القاهرة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص٢٠٩ . **الخطيب البغدادي:** تاريخ بغداد، ج١٠، ص١٦٨ . **القفطي:** إنباه الرواة، ج٢، ص١٤٣ . **الذهبي:** ميزان الاعتدال، ج٢، ص٥٠٣ . **ابن حجر:** لسان الميزان، ج٥، ص٨ . **حاجي خليفة:** سلم الوصول إلى طبقات الفحول، ج٢، ص٢٣٣ . **الزركلي:** الأعلام، ج٤، ص١٣٧.

(٧) العصا، ص١٠٩ ، ١١٠ .

تأويل آي القرآن، المشهور بين الجمهور بتفسير الطبري. وهو أول تفسير كامل وصل إلينا، أفاد منه كل من جاء بعده، ولهذا عدّ العلماء الطبري أبا التفسير، كما عدوه أبا التاريخ؛ لأن له كتابًا كبيرًا في التاريخ، سماه (تاريخ الرسل والملوك)، وقد اعتمد عليهما أسامة، وأخذ عنهم في عدة مواضع في كتابيه: (العصا)، و(لباب الآداب)[١]، إلا أنه في كتاب المنازل والديار أحال على كتاب نسبه أسامه له، لكنه لايوجد في قائمة مؤلفات الطبري عند من ترجموا له، وهو كتاب " نسب الصحابة "، وأفاد منه في روايتين، الأولى: ترجمة عن الصحابي أبا أحمد بن جحش بن رباب وبعض أخباره وقت فتح مكة، فقال[٢]: " أورد أبو جعفر محمد بن جرير الطبري – رحمه الله – في كتابه "نسب الصحابة" رضي الله عنهم، أن أبا أحمد بن جحش بن رباب، واسمه عبد، وأمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أسلم هو وأخواه عبد الله وعبيد الله – رحمهما الله – قبل مدخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح، وفرغ من خطبته، قام أبو أحمد على باب المسجد على جمل له، فجعل يصيح: أنشد الله يا بني عبد مناف حلفي، أنشد الله يا بني عبد مناف داري، فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان – رضوان الله عليه – فساره بشيء، فذهب عثمان إلى أبي أحمد فساره، فنزل أبو أحمد عن بعيره، وجلس مع القوم، فما سمع ذاكرها، حتى لقي الله عز وجل، فقال آل أبي أحمد: إن رسول الله ﷺ قال له: لك بها دار في الجنة " ، والثانية عن الصحابي عثمان بن الأرقم وداره فقال[٣]: " أورد أبو جعفر محمد بن جرير الطبري – رحمه الله – في كتاب "نسب الصحابة" رضوان الله عليهم عن عثمان بن الأرقم، أنه كان يقول: أنا ابن سبع الإسلام، أسلم أبي سابع سبعة، وكان داره بمكة على الصفا، وهي الدار التي كان النبي ﷺ، يكون فيها في أول الإسلام، وفيها دعا الناس إلى الإسلام، فأسلم فيها قوم كثير، وقال ليلة الاثنين فيها: "اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك: عمر بن الخطاب، أو عمرو بن هشام" فجاء عمر – رضوان الله عليه – من الغد بكرة، فأسلم في دار الأرقم، وخرجوا منها، فكثروا وطافوا بالبيت ظاهرين، ودعيت دار الأرقم دار الإسلام، وتصدق بها الأرقم على ولده، فقرأت نسخة صدقة الأرقم بداره: "بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما قضى الأرقم في ربعه ما حاز الصفا، أنها صدقة بمكانها

---

(١) لباب الآداب، ص٣٠٥، العصا، ص١٧، ٣٢، ٦١، ٢٤٠ .

(٢) المنازل والديار، ص٣٢٣-٣٢٥ .

(٣) المنازل والديار، ص٣٤٢ ،٣٤٣ .

من الحرم، لا تباع ولا تورث، شهد هشام بن العاص، وفلان مولى هشام بن العاص، قال: فلم تزل هذه الدار صدقة قائمة، بها ولده يسكنونها ويؤاجرون عليها، حتى كان زمن أبي جعفر المنصور ...".

فمن المحتمل أن يكون للإمام الطبري مؤلف بهذا الإسم كان موجوداً على عصر أسامة، واطلع عليه، ونقل منه وربما اختلط عليه الأمر لكن احالته عليه بهذه الطريقة تؤكد الإحتمال الأول، ومن هنا يصبح هذا الكتاب من المؤلفات الضائعة للطبري.

ويلاحظ من نقول أسامة عن الطبري أنه اعتمد على العديد من مؤلفاته، محيلاً عليه بذكره كنيته ولقبه واسمه كاملاً، فيقول: " أبو جعفر محمد بن جرير الطبري "، وقد يورده مع مصدر روايته فيقول: " روى محمد بن جرير الطبري رحمه الله عن ابن عباس قال: ... "[١].

-**الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ/١٠٧٢ م)**[٢]، وقد صرّح أسامة بالأخذ عنه في موضعين فقط[٣]، مع ذكر كتابه بصورة مختصرة كقوله: " روى الخطيب أبو بكر رحمه الله في تاريخه بإسناده، قال: ... "[٤]، حيث المقصود بتاريخه: " تاريخ بغداد ".

-**الامام الغزالي (ت٥٠٥ هـ/١١١١ م)** [٥]، وصرح أسامة بالأخذ عنه في موضع واحد إذ يقول: " أورد الشيخ الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي – رضي الله عنه

---

(١) العصا، ص٦١ .

(٢) **أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، المعروف بالخطيب:** أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين، ولد سنة (٣٩٢هـ/١٠٠٢م)، ومنشأه ووفاته ببغداد، تفقه على القاضي أبي الطيب الطبري، وأبي الحسن ابن المحاملي، واستفاد من الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وأبي نصر ابن الصباغ، وغيرهما رحمهم الله. وشهرته في الحديث مغنية عن الإطناب في ذكر مشايخه فيه، وكان فصيح اللهجة، عارفاً بالأدب، يقول الشعر، ولوعاً بالمطالعة والتأليف، من مصنفاته، تاريخ بغداد ، و البخلاء و الكفاية في علم الرواية، و الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع. **انظر ترجمته في: ابن الساعي:** الدر الثمين في أسماء المصنفين، ص٢٧٠ . **ابن خلكان:** وفيات الاعيان، ج١، ص٩٢ . **ابن كثير:** طبقات الشافعيين، ص ٤٤١ . **ابن الملقن:** العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، ٩٥ . **حاجي خليفة:** سلم الوصول إلى طبقات الفحول، ج١، ١٧٧ . **بكر بن عبد الله:** طبقات النسابين، ص١٠١ .

(٣) المنازل والديار، ص٢٧٧ ، العصا، ص٣٢٨ .

(٤) المنازل والديار، ص٢٧٧ .

(٥) **أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي**، حجة الإسلام، المعروف بالغزالي، الفقيه الشافعي كان إماماً في علم الفقه، وولي التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد ثم خرج الى الشام زائراً بيت المقدس، وقدم دمشق سنة (٤٨٩هـ/١٠٦٩م) وصنف بها بعض مصنفاته ثم رجع الى بغداد، وذهب الى خراسان، ودرس مدة=

– في فضائل مالك بن أنس – رضوان الله عليه – أن الرشيد سأل مالكاً: هل لك من دار؟ قال: لا، فأعطاه ثلاثة آلاف دينار، وقال: اشتر بها داراً، فأخذها مالك، ولم ينفقها، فلما أراد الرشيد الشخوص من المدينة، قال لمالك: ينبغي أن تخرج معنا، فإني عزمت أن أحمل الناس على الموطأ، كما حمل عثمان – رضوان الله عليه – الناس على القرآن، فقال له مالك: أما حملك الناس على الموطأ، فليس إلى ذلك سبيل؛ لأن أصحاب رسول الله (ﷺ) افترقوا بعده في الأمصار، فحدثوا – رضي الله عنهم – فعند كل أهل مصر علم، وقد قال رسول الله ﷺ: "اختلاف أمتي رحمة" وأما خروجي معك فليس إليه سبيل، فقال (ﷺ): "المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون" وقال ﷺ: "المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد" وهذه دنانيركم، كما هي، إن شتم خذوها، وإن شئتم دعوها "[1].

مرويات أسامة عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم:

روى أسامة بن منقذ عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين مما ورد في كتب السير والمغازي، وكتب الطبقات والتراجم، إضافة إلى كتب الأدب وغيرها.

ومن الملاحظ أنه نقل عن كبار الصحابة والتابعين الكثير من الآحاديث والأخبار التي تتعلق ببداية الخلق، وقصص الأنبياء، وعهد الرسول، وما جاء بعده من خلفاء، ولكنه اقتصر على نقل اسم الصحابي أو الراوي، وما رواه من أخبار دون ذكر السند، وقد وجد اختلافاً كبيراً في نقل عدد المرويات من صحابي الى آخر، فمنهم من نقل عنه رواية واحدة، ومنهم من نقل عنه أكثر من رواية.

=بطوس، وتوفى بها، من مصنفاته: "إحياء علوم الدين"، و "تهافت الفلاسفة" ، و "التبر المسبوك في نصيحة الملوك"، وغير ذلك، **انظر ترجمته في: ابن عساكر:** تاريخ مدينة دمشق، ج٥٥، ص٢٠٠ . **ابن الساعي:** الدر الثمين في أسماء المصنفين، ص٨٣-٨٩ . **ابن خلكان:** وفيات الأعيان، ج٤، ص٢١٦ . **السبكي:** طبقات الشافعية الكبرى، ج٦، ص١٩١ . **ابن الملقن:** العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، ص١١٦ .

(١) المنازل والديار، ص ٣٢٦ .

ومن أمثلة ذلك ما نقله أسامة عن عبد الله بن مسعود(ت ٣٢هـ/٦٥٢م)[١]، فقد نقل رواية واحدة في كتاب العصا[٢] أورد فيها: " أن سيدنا موسى (عليه السلام) أتى فرعون في زرمانقة يعني جُبَّة صوف " ، وأورد له خمسة أحاديث عن رسول الله ﷺ في كتابيه: لباب الآداب، والمنازل والديار [٣].

ومن مرويات أسامة عن الصحابة –أيضاً– ما نقله عن علي بن أبي طالب (ت٤٠هـ/ ٦٦١م)[٤]، فقد نقل عنه عشر روايات، هي: رواية واحدة في " كتاب

---

(١) **عبد الله بن مسعود** أبو عبد الرحمن الهذلي صاحب رسول الله (ﷺ) وخادمه حليف بني زهرة من المهاجرين الأولين، شهد بدرا، وهاجر الهجرتين، وشهد اليرموك، وحدث عن النبي (ﷺ)، روى عنه: ابن عباس، وابن عمر، وأبو موسى الأشعري، وعمران بن حصين، وابن الزبير، وأنس، وجابر، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وأبو رافع (مولى النبي)، وكان من فقهاء الصحابة، تولى بيت مال المسلمين بالكوفة بعد وفاة النبي، ثم قدم المدينة في خلافة عثمان بن عفان، فمات بها، فدفن بالبقيع سنة (٣٢هـ/٦٥٢م) وهو ابن بضع وستين سنة. **انظر ترجمته في: ابن سعد:** الطبقات الكبرى، ج٣، ص١١١، ج٦، ص٩٣ . **البخاري:** التاريخ الكبير، ج٥، ص٢ . **ابن حبان:** مشاهير علماء الأمصار، ص ٢٩ . **القرطبي**، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، ج٣، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص٩٨٧ . **ابن عساكر:** تاريخ دمشق، ج٣٣، ص ٥١. **الذهبي:** سير أعلام النبلاء، ج١، ص٤٦١ . **ابن حجر:** الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص١٩٨-٢٠١ .

(٢) ص١٤ .

(٣) لباب الآداب، ص٢٥٤، ٢٦١، ٢٧٣، ٢٨٢، المنازل والديار، ص٢٤٦ .

(٤) **علي بن أبي طالب** بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، آخر الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وابن عم رسول الله (ﷺ)، نشأ في حجره، وتزوج ابنته، وأول من أسلم من الصبيان في مكة، ولد في مكة، ونهض بأعباء العلم والعمل، واستشهد في رمضان سنة (٤٠هـ/٦٦٠م). **انظر ترجمته في: ابن سعد:** الطبقات الكبرى، ج٦، ٩١ . **ابن حبان:** مشاهير علماء الأمصار، ص٢٤ . **أبو نعيم الأصبهاني**، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني: معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، ج١، ط١، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص٧٥ ، ج٤، ص١٩٦٨ . **ابن عساكر:** تاريخ دمشق، ج٤٢، ص٣ وما بعدها . **ياقوت الحموي:** معجم الأدباء، ج٤، ص١٨٠٩ . **المزي:** تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج٢٠، ص٤٧٢ . **ابن حجر:** الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٤٦٤ . **الزركلي:** الأعلام، ج٤، ص٢٩٥ . **السيد أبو المعاطي النوري وآخرون:** موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلله،ج٣، ص٣٩ . **محمد أحمد درنيقة** : معجم أعلام شعراء المدح النبوي، ط١، دار ومكتبة الهلال، د.ت، ص٢٥٥ .

العصا " [١]، وخمس روايات في كتاب " لباب الآداب" [٢]، وأربع روايات في كتاب " المنازل والديار" [٣]، ومما نقله عنه على سبيل المثال: " روى علي بن أبي طالب – رضوان الله عليه –: أن الله تعالى لما أمر إبراهيم (عليه السلام) بعمارة البيت، خرج من الشام ومعه ابنه إسماعيل، وأمه هاجر، وبعث معه السكينة لها لسان تتكلم به، يغدو إبراهيم معها إذا غدت، ويروح معها إذا راحت، حتى انتهت به إلى مكة، فقالت لإبراهيم: ابن على موضعي الأساس، فرفع البيت هو وإسماعيل (عليهما السلام)، حتى انتهى إلى موضع الركن، فقال لابنه:، يا بني أبغني حجراً أجعله عليها علماً للناس، فجاءه بحجر فلم يرضه، فقال: أبغني غيره، فذهب يلتمس، فجاءه وقد أتى بالركن، فوضعه موضعه، فقال: يا أبة من جاءك بهذا الحجر؟ قال: من لم يكلني إليك يا بني، فلما رفع إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) القواعد من البيت جاءت سحابة مربعة، فيها رأس، فنادت: أن ارفعا على تربيعي" [٤].

ومن مروياته عن الصحابة ما نقله عن ابن عباس (ت ٦٨ هـ/٦٨٧ م) [٥]، فقد نقل عنه عدداً كبيراً من الروايات [٦]، كما أورد له أحاديث كثيرة في كتاب لباب الآداب[٧]، ومما نقله عنه على سبيل المثال في تفسير قوله تبارك وتعالى: إخباراً عن قارون: (فخسفنا به وبداره الأرض): " قال ابن عباس – رضي الله عنه –: شكا موسى – عليه

---

(١) ص ٦٥ .

(٢) ص ١٢٣، ٢٣٩، ٢٩٣، ٢٩٩، ٣٣٥ .

(٣) ص٢٤٦، ٢٧٥، ٣٥٥، ٣٥٧ .

(٤) المنازل والديار، ص ٣٥٧–٣٥٨ .

(٥) **أبو العباس عبد الله بن عباس** بن عبد المطلب القرشي الهاشمي: حبر الأمة، الصحابي الجليل، ولد بمكة، ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله (ﷺ) وروى عنه الأحاديث الصحيحة، وشهد مع علي بن أبي طالب الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها، له في الصحيحين وغيرهما ١٦٦٠ حديثاً. كان كثيراً ما يجعل أيامه يوماً للفقه، ويوماً للتأويل، ويوماً للمغازي، ويوماً للشعر، ويوماً لوقائع العرب، وينسب إليه كتاب في «تفسير القرآن»، جمعه بعض أهل العلم من مرويات المفسرين عنه في كل آية، فجاء تفسيراً حسناً. وأخباره كثيرة. **انظر ترجمته: ابن عساكر**: تاريخ مدينة دمشق، ج٢٩، ص٢٨٥. **الذهبي:** سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٣٣١ .

(٦) العصا، ص١٠، ٢٦، ٣٠، ٣٢، ٣٧، ٤٧، ٥٠، ٧١، المنازل والديار، ص٢٧٢، ٣٥٦، ٣٦٦، ٣٧٤ ، ٣٧٨ .

(٧) ص١٠، ١٥، ٣٤، ١٥٥، ١٦٣، ١٦٤، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٦٢، ٣١١، ٤٢٢ .

السلام – إلى الله عز وجل – قارون، فأمر الله تعالى الأرض أن تطيع موسى، فلما أقبل قارون وشيعته، قال موسى: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى أعقابهم، ثم قال: خذيهم، فأخذتهم إلى أوساطهم، ثم قال: خذيهم، فأخذتهم إلى أعناقهم، ثم قال خذيهم، فخسف بهم، وبدار قارون وكنوزه " (١) .

٤- مصادر أدبية ولغوية تضم بعض المعجمات اللغوية والكتب الأدبية والدوواين الشعرية والمجاميع الشعرية:

– **الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ/٧٨٦م)** (٢)، وقد صرّح أسامة بالأخذ عنه في موضعين فقط، في الموضع الأول ذكره دون تعيين الكتاب المنقول عنه، فقال: " قال الخليل ... " (٣)، وفي الموضع الثاني عيّن الكتاب المنقول عنه، ولم يذكر المؤلف، فقال: فقال: " قال صاحب كتاب العين ... " (٤).

– **أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني اللغوي (ت٢٠٦ هـ/ ٨٢١ م)** (٥)، أخذ عنه عنه أسامة في أربعة مواضع دون أن يحدد كتابه الذي نقل عنه بقوله : " قال أبو عمرو

---

(١) المنازل والديار، ص٢٧٢ .

(٢) **أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري**. وهو عربي الأصل من أزْد عُمان، لغوي ومعجمي ومنشئ علم العروض. نشأ الخليل بن أحمد بالبصرة، وتربّى فيها، وقد لازم حلقات أستاذيه عيسى بن عمر، وأبي عمرو بن العلاء، وقد روى الخليل عن أيوب وعاصم الأحول.. وغيرهما، وأخذ عنه سيبويه، والأصمعي، وهو عالم في اللغة والنحو والعروض والموسيقى، وكان شاعرًا. فتحت معرفته بالإيقاع والنظم له باباً لابتكار علم العروض، حيث اهتدى إلى أوزان الأشعار وبحورها وقوافيها. وأسدى بمجهوده هذا خدمة جليلة عظيمة للشعر العربي لم يسبقه إليها سابق، وجاراه فيها من أتى بعده، وظلت تُنسب إليه إلى اليوم، وللخليل من التصانيف: كتاب العين وهو أوّل معجم في العربية؛ كتاب النّغم؛ كتاب العروض؛ كتاب الشواهد؛ النقط والشّكل؛ كتاب الإيقاع. **انظر ترجمته في: التنوخي:** تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، ص١٢٣-١٣٤ . **ابن خلكان:** وفيات الاعيان، ج٢، ص٢٤٤ . **المزي:** تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج٨، ص٣٢٦ . **الذهبي:** سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٤٢٩ .

(٣) المنازل والديار، ص ٥٥ .

(٤) لباب الآداب، ص١٦٥ .

(٥) **أبو عمرو إسحاق بن مرار الشيباني:** لغوي أديب، من رمادة الكوفة. سكن بغداد، ومات بها، أصله من الموالي، جاور بني شيبان، وأدب بعض أولادهم، فنسب إليهم، وجمع أشعار نيف وثمانين قبيلة من العرب ودونها، وكان كلما عمل شعر قبيلة منها، أخرجها إلى الناس في (مجلد)، وجعلها في مسجد الكوفة، وأخذ عنه جماعة كبار منهم: أحمد بن حنبل، فقد كان يلزم مجالسه، ويكتب أماليه، ومن تصانيفه: "كتاب اللغات" و "كتاب الخيل"، و "النوادر" المعروف بـ "كتاب الجيم"، و "غريب الحديث". **انظر ترجمته في: التنوخي:**=

الشيباني... " [(١)]، أو قوله: " قال أبو عمرو ... " [(٢)]، وتركزت إفادات أسامة منه على توضيح بعض الألفاظ، مثل: البرك، والربع، والمخش[(٣)]، وخبر عن عروة بن الورد وزوجته سلمى[(٤)] .

– **عبد الملك بن قريب الأصمعي(٢١٦هـ/٨٣١م)**[(٥)]، راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، كان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها،

=تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، ص٢٠٧، ٢٠٨ . **الخطيب البغدادي:** تاريخ بغداد، ج٦، ص٣٢٧ وما بعدها . **ياقوت الحموي:** معجم الأدباء، ج٢، ص٦٢٥ . **المزي:** تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج٣٤، ص١٣٤ . **السيد أبو المعاطي النوري وآخرون:** موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلله، ج٤، ط١، عالم الكتب، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص٢٢٢ .

(١) المنازل والديار، ص٩٤، العصا، ص٩٦ .

(٢) المنازل والديار، ص١٦٥، لباب الآداب، ص١٦٨ .

(٣) عرّف أسامة البرك نقلا عن الشيباني بأنه ألفا بعير، وكذلك الربع وهو الفخذ من العشيرة، وكذلك المخش وهو الرجل الجرئ على الليل. ولكن لم أهتد إلى هذه التعريفات بنفس النص في كتاب " الجيم " **لأبي عمرو الشيباني**، تحقيق: إبراهيم الأبياي، راجعه: محمد خلف أحمد، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

(٤) أما هذا الخبر؛ فقد أحاله أسامة الى أبو عمرو الشيباني، وكان النقل فيه عن أبي الفرج الأصفهاني على نحو ما سيأتي ذكره في إشارة أسامة إلى مصادره .

(٥) **أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع، المعروف بالأصمعي،** وهو من أهل البصرة، وكان عالماً بالشعر والنحو، وبحراً فى اللغة، وإماماً فى الأخبار والنوادر والملح والغرائب، واحتل منزله مرموقة فى البلاط العباسى، حيث قربه هارون الرشيد، وأغدق عليه الأموال، وكان المأمون يرغب في مجاورته، ويرسل فى طلبه لحضور مجلسه، وثقه يحيى بن معين، وعلى بن المدين، وأحمد بن حنبل، وقال عنه ابو داود، وابن قتيبة بأنه صدوق، وقال عنه الذهبى أنه أحد الإخبارين والأئمة الصدوقين، وأثنى عليه الأخفش بقوله: "ما رأيت أحداً أعلم بالشعر من الأصمعى واثنى عليه الشافعى بقوله ما عبر أحد من العرب بأحسن من عبارة الأصمعي.. وتوفي في صفر سنة (٢١٦هـ/٨٣١م)، وقيل غير ذلك بالبصرة، وقيل بمرو. **انظر ترجمته في: البخاري:** التاريخ الكبير، ج٥، ص٤٢٨ . **التنوخي:** تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، ص٢١٨-٢٢٤ . **الخطيب البغدادي:** تاريخ بغداد، ج١٠، ص٤٠٩-٤١٨، تلخيص المتشابه في الرسم، تحقيق: سكينة الشهابي، ج٢، ط١، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٥م، ص٧٤٦-٧٤٧ . **القفطي:** إنباه الرواة، ج٢، ص١٩٧-٢٠٥ . **ابن خلكان:** وفيات الأعيان، ج٣، ص١٧٠-١٧٦ . **الذهبي:** سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص١٧٥-١٨١، ميزان الاعتدال، ج٢، ص٦٦٢ . **ابن كثير:** طبقات الشافعيين، ص١٤٤ . **حاجي خليفة:** سلم الوصول إلى طبقات الفحول، ج٢، ص٣٠٦، ٣٠٧ . **الزركلي:** الأعلام، ج٤، ص١٦٢ . **بكر بن عبد الله:** طبقات النسابين، ص٥٢ .

ويتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة. أخباره كثيرة جدا[1]. وكان الرشيد يسميه " شيطان الشعر "[2]، وله العديد من التصانيف[3].

أما عن الروايات التاريخية التي نقلها أسامة عنه، فقد نقل عنه ما يقرب من أربعة عشر رواية [4]، ومن عادة أسامة في النقل عنه أن يستعمل لفظ: " قال الأصمعي"، أو "روى الأصمعي"، أو "عن الأصمعي"، ولا يذكر اسمه كاملاً إلا في رواية واحدة قال: " قال الأصمعي، واسمه عبد الملك بن قريب "[5]، كما لم يذكر أسانيد الأصمعي في رواياته إلا في رواية واحدة، فقال: " وعن الأصمعي عن إسحق بن إبراهيم قال..." [6]، وكل نقله عنه نقل مباشر بدون تعيين الكتاب الذي نقل منه، سواء كان مصدره أحد كتب الأصمعي التي اطلع عليها، أو مصدر قريب نقل عن كتب الأصمعي.

-**عمرو بن بحر الجاحظ** (ت٢٥٥ هـ/ ٨٦٩ م) [7]، وقد صرّح أسامة بالأخذ عنه في موضع واحد فقط، وذكره دون تعيين الكتاب المنقول عنه، وقد استعمل اسمه كاملاً عند التصريح بالنقل عنه، فقال: " قال عمرو بن بحر الجاحظ ..." [8].

---

(١) **الزركلي:** الاعلام، ج٤، ص١٦٢ .

(٢) **التنوخي:** تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، ص٢٢٢ .

(٣) للإطلاع على مؤلفات الأصمعي. انظر: **القفطي:** إنباه الرواة، ج٢، ص٢٠٢-٢٠٤ . **ابن خلكان:** وفيات الأعيان، ج٣، ص١٧٦ . **الزركلي:** الأعلام، ج٤، ص١٦٢ .

(٤) لباب الآداب، ص٨٠، ١٤٥، ١٦٨، ٣٢٩ ، المنازل والديار، ص٩٧، ٢٤٦، ٢٦٦، ٢٧٦، ٢٩٧، ٢٩٨، العصا، ص٩٤، ١٧٠، ٢٢٠، ٢٢٨ .

(٥) العصا، ص ١٧٠ .

(٦) لباب الآداب، ص٨٠ .

(٧) **أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، الشهير بالجاحظ:** كبير أئمة الأدب، ورئيس ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. مولده ووفاته في البصرة. فلج في آخر عمره. وكان مشوه الخلقة. ومات والكتاب على صدره. قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه. له تصانيف كثيرة، منها: كتاب "الحيوان" في أربعة مجلدات، و "البيان والتبيين" و "سحر البيان" و "التاج" ويسمى أخلاق الملوك، و "البخلاء" و "المحاسن والأضداد" وغيرها. قال عنه الذهبي وابن حجر: أنه ليس بثقة، ولا مأمون، وكان من أئمة البدع .انظر ترجمته في: **الخطيب البغدادي:** تاريخ بغداد، ج٢، ص٢٠٨ . **ابن عساكر**، تاريخ دمشق، ج٤٥، ص٤٣١. **ابن خلكان:** وفيات الأعيان، ج٣، ص٤٧٠ . **الذهبي:** سير أعلام النبلاء، ج١١، ص٥٢٦، ميزان الاعتدال، ج٣، ص٢٤٧ . **ابن حجر:** لسان الميزان، ج٦، ص١٨٩ . **الزركلي:** الأعلام، ج٥، ص٧٤ . **بكر بن عبد الله:** طبقات النسابين، ص٦٤ .

(٨) العصا، ص ٢٩٢ .

-أبو الفرج الأصبهاني (ت ٣٥٦ هـ/٩٦٧ م) [(١)]،وقد صرّح أسامة بالأخذ عنه في ستة مواضع، وذكره دون تعيين الكتاب المنقول عنه، وقد استعمل عادة عند التصريح بالنقل عنه لفظ: " وروى أبو الفرج الأصبهاني ..." [(٢)].

- **أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م)** [(٣)] ، وقد أخذ أسامة عنه في في موضع واحد ، محيلاً عليه بذكر كنيته المشهور بها، مع تعيين اسم كتابه قائلاً : " ذكر أبو هلال العسكري اللغوي -رحمه الله- في كتاب (الأوائل) " قال: ... "[(٤)].

- **أبو العلاء المعرّيّ (ت ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م)**[(٥)]، ونقل أسامة له في كتاب العصا نصاً واحداً له أهميته من كتاب " القائف "، وهو من كتب أبي علاء المعري التي

---

(١) **أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي، الأصبهاني:** من أئمة الأدب، الأعلام في معرفة التاريخ والأنساب والسير والآثار واللغة والمغازي.ولد في أصبهان، ونشأ وتوفي ببغداد، وهو شيعي، وكان يبعث بتصانيفه سراً إلى صاحب الأندلس الأموي؛ فيأتيه إنعامه، من كتبه: "الأغاني"، لم يعمل في بابه مثله، جمعه في خمسين سنة، و "مقاتل الطالبيين"، و نسب بني عبد شمس"، و "القيان" و "الإماء الشواعر"، و "التعديل والإنصاف" وهو في مآثر العرب ومثالبها، و "جمهرة النسب" و "الديارات" وغير ذلك. **انظر ترجمته في: القفطي:** إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج٢، ص٢٥١. **ابن خلكان:** وفيات الأعيان، ج٣، ص٣٠٧ . **الذهبي:** ميزان الاعتدال، ج٣، ص١٢٣ . **ابن حجر:** لسان الميزان، ج٥، ص٥٢٦ . **الزركلي:** الأعلام، ج٤، ص٢٧٨ . **بكر بن عبد الله:** طبقات النسابين، ص٨٥ .

(٢) لباب الآداب، ص١٣٤، ١٣٧، ١٤١، ٢١٦، المنازل والديار، ص١٦٤، ٤٥٣، ٤٥٤ .

(٣) **أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد ابن يحي بن مهران اللغوي العسكري.** عالم لغوي رائد، له له جهد محفوظ في مجالات البلاغة والنقد والأدب، تتلمذ على يد خاله أبي أحمد العسكري صاحب شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف. وكثيرًا ما اختلطت أخبارهما، ونسب إلى أحدهما ما للآخر من أقوال أو مؤلفات. والمعلومات عن سيرته قليلة، سوى ما يذكرونه عن اشتغاله تاجرًا في الأقمشة احترازًا من الطمع والدناءة والتبذل، وقوله الشعر، واهتمامه بالأدب والنقد واللغة. والغالب على مؤلفاته الأدب وما يتصل به. فله كتاب : "جمهرة الأمثال"، و"ديوان المعالي ومعاني الأدب"، و"كتاب في شرح الحماسة"، وكتاب "أعلام المعاني في معاني الشعر" وله ديوان شعر؛ وكتاب "الأوائل"، و"كتاب الصناعتين الشعر والنثر"، وله كتب أخرى لغوية. **انظر ترجمته في: ياقوت الحموي:** معجم الأدباء، ج٢، ص٩١٨-٩٢٢ . **القفطي:** إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج٤، ص١٨٩ . **ابن الساعي:** الدر الثمين في أسماء المصنفين، ص٣٣٧ . **الزركلي:** الأعلام، ج٢، ص١٩٦ . **عادل نويهض:** معجم المفسرين، ج١، ص١٤١ .

(٤) العصا، ص٧٨ .

(٥) **أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان المعري، التنوخي.** شاعر ومؤلف عربي كبير، كان غزير غزير الفضل، شائع الذّكر، وافر العلم، غاية في الفهم، عالماً باللّغة، حاذقا بالنّحو، جيّد الشّعر، جزل=

لم تصل إلينا [١]، وقد أحال أسامة عليه بذكر اسمه وكنيته كاملاً بقوله: " قال أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري في كتابه المسمى بالقائف " .

ثانياً- الإسناد الى المصادر:

أ- **الإشارة الى المصادر**

اعتنى أسامة بذكر مصادره، مسنداً منقوله عنها – في الغالب الأعم – إليها، لكنه في معظم الأحيان يسند المنقول إلى المؤلف مع إغفال ذكر كتابه، كنحو قوله: " قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري..." [٢]، وقوله: " قال أبو الفرج الأصبهاني..." [٣]، وقوله: " قال القاضي الماوردي رحمه الله..." [٤]، وقوله: " قال ابن اسحاق رحمه الله..." [٥].

وربما يسند المنقول الى الكتاب دون ذكر مؤلفه، كقوله: "قال صاحب كتاب اللصوص..." [٦]، وقوله: " وقال صاحب المنضد..." [٧]، وقوله: " وقال صاحب كتاب العين..." [٨].

=الكلام وشهرته تغني عن وصفه، وفضله ينطق بسجيّته. كنيته أبو العلاء، ولقب نفسه برهين المحبسين. المحبس الأول فقد البصر، والثاني ملازمته داره واعتزاله الناس. ولد بمعرة النعمان،أصيب في آخر العام الثالث من عمره بالجدري، فعمي في الرابعة من عمره، ومن أشهر تلاميذه: أبو زكريا الخطيب التبريزي، وعلي بن المحسن بن علي التنوخي القاضي. وله كتّاب يملي عليهم مصنفاته، منهم: أبو محمد عبدالله بن محمد القاضي ابن أخيه، وله العديد من المصنفات. **انظر ترجمته في: ياقوت الحموي:** معجم الأدباء، ج١، ص٢٩٥ . **القفطي:** إنباه الرواة على أنباه النحاة، ج١، ص٨١ . **ابن الساعي:** الدر الثمين في أسماء المصنفين، ص ٢٦٤ . **ابن خلكان:** وفيات الأعيان، ج١، ص١١٣ . **الذهبي:** سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٢٣ ، ميزان الاعتدال، ج١، ص١١٢.

(١) العصا، ص ١٣٤ . **حسن عباس:** أسامة بن منقذ، ج٢، ص٢٤ .

(٢) العصا، ص١٧، ٦١ .

(٣) المنازل والديار، ص٤٥٣ .

(٤) المنازل والديار، ص٥٥، ٣٥٨، ٣٧٨ .

(٥) المنازل والديار، ص٥٦، ٥٩، ٣٥٨.

(٦) العصا، ص١٨٦ .

(٧) لباب الآداب، ص١٦٥ .

(٨) لباب الآداب، ص١٦٥ .

وربما نقل عن مؤلف دون نسبة الكتاب اليه بعنوانه الموضوع له كاملاً، مكتفياً بذكر كلمة مختصرة تدل عليه، مثل: " تاريخه "، أو " سيرته " ، كنحو قوله: " روى الخطيب أبو بكر – رحمه الله – في تاريخه بإسناده، قال: ... " [١]، وقوله: " روى ابن إسحاق – رحمه الله – في سيرته... " [٢]، حيث المقصود بتاريخ الخطيب أبو بكر: " تاريخ بغداد "، وبسيرة ابن اسحاق " السيرة النبوية لإبن اسحاق"، أو " السير والمغازي "، وكذلك قوله: " قال أبو نعيم الحافظ في كتاب الحلية " [٣] يقصد كتاب " حلية الأولياء وطبقات الأصفياء"، وقوله: " أورد الإمام أبو الليث السمرقندي – رحمه الله – في كتاب تنبيه الغافلين... " [٤]، ويقصد تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين[٥] .

ومع ذلك؛ فانه قد اهتم بنسبة بعض منقولهِ إلى مصادره على وجه قريب من الاكتمال كنحو قوله: " أورد أبو جعفر محمد بن جرير الطبري – رحمه الله – في كتابه نسب الصحابة رضي الله عنهم..." [٦]، وقوله: " أورد الشيخ الإمام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي – رضي الله عنه – في فضائل مالك بن أنس – رضوان الله عليه..." [٧]، [٧]، وقوله: " أورد الامام أبو الحسن يحيى بن نجاح – رحمه الله – في كتاب سبل الخيرات..."[٨]، وقوله: " وأورد الإمام الحافظ أبو القسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني – رحمه الله – في كتاب الترغيب والترهيب... " [٩]، وقوله: " ذكر ابن قتيبة – رحمه الله– في عيون الأخبار..."[١٠]، وقوله: " قال ابن فارس في كتاب مجمل اللغة..." [١١]، وقوله: " قال أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري في كتابه

(١) المنازل والديار، ص٢٧٧ .
(٢) العصا، ص٨٠ ، ٣٧٦.
(٣) العصا، ص٣٩٠ .
(٤) لباب الآداب، ص١٦١ .
(٥) **أبو الليث السمرقندي:** تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار ابن ابن كثير، دمشق– بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .
(٦) المنازل والديار، ص٣٢٣، ٣٤٢ .
(٧) المنازل والديار، ص٣٢٦ .
(٨) لباب الآداب، ص١٦٢، ٣٠٥ .
(٩) لباب الآداب، ص١٦٣ .
(١٠) العصا، ص١٠٩ .
(١١) العصا، ص٧٥ .

المسمى بالقائف ..." [1]، وقوله: " ذكر أبو هلال العسكري اللغوي رحمه الله في كتاب الأوائل، قال..." [2]، وقوله: " قال أبو الحسن علي بن محمد الصغاني في كتاب الفرائد والقلائد..." [3].

وقد يسند أسامة المنقول إلى مبهم كأن يقول: " جاء في بعض التفاسير في قوله..."[4]، و " قال أكثر المفسرين..." [5]، و" قال كثير من أهل التفسير..." [6]، و " قال بعضهم..." [7]، و " فذكر بعضهم..." [8]، وقوله: " وأنا مورد مختصر ما أورده أصحاب السير في ذلك..." [9]، وقوله: " ... هذا الخبر قد أورده كثير من أهل السير وتداولت ذكره الشعراء في أشعارهم " [10].

وفي أغلب الأحيان يهمل أسامة الإسناد الى المصدر المنقول منه، حيث لم يصرح في مواضع كثيرة من مؤلفاته بالنقل عن مصادره، وإن كان النقل في كثير منها، نقلاً متتابعاً، ومن ذلك قوله[11]:

" روى أن سليمان بن داود – عليهما السلام – كان إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه، فيقول لها: ما اسمك؟ فتقول: " كذا " ، فيقول: لأي شيء أنت؟ فإن كانت تغرس غرست، وإن كانت لدواء كتبت، فبينما هو ذات يوم يصلي، إذ رأى شجرة بين يديه، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخروب، قال: لأي شيء أنت؟ قالت: لخراب هذا البيت، فقال نبي الله سليمان – عليه السلام – " اللهم عم على الجن موتي، حتى يعلم الإنس أن الجن ما

---

(١) العصا، ص١٣٤ .
(٢) العصا، ص٧٨ .
(٣) لباب الآداب، ص٦٧ .
(٤) العصا، ص١٥ .
(٥) المنازل والديار، ص٣٦٨ .
(٦) لباب الآداب، ص٢٧٨ .
(٧) المنازل والديار، ص٣٩٢ .
(٨) العصا، ص٨ .
(٩) المنازل والديار، ص٣٦٢ .
(١٠) العصا، ص٢٥١ .
(١١) العصا، ص٥٢ . والأمثلة كثيرة على إهمال أسامة الإسناد إلى المصادر، كتاب العصا، ص ٦، ١٦، ١٨، ٢٩، ٦٦، ١٠٠، ١٢٧، ١٨٩، المنازل والديار، ١٢٠، ٢٤٧، ٢٨٥، ٤٣٩، ٤٥٦، ٤٥٧ .

كانوا يعلمون الغيب، فنحتها عصاً، فتوكأ عليها حولا ميتاً، فأكلتها الأرضة، فسقط، فتبينت الإنس أن الجن" لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين" .

ويقابلها لدى الإمام الطبري في " تاريخ الرسل والملوك "[1] قوله:

" حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: كان سليمان نبي الله إذا صلى، رأى شجرة نابتة بين يديه، فيقول لها: ما اسمك؟ فتقول: كذا وكذا، فيقول: لأي شيء أنت؟ فإن كانت لغرس غرست، إن كانت لدواء كتبت، فبينما هو يصلي ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخروب، قال: لأي شيء أنت؟ قالت: لخراب هذا البيت، فقال سليمان: اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الإنس، أن الجن لا يعلمون الغيب، فنحتها عصا، فتوكأ عليها حولا ميتا، والجن تعمل، فأكلتها الأرضة فسقط، فتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ". وهكذا فإن أسامة قد نقل عن الطبري في هذا الموضع دون عزو النقل اليه.

وأسامة في كثير من الأحيان يسند روايته إلى المصدر الرئيسي، ويهمل ذكر المصدر القريب المنقول منه، كنحو اسناده الى مجاهد في تفسيره وهو منقول من تفسير القاضي الماوردي، كقوله[2]: " وقال تبارك وتعالى: "... أو يكون لك بيت من زخرف[3] " " قيل: الزخرف: المنقوش وقيل: الذهب. قال مجاهد: لم أكن أدري ما الزخرف؛ حتى سمعنا في قراءة ابن مسعود رضى الله عنه: "بيت من زخرف". وأصله من الزخرفة، وهو تحسين الصورة ، ومنه قوله تعالى {حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ} [4]. والذين قالوا لرسول الله (ﷺ) هذا القول نفر من قريش، قال ابن عباس رضى الله عنه: وهم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، وأبو سفيان، والأسود بن المطلب بن أسد، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية، والعاص بن وائل، وأمية بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ".

---

(١) ج١، ص٥٠١ .

(٢) المنازل والديار، ص٣٧٣، ٣٧٤ .

(٣) سورة الإسراء ، من الآية ٩٣ .

(٤) سورة يونس، من الآية ٢٤ .

ويقابله لدى الماوردي[1].

" قوله عز وجل: {أو يكون لك بيت من زخرف} فيه وجهان: أحدهما: أن الزخرف النقوش ، وهذا قول الحسن. الثاني: أنه الذهب ، وهذا قول ابن عباس وقتادة ، قال مجاهد: لم أكن أدري ما الزخرف حتى سمعنا في قراءة عبد الله: بيت من ذهب. وأصله من الزخرفة وهو تحسين الصورة ، ومنه قوله تعالى {حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ}. والذين سألوا رسول الله ﷺ ذلك نفر من قريش. قال ابن عباس: هم عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو سفيان، والأسود بن عبد المطلب بن أسد، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، وعبد الله بن أمية، والعاص بن وائل، وأمية بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج.

ويمثل ذلك أيضاً قوله:

" ذكر أبو عمرو الشيباني أن عروة بن الورد أصاب امرأة من كنانة بكراً، يقال لها: سلمى، وتكنى أم وهب، فأعتقها، واتخذها لنفسه، فمكثت عنده بضع عشرة سنة، فولدت له أولاداً وهو لا يشك في أنها أرغب الناس فيه، وهي تقول له: لو حججت بي، فأمر على أهلي وأراهم؟ فحج بها، فأتى مكة، ثم أتى المدينة، وكان يخالط من أهل يثرب بني النضير، فيقرضونه إن احتاج. ويبايعهم إذا غنم، وكان قومها يخالطون بني النضير، فأتوهم وهو عندهم، فقالت لهم سلمى: إنه خارج بي قبل أن يخرج الشهر الحرام، فتعالوا إليه، وأخبروه أنكم تستحيون أن تكون امرأة منكم، معروفة النسب، صحيحته، سبية، وافتدوني منه، فإنه لا يرى أني أفارقه، ولا أختار عليه أحداً، فأتوه، فسقوه الخمر، فلما ثمل. قالوا له: فادِنا بصاحبتنا، فإنها وسيطة النسب، فينا معروفة، وإن علينا سبة أن تكون سبية، فإذا صارت إلينا، وأردت معاودتها، فاخطبها إلينا، فإنها تنكحك، فقال لهم: ذاك لكم، ولكن لي شرط فيها، أن تخيروها، فإن اختارتني انطلقت معي إلى ولدها، وإن اختارتكم انطلقتم بها، قالوا: ذاك لك، قال: دعوني أله بها الليلة، وأفاديها غداً، فلما كان الغد جاءوه، فامتنع من فدائها، فقالوا له: قد فاديتها منذ البارحة، وشهد عليه جماعة ممن حضر، فلم يقدر على الامتناع، وفادوها، فلما فادوها خيروها، فاختارت أهلها، ثم أقبلت

---

(١) **المـاوردي**: النكت والعيون، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ج٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت، ص٢٧٣ .

عليه: فقالت له: يا عروة. أما إني أقول فيك – وإن فارقتك – الحق: والله ما أعلم امرأة من العرب ألقت سترها على بعل خير منك، أغض طرفاً، وأقل فحشاً، وأعوذ يداً، وأحمى لحقيقة، وما مر علي يوم منذ كنت عندك إلا والموت فيه أحب إلي من الحياة بين قومك، لأني لم أكن أشاء أن أسمع امرأة من قومك تقول: أمة عروة وكذا وكذا، إلا سمعته، والله لا أنظر في وجه غطفانية أبداً، فارجع راشداً إلى ولدك، وأحسن إليهم، فقال عروة في ذلك:

أرقت وصحبتي بمضيق عمق ... لبرق من تهامة مستطير
سقى سلمى، وأين ديار سلمى ... إذا كانت مجاورة السدير
إذا حلت بأرض بني علي ... وأهلي بين زامرة وكير
ذكرت منازلاً من أم وهب ... محل الحي أسفل من ثبير
وأحدث معهد من أم وهب ... معرسنا بدار بني النضير
وقالوا: ما تشاء؟ فقلت: ألهو ... إلى الإصباح آثر ذي أثير
بآنسة الحديث رضاب فيها ... بعيد النوم كالعنب العصير
سقوني الخمر ثم تكنفوني ... عداة الله من كذب وزور " [(١)].

ويقابله لدى مصدره القريب المباشر الذي نقل عنه، وهو كتاب " الأغاني " لأبي الفرج الأصفهاني قوله[(٢)]:

" وذكر أبو عمرو الشيباني من خبر عروة بن الورد وسلمى هذه أنه أصاب امرأة من بني كنانة بكراً، يقال لها: سلمى، وتكنى أم وهب، فأعتقها، واتخذها لنفسه، فمكثت عنده بضع عشرة سنة، وولدت له أولاداً، وهو لا يشك في أنها أرغب الناس فيه، وهي تقول له: لو حججت بي، فأمر على أهلي وأراهم؟ فحج بها، فأتى مكة، ثم أتى المدينة، وكان يخالط من أهل يثرب بني النضير، فيقرضونه إن احتاج. ويبايعهم إذا غنم، وكان قومها يخالطون بني النضير، فأتوهم وهو عندهم، فقالت لهم سلمى: إنه خارج بي قبل أن يخرج الشهر الحرام، فتعالوا إليه، وأخبروه أنكم تستحيون أن تكون امرأة منكم معروفة النسب صحيحته سبية، وافتدوني منه، فإنه لا يرى أني أفارقه، ولا أختار عليه أحداً، فأتوه، فسقوه الخمر، فلما ثمل، قالوا له: فادنا بصاحبتنا، فإنها وسيطة النسب فينا معروفة، وإن

---

(١) المنازل والديار، ص٩٤ – ٩٦ . والأبيات من بحر الوافر.

(٢) **أبو الفرج الأصفهاني:** الأغاني، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، ج٣، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ص٥٣ ، ٥٤ .

علينا سبة أن تكون سبية، فإذا صارت إلينا، وأردت معاودتها، فاخطبها إلينا، فإننا ننكحك، فقال لهم: ذاك لكم، ولكن لي الشرط فيها، أن تخيروها، فإن اختارتني؛ انطلقت معي إلى ولدها، وإن اختارتكم انطلقتم بها، قالوا: ذاك لك، قال: دعوني أله بها الليلة، وأفاديها غداً، فلما كان الغد جاؤوه، فامتنع من فدائها، فقالوا له: قد فاديتنا بها منذ البارحة، وشهد عليه جماعة ممن حضر، فلم يقدر على الامتناع، وفاداها، فلما فادوه بها، خيروها، فاختارت أهلها، ثم أقبلت عليه: فقالت له: يا عروة. أما إني أقول فيك – وإن فارقتك – الحق: والله ما أعلم امرأة من العرب ألقت سترها على بعل، خير منك، أغض طرفاً، وأقل فحشاً، وأجود يداً، وأحمى لحقيقة، وما مر علي يوم منذ كنت عندك إلا والموت فيه أحب إليّ من الحياة بين قومك، لأني لم أكن أشاء أن أسمع امرأة من قومك، تقول: قالت أمة عروة وكذا وكذا، إلا سمعته، والله لا أنظر في وجه غطفانية أبداً، فارجع راشداً إلى ولدك، وأحسن إليهم، فقال عروة في ذلك ... " .

ومن الواضح أن النقلَ هنا عن كتاب " الأغاني" لتطابق النقل الحرفي منه، لكن أسامة نسب المعلومة إلى المصدر الذي اعتمده صاحب الأغاني، وهو أبو عمرو الشيباني النحوي اللغوي صاحب كتاب " الجيم " دون التصريح بالمصدر القريب المأخوذ عنه، وهو كتاب " الأغاني" .

ب- **<u>الإشارة إلى موضع النقل</u>**

لا يعني الإشارة إلى موضع النقل ذكر رقم الصفحة أو السطر المنقول عنه؛ لأن هذه الطريقة في الإسناد إلى المصادر ليست إلا من معطيات المنهج العلمي المعمول به حديثاً، فضلا عن أن هذا العمل كان متعذر الحصول في عصر لم تعرف فيه الطباعة، ولم تشع فيه الكتب بطبعاتها المختلفة، وإنما المعنى بذلك هو الموضوع المحدد المنقول عنه في أي موضع بالكتاب بحيث يمكن تحديده بسهولة لكل من كان عارفاً بتنظيم المصدر المنقول عنه ومنهجه[1].

---

(١) **محمد كمال الدين عز الدين:** التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر العسقلاني، ط١، دار اقرأ للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص٣٧٢ .

وقد حدد أسامة في بعض نقوله مكان نقله من مصدره، فمثال ذلك قوله: " ... وقد اختارها أبو تمام حبيب بن أوس الطائي[١] في حماسته في باب الأدب وهي..." [٢]، وقوله: " قال أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري [٣] في المقامة الرابعة من مقاماته..." [٤]، وقوله: " وقال أيضا في المقامة العشرين..." [٥]، وقوله: " وقال –أيضا– في المقامة السابعة والعشرين..." [٦]، وقوله: " وقال في التاسعة والأربعين في وصية أبي زيد لولده عند وفاته..." [٧].

ت- بداية النقل وانتهاؤه

أشار أسامة الى بدايات ونهايات نقوله بعبارات واصطلاحات معبرة عن ذلك أتت سابقة للمنقول نحو قوله: " قال " ، و" ذكر" ، و" أورد " ، " وعن " وغير ذلك مما يدل على بدأ النقل من المصدر المصرح به .

---

(١) **حبيب بن أوس بن الحارث الطائي (ت ٢٣١ هـ/٨٤٦ م)** ، أبو تمام: الشاعر، الأديب. أحد أمراء البيان. ولد في جاسم (من قرى حوران بسورية)، ورحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد، فأجازه، وقدمه على شعراء وقته فأقام في العراق. ثم ولي بريد الموصل، فلم يتم سنتين حتى توفي بها. له تصانيف منها: "فحول الشعراء"، و "ديوان الحماسة"، و "مختار أشعار القبائل"" وهو أصغر من ديوان الحماسة، و "الوحشيات" وهو ديوان الحماسة الصغرى، و "ديوان شعره". **انظر ترجمته: الخطيب البغدادي:** تاريخ بغداد، ج٨، ص٢٤٢ . **ابن عساكر**، تاريخ دمشق، ج٢، ص١٦ . **الذهبي:** سير أعلام النبلاء، ج١١، ص٦٣ . **السيوطي:** حسن المحاضرة ، ج١، ص٥٥٩. **حاجي خليفة:** سلم الوصول إلى طبقات الفحول، ج٢، ص٩.

(٢) العصا، ص٧٩ .

(٣) **أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، الحريري البصري**الأديب الكبير، صاحب "المقامات الحريرية"، من أهل بلد قريب من البصرة يسمى "المشان"، مولده ومنشؤه به، وسكن البصرة في محلة بني حرام، وقرأ الأدب على أبي القاسم الفضل بن محمد القصباني البصري بها، وسمع الحديث من أبي تمام محمد بن الحسن بن موسى المقرى، ومات ابن الحريري في سادس رجب سنة(٥١٦ هـ/١١٢٢ م)، ومولده في حدود سنة (٤٤٦هـ/١٠٥٤م) عن سبعين سنة في خلافة المسترشد، وبالبصرة كانت وفاته. . **انظر ترجمته في: ياقوت الحموي:** معجم الأدباء، ج٥، ص٢٢٠٢ . **الذهبي:** سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٤٦١ . **السبكي:** طبقات الشافعية الكبرى، ج٧، ص٢٦٦ . **الزركلي:** الأعلام، ج٥، ص١٧٧ .

(٤) العصا، ص٢٠٩ .

(٥) العصا، ص٢١٠ .

(٦) العصا، ص٢١٠ .

(٧) العصا، ص٢١١ .

وقد يفصل أسامة بين منقول مسند الى مصدره، وبين منقول آخر من مصدر آخر لكنه يتحدث في نفس الموضوع بقوله " قال" ... ويعين المصدر الآخر، أو يفصل بين منقول مسند الى مصدره وبين ما سوف يتبعه من قوله هو بقوله " قلت "، كما أنه يستعمل كلمة "قال" متخلله للمنقول مقطعة له، مشيرة إلى أن مصدر النقل ما زال ملازماً، ويتضح ذلك في رواية قتل كعب بن الأشرف حيث بدأ الخبر نقلاً عن ابن اسحاق، وباستمرار النقل عنه ذكر مرة أخرى: بقوله: " قال ابن اسحاق "، وعندما انتقل لينقل كلام الواقدي عن نفس الخبر قال: "قال الواقدي "، ثم لما استمر النقل عن الواقدي كرر ذكر بقوله: " قال الواقدي"، وفصل بين الخبر وبين ما سوف يتبعه من قوله هو، وهذا كالآتي: " قال ابن اسحاق رحمه الله ...، قال ابن اسحاق ...، قال الواقدي...، قال الواقدي... . قلت اقتضت الآية ذكر قتل كعب بن الأشرف فذكرته، وإن لم يكن مما قصدت له " [١].

وقد يفصل بين منقوله وآخر بنص قصير، يفهم منه انتهاء النقل، وذلك كالآتي: " وقال أبو الفتيان بن حيوس:

وللحمية لا عن زلة حكمت ... بالبعد فارقت إخواناً وأوطانا

تخيفني بلدة حتى أميل إلى ... أخرى، كأني عمران بن حطانا[٢]

قلت: ربما وقف على هذين البيتين من يتطلع إلى معنى قول أبي الفتيان: (كأني عمران بن حطان)، فرأيت أن أذكر شيئاً من أخباره، وإن لم يقتض التأليف ذلك.

عن الهيثم بن عدي قال: ...، قال ... .هذا الذي أشار إليه أبو فتيان بن حيوس"[٣].

ث- **<u>الاهتمام بموارد المصادر التي ينقل عنها:</u>**

عمد أسامة إلى اثبات منقوله، مسنداً الى مصادره الأصلية في موارده، توثيقاً لها، وللمادة العلمية المنقولة كذلك، ولعل في ذلك إدراكاً منه بأهمية هذا العمل في توضيح أفضلية المصدر الذي ينقل عنه، ومن أمثلة ذلك قوله: " روى محمد بن جرير الطبري

---

(١) المنازل والديار، ص٥٦-٦١ .

(٢)الأبيات من بحر البسيط .

(٣) المنازل والديار، ص٢٣١- ٢٣٦ .

– رحمه الله– عن ابن عباس قال: ... "[1]، وقوله: " : ما رواه قتادة عن أنس بن مالك – رحمه الله – قال: قال رسول الله ﷺ ... "[2]، وقوله: " قال ابن اسحق بإسناده عن كعب القرظي... " [3]، وقوله: " قال ابن اسحق رحمه الله عن رجل من أهل الشام كان بمصر ... " [4]، وقوله: " قال مقاتل في إسناده عن ابن عباس رحمه الله ... " [5].

ويهتم أسامة بذكر مصادر موارده التي ينقل عنها إذا كانت الرواية موضع استغراب منه، أو لا يقبلها عقله كقوله: " عن ابن الكلبي عن أبيه عن أشياخ من أهل ذمار – من أهل اليمن – أنه سمعهم يخبرون عن رجل من حمير من ذي الكلاع – وكان رجلاً جلداً شجاعاً، يركب الأهوال، وينفرد في الأسفار يقال له: تحياوة بن عمير قال ... " [6].

وهو هنا يورد الخبر مصاحباً لمصادر توثيقه لدى المصدر المنقول عنه، سواء بنسبته لأبيه، أو لشيوخ من أهل اليمن، أو للراوي الأصلي للرواية، لا توثيقاً للخبر في حد ذاته فحسب؛ بل تبرئه لساحة ابن الكلبي وتوثيقاً له، بالإضافة إلى أنه في المحافظة على مصدر مصدره هنا اقتضاء لمعهود أسامة من الأمانة العلمية بدليل أنه أورد عبارة قبل رواية الخبر تفيد ذلك، فقال: " مرت بي هذه الأبيات في خبر أنا مورده لاستغرابي إياه، وإن لم يكن مما يقتضيه التأليف، والعهدة فيه على من رواه ".

ثالثاً– طرق النقل:

أ– الالتزام الحرفي بمادة مصادره:

وفيه يَعمدُ أسامة إلى مصدره فينقل منه حرفيا، مع الحفاظ على النسق الترتيبي للمعلومة المنقولة، ويكون هناك تشابه كبير بين المعلومة، ومثلها في المصدر المنقول عنه من حيث اللفظ والنسق الترتيبي للمعلومة.

---

(١) العصا، ص٦١ .

(٢) المنازل والديار، ص٣٦٩ .

(٣) العصا، ص٣٥ .

(٤) العصا، ص٣٦ .

(٥) العصا، ص٣٦ .

(٦) المنازل والديار، ص٢٦١–٢٦٥ .

ومن ذلك ما أورده أسامة بقوله[1]:

" والزميع: الشجاع الذي يزمع بالأمر ثم لا ينثني، وهم الزمعاء، والمصدر الزماع ".

ويقابله لدى مصدره الأصلي المنقول منه:

" و الزميع: الشجاع الذي يزمع بالأمر ثم لا ينثني، وهم الزمعاء، والمصدر منه: الزماع " [2] .

ومن ذلك أيضاً قوله: " قال أبو الفرج الأصبهاني: ذُكِرَ عند النبي ﷺ قسّ بن ساعدة الإيادي، فقال رجل: يا رسول الله، لقد رأيت من قس عجباً، فقال: وما رأيت؟ قال: بينا أنا بجبل يقال له: سِمْعان، في يوم شديد الحر، إذا بقس بن ساعدة تحت ظل شجرة عند عين ماء، وعنده سباع، كلما زأر منها سبع على صاحبه، ضربه بيده، وقال: كف حتى يشرب الذي ورد قبلك، قال: ففرقت، فقال: لا تخف، وإذا بقبرين بينهما مسجد، فقلت: ما هذان القبران اللذان أراهما؟ قال: هما قبرا أخوين كانا لي، فماتا، فاتخذت بينهما مسجداً أعبد الله فيه حتى ألحق بهما، ثم ذكر أيامهما، فبكى، وأنشأ يقول:

خليليّ هبا، طال ما قد رقدتما ... أجدكما ما تقضيان كراكما؟

ألم تعلما أني بسمعان مفرد ... ومالي فيه من حبيب سواكما؟

أقيم على قبريكما لست بارحاً ... طوال الليالي أو يجيب صداكما

كأنكما، والموت أقرب غاية ... بجسمي في قبريكما قد أتاكما

فقال رسول الله ﷺ: "يرحم الله قساً"[3].

ويقابله لدى أبو الفرج الأصفهاني[4]:

" ... قال: لما قدم وفد إياد على النبي ﷺ قال: ما فعل قس بن ساعدة؟ قالوا مات يا رسول الله، قال: كأني أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل له أورق، وهو يتكلم بكلام

---

(١) لباب الآداب، ص ١٦٦ .

(٢) **الخليل بن أحمد الفراهيدي:** كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت، ج١، ص٣٦٨ .

(٣) المنازل والديار، ص٤٥٣ . والأبيات من بحر الطويل.

(٤) **أبو الفرج الأصفهاني:** الأغاني، ج١٥، ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

عليه حلاوة، ما أجدني أحفظه، فقال رجل من القوم: أنا أحفظه يا رسول الله ... . فقال رجل: يا رسول الله، لقد رأيت من قس عجباً، فقال: وما رأيت؟ قال: بينا أنا بجبل يقال له: سِمْعان، في يوم شديد الحر، إذا بقس بن ساعدة تحت ظل شجرة عند عين ماء، وعنده سباع، كلما زأر منها سبع على صاحبه ضربه بيده، وقال: كف حتى يشرب الذي ورد قبلك، قال: ففرقت، فقال: لا تخف، وإذا أنا بقبرين بينهما مسجد، فقلت: ما هذان القبران؟ قال: هما قبرا أخوين كانا لي، فماتا، فاتخذت بينهما مسجداً أعبد الله جل وعز فيه حتى ألحق بهما، ثم ذكر أيامهما، فبكى، ثم أنشأ يقول:

خليليّ هبا، طال ما قد رقدتما ... أجدكما ما تقضيان كراكما؟

ألم تعلما أني بسمعان مفرد ... ومالي فيه من حبيب سواكما؟

أقيم على قبريكما لست بارحاً ... طوال الليالي أو يجيب صداكما

كأنكما، والموت أقرب غاية ... بجسمي في قبريكما قد أتاكما[(١)]

فقال النبي ﷺ: "يرحم الله قساً".

ويلاحظ هنا أن أسامة التزم النقل الحرفي في النقل عن مصدره المصرح به.

ب- انتقاء المنقول مع الحفاظ على ألفاظ المصدر الأصلي والنسق الترتيبي للمورد الأساسي للمنقول:

وفيه يعمد أسامة إلى إحداث اسقاطات في النص للإختصار، مع الحفاظ على ألفاظ المصدر الأصلي والنسق الترتيبي للمنقول. ومن أمثلة ذلك قوله عن عمرو بن بحر الجاحظ[(٢)]: " الدليل على أن أخذ العصا، مأخوذ من أصل كريم، ومعدن شريف، اتخاذ سليمان بن دود -عليهما السلام- العصا لخطبته، وموعظته، ومقاماته، وطول صلواته، وتلاوته وانتصابه، فجعلها لتلك الخصال . وقول الله عز وجل: (فَلَمَّا قَضَيْنا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ما دَلَّهُمْ عَلى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ) " [(٣)].

والمنسأة هي العصا. وقال أبو طالب حين قام يذم الرجل الذي ضرب أبا نيقة، واسمه

---

(١)الأبيات من بحر الطويل.

(٢) العصا، ص ٢٩٢ .

(٣) سورة سبأ ، آية رقم (١٤) .

علقمة حين تخاصما:

أمن أجل حبلٍ ذي زِمَامٍ علوته ... بمنسأة قد جاء حبل وأحْبُلُ .

وبالرجوع الى المصدر الأصلي يتضح أن الجاحظ روى الآتي[١]:

" والدليل على أن أخذ العصا مأخوذ من أصل كريم، ومعدن شريف، ومن المواضع التي لا يعيبها إلا جاهل، ولا يعترض عليها إلا معاند، اتخاذ سليمان بن داود (ﷺ) العصا لخطبته وموعظته، ولمقاماته، وطول صلاته، ولطول التلاوة والانتصاب، فجعلها لتلك الخصال جامعة. قال الله عز وجل وقوله الحق: (فَلَمَّا قَضَيْنا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ما دَلَّهُمْ عَلى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ ما لَبِثُوا فِي الْعَذابِ الْمُهِينِ). والمنسأة هي العصا.

قال أبو طالب حين قام يذم الرجل الذي ضرب زميله بالعصا، فقتله حين تخاصما في حبل وتجاذبا:

أمن أجل حبل لا أباك علوته ... بمنسأة قد جاء حبل واحبل " .

ويلاحظ أنه أسقط ألفاظاً وجملاً تتخلل الجمل الواردة في عبارته عن المصدر الأصلي، وهي مثل جملة: " ومن المواضع التي لا يعيبها إلا جاهل، ولا يعترض عليها إلا معاند "، وكلمة طول الثانية التي جاءت في "ولطول التلاوة والانتصاب "، و كلمة "جامعة"، وكلمة: " وقوله الحق "، وكذلك أسقط نصف الآية القرآنية، ولعل دافع أسامة الى ذلك الاختصار، واهتمامه بالمادة الخبرية وسردها بعبارة تفيد المعنى وغير مخلة به . كما تصرف بالنص بوضع زيادة توضح ما أبهم مثل ذكره اسم الرجلين الضارب والمضروب، ومع ذلك حافظ على ألفاظ المصدر الأصلي والنسق الترتيبي للمنقول دون إبدال أو تغيير.

ت- التصرف في النص من حيث اللفظ تعديلاً وإبدالاً، زيادة واختصاراً مع الحفاظ على النسق الترتيبي للمورد الأساسي للمنقول:

ومن أمثلة ذلك قوله عن قوم سيدنا موسى (عليه السلام) عندما ابتلاهم الله عز وجل بالدم ليفسد عليهم معايشهم[٢]: " وفي رواية أبي جعفر محمد بن جرير الطبري أنهم

---

(١) **الجاحظ:** البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ج٣، ص ٢١ .

(٢) العصا، ص٣٢ .

كانوا لا يستقون من نهر ولا بئر إلا صار دماً، حتى كانت المرأة من القبط تقول للمرأة من بني إسرائيل: "أسقيني من مائك "، فتغرف لها من جرتها ماء، فيعود في إناء القبطية دما! فتقول: " أسقيني من فمك " فتمجه من فمها، فيصير دما " !

وبالرجوع الى المصدر الأصلي يتضح أن الطبري روى الآتي:

" ... فأرسل الله عليهم الدم؛ فصارت مياه آل فرعون دماً، لا يستقون من بئر ولا نهر، ولا يغترفون من إناء إلا عادت دماً عبيطاً.

حدثنا محمد بن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: فحدثني محمد بن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي أنه حدث أن المرأة من آل فرعون كانت تأتي المرأة من بني إسرائيل حين جهدهم العطش، فتقول: اسقيني من مائك، فتغرف لها من جرتها أو تصب لها من قربتها، فيعود في الإناء دما، حتى إن كانت لتقول لها: اجعليه في فيك ثم مجيه في في، فتأخذ في فيها ماء، فإذا مجته في فيها صار دماً،..." [(١)].

وبالدراسة المقارنة للنص لدى الطبري ومنقول أسامة عنه يتضح الآتي:

أولاً- أنه قد حافظ نوعاً ما على ألفاظ النص الا أنه قام بتعديل لبعض الجمل والألفاظ التي لا تضر بالمعنى، وذلك مثل تعديل لجملة: " لا يستقون من بئر ولا نهر، ولا يغترفون من إناء إلا عادت دماً عبيطًا " الى قوله: " لا يستقون من نهر ولا بئر إلا صار دماً "، وكذلك قول الطبري " حتى إن كانت لتقول لها: اجعليه في فيك ثم مجيه في في، فتأخذ في فيها ماء، فإذا مجته في فيها صار دماً " فأبدلها أسامة بقوله " فتقول: " أسقيني من فمك " فتمجه من فمها فيصير دما ".

ثانياً- أنه أسقط ألفاظاً وجملاً تتخلل الجمل الواردة في عبارته عن المصدر الأصلي وهى مثل: " عبيطاً "، و " حدثنا محمد بن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: فحدثني محمد بن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي أنه حدث "، و " حين جهدهم العطش "، و " أو تصب لها من قربتها "، ولعل دافع أسامة إلى ذلك الإختصار، واهتمامه بالمادة الخبرية وسردها بعبارة تفيد المعنى وغير مخلة به .

ثالثاً- على الرغم من اختصاره للنص على هذه الصورة، فإنه لم يشر الى ذلك على

---

(١) **الطبري**: تاريخ الرسل والملوك، ج١، ص٤١٨ .

عادة بعض المؤرخين التقليديين كالذهبي وغيره من قولهم في حالة انتقاء أو اختصار النص الأصلي المنقول عنه: " لخصت ترجمته من ..."، أو " ... هذا معنى ما ذكره... " وغيرها[1]. وإنما أسنده إلى مصدره قائلاً: " وفي رواية أبي جعفر محمد بن جرير الطبري أنهم..." .

ومن ذلك أيضاً قوله:

" أورد الإمام أبو الليث السمرقندي رحمه الله في كتاب (تنبيه الغافلين) " أن رجلاً حبشيا أتى النبي ﷺ، وقال: يا رسول الله، إني كما ترى: دميمُ الخلقة، منتن الريح، غير زاكي الحسب، فأين أنا إن قاتلت حتى أُقتل؟ قال: أنت في الجنّة. فأسلم الرجل، قال: عندي غنمٌ فكيف أصنع بها؟ قال: وجهها إلى المدينة ثم صِحْ بها، فإنها ترجع إلى أهلها. ففعل ذلك. ثم التحم القتال فاقتتلوا، فلما افترقَ القومُ. قال النبي ﷺ: (تفقدوا إخوانكم). ففعلوا، فقالوا: يا رسول الله، ذلك الرجل قُتل في وادي كذا. فقام النبي ﷺ معهم، فلما أشرف عليه قال: اليوم حسَّن الله وجهك، وطيّب ريحك، وزكّ حَسَبك. ثم أعرض عنه. فقالوا: رأيناك أعرضت عنه؟ قال: والذي نفسي بيده، لقد رأيت أزواجه من الحور العين ابتدرن حتى بدت خلاخلهنّ " [2].

ويقابل مقولته في المصدر الأصلي لها قول أبو الليث السمرقندي:

" ... وذُكِر أن رجلاً حبشياً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أنا كما تراني دميم الوجه، منتن الريح، غير زاكي الحسب، فأين أنا إن قاتلت حتى أقتل؟ قال: أنت في الجنة. فأسلم الرجل فقال: عندي غنم فكيف أصنع بها؟ فقال: وجهها إلى المدينة، ثم صح بها؛ فإنها سترجع إلى أهلها. ففعل ذلك، ثم اقتحم القتال، فاقتتلوا فلما تحاجز القوم قال النبي ﷺ: تفقدوا إخوانكم، ففعلوا، فقالوا: يا رسول الله ذلك الحبشي قتيل في وادي كذا. فقام النبي ﷺ معهم فلما أشرف عليه قال: اليوم حسن الله وجهك، وطيب ريحك، وزكى حسبك. فبكى، فأعرض عنه، فقالوا: رأيناك أعرضت عنه. فقال: "والذي نفسي بيده لقد رأيت

---

(١) **بشار عواد معروف:** الذهبي ومنهجه في كتابة تاريخ الإسلام، ص٤٠٨ . **محمد كمال الدين عز الدين:** التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر العسقلاني، ص٣٩٤ .

(٢) لباب الآداب، ص ١٦١، ١٦٢ .

أزواجه من الحور العين ابتدرن حتى بدت خلاخيلهن" [١].

ويلاحظ هنا الشبه الكبير بين النصين، حيث المحافظة على النص مع الإبدال الطفيف لبعض الكلمات أو التخفيف من بعض الألفاظ، حيث أبدل جاء بأتى، والوجه بالخلقة، واقتحم بالتحم، وتحاجز بافترق، مع اسقاط بعض الألفاظ التي لا يتغير المعنى باسقاطها مثل كلمة " الحبشي " في قوله ذلك الرجل الحبشي، فبكى.

ث- الالتزام بالحرفية للألفاظ مع تغيير النسق الترتيبي وتعديله:

وفيه يوجد تشابه كبيرٌ بين ألفاظ منقوله وبين مصدره، ولكن مع تعديل النسق الترتيبي للمصدر الأصلي. ومثال ذلك ما أورده نقلا عن ابن قتيبه، فقال: " ذكر ابن قتيبة – رحمه الله – في عيون الأخبار قول المتلمس:

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا ... وما علّم الإنسان إلّا ليعلما[٢]

وقال: قال أبو اليقظان: إن عمرو بن مالك بن ضبيعة هو الذي قيل فيه هذا الشعر، وذلك أنّ أخاه سعد بن مالك بن ضبيعة كان عند بعض الملوك، فأراد الملك أن يبعث رائداً يرتاد له منزلاً ينزله، فبعث عمرو بن مالك، فأبطأ عليه، فآلى الملك لئن جاء ذامّاً أو حامداً ليقتلنّه؛ فلما جاء عمرو وأخوه سعد عند الملك، قال سعد للملك؛ أتأذن لي أن أكلّمه؟ قال: إذن أقطع لسانك؛ قال: فأشير إليه؛ قال: فاذن أقطع يدك؛ قال: فأومىء إليه؛ قال: إذن أقطع حنو عينك؛ قال: فأقرع له العصا؛ قال: إقرع، فأخذ العصا، فضرب بها عن يمينه ثم ضرب بها عن شماله ثم هزّها بين يديه، فَلَقِن عمرو، فقال: أبيت اللّعن! جئتك من أرض زائرها واقف، وساكنها خائف، والشّبعى بها نائمة، والمهزولة ساهرة جائعة، ولم أر خصباً محلاً، ولا جدباً مزلاً. فنجا "[٣].

ويقابل ذلك في مصدره قوله[٤]:

" قال أبو اليقظان: إن عمرو بن مالك بن ضبيعة هو الذي قيل فيه:

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، ص: ٤٩٧ .

(٢)" البيت من بحر الطويل ".

(٣) العصا، ص١٠٩ ، ١١٠ .

(٤) **ابن قتيبة:** عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج٢، ص٢٢٤ ، ٢٢٥ .

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا ... وما علّم الإنسان إلّا ليعلما

وذلك أنّ سعد بن مالك كان عند بعض الملوك، فأراد الملك أن يبعث رائداً يرتاد له منزلا ينزله، فبعث بعمرو فأبطأ عليه، فآلى الملك لئن جاء ذامّاً أو حامداً ليقتلنّه؛ فلما جاء عمرو وسعد عنده، قال سعد للملك؛ أتأذن لي فأكلّمه؟ قال: إذا أقطع لسانك؛ قال: فأشير إليه؛ قال: إذا أقطع يدك؛ قال: فأومىء إليه؛ قال: أقطع حنو عينك؛ قال: فأقرع له العصا؛ قال: إقرع فأخذ العصا، فضرب بها عن يمينه ثم ضرب بها عن شماله ثم هزّها بين يديه، فلقن عمرو، فقال: أبيت اللّعن! أتيتك من أرض زائرها واقف، وساكنها خائف، والشّبعى بها نائمة، والمهزولة ساهرة جائعة، ولم أر خصباً محلاً، ولا جدباً هزلاً ".

وهو هنا يورد نص مصدره وقد حافظ على لفظه مع تغيير طفيف مثل ابدال أتيتك بجئتك، أو زيادة في النص مثل كلمة " أخاه " و " فنجا "، وإن عدل النسق الترتيبي المصاحب له.

ومثل ذلك –أيضاً– ما رواه عن أبي الفرج الأصفهاني، قال: " وروى أن هذا الشعر لعيسى بن قدامة الأسدي، وكان له نديمان، فماتا براوند فكان يجيء، فيجلس بين القبرين بموضع، يقال له: حزاق، فيشرب، ويصب على القبرين، حتى يقضي وطره، وينصرف، وينشد وهو منصرف ... " (١).

ويقابل ذلك في مصدره قوله: " ... قال عيسى بن قدامة الأسدي،وكان قدم قاسان، وكان له نديمان، فماتا، وكان يجيء فيجلس عند القبرين، وهما براوند، في موضع يقال له: حزاق، فيشرب، ويصب على القبرين، حتى يقضي وطره، ثم ينصرف، وينشد وهو يشرب ... "(٢).

وأسامة هنا التزم بحرفية ألفاظ مصدره قدر امكانه مع تغيير طفيف في النسق الترتيبي؛ إذ قدّم البلدة التي بها القبرين، وذكر أن بها ماتا، وبتغيير النسق الترتيبي غيّر معنى الكلام، إذ يفهم من كلام أسامة أنهما ماتا بهذه البلدة، ولكن يفهم من مصدره أنهما يحتمل موتهما فيها، أو لا، ولكن قبرهما في هذه البلدة، وبتغيير أسامة للنسق الترتيبي أبدل معنى الكلام .

---

(١) المنازل والديار، ص٤٥٤ .

(٢) **أبي الفرج الأصفهاني:** الأغاني، ج١٥، ص ١٦٥ .

ج- التصرف في اللفظ والنسق الترتيبي معاً:

ويمثل ذلك قوله:

" قال مقاتل: دخل نبي الله سليمان- عليه السلام- في السن، فما دلهم على موته إلا الأرضة، وكان داود - عليه السلام- أسس بيت المقدس، فوضع فسطاط موسى - عليه السلام- فمات قبل أن يبني، فبناه سليمان - عليه السلام- بالصخر والقار، فلما حضره الموت قال لأهله: لا تخبروا الجن بموتي، حتى يفرغوا من بنائهم. وقد كان بقي منه عمل سنة، فلما حضر موته، وهو مُتَّك على عصاه، وقد كان أوصى أن يكتموا موته، ولا يبكوا عليه سنة، لئلا يتفرق الجن. فلما فرغوا من بنائه سلط الله- سبحانه وتعالى- على أسفل عصاه الأرضة ، فذلك قوله- سبحانه وتعالى-:(فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ) [(١)]. فخر عند ذلك سليمان - عليه السلام- فرأته الجن، فتفرقت " [(٢)].

ويقابله في تفسير مقاتل بن سليمان المصدر المنقول منه الآتي:

" **فلما قضينا عليه:** على سليمان، **الموت:** وذلك أن سليمان- عليه السلام- كان دخل في السن، وهو في بيت المقدس، **ما دلهم:** ما دل الجن، **على موته:** على موت سليمان، **إلا دابة الأرض:** يعني الأرضة، وذلك أن الجن كانوا يخبرون الإنس أنهم يعلمون الغيب الذي يكون في غد، فابتلوا بموت سليمان ببيت المقدس، وكان داود أسس بيت المقدس موضع فسطاط موسى- عليه السلام- فمات قبل أن يبني، فبناه سليمان بالصخر والقار، فلما حضره الموت قال لأهله: لا تخبروا الجن بموتي حتى يفرغوا من بناء بيت المقدس. وكان قد بقي منه عمل سنة، فلما حضره الموت، وهو متكئ على عصاه، وقد أوصى أن يكتم موته، وقال: لا تبكوا علي سنة، لئلا يتفرق الجن عن بناء بيت المقدس. ففعلوا. فلما بنوا سنة وفرغوا من بنائه سلط الله- عز وجل- عليه الأرضة عند رأس الحول على أسفل عصاه، فأكلته، فذلك قوله- عز وجل، **تأكل منسأته:** أسفل العصا، فخر عند

(١) سورة سبأ: من الآية ١٤ .

(٢) العصا، ص٥٢ ، ٥٣ .

ذلك سليمان ميتا، فرأته الجن، فتفرقت"[١].

والظاهر من هذا النص أن أسامة تصرف في النسق الترتيبي بتأخيره الآية القرآنية، وتصرف في النسق التعبيري أو اللفظي بإسقاط بعض الألفاظ والجمل التي لا تضر بالمعنى، مثل: (أن الجن كانوا يخبرون الإنس أنهم يعلمون الغيب الذي يكون في غد فابتلوا بموت سليمان ببيت المقدس، بناء بيت المقدس، بنوا سنة، عند رأس الحول)، وبإبدال عز وجل بسبحانه وتعالى .

ويمثل ذلك أيضاً قول أسامة[٢]:

" وقال صاحب (كتاب العين) : الشجاع يجمع شجعان، والشجاع الحية الذكر " .

ويقابله لدى المصدر الأصلي المنقول منه الآتي: " ... والشجاع: بعض الحيات، وجمعه: شجعان "[٣] .

وهو هنا تصرف في النسقين الترتيبي والتعبيري كما هو واضح .

(١) **مقاتل بن سليمان:** تفسير مقاتل، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ج٣، ط١، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٥٢٨ .

(٢) لباب الآداب، ص١٦٥ .

(٣) **الخليل بن أحمد: كتاب** العين، ج١، ص٢١١ .



الفصل الرابع

منهج أسامة بن منقذ فى الكتابة التاريخية

أولاً: منهجه في عرض الحوادث والأخبار التاريخية.

أ- اتجاهات أسامة التاريخية.

ب- عرض الحوادث والأخبار التاريخية.

ت- انتقاء الحوادث والأخبار التاريخية.

ثانياً: منهجه في كتابة التراجم.

ثالثاً: منهجه في عرض أخبار الصالحين وكراماتهم.

رابعاً: منهجه في عرض أخبار الصيد والقنص والجوارح.

خامساً: أسلوبه وطريقته في الكتابة التاريخية.

أ- أسلوبه في الكتابة التاريخية.

ب- طريقته في الكتابة التاريخية.

سادساً: دراسة نقدية لمنهج أسامة في الكتابة التاريخية.

سابعاً: مفهوم التاريخ والهدف من كتابته عند أسامة بن منقذ.





منـهج أسامة بن منقذ فى الكتابة التاريخية

أولاً: **منـهجه في عرض الحوادث والأخبار التاريخية:**

أ- اتجاهات أسامة التاريخية:

اتضحت اتجاهات أسامة بن منقذ التاريخية في تناوله للأحداث والأخبار، فقد اهتم اهتماماً كبيراً بالحوادث والأخبار السياسية والعسكرية؛ وذلك يرجع إلى خبرته العسكرية، فهو من فرسان عصره، وحضر معظم المعارك والوقائع التي حدثت فيه، بالإضافة إلى مكانته السياسية والإجتماعية، الأمر الذي جعل اهتماماته بالحدث السياسي والعسكري تختلف عن اهتمامات غيره من المؤرخين المعاصرين له، مما انعكس على رواياته التي قدمها لنا، فكانت ذات طابع مختلف عن تلك التي قدمها معاصريه عن نفس الحدث، فهو يهتم بتفاصيل الطعن والقتال، وأثر الطعنة على المتلقي لها، وما آل إليه المطعون بعد ذلك من حياة أو موت، ويوضح الأساليب التكتيكية التي اتُّبِعَت في المعركة، وغير ذلك من أمور أغفلها العديد من المؤرخين؛ لبعدهم عن الفروسية والحرب.

ويتضح ذلك من عقد مقارنة بين أسامة وعدد من المؤرخين المعاصرين واللاحقين[١] في تناول حدث معين من الأحداث التاريخية، وليكن مثلاً: المعركة التي حدثت بين الصليبيين وشرف الدين مودود سنة (٥٠٥هـ/١١١١م) قرب مدينة شيزر[٢].

لم يحدد أسامة سبب هذه المعركة؛ لأنه لم يعن بذكر أسباب الأحداث والمعارك بقدر عنايته باستخلاص العبرة منها، في حين أن ابن القلانسي وابن الأثير ذكرا السبب بأنه: " لمّا عرف الافرنج رحيل العساكر التي كانت مع شرف الدين مودود، وتفرقهم، اجتمعوا ونزلوا أفامية بأسرهم، بغدوين وطنكري وابن صنجيل بعد التباين والمنافرة والخلف، وصاروا يداً واحدة، وكلمةً متفقةً على الاسلام وأهله، وساروا لقصدهم، فخرج سلطان بن منقذ من شيزر بنفسه وجماعته، واجتمع مع أتابك ومودود، وحرضهما على الجهاد، وهون عليهما

---

(١) **أمثال: ابن القلانسى ، وابن الأثير، وابن العديم، وفوشيه الشارتري، ووليم الصوري.**

(٢) **ابن القلانسى:** تاريخ دمشق، ص ٢٧٩-٢٨٣. **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٩١-٩٢ . **ابن الأثير:** الكامل، ج٩، ص ١٤٣، ١٤٤. **ابن العديم:** زبدة الحلب، ج١، ص ٣٦٥، ٣٦٩-٣٧١ . **فوشيه الشارتري:** الاستيطان الصليبي في فلسطين، ص ٢١٦-٢١٨ . **وليم الصوري:** الحروب الصليبية،ج٢، ص ٢٩٦.

أمر الافرنج، فرحلوا، وقطعوا العاصي، ونزلوا في قبلي شيزر" [١] ، أما فوشيه الشارتري فله رأي مخالف إذ يقول: " وكان ذلك لأنهم قد خططوا بمهارة وخبث لاستفزاز تنكرد لكي يخرج لمحاربتهم، ثم ينقضوا عليه، ويدمروه بعيداً عن أنطاكية، ولكن تنكرد قابل المكر بالمكر؛ لأنه لم يكن يريد أن يضيع سمعته بالتهور الأحمق، وأرسل رسله إلى الملك بلدوين..." [٢]، وكان لوليم الصورى نفس رأي الشارتري، حيث قال: " وإذا كان –الجيش الفارسي– يعتمد على كثرة عدده، فقد كان يطمع أن يرغم تانكريد على الخروج والاندفاع في مهاجمته دون أن يأخذ حذره، غير أن تانكريد كان رجلاً كيساً، لايصدر عنه عمل إلا عن روية وتفكير، فبعث تانكريد بالكتب على أيدي رسل من قبله إلى بلدوين" [٣] .

أما عن تحديد زمن المعركة والأطراف المشتركين فيها؛ فقد حددها أسامة بدقة قائلاً: " فمن ذلك أن اسباسلار مودود –رحمه الله– نزل بظاهر شيزر، يوم الخميس تاسع ربيع الأول سنة خمس وخمسمائة. وقد قصده دنكري، صاحب أنطاكية، في جمع كثير" [٤]، في حين أن ابن القلانسي وابن الأثير حدداها بقولهم: " وذلك في شهر ربيع الأول" [٥]، وحددها الشارتري بقوله" فى سنة (١١١١م) خرجت جموع غفيرة من الأتراك من فارس"؛ أي أنه حدد الوقعة بسنة (٥٠٥هـ/١١١١م)، ولم يحدد فى أي شهر مع أنه كان حاضر تلك الوقعة وشاهد عيان [٦]. ولم يحددها ابن العديم أو وليم الصوري.

وبالنسبة لمكان القتال والتأهب والاستعداد له، فقد وصفه أسامة بدقة متناهية، إذ يقول: " فخرج إليه عمي ووالدي –رحمهما الله– وقالا: " الصواب أن ترحل (وكان نازلاً شرقي البلد على النهر)، وتنزل في البلد، ويضرب العسكر خيامهم على السطوحات في المدينة! ونلقى الإفرنج بعد أن نُحرز خيامنا وأثقالنا " ، فرحل، ونزل كما قالا له، وأصبحا خرجا إليه، وخرج من شيزر خمسة آلاف راجل مُعَدّين، ففرح بهم اسباسلار، وقويت نفسه. وكان معه –رحمه الله– رجال جياد. فصفّوا من قِبْليّ الماء، والإفرنج نزول شمالية " ،

---

(١) تاريخ دمشق ، ص٢٨٣ . الكامل، ج٩، ص١٤٤ .

(٢) **الشارتري:**الاستيطان الصليبي في فلسطين تاريخ الحملة الى بيت المقدس، ص٢١٦، ٢١٧ .

(٣) الحروب الصليبية، ،ج٢، ص ٢٩٦ .

(٤) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٩١، ٩٢ .

(٥) تاريخ دمشق ، ص٢٨٣. الكامل، ج٩، ص١٤٤ .

(٦) **الشارتري:** الاستيطان الصليبي في فلسطين تاريخ الحملة الى بيت المقدس، ص٢١٦ .

ويتفق معه ابن القلانسي في تحديد مكان المعركة بقوله: "ونزلوا في قبلي شيزر، وصار سوق العسكر في سوق شيزر، ونزل عسكر مودود حول شيزر وبالغ ابن منقذ وجماعته في الخدمة والمواصلة بالميرة، وأصعد أتابك ومودود وخواصهما إلى حصن شيزر، وباشر خدمتها بنفسه وأسرته، ونزل الإفرنج شمالي تل ابن معشر"، أما ابن الأثير فلم يذكر سوى أنهم رحلوا إلى شيزر، ونزلوا عليها، ونزل الفرنج بالقرب منهم[١]، وأما ابن العديم فأوجز بقوله: " نزلوا قبلي شيزر والفرنج شمالي تل ابن معشر[٢]، وأما فوشيه الشارتري ووليم الصوري فقد اتفقا مع المؤرخين المسلمين في تحديد المكان، أما عن استعداد الطرفان للقتال، فكان لفوشيه الشارتري رأي مخالف، ولا يقبله عقل، مع العلم أنه ذكر أنه كان حاضراً في هذه المعركة، فقال: " فإن الأتراك عندما عرفوا أن الفرنج يسيرون ضدهم، اختبئوا في ضواحي وتحصينات المدينة المذكورة، ... ومع ذلك فإنهم عندما رأوا جنودنا، وهم يقتربون منهم، خرجوا من التحصينات المذكورة، وأظهروا أنفسهم لرجالنا، بيد أنهم تذرعوا بالحذر، ولم يجرءوا على التقدم. كما أنهم لم يرغبوا في الهرب، أما جنودنا الذين كانوا يسيرون في جماعات، فإنهم عندما شاهدوا العدو يجري هنا وهناك عبر أنحاء البلاد، ولا يستعد للقتال، أحجموا عن مهاجمتهم، ولم يرغبوا في المخاطرة " [٣].

وقد رجح بعض الباحثين بأنه لم يكن وراء إظهار الشارتري للمسلمين بصورة هزيلة ضعيفة بأنهم اختبئوا في تحصينات شيزر، إلا العاطفة الدينية والوهم الذي سيطر على الفرنج أنفسهم، بأن مرد تفوقهم على المسلمين حماية الرب لهم، وجزء من المعجزات الكبرى[٤].

وتتفق الباحثة معه في أنه توهم خروجهم من تحصينات شيزر على أنه خوف من الصليبيين ، ونعذره فيما توهم، ولكن لا نعذره فيما أنكر ذكره عن أحداث المعركة، وهو شاهدها وعاين أحداثها، إذ يقول: " فإن الأتراك الذين مسهم الخوف والحذر البادي من كلا

---

(١) **ابن الأثير**: الكامل، ج٩، ص١٤٤.

(٢) **ابن العديم**: زبدة الحلب، ج١، ص ص٣٧١ .

(٣) الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ص٢١٦، ٢١٧ .

(٤) **لؤي إبراهيم بواعنة**: رؤية المؤرخين الفرنج لواقع المسلمين إبان الحملة الصليبية الأولى(٤٩٠-٥٢١هـ/ ١٠٩٦ -١١٢٧م)، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، الأردن، مج(٥)، عدد(٣)، ٢٠١١م، ص٧٣ .

الجانبين، بقوا هناك، وعاد رجالنا من حيث جاءوا " [١] ثم علل رجوعهم بسبب " نقص طعام الرجال، وعلف الحيوان، فلم يستطع الفرنج البقاء هناك أكثر من ذلك، وعاد الملك الى بيت المقدس، وكنت معه، وعاد تنكرد الى أنطاكية " [٢]، وها هو وليم الصوري أيضاً يتوافق هواه مع الشارتري بقوله: " وأخذ كل من الجيشين يطالع الآخر ويتأمله وانتهى الأمر – أخيراً– بانصراف الترك عن القتال، ومغادرة تلك الناحية، واستأذن الصليبيون بعضهم بعضاً في الرجوع، فعاد كلٌ الى بلده " [٣].

في حين أن أسامة وصف أحداثها بدقة شديدة، فقال: " فصفّوا من قِبْليّ الماء، والإفرنج نزول شمالية، فمنعوهم من الشرب والورود نهارهم. فلما كان الليل رحلوا راجعين إلى بلادهم، والناس حولهم، فنزلوا على تل الترمسي. فمنعوهم الورود كما عملوا بالأمس، فرحلوا في الليل، ونزلوا على تل التلول، والعسكر قد ضايقهم ومنعهم من المسير، فاحتاطوا بالماء، ومنعوهم من الورود، ورحلوا في الليل متوجهين إلى أفامية، ففزع إليهم العسكر، واحتاطوا بهم وهم سائرون، فخرج منهم فارس واحد، فحمل على الناس حتى توسّطهم، فقتلوا حصانه، وأثخنوه بالجراح، فقاتل وهو راجل حتى وصل إلى أصحابه، ودخل الإفرنج أرضهم، وعاد المسلمون عنهم، ومضى اسباسلار مودود إلى دمشق " [٤].

وتشابهت رواية ابن القلانسي مع رواية أسامة بقوله: " ودبر أمر العسكر أحسن تدبير، وثبت الخيل من جميع جهاتهم تطرق حولهم، وتجول عليهم، وتمنع من الوصول إليهم، وضيقوا عليها، وجلوهم عن الماء، وذادوهم عن العاصي؛ لكثرة الرماة على شطوطه وجوانبه من قبليه، فما يدنوا منه من الإفرنج شخص إلا وقد قتل، وطمع الأتراك فيهم، وسهل أمرهم عليهم، وكانت خيل المسلمين، مثل خيل الافرنج، إلا أن راجلهم أكثر، وزحف الأتراك، إليهم فنزلوا للحرب عن تل كانوا عليه، فهجمت الأتراك عليهم من غربيهم، ونهبوا جانباً من عسكرهم، وملكوا عدة من خيامهم وأثقالهم، وجالوا حولهم، فعادوا إلى مكانهم الذي كانوا به، ورجعوا منه، واشتد خوف الافرنج من الأتراك، وأقاموا ثلاثة أيام لا يظهر أحد منهم، ولا يصل إليهم شخص، وعاد المسلمون لصلاة الجمعة في جامع شيزر،

---

(١) الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ص٢١٧ .

(٢) الاستيطان الصليبي في فلسطين ، ص٢١٨.

(٣) الحروب الصليبية، ،ج٢، ص ٢٩٦.

(٤) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٩١، ٩٢ .

فرحل الافرنج إلى أفامية، ولم ينزلوا فيها؛ بل تعدوها، وتبعهم المسلمون عند معرفة رحيلهم، وتخطفوا أطرافهم ، ومن ظفروا به سائراً على أثارهم، وعادوا إلى شيزر، ورحلوا إلى حماة، واستبشر الناس بعود الافرنج على هذه الحال "(1).

هكذا روى المؤرخون المسلمون أحداث المعركة، فابن القلانسي اهتم بايضاح كل ما يتعلق بها من: أسباب، ومكان، وزمن القتال ثم وصف أحداثها ونتائجها بوعيٍ كامل؛ فهو مؤرخ تتوفر فيه عنصري المواطنة والمعاصرة، فكانت اهتماماته تفي بالغرض، وهو التأريخ للأحداث، والتي منها هذه المعركة. أما المؤرخين من بعده ابن الأثير وابن العديم، فاستقوا معلوماتهم منه .

أما عن حديث أسامة عن المعركة؛ فكان من منطلق استخلاص العبرة والعظة مما حدث فيها بما أنه شاهدها، ومنهجه في كتابه ذكر عجائب ما شاهده، فذكر الأطراف المشاركين في المعركة، ومكان وزمان القتال، واستعدادات جيش المسلمين، وأحداثها، ونتائجها مع إظهار العبرة، وهي أنه عند رجوع الصليبيين إلى أفامية، خرج منهم فارس، فحمل على المسلمين حتى دخل وسط عسكر المسلمين وحده، فقتلوا حصانه، وأثخنوه بالجراح إلا أنه قاتلهم وحده، وهو راجل، حتى وصل إلى أصحابه الصليبيين.

وهنا يبين أسامة ويضرب مثلاً على شجاعة الفرد الواحد، وإقدامه على الجمع الكثير، وأن هذا الإقدام والشجاعة لا تُقَدِّم الأجل، ولا تعجل من الموت. ولهذا استطرد أسامة في الحديث عن هذا الفارس، وأنه جاء بعد أشهر من هذه الواقعة إلى شيزر من قبل تانكرد (صاحب أنطاكية)، وكان حسن الثياب، إلا أنه يظهر عليه آثار جراح كثيرة، وفي وجهه ضربة سيف قد قدّت من مفرِقه إلى حَكَمته. فسأل أسامة عنه، فقالوا: " هذا الذي حمل على عسكر إسباسلار مودود، وقتلوا حصانه، وقاتل حتى رجع إلى أصحابه "، ثم عقب أسامة على ما رواه بقدرة الله بقوله(2): " فتعالى الله القادر على ما يشاء كيف شاء، لا يؤخر الأجل الإحجام، ولا يقدِّمه الإقدام " .

---

(1) تاريخ دمشق ، ص٢٨٣ . وذكر ابن الأثير نتائج المعركة بأنهم لما رأوا قوة المسلمين، عادوا إلى أفامية، وتبعهم المسلمون، فتخطفوا من أدركوه في ساقتهم، وعادوا إلى شيزر". **ابن الأثير**: الكامل، ج٩، ص ١٤٤. كما وصف ابن العديم هزيمة الفرنج بقوله: " فأصبحوا، هاربين سائرين، يحمي بعضهم بعضاً". **ابن العديم:** زبدة الحلب، ص٢٥٥.

(2) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٩٢ .

ومما سبق يتبين لنا اهتمامات أسامة الحربية. كما يتضح أن هدفه الأساسي من التأريخ للواقعة، هو إظهار العبرة والعظة من الحدث التاريخي، حتى يقر أصحاب النفوس الضعيفة بأن الإقدام في القتال، لايقدم الأجل، وأن الإحجام لا يؤخره، وخير مثال على ذلك هو أسامة بن منقذ نفسه، وسيرته خير دليل على ذلك إذ بعد كل ما لاقاه من أهوال في الحروب عاش إلى التسعين.

لقد استأثرت الحوادث السياسية والعسكرية الشق الأكبر من اتجاهات أسامة التاريخية، ومن خلال هذا المجال السياسي تطرق إلى نواحٍ متعددة منها:

الحوادث والأخبار الاجتماعية، فقد تطرق أسامة فى كتابه "الاعتبار" إلى المجتمع الاسلامي والصليبي على السواء، فأما المجتمع الاسلامي! فقد لمس أسامة من خلال حديثه عن الأهوال التي لاقاها في حياته أحوال بعض البلدان الشامية، ومنها الأجزاء الجنوبية من بلاد الشام والتي كان يسكنها قبائل بدوية ينسبون إلى قبيلة طئ العربية، وقد التقى أسامة بن منقذ في أثناء اجتيازه بوادي موسى – الذي يقع جنوب الأردن اليوم– بأحد زعماء هده القبيلة وصديق قديم لأسامة، ويدعى " منصور بن غدفل "، وقد مكنه من اجتياز وادي موسى آمناً [(١)].

ووصف أسامة حال هؤلاء البدو أو " العربان" كما يطلق عليهم، والوضع المتردي لمستوى معيشتهم بقوله: " ورأيت بهم من الضر أمراً عظيماً، قد يبست جلودهم على عظامهم، قلت: أيش أنتم؟ قالوا: نحن من بني أُبي. وبنو أبي فرقة من العرب من طيء لا يأكلون إلى[(٢)] الميتة، ويقولون نحن خير العرب، ما فينا مجذوم، ولا أبرص، ولا زمن، ولاأعمى. وإذا نزل بهم الضيف ذبحوا له وأطعموه من غير طعامهم "[(٣)]، كما أشار الى أحوال بعض البلدان الشامية التي استولى عليها الصليبيين، مثل: قرية " سياث" من أعمال المعرة، فهم يهدمون جدرانها، ويكسرون حجارتها بالمعاول، ليخف عليهم حملها [(٤)].

---

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٥٠، ٥١ .

(٢) **هذا في المصدر، والصواب " إلا" ليتم سياق الجملة .**

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٣٥ . **شفيق محمد الرّقب و محمد نايف العمايرة** : مظاهر العمران الاجتماعي في بلاد الشام من خلال كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ، ص ١٤٤. **براءة السقرات:** كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ دراسة تحليلية، ص٥٨ .

(٤) المنازل والديار، ص١٣ .

وذكر أسامة العناصر السكانية في أيامه، وعدّدَ أنواع السكان في المجتمع الشامي في ذلك الوقت، وكان يتكون من: العرب، والأتراك، والتركمان، والأكراد، والأرمن، والروم(١)، وأورد إشارات كثيرة تشير إلى ما كان يتمتع به سكان المدن وبعض أهل الريف في عصره من رخاء اجتماعي، وذلك مما كانوا يلبسونه من الثياب والقلنسوات والمناديل، المصنوعة من الفراء، والحرير، والقطيفة، والقطن، بألوانها الأحمر، والأخضر، والأصفر، والأزرق(٢)، إضافة إلى ما ذكره عن بعض المنشآت العمرانية كالحمامات(٣)، والقصور والحصون(٤) التي يستشف منها الفخامة في بنائها، والتأنق في حسن عمارتها، وما ذكره عن رحلات الاصطياف؛ مما يقوم به خاصة الناس وكبراؤهم، حيث كانوا يغادرون بيوتهم أيام اشتداد الحر، ويخرجون إلى الأماكن المعروفة بطيب هوائها، طلباً للراحة والإستجمام(٥).

كما لمس أسامة من خلال رواياته القيم والفضائل التي تحلى بها مجتمعه ، فسرد لنا قصصاً كثيرة عن فضيلة الشجاعة في الحروب، عن نفسه، وعن غيره رجالاً ونساء ، وأفراداً وجماعات (٦) ، وسرد لنا بعض القصص والأخبار التي تمثل النخوة والشهامة العربية (٧) ، والحرص على الشرف (٨) ، والاحترام الكبير التي حظيت به المرأة

---

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٣٤، ٣٨، ٤٧، ٤٨، ٥٤، ١٠٥،٦٩، ١١٨ ، ١٢٨، ١٣٣، ١٣٤ ، ٢٠٩ .

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٨١، ٨٥، ١٦٨، ١٩٨ .

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١١٠، ١٣٥، ١٥٥، ١٥٦ .

(٤) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص ١٠١، ١٢٦، ١٢٨-١٢٩، ١٣٤ .

(٥) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٦٦ . **عادل جابر صالح:** كتاب الاعتبار دراسة في الاجتماع في بلاد الشام ابان القرن السادس الهجري، ص١١٧ .

(٦) انظر ما يحكيه عن شجاعته، وهو يستقبل جمعاً من الصليبيين في أفامية، فيولون الأدبار، ثم استقبلت خيلهم المتتابعة، فولو وأنا غر من القتال، ما حضرت قتالاً قبل ذلك اليوم، وتحتي فرس مثل الطير، ألحق أعقابهم لأطعن فيهم ثم اجتن عنهم. **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٦٣. والاعتبار ملئ بالأمثلة الكثيرة التي لا تحصى على شجاعته وشجاعة غيره من الرجال والنساء.

(٧) وخير مثال على النخوة والشهامة العربية ما فعله عم أسامة سلطان عندما وقعت امرأة كان قد تزوج منها، وطلقها أسيرة في يد الإفرنج، فاشتراها بخمسمائة دينار، وسلمها الى أهلها قائلاً: " ما أدع امرأة تزوجتها، وانكشفت علي في أسر الإفرنج". **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٩٤.

(٨) أما الحرص على الشرف؛ فتمثله والدة أسامة التي ألبست ابنتها الخف والأزرار، وأجلستها على إحدى النوافذ، وإذا رأت الباطنية، وصلوا إليها ألقتها منها، وتراها ميتة خير من أن تراها مأسورة مع الفلاحين والحلاجين. وقصة الفتاة رفول ابنة ابا الجيش الكردي، وقد أسرها الصليبيين، ولم يهدأ قلب أبيها إلا عندما=

عصرئذ[١]، وساق بعض القصص والأخبار التي يفهم منها بعض فضائل القوم في القرن ٦هـ/١٢م من الوفاء، والتضحية، والمروءة [٢].

كما تصدى لبعض وسائل التسلية والترفيه التي كان يتخذها القوم آنذاك، مثل الصيد، وقد أشاد أسامة بفضل هواية الصيد في تربية فتيان المسلمين، وإعدادهم للجهاد في سبيل الله ضد الصليبيين، وأضحت هذه الهواية رياضة فيها الكثير من أعمال الحركة، وانبعاث للتفكير السليم؛ لما تتطلبه بعض المواقف من سرعة البديهة، وحضور الذهن[٣]، ومن بين وسائل الترفيه – أيضاً – رياضة اللعب بالشطرنج[٤]، وأيضاً ألعاب الفروسية، خاصة بين الأمراء والقادة، ومن هذه الألعاب سباق الخيل[٥].

كما تصدى أسامة لدور بعض فئات المجتمع الإسلامي في صد العدوان الصليبي، ومنها دور العلماء ورجال الدين، فروى بطولة اثنين منهم، مثل: الفقيه الفندلاوي[٦]، والشيخ

=وجد جثتها بعد أن رمت نفسها من على حصان الصليبي فى النهر وغرقت. **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٤٥، ١٦٨ .

(١) كتاب الاعتبار ملئ بالأمثلة على احترام المرأة وتقدير دورها مهما صغر، وخير مثال على ذلك تلك الجارية العجوز التي ربت والد أسامة في بيت جده، ثم ربته هو في بيت أبيه، وانتقلت معه الى بيته لتكون مربية أولاده، فكان يحترمها ويكرمها ويناديها: " يا أمي ". **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٩٩.

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٧٦، ٧٧، ١٠٢، ١١٧–١١٨. **عادل جابر صالح:** كتاب الاعتبار دراسة في الاجتماع في بلاد الشام ابان القرن السادس الهجري، ص١٢٠.

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص ٢٠٠، ٢٠٦ . **محمود محمد الحويري:** الأوضاع الحضارية في بلاد الشام فى القرنين ١٢–١٣م عصر الحروب الصليبية، ص ١٧٢، ١٧٣ .

(٤) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص ١٦٤، ٢٣١ .

(٥) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٦٨، ٨٠ .

(٦) **الفندلاوي:** الفقيه حجة الدين أبو الحجاج يوسف بن دوناس بن عيسى المغربي شيخ المالكية بدمشق، قدم الشام حاجاً، فسكن بانياس مدة، وكان خطيباً بها، ثم انتقل إلى دمشق واستوطنها، ودرّس بها مذهب مالك، وحدّث بالموطّأ، وبكتاب التلخيص لأبي الحسن القابسي، كان شيخاً حسن المفاكهة، حلو المحاضرة، وكان شيخاً كبيراً زاهداً عابداً خرج راجلاً لقتال الصليبيين، فرآه معين الدين، فتوجه إليه، وسلم عليه، وقال له: "يا شيخ أنت معذور، ونحن نكفيك، وليس بك قوة على القتال"، فقال: " قد بعت واشترى، فلا نقيله ولا نستقيله، يعنى قول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ }"، وتقدم فقاتل الصليبيين حتى قتل رحمه الله عند النيرب شهيداً، والفندلاوي نسبة إلى فندلاو وهي موضعاً بالمغرب . **ابن عساكر:** تاريخ دمشق ج٧٤، ص ٢٣٤، ٢٣٥. **ياقوت الحموي:** معجم البلدان، ج٤، ص٢٧٧. **أبو شامة:** الروضتين في أخبار الدولتين، ج١، ص١٩٠، ١٩١. **ابن خلكان:** وفيات الأعيان، ج٢، ص٤٥٢ .

الزاهد عبد الرحمن الحلحولي[١]، عندما هجم ملك الألمان وصليبي الشام على دمشق خلال الحملة الصليبية الثانية فى عام(٥٤٣هـ/١١٤٨م)، فخرج إليهم الأهالي والعسكر لقتالهم، وكان الفقيه والشيخ ممن خرجوا للقتال " فلما قاربوهم، قال الفقيه لعبد الرحمن! ما هؤلاء الروم؟ قال: بلى قال فإلى متى نحن وقوف؟ قال: سر على اسم الله تعالى. فتقدما، قاتلا حتى قتلا رحمهما الله في مكان واحد "[٢].

ومنها دور اللصوص والحرامية، وأشار إلى طريقتهم فى التسلل إلى خيام الصليبيين ومعسكراتهم تحت جنح الليل، فيسرقون أسلحتهم ودوابهم، مثل ما ذكره عن الزمركل، فقال: " فلما وصلنا الشخوص التي رأيناها، والشمس على مغيبها، فإذا شيخ عليه معرقة إمراة ومعه آخر، فقال له حسام الدولة وكان -رحمه الله- رجلاً جيداً، كثير المزاح: يا شيخ أي شيء تعمل ها هنا؟ قال أنتظر الظلام، واسترزق الله تعالى من خيل هؤلاء الكفار، قال يا شيخ بأسنانك تقطع عن خيلهم؟ قال لا بهذه السكين، وجذب سكيناً من وسطه مشدودة بخيط مثل شعلة النار، وهو بغير سراويل، فتركناه، وانصرفنا، وأصبحت من بكرة ركبت انتظر ما يكون من الإفرنج، وإذا الشيخ جالس في طريقي على حجر، والدم على ساقه وقدمه قد جمد، قلت: يهنئك السلامة، أي شيء عملت؟ قال أخذت منهم حصاناً وترساً ورمحاً، ولحقني راجل، وأنا خارج من عسكرهم، طعنني نفذ القنطارية في فخذي، وسبقت

---

(١) **الحلحولي:** عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن الحلحولي الجعدي، محدث زاهد، ولد بحلب، ونشأ بها، وتجول في البلدان، وكان آخر أمره أنه انقطع بمسجد في ظاهر دمشق، ففي سنة (٥٤٣هـ/١١٤٨م) نزل الألمان على دمشق محاصرين لها، فخرج هذا الشيخ ومعه جماعة، فاستشهد، والحلحولي نسبة إلى قرية حلحول، وهي قرية بين بيت المقدس وقبر إبراهيم الخليل، وبها قبر يونس بن متى، عليهما السلام. **ابن عساكر:** تاريخ دمشق، ج٢، ص ٣١٥. **ياقوت الحموي:** معجم البلدان، ج٢، ص٢٩٠ . **أبو شامة:** الروضتين في أخبار الدولتين، ج١، ط الرسالة، ص١٨٦-١٨٧، ١٩٢.

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١١٧.

وأكد هذا الدور ابن عساكر الذى كان معاصر لهذه الأحداث، ومن بعده ياقوت وأبو شامة وابن خلكان. انظر ماورد أعلاه فى الحاشيتين السابقتين. وللإستزادة عن حصار ملك الألمان والصليبيين بدمشق سنة (٥٤٣هـ/١١٤٨م). انظر: **ابن الاثير:** الكامل، ج٩، ص٣٥٣. التاريخ الباهر، ص٨٨، ٨٩ . **أبو شامة:** الروضتين، ج١، ط الرسالة، ص١٨٥. **ابن واصل:** مفرج الكروب، ج١، ص١١٢، ١١٣. **ابن الوردي:** تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٤٧. **ابن أيبك الدواداري:** كنز الدرر ، ج٦، الدرو المضيئة، ص٥٤٨، ٥٤٩ . **ابن تغري بردي:** النجوم الزاهرة، ج٥، ص٢٧٣، ٢٧٤. **وليم الصوري:** الحروب الصليبية، ج٣، ص٣٠٨ وما بعدها.

بالحصان والترس والرمح، وهو مستقل بالطعنة التي فيه كأنها في سواه، وهذا الرجل يقال لـه الزَّمَرْكَل من شياطين اللصوص" [١]، ومنها دور البدو والنهابة والصعاليك التي ترافق أحياناً الجيوش لنهب الزروع والغلات[٢].

ولـم ينس دور المرأة فى صد العدوان الصليبي، فها هو يذكر المرأة التي قتلت زوجها، لأنه يتعاون مع الصليبيين، ويدلهم على عورات المسلمين[٣]، والمرأة الشيزرية التي أسرت ثلاثة من الصليبيين، وحجزتهم في بيتها، ثم دعت قوماً من جيرانها ليقتلوهم [٤].

واهتم أسامة اهتماماً واضحاً بالمجتمع الصليبي، وقدم فى كتابه الاعتبار صورة شاملة ومفصلة عنهم، وقد بنى هذه الصورة عن طريق المشاهدة، ومن خلال علاقاته الودية مع بعض الصليبيين، فتحدث عن طبائعهم، وأخلاقهم، بأنهم بهائم لا فضيلة لهم إلا الشجاعة [٥]، وأنهم لا يفون بعهد[٦]، وأنهم لا يألفون لغير جنسهم[٧]، وأنهم يفتقدون النخوة

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٦٥، ٦٦ .

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٦٢، ٦٣، ١٧٠ . **شفيق محمد الرِّقب و محمد نايف العمايرة** : مظاهر العمران الاجتماعي في بلاد الشام من خلال كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ، ص١٤٦ .

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٤٨ .

(٤) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٥٠. **عبد الرحمن حميدة:** أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، ص٣٨٢، ٣٨٣ . **شفيق محمد الرِّقب و محمد نايف العمايرة** : مظاهر العمران الاجتماعي في بلاد الشام من خلال كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ، ص١٤٨.

(٥) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٨٧ . وقد قال أيضاً: " سبحان الخالق البارئ! إذا خبر الأنسان أمور الإفرنج سبح الله تعالى وقدسه، ورأى بهائم فيهم فضيلة الشجاعة والقتال ولا غير، كما في البهائم فضيلة القوة والحَمْل" . **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٥١.

(٦) أنظر على سبيل المثال: ما فعله تنكرد (صاحب أنطاكية) مع الفارس الكردي حسنون بعد أن أعطاه أمان وعهد. **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٨٩ .

(٧) مثل ما حكاه عن المرأة الصليبية التي تؤثر العيش مع إسكافي من قومها على أن تكون أميرة في ديار المسلمين، حيث أرسل والد أسامة جارية إلى الأمير شهاب الدين مالك بن سالم بن مالك (صاحب قلعة جعبر)، وكان صديقه، فأعجبته، فاتخذها لنفسه، فولدت له ولداً سماه بدران، فجعله أبوه ولي عهده. ومات الوالد، وتولى يدران البلد، وأمه الآمرة الناهية. فواعدت قوماً، وتدلت من القلعة بحبل، ومضى بها أولئك إلى سروج (وهي تحت الحكم الصليبي) فتزوجت بإفرنجي إسكاف، وابنها صاحب قلة جعبر. **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٥٠، ١٥١. **عبد الرحمن حميدة:** أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، ص٣٨٣ .

والغيرة [١]، إلا أنهم يُقَدِّرون الفروسية[٢]، وتطرق أسامة إلى احتفالاتهم بالأعياد[٣]، وإلى طرق المحاكمات عندهم، والتي كانت تجري بصورة وحشية[٤].

وكذلك لم ينس المرأة الصليبية؛ فهي عنصر فعّال في المجتمع الصليبي، والتي أهملها المؤرخون المعاصرون للحملات الصليبية من المسلمين والصليبيين، فذكر لنا بعض الأحاديث الشيقة عنها، وعن شجاعتها، فمنها على سبيل المثال: المرأة التي تنتصر لزوجها، فتجرح فارساً مسلماً [٥].

كما لمس في رواياته الى العلاقات الاجتماعية العاديّة بين المسلمين والصليبيين، كالصّداقة وغيرها، فقد روى قصّة صداقة نشأت بينه وبين فارسٍ من نبلائهم[٦].

---

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٥٤-١٥٦.

ومن أمثلة ذلك: ما رواه عن الرجل الذي دخل بيته، ووجد رجل آخر ينام على سريره مع امرأته، فلم يقل له سوى: " قال وحق ديني إن عدت فعلتها؛ تخاصمت أنا وأنت"، وآخر يدخل زوجته الحمام، ويطلب من صاحب الحمام أن يحلق عانتها: " فقال سالم بحق دينك اعمل للداما -والداما بلسانهم الست يعني امرأته- وقال لغلام له: قل للداما تجيء. فمضى الغلام أحضرها وأدخلها، فاستلقت على ظهرها وقال اعمل كما عملت لي، فحلقت ذلك الشعر وزوجها قاعد ينظرني، فشكرني، ووهبني حق خدمتي" ، وآخر يدخل ابنته حمام الرجال بحجة أن أمها توفت، ويريد أن يغسل رأسها" .

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٨٧، ٨٨ .

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٥٧ .

(٤) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٥٧، ١٥٨ .**عادل جابر** صالح: كتاب الاعتبار دراسة في الاجتماع في بلاد الشام إبان القرن السادس الهجري، ص١٣٠ ، ١٣١ .

(٥) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٤٩. **بتول كامل مزهر الياسري:** الجغرافيون والرحالة العرب في بلاد الشام، ص١٣٦.

(٦) لقد رسخت العلاقة بينهما حتى إن الفارس الصليبي عرض عليه أن يصطحب ابنه معه إلى أوروبا فيتسنّى له لقاء النُبلاء، ويتعلّم الحكمة، ونظام فروسيّة النُبلاء. لكنَّ أُسامة -على الرغم من الصّداقة القائمة بينهما- عمد إلى طريقةٍ لبِقة لرفض العرض السخّي والمُحرج في آن واحد، وتحجج بأن جدّة الصبي، شديدةُ التعلّق به، وأنها اشترطت عليه أن يُعيده إليها بعد أن خرج مع والده، عندئذٍ سأله الفارس الصليبي : أما تزال والدتُك حيّة؟ قال أسامة: نعم. قال له: أطع رغباتها. هذه الحكاية الجميلة تدلّ -فيما تدلّ عليه- على أن هناك علاقات اجتماعية بين الطرفين في أوقات السلم، ومع ذلك، يذكر أُسامة أنّ الفارس الصليبي غدا -بعد حينٍ- من أهل صحبته الحميمين، وخاصته المقرَّبين، ولازمه ملازمة، شرع معها يناديه" يا أخي!" وقد ذكر أُسامة أنه قامت بينهما أواصر أُلفة وروابط صداقة . **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٥١، ١٥٢ .

ممـا سـبق يلاحـظ أن مـنهج أسـامة فـى كتابـة التـاريخ امتـاز – أيضـاً – بعنايتـه بالظواهر الاجتماعية، بحيث يستطيع أن يتذوق القارئ اللّماح في كتاباته طعم جديد، ليس له نظير فى كتابات كثيره من مؤرخى العصور الوسطى بوجه عام والصليبية بوجه خاص، بالإضافة إلى أن اهتمامه بدور المرأه في عصره كان خاصاً ومقصوداً منه بعكس معظم المؤرخين الـذين جاء اهتمـامهم بأخبـار النسـاء كجـزء مـن الأحـداث بشـكل طبيعـي وغيـر مقصـود[١].

أمـا عـن الأخبـار الجغرافيـة؛ فكـان يـذكرها ضـمن رواياتـه السياسـية حيث كـان ينبـه القارئ عند ذكر بلد ما في رواياته المتنوعة ما إذا كانت للمسلمين أم للفرنج أم تابعة لمن، أو هـي مـن أعمـال أي بلـدة، والأمثلـة علـى ذلـك كثيـرة، نـذكر منهـا قولـه: " جماعـة مـن الإفرنج الحجاج حجوا، وعادوا إلى رفنية، وكانت ذلك الوقت لهم" [٢]، أي أن رفنية وقتئذ كانت تابعة للصليبيين، وقوله[٣] " ومضى بها أولئك إلى سروج، وهي إذ ذاك للإفرنج"، وقولـه: " قريـة يقـال لهـا معـرزوف مـن أعمـال شـيزر" [٤]، وقولـه: " وقد كنـت مـرة مجتـازاً بمدينـة حيفا من السـاحل، وهـي للإفرنج " [٥]، وقولـه فـي أحـداث عـام (٥٤٩هـ/١١٥٤م): " وكـنـت إذ ذاك مـع المـلك العـادل فـي بـلاد المـلك مسـعود(في) رعبـان[٦] وكيسـون" [٧]،

(١) **بتول كامل مزهر الياسري:** الجغرافيون والرحالة العرب في بلاد الشام ، ص ١٣٣ .

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٤٩ .

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٥٠ .

(٤) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٣١ .

(٥) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٣٢ .

(٦) **رعبان:** بفتح أوّله، وسكون ثانيه، وباء موحدة، وآخره نون: مدينة بالثغور بين حلب وسميساط، قرب الفرات معدودة في العواصم، وهي قلعة تحت جبل خرّبتها الزلزلة في سنة (٣٤٠هـ/٩٥١م)، فأنفذ سيف الدولة أبا فراس بن حمدان في قطعة من الجيش، فأعاد عمارتها في سبعة وثلاثين يوماً. **ياقوت الحموي:** معجم البلدان، ج٣ ، ص ٥١.

(٧) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٥٧-٥٨ .

كيسون: وفي ياقوت كيسوم ، بالسين المهملة وهي قرية مستطيلة من أعمال سميساط، ولها عرض صالح، وفيها سوق ودكاكين وافرة. **ياقوت الحموي:** معجم البلدان، ج٤، ص ٤٩٧.

وحدد أن في تلك السنة كانت تلك القلاع هي تابعة للملك مسعود، وهذا ما ذكره ابن شداد من أنها في تلك السنة كانت فعلاً تحت يد الملك مسعود بن قلج أرسلان(١) .

كما كان أسامة عادة يقرن الوقعة أو الحادثة بمكان وقوعها، مثل قوله : " نزل بظاهر شيزر يوم الخميس تاسع ربيع الأول سنة خمس وخمس مائة " (٢)، وقد يلجأ أحياناً إلى ذكر نبذة عن ذلك المكان، مثل قوله: " حصن الخربة، وهو حصن منيع على صخرة مرتفعة من جميع جوانبه، يطلع إليه بسلم خشب، ثم يرفع السلم، فلا يبقى إليها طريق "(٣)، ومثل قوله عن وادي حلبون: " وهو واد ضيق لعل ما بين الجبلين خمسه أذرع، والجبال من جانبيه وعره رفيعة، وطريقه ضيقه، إنما يمشي فيها فارس " (٤).

أما من الناحية العلمية، فقد أبدى أسامة بن منقذ اهتماماً ملحوظاً بالعلوم الطبية خاصة العلاقات العلمية الطبية بين المسلمين والصليبيين، الأمر الذي أهملته معظم المصادر التاريخية المعاصرة واللاحقة بسبب تركيزهم على جوانب الصراع والمعارك بين الطرفين، والتصدي لقضية الجهاد الإسلامي في مواجهة هذا العدو(٥)، ولعل اهتمام أسامة بذلك يعود إلى طبيعة العصر، وما فيه من حروب، استدعت وجود الأطباء لمعالجة الجرحى والمرضى، واحتكاكه بذلك فهو فارس تعرض للكثير من الجراح في العديد من الحروب.

وما حكاه أسامة عن ذلك يعكس لنا صورة حقيقية عن تأخر الطب عند الصليبيين، واعتمادهم بصورة كبيرة على الأطباء المسلمين نتيجة لما وصلت إليه الحركة العلمية الطبية في بلاد الشام من تقدم ورقي وقتئذ، وهي مرحلة تعد من أزهى المراحل التي وصلت إليها العلوم الطبية عند المسلمين، وتتمثل في النضج الفكري والعلمي للطب الإسلامي، وما قدمه الطبيب المسلم آنذاك، فهو يذكر قصة مفادها: " أن صاحب المنيطرة

---

(١) **ابن شداد:** عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الحلبي: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: يحيى زكريا عبارة، ج١، القسم الثاني، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ١٩٩١م، ص ٤٣٢ .

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٩١ .

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٠١. **عبد الحميد الفراني:** القيمة العلمية لروايات ابن منقذ الشفوية، ص٣٧٠ .

(٤) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٧١ .

(٥) **محمد مؤنس عوض:** الحروب الصليبية دراسات تاريخية ونقدية، ط١، دار الشروق، عمان، الأردن، ١٩٩٩م، ص١٠٨ .

كتب إلـى عمـي؛ يطلب منه إنقاذ طبيب يداوي مرضـى من أصحابه، فأرسل إليه طبيباً نصرانياً، يقال لـه: ثابت، فما غاب عشرة أيام حتى عاد، فقلنا لـه: ما أسرع ما داويت المرضـى! قال أحضروا عندي فارساً قد طلعت في رجله دملة، وامرأة قد لحقها نشاف، فعملت للفارس لبخة، ففتحت الدملة فصلحت، فحميت المرأة ورطبت مزاجها، فجاءهم طبيب إفرنجي، فقال لهم: هذا ما يعرف شيئاً يداويهم، وقال للفارس أيما أحب إليك تعيش برجل واحدة، أو تموت برجلين، قال أعيش برجل واحدة. قال: أحضروا لـي فارساً قوياً وفأساً قاطعاً، فحضر الفارس والفأس وأنا حاضر، فحط ساقه على قرمة خشب، وقال للفارس اضرب رجله بالفأس ضربة واحدة اقطعها، فضربه، وأنا أراه ضربة واحدة ما انقطعت، فضربه ضربة ثانية، فسال مخ الساق، ومات من ساعته، وأبصر المرأة، فقال: هذه المرأة في رأسها شيطان قد عشقها، احلقوا شعرها، فحلقوه، وعادت تأكل من مأكلهم الثوم والخردل، فزاد بها النشاف، فقال الشيطان قد دخل في رأسها، فأخذ الموس، وشق رأسها صليبا وسلخ وسطه حتى ظهر عظم الرأس، وحكه بالملح، فماتت من وقتها، فقلت لهم: بقي لكم إليّ حاجة؟ قالوا لا، فجئت، وتعلمت من طبهم ما لم أكن أعرفه " [١].

كما ذكر أسامة عدداً من أطباء عصره، منهم: يوحنا بن بطلان[٢]، الذي مارس الطب في حلب وشيزر وأنطاكية، وكانت لـه عيادة في حلب، وكان مشهوراً " بالمعرفة والعلم والتقدم في صنعة الطب " [٣]، والشيخ أبي الوفاء تميماً الطبيب الذي عالج أسامة

---

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٥٢ . كما ذكر أسامة قصة أخذها شفاهة عن كليام دبور (صاحب طبرية) مفادها: أن أحد القساوسة حاول علاج فارس من مرضه، فوضع الشمع في جانبي أنف الفارس، فمات . **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٥٦، ١٥٧. انظر. **ناصر بن محمد على الحازمي:** الحركة العلمية الطبية في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية(٤٩٢-٦٩٠هـ/١٠٩٩-١٢٩١م)، رسالة دكتوراة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص٣٣٩-٣٤١ .

(٢) **يوحنا بن بطلان:** هو أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون بن بطلان نصراني من أهل بغداد، وتتلمذ على أبي الفرج عبد الله بن الطيب، وأتقن عليه قراءة كثير من الكتب الحكمية وغيرها، ولازم أيضا أبا الحسن ثابت بن إبراهيم بن زهرون الحراني الطبيب، وتعلم منه، وانتفع به في صناعة الطب، وفي مزاولة أعمالها. **ابن أبي أصيبعة:** موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي : عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت، ص ٣٢٥.

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٩٦-١٩٨. وحكى أسامة أمثلة كثيرة ما تفيد حذق ابن بطلان فى الطب . **شفيق محمد الرِّقب و محمد نايف العمايرة:** مظاهر العمران الاجتماعي في بلاد الشام من خلال كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ، ص١٥٢. **براءة محمود السقرات:** كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ دراسة تحليلية، ص٦٦ .

فقال: " فشكوت إليه ما أجد. فقال: أحضر لي بطيخة هندي. فأحضرت فكسرها، فقال: كل منها ما استطعت، قلت: يا حكيم أنا في الموت من البرد والزمان بارد، كيف آكل هذه مع بردها؟ قال: كل كما أقول لك. فأكلت، فما انتهى أكلي منها، حتى عرقت وزال ما كنت أجده من البرد، فقال لي: " الذي كان بك من غلبة الصفراء ما كان من برد حقيقي "(١).

كما اهتم أسامة بالأخبار العمرانية فقد أشار فى رواياته إلى العديد من المنشآت العمرانية العامة والخاصة، والتي يفهم منها مدى عمران البلاد في عصره، ومن أبرز هذه المنشآت العمرانية الحمّامات العامة(٢)، والقصور والحصون التي يستشف منها الفخامة في بنائها، والتأنق في إحسان عمارتها، والأسواق، والمساجد، والكنائس، والمقابر، والزوايا.

تمثلت حضارة العمران في بناء المدن، وحصونها، ودورها، وقلاعها، وبخاصة دور الأمراء، والوزراء، الذين بالغوا في دقتها، وحسن بنائها، فقد اهتم أسامة بوصف بعض الحصون مثل ما ذكره عن وصف حصن الخربة بأنه " حصن منيع على صخرة مرتفعة من جميع جوانبه، يطلع إليه بسلم خشب ثم يرفع السلم، فلا يبقى إليها طريق" (٣)، وبوصف حصن شيزر بأنه يتألف من دهليز(٤)، وروشن، واهتم – أيضاً– بوصف بعض الدور، ومما تتكون فى ذلك الزمان، مثل: دار معين الدين أنر بدمشق، التي ذكر أن بها بركة فى وسط الدار، وقاعة الدار، ومطبخ (٥)، كما وصف دار الأفضل ابن أمير الجيوش بمصر بأنها: " في غاية الحسن، وفيها بُسْطُها وفُرشها، ومرتبة كبيرة، وآلتها من النحاس"(٦)، وأشار الى أن بعض الدور تتكون من طابقين علوي وسفلي، وهو يقول: " ولقد رموا مرة دار صاحب لي، يقال له: يوسف بن أبي الغريب رحمه الله ، ببيت قوفا، فهدمت علوها، وسفلها بحجر واحد" (٧) ، وكان يفرق فى حديثه عن عمارة الدور فيقول:

---

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٩٨ .

(٢) **سعيد عبد الفتاح عاشور:** بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٣٧٩ .

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٠١ .

(٤) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٣٤ .

(٥) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٢٨، ١٢٩ .

(٦) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٢٩ .

(٧) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٣٤ .

" أنى كنت إذا جئت إلى نابلس أنزل في دار رجل يقال له: مُعِزّ، داره عمارةُ المسلمين، لها طاقات تفتح إلى الطريق "(١).

ومن المنشآت العمرانية التي أشار إليها: المساجد، والزوايا(٢)، من خلال حديثه عن الشيخ محمد البُسْتي الذي بنى له أحد أكابر حصن كيفا زاوية في بستان، جعله له(٣).

وقد علل أسامة الإزدهار العمراني الكبير التي تحظى به بعض المدن في عصره، سواء في بلاد الشام أم في غيرها بالعقل، وحسن السياسة ، وعبر عن ذلك بقوله : " وفي حسن السياسة ربح كثير من عمارة البلاد " (٤) ، وحكى روايات عديدة تفيد ذلك منها: رواية عن إفرنجي يوصف عم أسامة بالعاقل ، فسأله عمه ، من أين عرفت أني عاقل، وما رأيتني قبل الساعة؟ قال له: " لأني رأيت البلاد التي مشيت فيها خربه وبلدك عامر، فعرفت أنك ما عمرتها إلا بعقلك وسياستك " (٥)، ورواية أخرى عن صاحب بدليس(٦) تفيد ذلك فقال: " وفي حسن السياسة ربح كثير من عمارة البلاد، فمن ذلك أن أتابك زنكي –رحمه الله– خطب بنت صاحب خلاط (٧) ، وقد مات أبوها، وأمها مدبرة البلد ، ونفّذ حسام الدولة بن دلماج خطبها لابنه وهو صاحب بدليس ، فسار أتابك بعسكر حسن إلى خلاط ، على غير الطريق المسلوك لأجل دَرْبَنْد(٨) بدليس ، فسلك فيها الجبال، فكنا ننزل

---

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٥٤ .

(٢) **الزوايا:** هي بيوت للعبادة، ينقطع فيها الزهاد لمباشرة حياتهم الخاصة، وفق قواعد معينة. انظر: **سعيد عبد الفتاح عاشور:** بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته، ص ٣٨٠.

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٨٦، ١٨٧ .

(٤) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١١١ .

(٥) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٠٩– ١١١ .

(٦) **بدليس:** بالفتح، ثم السكون، وكسر اللام، وياء ساكنة، وسين مهملة، هي بلدة صغيرة من نواحي أرمينيا قرب خلاط . **البغدادي:** مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ج١، ص ١٧١.

(٧) **خلاط:** هي قصبة أرمينيا الوسطي، لها بساتين كثيرة عامرة خصبة، كثيرة الخير، ولها عدة أنهار، تشبه أنهار دمشق، يضرب ببردها في الشتاء المثل، وبحيرتها يجلب منها السمك الطريخ. انظر. **أبو الفداء:** تقويم البلدان، طبعة باريس، ١٨٥٠م، ص ٣٩٥ . **البغدادي:** مراصد الإطلاع، ج١، ص ٤٧٦.

(٨) **دربند:** يقال دربند شروان، أو باب الأبواب مدينة على بحر طبرستان، وهو بحر الخزر، وهي مدينة تكون أكبر من أردبيل نحو ميلين في ميلين، ولهم زروع كثيرة وثمار قليلة إلا ما يحمل إليهم من النواحي، وعلى المدينة سور من الحجارة، ممتدّ من الجبل طولاً في غير ذي عرض، لا مسلك على جبلها إلى بلاد المسلمين لدروس الطرق وصعوبة المسالك من بلاد الكفر إلى بلاد المسلمين، ومع طول السور؛ فقد مدّ=

بغير خيام، وكل واحد في موضعه من طريق حتى وصلنا خلاط، فخيم أتابك عليها، ودخلنا قلعتها، وكتبنا المهر، فلما انقضى الشغل، أمر أتابك أن يأخذ صلاح الدين معظم العسكر، ويسري إلى بدليس يقاتلها، فركبنا أول الليل، وسرنا وأصبحنا على بدليس، فخرج إلينا حسام الدولة صاحبها، فلقيَنا على فُسحة من البلد، وأنزل صلاح الدين في الميدان، وحمل إليه الضيافة الحسنة، وخدمه وشرب عنده في الميدان، وقال: " يا مولاي أي شيء ترسم؟ فقد تعنّيت وتعبت في مجيئك" ، قال: " أتابك أحْنَقَه خِطبتك للبنت التي كان خطبها، وأنت بذلت لهم عشرة آلاف دينار نريدها منك"، قال: " السمع والطاعة"، فعجّل له بعض المال واستمهله بباقيه أياماً عيّنها، ورجعنا وبلده بحسن سياسته عامر ما دخل عليه خلل " [(١)]. وعلق أسامة – أيضاً– بعد رواية ساقها عن صاحب قلعة جعبر بقوله: " ولولا سياسة نجم الدولة كان خرب بلده " [(٢)] .

ب– عرض الحوادث والأخبار التاريخية:

اتخذ أسامة فى عرض المادة التاريخية أسلوباً يتراوح بين الاختصار الذى لا يضر بعرض الحدث، وبين البسط والإطالة، ولاشك أن عرض الأحداث أو الموضوعات بتفصيل دقائق الأمور فيها يجعل القارئ يتخيل أنها أمور تحدث له، مراعياً فى ذلك كله المحافظة على الدقة، وإليك أمثلة للروايات التاريخية التي استعمل فيها هذا وذاك:

أوجز أسامة رواية إجلاء يهود بني النضير، في تفسيره لقول الله عز وجل: (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر) [(٣)]، فقال: " أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب: يعني يهود بني النضير. من ديارهم: يعني منازلهم بالحجاز. لأول الحشر: أجلاهم رسول الله ﷺ بعد رجوعه من أحد إلى أذرعات الشام، وأعطى كل ثلاثة

= قطعة من السور في البحر شبه أنف طولانيّ ليمنع من تقارب السّفن من السور، وهي محكمة البناء موثّقة الأساس من بناء أنوشروان، وهي أحد الثغور الجليلة العظيمة. **ياقوت الحموي:** معجم البلدان، ج١، ص ٣٠٣ .

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١١٠، ١١١. ولم يحدد أسامة زمن الحادثة، وقد ذكر ابن العديم أن أتابك تزوج من بنت صاحب خلاط سقمان القطبي سنة (٥٢٦هـ/١١٣١م). انظر. **ابن العديم:** زبدة الحلب، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٣١٠ .

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١١٢ .

(٣) سورة الحشر، من الآية رقم(٢) .

نفرٍ بعيراً، يحملون عليه ما استقلّ إلا السلاح، وكان النبي ﷺ قد عاهدهم – حين هاجر إلـى المدينـة – ألا يقاتـلوا معـه، ولا عليـه، فكـفُّوا يـوم بـدر، لظهـور المسلمـين علـى المشركين، وأعانوا المشركين يوم أحد، حين رأوا ظهورهم على المسلمين، فقتل رئيسهم كعب بن الأشرف، قتله محمد بن مسلمة – رحمه الله – غيلة، وسأذكر قتله بعد الفراغ من تفسير هذه الآية، ثم سار النبي ﷺ فحاصرهم ثلاثاً وعشرين ليلة محارباً، حتى أجلاهم عن ديارهم " [١].

ونراه بعد فراغه من تفسبر الآية ذكر قتل كعب بن الأشرف بإطناب شديد، وبسط فيها القول في صفحات مطولة[٢]، ويطنب القول في روايات أخرى مثل: رواية أمر السحرة الذين جمعهم فرعون، فقال: " فأرسل فرعون– لعنه الله– في البلاد، فجمع السحرة من سائر البلاد... ، وتبع موسى عليه السلام؛ لما آمنت به السحرة، ست مائة ألف ساحر[٣]. ومثل ذلك ما رواه عن قصة فرس يسمى " العصا " فقال: " كانت أسبق الخيل، وعليها نجا قصير حين غدرت هند بنت زبَّان بجذيمة الأبرش، وسمى الأبرش؛ لبياض كان به، فأكبروه عن أن يقال الأبرص، وذلك فيما أورده صاحب كتاب سير الملوك، أن سابور ذا الأكتاف، وسمِّى بذي الأكتاف؛ لأنه كان يخلع أكتاف من يرد قتله وعقوبته، سار إلى الضيزن الغساني ملك الحيرة، ومعه جذيمة الأبرش فحصره في حصنه في مدينة كانت له على شاطئ الفرات مدة لايقدر عليه حتى رأت ابنته سابور ذا الأكتاف، فأعجبها، فراسلته، وعملت على أبيها، وأدخلت الرجال عليه في حصنه، فقتله سابور... قال المؤلف: هذا الخبر قد أورده كثير من أهل السير، وتداولت ذكره الشعراء في أشعارهم "[٤].

ولا شك في أن التفصيل والإسهاب في تلك الروايات يتعلق بمدى وفرة المادة التاريخية التي حصل عليها من مصادره التي يشير إليها في ثنايا روايته.

---

(١) **ابن منقذ:** المنازل والديار، ص٥٥، ٥٦ .

(٢) **ابن منقذ:** المنازل والديار، ص٥٦-٦١ .

(٣) **ابن منقذ:** العصا، ص٢٢-٢٦ .

(٤) **ابن منقذ:** العصا، ص٢٤٤-٢٥١ .

ويطنب أسامة في سرد ووصف الحادثة التاريخية لمشاهدته لها وحضوره في قلب الحدث، مثل ما حكاه عن حملة إسباسلار برسق بن برسق، وطال سرد الوقائع والأحداث في صفحات مطولة[١].

وقد يوجز في بعض الأحداث بالرغم من معاصرتها ومشاهدتها، وهو أمر أدعى للتفصيل وللإطالة، وربما يرجع ذلك إلى خلو هذه الأحداث من العبرة التي يجنح إليها أسامة في روايات كتاب الاعتبار من جانب، وربما لنسيانها من جانب آخر، كنحو قوله: " فأقمت بعسقلان لمحاربة الفرنج أربعة أشهر، هجمنا فيها مدينة يُبنى، وقتلنا فيها نحو مائة نفس، وأخذنا منها أسارى " [٢].

وقد يشير أسامة إلى استخدامه أسلوب الاختصار في بعض الروايات كقوله: " فهذا خبر طالوت على طريق الاختصار؛ لأن المقصود منه ذكر العصا " [٣]، وقوله: " وأنا مورد سبب غسل إبراهيم -عليه السلام- رأسه ، مختصراً ما أورده أصحاب السير في ذلك" [٤]، وقوله: " شاهدت من الصيد مع هؤلاء الأكبر شيئاً كثيراً ما اتسع لي الوقت لذكره مفصلاً " [٥]، وقوله: " حصر ذكر الصيد وقد شهدته سبعين سنة من عمري غير ممكن ولا مستطاع ... " [٦] .

ولأسامة مهارات أسلوبية في عرض مادته التاريخية منها أنه اعتاد الربط بين الروايات المتشابهة بعبارت: " ومن ذلك " [٧]، ومن ذلك ما حضرته " [٨]، " ومن ذلك ذلك ما حكاه لي... " [٩]، " ومن ذلك ما حدثني..." [١٠]، " وقد جرى لي ما يشبه ذلك"[١١]،

---

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار ، ص ٩٥ – ٩٩ .

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار ، ص ٤٠ .

(٣) **ابن منقذ:** العصا، ص ٦٨ .

(٤) **ابن منقذ:** المنازل والديار، ص ٣٦٢ .

(٥) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٢٠٦ .

(٦) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٢٣٣ .

(٧) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٠١، ١٠٨، ١٠٩، ١١٧، ١٥٥ .

(٨) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٩٥ .

(٩) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٩٢ .

(١٠) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٩٤ .

(١١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١١٥ .

" ومما يقارب ذلك " [1]، ومنها الربط بين فصول كتابه بعبارات تفيد التذكير بمنهجه في ترتيب مادته العلمية، كقوله: " إلى ها هنا انتهى القول في الآيات والنبوة في ذكر العصا وذكر اشتقاقها، قال المؤلف: وسأورد بمشيئة الله تعالى ما جاء فيها من الأخبار والأشعار، والله الموفق لما يشاء ويختار" [2]، ومنها عبارات تفيد الانتهاء من الفصل كقوله: " اقف من هذا الفصل عند هذا الحد، متمثلاً بقولي: دع ذكر من قتل الهوى فحديثهم ... فينا يشيب ذكره المولودا " [3]

وقد يضع صفحات تمهيدية للموضوع الذي سيتناوله لاحقاً، كما في قوله: " وقد ذكرت شيئاً من أفعال الرجال. وسأذكر شيئاً من أفعال النساء بعد بساط أقدمه "[4]، ثم تناول الأحداث السياسية للمنطقة في عدة صفحات ثم ذكر نماذج لأفعال النساء في الحروب .

أما عن طريقة أسامة في عرض الأحداث والأخبار التاريخية؛ فقد راوح فى عرضها بين السرد التاريخي والحوار الأدبي، فطريقته في السرد التاريخي نحا فيها منحى قصصي، فالحوادث أو الروايات التاريخية التي مصدرها المشاهدة والعيان يرويها، ويعرضها بأسلوب سردي حكائي، يضمنه الوصف الدقيق للمكان والزمان والأحداث والأشخاص، وما يظهر عليهم من انفعالات نفسية وحركية في القتال [5]، وأما التي مصدرها السماع، فهو يقدم طريقته في السرد التاريخى متصلة بالسند، فهو يهتم بالإسناد، وسيتم تفصيل هذه النقطة في فصل المصادر.

ومن الأمثلة على سرد أحداث تاريخية بأسلوب حكائي، ما رواه أسامة عن الفتنة التي حدثت بين عسكر الخليفة الفاطمي الحافظ وعبيده، فحكى الآتي: " ... فوقع بين السودان، وهم في خلق عظيم، شرٌ وخُلْف بين الريحانية، وهم عبيد الحافظ، وبين الجيوشية والإسكندرانية والفَرْحيّة، فكان الريحانية في جانب، وهؤلاء كلهم في جانب متفقين على الريحانية، وانضاف إلى الجيوشية قوم من صبيان الخاص. فاجتمع من الفريقين خلق

---

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٥٦، ١٦٤ .

(٢) **ابن منقذ:** العصا، ص ٨٢ .

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٧٨ .

(٤) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٣٩ .

(٥) **رغدة الزبون:** قراءة تحليلية في كتاب الاعتبار، ص١٧ .

عظيم، وغاب عنهم الحافظ، وترددت إليهم رسله. وحرص على أن يصلح بينهم. فما أجابوا إلى ذلك، وهم معه في جانب البلد، فأصبحوا التقَوا في القاهرة، فاستظهرت الجيوشية وأصحابها على الريحانية، فقتلت منهم في سويقة أمير الجيوش ألف رجل، حتى سدوا السويقة، ونحن نبيت ونصبح بالسلاح، خوفاً من ميلهم علينا، فقد كانوا فعلوا ذلك قبل طلوعي إلى مصر، وظن الناس لما قتل الريحانية أن الحافظ ينكر ذلك، ويوقع بقاتليهم، وكان مريضاً على شفى، فمات رحمه الله بعد يومين، وما انتطح فيها عنزان "(١).

أما الحوار؛ فقد اعتمد عليه أسامة بكثافة في وصفه بعض الأحداث التاريخية على شكل محاورات أو مخاطبات بين شخصيات الحدث التاريخي، يتبادلون الآراء حول موقف معين، أو حول قضية ما، أو حوار بين الجنود في المعارك والحروب، وقد يحتوي الحوار على رسالة أو عبرة واضحة تجاه القارئ، يهدف أسامة إلى إيصالها إليه عبر هذا الحوار، وقد يكون هدف إيراد الحوار إيضاح القدرات والمزايا التي تتمتع بها كل شخصية من هذه الشخصيات المتحاورة، وإبراز الحجج والبراهين لموقفه.

ومن المحاورات والمخاطبات التي أوردها أسامة في كتاباته بين الجنود في المعارك، قال: " ورأيت وأنا في القتال، فارساً قد حَمَل على فارس منّا طعن حصانه قتله، وصاحبنا راجل في الأرض ولا أدري مَنْ هو لبعد ما بيننا، فدفعت حصاني إليه خوفاً عليه من الإفرنجي الذي طعنه، وقد بقيت القنطارية في الحصان، وهو ميت، قد خرجت مصارينه... فلما وصلتُه وجدته ابن عمي ناصر الدولة كامل بن مقلَّد رحمه الله، فوقفت عليه، وأخليت له ركابي، وقلت: اركب فلما ركب رددت رأس حصاني إلى المغرب والمدينة في شرقيّنا. قال لي: إلى أين تروح؟ قلت: إلى هذا الذي طعن حصانك، فهو فرصة! فمدّ يده، وقبض على عنان الحصان، وقال: ما تطاعن وعلى حصانك لابسان، إذا أوصلتني ارجع طاعنه. فمضيت أوصلته، وعدت إلى ذلك الكلب، وقد دخل في أصحابه" (٢).

ومن الأمثلة على الحوار ما دار بين أسامة وعربان الجفر، إذ بلغ ما يقارب الصفحة، تحدث أسامة من خلاله عن إحسانه إليهم، وكيف قدم لهم العون والمساعدة رجالاً ونساءً(٣).

---

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار ، ص٢٩، ٣٠ .

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار ، ص١١٤ .

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار ، ص٣٤، ٣٥ .

ومـن الحـوارات التـي يتبـادل فيهـا شخصـيات الحـدث الأراء حـول موقـف معـين[1]: " وجلس بعده الظافر بأمر الله، وهو أصغر أولاده، واستوزر نجم الدين ابن مصال، وكان شيخاً كبيراً. والأمير سيف الدين أبو الحسن علي بن السّلار – رحمه الله – إذ ذاك في ولايته، فحشد وجمع وسار إلى القاهرة، ونفّذ إلى داره، فجمع الظافر بأمر الله الأمراء في مجلس الوزارة، ونفّذ إلينا زمام القصور، يقول: " يا أمراء هذا نجم الدين وزيري ونائبي، فمن كان يطيعني، فليطعه، ويمتثل أمره " فقال الأمراء: نحن مماليك مولانا، سامعون مطيعون. فرجع الزمام بهذا الجواب. فقال أمير من الأمراء، شيخ يقال له لكرون: " ياأمراء! نترك عليّ بن السّلار يُقتل "؟ قالوا " لا والله! ". قال " فقوموا ". فنفروا كلهم وخرجوا من القصر، شدّوا على خيلهم وبغالهم وخرجوا إلى معونة سيف الدين بن السلار، فلما رأى الظافر ذلك، وغُلب عن دفعه، أعطى نجم الدين بن مصال مالاً كثيراً وقال: " اخرج إلى الحَوْف، اجمع واحشد، وأنفق فيهم، وادفع ابن السلار " فخرج لذلك " .

ومن المواقف الحوارية الرائعة التي يهدف منها أسامة إيصال رسالة ما للقارئ، الحوار الذي دار بينه وبين الوزير الفاطمي رضوان بن الولخشي، قال: " ثم إن رضوان وصل إلى صلخد، وفيها أمين الدولة طُغدكين أتابك رحمه الله. فأكرمه وأنزله وخدمه. وملك الأمراء أتابك زنكي بن آقسنقر – رحمه الله –على بعلبك يحاصرها. فراسل رضوان، واستقرّ أنه يمضي إليه. وكان رجلاً كاملاً كريماً شجاعاً كاتباً عارفاً، وللجند إليه ميل عظيم لكرمه. فقال لي الأمير معين الدين: " هذا الرجل إن انضاف إلى أتابك دخل علينا منه ضرر كثير! " قلت: " فأي شيء ترى؟ " قال: " تسير إليه لعلك تردّ رأيه عن قصْد أتابك، ويكون وصوله إلى دمشق، وأنت ترى فيما تفعله في هذا رأيك "، فسرت إليه إلى صلخد، واجتمعت به وبأخيه الأوحد، وتحدثت معهما. فقال لي الأفضل رضوان: فرَط الأمر مني، ورهنت قولي عند هذا السلطان بوصولي إليه، ولزمني الوفاء بقولي، قلت: أقدمك الله على خير! وأنا أعود إلى صاحبي، فإنه ما يستغني عني، بعد أن أخرج إليك بما في نفسي، قال: قل، قلت: إذا وصلت إلى أتابك، معه من العسكر ما يُنفذ نصفه معك إلى مصر، ويُبقى نصفه يحاصرنا به؟ قال: لا، قلت: فإذا هو نزل على دمشق وحاصرها وأخذها، بعد المدة الطويلة، يقدر، وقد ضعف عسكرة وفرغت نفقاتهم وطالت سفرتهم، يسير معك إلى مصر، قبل أن يجدد بَرْكه، ويقوي عسكره؟ قال: لا قلت: ذلك الوقت يقول

(١) **ابن منقذ**: الاعتبار ، ص٣٠، ٣١ .

لك: نسير إلى حلب نجدد آلة سفرنا، فإذا وصلتم إلى حلب قال: نمضي إلى الفرات نجمع التُّرْكُمان. فإذا نزلتم على الفرات قال: إن لم نُعَدِّ الفرات ما يجتمع لنا التركمان، فإذا عدَّيتم تشوّف بك، وافتخر على سلاطين الشرق، وقال: هذا عزيز مصر في خدمتي، وتتمنى ذلك الوقت أن ترى حجراً من حجارة الشام، فلا تقدر عليها، وتذكر حينئذ كلامي، وتقول: نصحني ما قَبِلت، فأطرق مفكراً لا يدري ما يقول، ثم التفت إليّ وقال: ماذا أعمل، وأنت تريد ترجـــع؟، قلــت: إن كــان في مُقـامي مصلحــه أقمـــت، قـــال: نعـم فاقمت، وتكرر الحديث ... "[1].

ومن الحوارات الفلسفية التي هدف منها أسامة إيضاح القدرات والمزايا التي تتمتع بها كل شخصية من هذه الشخصيات المتحاورة، وإبراز الحجج والبراهين لموقفه قلت: تفاوضنا يوما في ذكر القتال، ومؤدبي الشيخ العالم أبو عبد الله محمد بن يوسف، المعروف بابن المنيرة رحمه الله يسمع، فقلت له: يا أستاذ! لو ركبت حصاناً، ولبست كزاغندا وخوذة، وتقلدت سيفاً، وحملت رمحاً وتُرساً، ووقفت عند مشهد العاصي (موضع ضيق كان الإفرنج لعنهم الله يجتازون به) ما كان يجوزك أحد منهم؟، قال: بلى والله! كلهم، قلت: كانوا يهابونك، ولا يعرفونك؟ "، قال: سبحان الله! فأنا ما أعرف نفسي! ثم قال لي: يا فلان! ما يقاتل عاقل، قلت: يا أستاذ! تحكم على فلان وفلان (وعددت له رجالاً من أصحابنا من شجعان الفرسان) أنهم مجانين! قال: ماذا قصدت، إنما العقل لا يحضر وقت القتال، ولو حضر ما كان الإنسان يلقى بوجهه السيوف وبصدره الرماح والسهام. ما هذا شيء يقضي به العقل، وكان رحمه الله بالعلم أخبر مما هو بالحرب، فإن العقل هو الذي يحمل على الإقدام على السيوف والرماح والسهام، أنفةً من موقف الجبان وسوء الأحدوثة، ودليل ذلك: أن الشجاع يلحقه الزَّمع والرِّعدة وتغير اللون، قبل دخوله في الحرب، لما يفكر فيه، وتحدّث به نفسه، مما يريد يعمله، ويباشره من الخطر، والنفس ترتاع لذلك وتكرهه، فإذا دخل في الحرب، وخاض غمارها، ذهب عنه ذلك الزّمع والرِّعدة، وتغير اللون، وكل أمر لا يحضره العقل يظهر فيه الخطأ والزلل" [2] .

ومما سبق يمكن القول أن الطابع العام والأغلب لهذه الحوارات يدور حول مواقف سياسية أو لها علاقة غير مباشرة مع السياسة، لكنها في النهاية تكون معظمها لأغراض

---

(١) **ابن منقذ**: الاعتبار، ص٥٣، ٥٤ .

(٢) **ابن منقذ**: الاعتبار، ص٩٩ .

سياسـية، كمـا يفهـم مـن كثافـة اسـتخدامه أسـلوب الحـوار فـي كتابتـه للتـاريخ أو لروايـات تاريخية، تدل على اهتمامه بهذا النوع من الكتابة. ولهذا إن القارئ لكتاب الاعتبار، يجد أن الحوارات التي تدور بين الشخصيات الواردة تجعل منه نابضاً بالحياة .

ت- **انتقاء الحوادث والأخبار التاريخية :**

أتى أسامة بن منقذ في كتابه " الاعتبار" بالحوادث والوقعات التي تخدم هذا المفهوم؛ بمعنى أنه ساق رواياته التاريخية من حوادث ومعارك وفتن وغيرها، تخدم مضمون كتابه وموضوعه الأساسي وهو العبرة والعظة، وهنا يتبين لنا الأسس التي انتقى بها مادته في هذا الكتاب، فعندما اختمرت لديه فكرة موضوع استخلاص العبر، والعظات من الأحداث التـي مـر بهـا، أخـذ يقلـب الأحـداث التاريخيـة التـي شـاهدها وعاينهـا والتـي سـمعها مـن معاصريه، وينتقي منها ما يراه مناسباً، ويخدم موضوعه الذي بنى على أساسه الكتاب، فهو لا شك تعرض لأحداث كثيرة، ولكنه أختار ودوَّن ما لقى فيها من عبر الحوادث[1]، معتمداً على منطق تداعي الأفكار والأحداث لا إلى منطق التسلسل الزمني؛ أي معتمداً على ذاكرته في استرجاع الأحداث، وانتقى منها عجائب الأمور متنوعاً في طبيعة مادته كالآتي:

- **اعتماده على ذكر عجائب الأمور**

كـان اهتمـام أسـامة فـي روايـة أحداثـه ووقعاتـه ذكـر عجائـب ماحدث فيهـا ووضـح منهجـه بذلك فـي قولـه: " وسـأورد مـن عجائـب مـا شـاهدته، ومـا مارسـته فـي الحـروب مـا يحضرني ذكره " [2]، وأشار إلى هذا في عدة مواطن من الكتاب، فقال: " ومن عجائب ما جرى في تلك الواقعة بالإفرنج " [3] وقوله: " ومن عجائب الطعن" [4]، وقوله: " وشاهدت من نخوات النساء عجباً " [5]، وقوله: " وسأذكر شيئاً من أمورهم وعجائب عقولهم "[6].

(١) **شوقي ضيف** : الترجمة الشخصية ، ص ٩٤ .

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار ، ص٥٨ .

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار ، ص١٣٦ .

(٤) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٧٢ .

(٥) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٤٧ .

(٦) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٥١ .

●اعتماده على التذكر والاسترجاع:

استخدم أسامة ذاكرته لاسترجاع الوقعات التي يتعظ منها بني آدم، وبما أنه كتبه وهو عجوز هرم، ضعفت ذاكرته، فاعتمد على ما حضر في ذهنه منبهاً القارئ بذلك ، فأشار إلى هذا في عدة مواطن من الكتاب، فقال: " وسأورد من عجائب ما شاهدته، وما مارسته في الحروب ما يحضرني ذكره " [١]، وقال أيضاً: " قد ذكرت من أحوال الحرب، وما شاهدته من الوقعات والمصافات والأخطار ما حضرني ذكره " [٢]، وقد أشار أسامة إلى نسيانه بعض الأحداث التي مرت به لتقدمه في العمر، وغيابها عن ذاكرته، فيقول: " فإن العمر طال، ولزمت الانفراد والاعتزال، والنسيان متوارث متقادم من أبينا آدم" [٣]، ويقول: " وأنا أذكر منها ما يحضرنى ذكره، فإن الأمد قد طال، وأنسنتي السنون كثيراً من أحوله" [٤].

●اعتماده على الاستدعاء والتكرار:

مع أن أسامة اشتكى من النسيان إلا أن الأحداث التي كان يوردها– على ما بينها من امتداد زمني – كان بعضها يستدعي بعضها الآخر[٥]، بمعنى أنه عندما يتحدث عن حادثة معينة، فإنه من خلال حدث فيها أو أمرٌ ما فيها يُذكره بحدث شبيه له شاهده أو سمعه، أو حدث مضاد له وينافيه، فيذكره أيضاً للعبرة منه، ومن هنا فإنه اعتمد على أحداث تستدعي أحداث متشابهة أو متضادة، ومن الأمثلة على الاستدعاء قوله : " أذكرني ضرب حجر المنجنيق رأس ذلك الشيخ، ضرب السيوف الماضية " [٦]، ومنه أيضاً قوله: " أذكرني ذكر الخيل بأمر جرى لي " [٧]، وقوله: " وقد جرى لي مثل ذلك"[٨]، ولم يكن أسامة يستدعي الأمثلة المتشابهة في مضمونها فقط، وإنما كان يستدعي أيضاً

---

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار ، ص٥٨ .

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار ، ص٢٠٠ .

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار ، ص٢٠٠ .

(٤) **ابن منقذ:** الاعتبار ، ص٢١١ .

(٥) **رغدة الزبون:** قراءة تحليلية في كتاب الاعتبار، ص١٤، ١٥.

(٦) **ابن منقذ:** الاعتبار ، ص١٣٧ .

(٧) **ابن منقذ:** الاعتبار ، ص١٢٢ .

(٨) كان أسامة يستخدم هذه العبارة عندما يتذكر خبرا أو قصة مشابهة للخبر الذي يرويه . **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٩٤، ١٠١، ١٠٨، ١١٥، ١٥٥، ١٥٦، ١٧٠، ١٧٢ .

أحداثاً تختلف عن بعضها من بعض الجوانب، و يذكر في بعض الأحيان أحداثا متضادة [١]، فمن هذا قولـه: " ورأيـت مثـل ذلـك، وإن لـم يكـن فـي الحـرب " [٢]، ويـذكر ضـد هـذا الموقف في الصفحة ذاتها ، ويقول بعد أن تحدث عن امرأة تدعى بريكة " أذكرني قوة نفس هذه الكلبة بأمور جرت للنساء في الوقعة التي كانت بيننا وبين الإسماعيلية، وإن لم تكن سواء " [٣] .

ويبدو أن هذا منهج عام لأسامة إذ نراه في كتاب العصا يقول[٤]: " أذكرنـي أمـر جران العود وامرأته، حكاية رجل حضر عند بعض القضاة يشكو امرأته... " .

ويعتمد أسامة أحياناً على تكرار الأحداث المتشابهة والغير متشابهة، مستعملاً لفظ " ومن ذلك"؛ إما تأكيداً لإيصال العبرة، وإما راجع لعفوية الحديث، وكأنه يجالس سماره، وحديث يجر حديث، ويجر متشابهات، وهلم جر، وهذا ما يفعله الناس إلى اليوم في مجالس السمر، والأمثلة لهذا التكرار كثيرة.

ومما سبق يتبين أنه يعتمد في انتقائه للمادة التاريخية على ما يخدم موضوع الكتاب، سواء كان للعبرة والعظة أم التأسي على ما فات، وغيرها من موضوعات مؤلفاته، وهذا يدل على حسن اختياره لمادة مؤلفاته، والتي تتناسب مع موضوع بحثه، ومما يؤكد ذلك! مروياته التي تناقلتها الكتب التاريخية والأدبية، فليس أدل من ذلك على سمو أسامة في اختيار نوعية الروايات التي يرويها، فضلاً عن أسلوبه المتميز في سرد الرواية، لكنه لايحسن ترتيبها وتنظيمها؛ فهو يترك تدوينها للعفوية والتذكر، فإذا طرأ خبر في ذهنه أو ذُكِّرَ به من معلومة، أو اسم، أو أي شئ فى الخبر السابق تدوينه يكتبه غير مكترس بأي ترتيب أو تنظيم ، ولكنه يكتفي بتنبيه القارئ بأنه ليس من موضوع البحث؛ بل كتبه لغرض ما، ويعين الغرض.

(١) **رغدة الزبون:** قراءة تحليلية في كتاب الاعتبار، ص١٥.

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار ، ص١٠٨ .

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار ، ص١٤٤ .

(٤) ص ٣٤٠ .

ثانياً: منهجه في كتابة التراجم:

عرفنا من دراسة سيرة أسامة ومؤلفاته أنه كان عالما، واسع الإطلاع، غزير المعارف ولا سيما في التراجم، وهو الحقل الذي ألف فيه مجموعة من الكتب منها التاريخ البدري، وفضائل الخلفاء الراشدين، وشعراء الشام المتأخرين، ومجموع لتراجم بعض الشعراء سأله الرشيد بن الزبير إياهم ليلحقه بكتابه جنان الجنان، وذيل يتيمة الدهر للثعالبي، بالإضافة إلى بعض التراجم المتناثره في ثنايا مؤلفاته المطبوعة، ولم يقف أسامة في كتابيه: القلاع والحصون، وأخبار البلدان، عند البلاد من مباني ومواقع وأشباهها، ولكن تجاوز ذلك إلى تراجم الرجال الذين حكموا تلك البلاد "، كما ينص على ذلك بعض من ترجموا له كابن خلكان: قال أسامة بن منقذ في كتابه الذى ذكر فيه البلاد وملوكها الذين كانوا فى زمانه ..." [١].

ولمعرفة منهج أسامة في كتابة التراجم هناك عدة محاور رئيسة للمنهجية التي استخدمت في كتابة التراجم في القرن (٦هـ/١٢م) تمثلت بما يلي: الترتيب والتنظيم المعتمد في كتابة التراجم، وطبيعة التراجم وأسس انتقائها، وصياغة التراجم وعناصرها، إضافة إلى الشروط التي يجب توافرها في كاتب التراجم.

أما عن الترتيب والتنظيم المعتمد في كتابة التراجم؛ فتنوعت طرق ترتيب التراجم التي اتبعها مؤرخو القرن (٦هـ/١٢م) كالترتيب على حسب السنين، أو الترتيب على حروف المعجم، أما أسامة فنظراً لضياع كل مؤلفاته الخاصة بالتراجم يصعب تحديد منهجه في ترتيب وتنظيم مادته العلمية بها، إلا بعض الإشارات التي تفيد بأنه اتبع طريقة الترتيب على حروف المعجم [٢] في كتابه " التاريخ البدري" المختص بتراجم أهل بدر من الفريقين[٣].

وبالنسبة لطبيعة التراجم؛ وأسس انتقائها؛ فمن خلال دراسة النماذج التي وصلت إلينا لبعض تراجم كتبها أسامة، تبين أنه سار وفق خطة مرسومة في الانتقاء، سواء أكان ذلك في انتقاء التراجم أم في انتقاء المادة المذكور في كل ترجمة، وقد انطلق في كل ذلك من

---

(١) **ابن خلكان**: وفيات الأعيان ، ج٧ ، ص، ١٤٢ .

(٢) **المقريزي**: المقفى، ج٢، ص٤٨ .

(٣) **الذهبي**: تاريخ الإسلام، ج٤١، ص١٧٦ .

تقييمه للمترجم له من جهة، والمادة العلمية والأخبار التي تجمعت لديه، واعتمد عليها من جهة أخرى، وكل ذلك إنما يصدر عن رؤية أسامة لفائدة كتبه التي اختصها بالتراجم. ولعلنا نستطيع فيما يأتي أن نتبين أسسَ انتقاءِ التراجم:

الاختصاص النوعي والمكاني: اقتصر أسامة في كتابه" شعراء الشام المتأخرين"، وكتابه" مجموع تراجم لبعض الشعراء الذي كتبه للرشيد بن الزبير " على تراجم الشعراء وخاصة شعراء الشام، ومما يدل على ذلك ذكره في بداية كل ترجمة قوله : " ومن شعراء الشام..." [(١)]، وأيضاً عندما تضمن أسماء الشعراء الذين سأله الرشيد بن الزبير عنهم شاعراً ليس من أهل الشام، ترجم له أسامة، ونبه أنه لم يكن مشتهراً بالشعر، وليس من أهل الشام بقوله: " الرئيس أبو تراب حيدرة بن أحمد بن عمر بن موسى، رجل عالم قد خاض في كل العلوم، ونال منها حظاً جسيماً، وبرز في قراءة القرآن وعلومه، ولم يكن مشتهراً بالشعر، وكان أقل فضائله، وليس هو من أهل الشام، وإنما ورد إليه من الشرق، خاطراً، فتمسك به والدي أبو سلامة مرشد بن علي رحمه الله، ... فإن كان هذا المذكور هو الذي اشتمل عليه الرقم، ووسم بأبي تراب الربعي فذاك، وإلا فما أعرف سواه" [(٢)]، ويرجع تخصيص وتركيز أسامة على الترجمة لشعراء الشام؛ لأنها البلاد التي عاش فيها، وأمضى بها مراحل مهمة من حياته في بدايتها ونهايتها.

التراجم بين الإطالة والإيجاز: لم يوازن كتّاب التراجم بين تراجمهم، فقد تطول التراجم أو تقصر، أو قد تفيض أو تغيض تبعاً لاعتبارات كثيرة، بعضها يرجع إلى كاتب الترجمة، وبعضها إلى المترجم لهم، ومنها: المعاصرة، والإعجاب بالشخصية، ووفرة المعارف والمعلومات والحقائق التي تتصل بالمترجم له، وكلها أمور تعين الكاتب على الإطالة في الترجمة، وعلى فسح مجال القول فيه، وهذه الأمور جميعها تكون فاعليتها مشروطة بقدرة المؤلف، وإمكاناته الشخصية[(٣)] .

أما بالنسبة لأسامة؛ فيعتبر حجم الترجمة من الأمور الواضحة لمطالع نماذج ترجماته، فتباينت أحجام تراجم الشعراء تبايناً كبيراً، فحيناً نجده يطنب في تراجم بعضهم قد

---

(١) **ابن العديم:** بغية الطلب، ج٢، ص٧١٦، وج٥، ص٢٢٧٨، وج٨، ص٣٧٩١، وج٩، ص٤١٤٦، ٤١٧٣، وج١٠، ص٤٣٣٢ .

(٢) **ابن العديم:** بغية الطلب، ج٦ ، ٣٠٠٩ – ٣٠١١ .

(٣) **محمد عبد الغني:** التراجم والسير، ص ٨٢ .

تبلغ صفحات، مثل ترجمة الرئيس أبو تراب حيدرة المعروف بابن قطرميز [1]، والأمير أبو الفتح بن أبي حصينة [2]، الأمير المهند أبو نصر أحمد بن عبيد الله الأسدي، المعروف بابن الخيشي[3]، ونجده حيناً لا يورد لتراجم بعضهم إلا الشئ اليسير من معلومات قليلة، وروايات مقتضبة، لا تزيد عن بضعة أسطر، مثل الشاعر الفقيه أبو علي الحسن بن أحمد[4]، والشاعر أبو نصر المنازي[5]، والشاعر أبو البركات بن أبي جوزة [6]، وربما يعود اقتضابه في بعض التراجم إلى قلة ما توفر لديه من أخبار وروايات عن ذلك المترجم له، أما ما أورده أسامة من معلومات وافية عن بعض التراجم؛ فربما أو يقيناً أن ذلك يعود إلى شيوع أخبارهم في مختلف الروافد العلمية المتوفر لديه يوم ذاك، ويعود كذلك إلى عظم شأنهم وشهرتهم، أو لاتصالهم به، وعلاقتهم به.

وأما عن صياغة التراجم وعناصرها؛ فتختلف مادة تراجمة، حسب طبيعة المترجم له، وقيمته العلمية، أو الأدبية، أو مكانته بين الشعراء، فأسامة يعني في معظم التراجم التي وصلت إلينا بذكر بعض العناصر الرئيسة وغير الرئيسة، ولكي نتعرف على بعض هذه العناصر المهمة التي ركز عليها أسامة في كتابة تراجم الشعراء، نستعرض بعض الأمثلة التوضيحية لمنهجه في ذلك:

١-ترجمة الشاعر أبو نصر أحمد بن حمزة الأسدي:

قال أسامة[7]: " ومن شعراء الشام الأمير المهند أبو نصر أحمد بن عبيد الله الأسدي، المعروف بالخيشي، وهو شاعر مجيد عجيب الأسلوب، طويل النفس، يخرج من حسن إلى حسن، وكان يبسط لسانه بالهجو سراً، ويترفع عنه ظاهراً؛ فمن شعره يمدح ضياء الدولة أبا علي حسن بن منيع قصيدة أولها:

---

(١) **ابن العديم:** بغية الطلب ، ج٦ ، ٣٠٠٩ – ٣٠١١ .

(٢) **ابن العديم:** بغية الطلب ، ج٥ ، ص ٢٤١٨ – ٢٤٢٠ .

(٣) **ابن العديم:** بغية الطلب ، ج٢ ، ص ٧١٦ – ٧١٩ .

(٤) **ابن العديم:** بغية الطلب ، ج٥ ، ص ٢٢٧٨ .

(٥) **ابن العديم:** بغية الطلب ، ج٣ ، ص ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ .

(٦) **ابن العديم:** بغية الطلب، ج١٠ ، ص ٤٣٣٢ .

(٧) **ابن العديم:** بغية الطلب ، ج٢ ، ص٧١٦- ٧١٩ .

كم بين غيطل في الهوى ومعان   من أربع أشتاقها ومغاني[1]

... كتب عبد الله بن الدويدة المعري الى جدي سديد الملك أبي الحسن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ وقد وفد عليه ابن الخيشي الشاعر:

يـا علـيّ بـن منقـذ يـا هماما   حين يـدعى الـوغي يعـدّ بجـيش
قد أتاك الخيشي في وسط آب   بقريض يغنيك عن بيت خيش "[2]

٢-ترجمة الشاعر أبو البركات بن أبي جوزة :

قال أسامة[3]: " ومن شعراء الشام أبو البركات بن أبي جوزة، وليس من المشهورين بجيد الشعر، من شعره :

نثرت مقلتاي دمعا فريدا ... حين بانوا عني فبت فريدا

يا أخلّائي ليس قلبي على البين ... كما تعهدون قـدما جليدا. [4]

٣-ترجمة الشاعر أحمد بن منير الطرابلسي[5]:

قال أسامة: " ومنهم شرف الأدباء أبو الحسين أحمد بن منير الطرابلسي، أوحد عصره، ولسان دهره، تأخر زمانه وتقدم فضله وبيانه، فهو زهير الفصاحة، وابن حجاج الملح والطرافة، في أشعاره لطافة تستخف القلب، وتملك السمع، وكل فن من فنون الشعر يقصده، يستولي على محاسنه وفنونه، ويحرز أبكار معانيه وعونه، فمن شعره في الغزل ... ".

٤- **ترجمة الرئيس أبو تراب حيدرة ابن قطرميز[6]**. قال أسامة: " الرئيس أبو تراب حيدرة بن أحمد بن عمر بن موسى رجل عالم قد خاض في كل العلوم، ونال منها

---

(١) **البيت من بحر الكامل.**

(٢) **البيتين من بحر الخفيف.**

(٣) **ابن العديم:** بغية الطلب، ج١٠ ، ص ٤٣٣٢ .

(٤) **البيتين من بحر الخفيف.**

(٥) اقتبس ابن العديم هذه الترجمة من المجموع الذي كتبه أسامة للرشيد بن الزبير؛ ليلحقة بكتابه جنان الجنان. انظر: بغية الطلب، ج٣ ، ص ١١٥٨ ، ١١٥٩ .

(٦) نسبه ابن العديم للمجموع الذي كتبه أسامة للرشيد بن الزبير؛ ليلحقة بكتابه جنان الجنان. انظر: بغية الطلب، ج٦ ، ٣٠٠٩ – ٣٠١١ .

حظاً جسيماً، وبرز في قراءة القرآن وعلومه، ولم يكن مشتهراً بالشعر، وكان أقل فضائله، وليس هو من أهل الشام، وإنما ورد إليه من الشرق خاطراً فتمسك به والدي أبو سلامة مرشد بن علي رحمه الله، وترك له ما اقترح، وقرأ عليه القرآن والنحو وعلم النجوم، وكان هذا الرجل يعرف بابن قطرميز، وسبب ذاك: أن رجلا من أماثل أهل الجزيرة، يعرف بابن قطرميز تزوج والدته، وكان له ولد في عمر أبي تراب، فألزمه بقراءة العلوم، وأبو تراب معه، فمهر أبو تراب، وبلغ ما لم يبلغه ولده، واشتهر فنسب الى زوج أم، شاهدت منه كتابا الى والدي رحمه الله يقول فيه: وقد كنت بحسن رأيه، وبدوام علائه، رضي البال، بالغ الآمال، فحين علم الزمان ذلك من عيشتي الراضية، رماني بسهام قاضية، فأعادت الصفاء رنقاً، والعذاب طرقا... وقال أسامة- ونقلته من خطه في الكتاب المذكور- وصنف لوالدي كتابا في النجوم سماه (المنهاج) أحسن فيه، افتتحه بقصيدة، لم أحفظ منها، سوى هذين البيتين... ، وكان له أهل بحرّان وأهل بشيزر، فإن كان هذا المذكور هو الذي اشتمل عليه الرقم، ووسم بأبي تراب الربعي فذاك، وإلا فما أعرف سواه ".

ومما الأمثلة السابقة يتبين أن أهمية شخصية المترجم له ومكانته، أسفرت عن حدوث تباين كبير في عناصر الترجمة، ففي الوقت الذي نجد فيه ترجمة متضمنة الكثير من متطلبات التعريف، نجد غيرها لم تحظ إلا بالقليل من المعلومات، وربما معظم عناصر الترجمة، لا نجدها اجتمعت في ترجمة واحدة، ولذلك ينبغي أن نعرض عناصر التراجم التى حوتها تراجم أسامة وفق التقسيم التالي:

أ- العناصر العامة:

-**الاسم وتوابعه من كنية ولقب:** ويتصدر الترجمة- دائماً- وقد يتسلسل في مواضع يسيرة ليحتوي على اسم المترجم له، فوالده، فأجداده، أو يرد ثنائيا، وقد اشتمل على اسم المترجم له، فأبيه، أو ينسبه إلى جده، وقد يأتي موسوماً بما اشتهر به من كنية منسوباً إلى كنية أبيه. وكانت الألقاب والكنى عادة تتقدم الأسماء فى مواضع عديدة قد تدل على شهرته بها أو مكانته، وقد يتبع الإسم بنسبته إلى الانتماء القبلي أو الجغرافي .

-**تقييم أسامة للمترجم له ومنزلته ومكانته بين الشعراء:** حرص أسامة في كل تراجمة على أن يقيم وينقد المترجم له، وخاصة فضيلة الشعر سلباً وإيجاب.

-**نماذج من أشعاره:** عنى أسامة عناية فائقة بإيراد نماذج من شعر الشعراء، حتى ولو بيتين من الشعر، وهو بهذا يقدم لنا العديد من المختارات الشعرية الخاصة بشعراء

وأدبـاء القـرن (٥هـ/١١م)، والتـي تلعـب دورا مهمـاً فـي دراسـة الأدب فـي ذلـك العصـر، بالإضافة الى أنه بهذه الإختيارات يعطينا صورة عن طبيعة تقييمه ونقده الشعر، مما يكون مادة لدراسة الأغراض الشعرية.

ب- العناصر الخاصة:

وهي عناصر متفرقة خاصة بالمترجم له، وتتصل بطبيعته ومكانته وشهرته، وعلاقته بـالمؤلف، فهـو يعنـي مـثلاً بـإيراد اسم الشـهرة إذا طغـت علـى الأسـماء الحقيقيـة، أو إيـراد النسبة، سواء الى قبيلته، أو إلى موضع النشأة والتكوين، أو إيراد الألقاب العلمية، وبعض مصـنفات المتـرجم لـه، إذا تـوفر لديـه هـذا العنصـر حسـب مصـدر ترجمتـه، وحسـب طبيعـة المترجم له، أو إيراد أخبار وطرف وغير ذلك من أمور تسهم في رسم المعالم العامة عنه.

ويلاحظ أن أسامة أهملَ عنصر المولدِ، وهـو مـن أهـم عناصـر الترجمـة لـدى كتـابِ التـراجم، لمـا لهـو مـن دور بـارز فـي الوقـوف علـى صـحة بعـض المعلومـات المتعلقـة بـه، وأيضاً أهمل النشأة والتكوين، والنشاط العلمي، والشيوخ والمؤدبين الذين أخذوا علـى أيـديهم، وعنصر الوفاة ولو تقريبياً، وكل ذلك من الأمور الهامة في كتابة التراجم.

أمـا مـا يخـص صـياغة التـراجم؛ فمـن خـلال الدراسـة السـابقة لـبعض تراجمـه نلحـظ اختلاف أسلوب أسامة في التراجم عن أسلوبه في الروايات والأخبار، فهو لم يقتصـر علـى الإبـداع فـي الأسـلوب النثـري فحسـب؛ بـل تعـداه الـى اسـتخدام السـجع الغيـر متكلـف، مـع وضوح العبارة بعيداً عن غريب الألفاظ .

<u>ثالثاً</u>: <u>منهجه في عرض أخبار الصالحين وكراماتهم</u>:-

عانـت الأمـة مـن الضـعف والخـور والانكسـار بعـد القـرن (الخـامس الهجـري/ الحـادي عشر الميلادي) بسبب الظروف السياسية، فلجأت إلـى الإعتقـاد بقوى أخرى غير منظورة؛ لتساعدها في حل مشكلاتها، وتمشياً مع متطلبات هذا العصر فقد خصص أسامة حيزاً فى كتابه " الاعتبار" عن أخبار الصالحين وكراماتهم، وأورد فيه طائفة من أخبارهم، وهي تقوم في جملتها علـى إيراد الأفعال الخارقة للمألوف بأسلوب أدبي حكائي بسيط، يشد القارئ إليها، دون ملل؛ لمـا فيـه مـن إثـارة وتشـويق، وهـي كفاكهـة المجـالس، ويأخـذ منهـا السـامع العظـة والحكمـة والعبـرة، لاسـيما إن الهـدف مـن دراسـة التـاريخ عامـة، ومـن هـذا الكتـاب

خاصة العبر والاتعاظ بما جرى للسابقين[١].

وقد نوّع أسامة في إيراده لكرامات الصالحين، فمنها ما رواه عن كرامات العلاج الخارق، والمتمثل في قدرة بعض الأفراد على شفاء الآخرين من الأمراض من غير استخدام أية وسيلة من وسائل الطب المعروفة[٢]، وذلك من خلال حكايتان عانا فيهما المريضان من مرض عضال، الأول: كان قيم مسجد علي بن أبي طالب في نواحي الأنبار، وكان في وجهه سلعة قد غطت أكثر وجهه، فرأى علي بن أبي طالب في منامه، وشكا له ما به، فاستيقظ، وقد شفي من مرضه[٣]، والثاني كان مشلولاً، فرأى علياً في منامه، فأمره بالنهوض فنهض قائماً على رجله " [٤].

ومنها ما رواه عن كرامات متمثلة في القدرة على اكتساب معلومات عن جسم بعيد من غير تدخل حاسة من الحواس[٥]، مثل الحادثة التي رواها عن الإمام أبي عبدالله محمد البصري، وقد حضرته امرأة تسأله أن يسترد لها كتاب مهرها الذي ضاع منها، فقال لها ما أفعل حتى تأتيني بحلاوة، فاستغرب الحضور طلبه، فألح على المرأة أن تحضر له الحلاوة، فخرجت، وجاءته بما طلب، فأخذ القرطاس[٦] وفتحه ورمى بالحلاوة قطعة قطعة حتى فرغ القرطاس، فإذا هو كتاب صداق المرأة الذي فقدته .... فاستعظم من حضره ذلك، فقال: كلوا الحلال، وقد فعلتم ذلك، وأكثر منه " [٧]، وحادثة رجل من أهل حماة يعمل

---

(١) **شفيق محمد الرّقب و محمد نايف العمايرة** : مظاهر العمران الاجتماعي في بلاد الشام، ص١٤٦ .

(٢) **شفيق محمد الرِّقب و محمد نايف العمايرة** : مظاهر العمران الاجتماعي في بلاد الشام، ص١٤٧. **براءة محمود السقرات:** كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ دراسة تحليلية، ص٥٣ .

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٨٧، ١٨٨ .

(٤) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٩١، ١٩٢ .

(٥) **شفيق محمد الرِّقب و محمد نايف العمايرة** : مظاهر العمران الاجتماعي في بلاد الشام، ص١٤٨. **براءة محمود السقرات:** كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ دراسة تحليلية، ص٥٣، ٥٤ .

(٦) **القرطاس** هو الكاغد ويتّخذ من برديّ مصر، وكلّ كاغد قرطاس. **القلقشندي:** صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٢، ص ٥١٤.

(٧) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٨٤، ١٨٥.

روى أسامة هذه الحادثة عن الامام **ابن الجوزي**، وقال أنه شهدها، والغريب فى ذلك أن ابن الجوزي روى حادثة شبيهة بها، فى كتابه المنتظم، فى ترجمة: أبو الحسن بنان بن محمد بن حمدان بن سعيد، الزاهد وهى: أن رجلاً كان له على رجل مائة دينار بوثيقة إلى أجل، فلما جاء الأجل طلب الوثيقة، فلم يجدها، فجاء= =إلى بنان، فسأله الدعاء، فقال له: أنا رجل قد كبرت، وأنا أحب الحلوى، فاذهب فاشتر لي رطل معقود،

في بستان مرّ بـه رجل غريـب، فتوضـأ، فأخبره أن صـاحب البستان قد توفي، وكـان فـي الحـج، وأنـه كـان ممن صـلى عليـه، " فخرجوا فـي أثره، ليستفهموا منـه، فرأوه علـى بعد لا يمكنهم لحاقه، فعادوا ... فكان الأمر كما كان " [1] .

وقد أورد أسـامة روايـة عـن كرامـة مفادهـا القدرة علـى استجلاب أشـخاص بعيـدين، وبسرعة كبيرة من غير استخدام أية وسيلة نقل مرئية، كما في الحادثـة التـي رواهـا عن عبدالله بـن ميمون الحمويّ، فأوصـى أنـه إذا مـات أن يخرجوا بـه إلـى الصـحراء " ويطلـع إنسان على الرابية التي تشرف على المقابر، وينادي: يا عبدالله بن القبيس، مات عبدالله بن ميمون، فأحضره وصلّ عليه، فلما مات فعلوا ما أمرهم به، فأقبل رجل عليه ثوب خام، ومئزر صوف من الجانب الذي نادى منه المنادي، وجاء حتى صلّى عليه، والناس قد بهتوا لا يكلمونه، فلما فرغ انصرف راجعا من حيث جاء[2].

وقد روى عـن كرامـات بعـض الزهـاد الـذين يعمـي الله أبصـار أعدائهم عـنهم؛ فـلا يبصرونهم أثنـاء القتـال، منها ما سمعها، ومنها ما شاهده بعينـه، ويعلق أسامة على ذلك فيقول: " ولعل من يقف على هذا الخبر يدفعه ويكذبه، وقد جرى بشيزر ما هو أعجب من هذا وأنا حاضر" ، ثم يقول بعد أن يحكي ما شاهده من كرامة أحد الزهاد، ولم يراه الفرنجة عندما هجموا على المسجد الذي كان به : " وما العيان كالإخبار والسماع " [3].

وقد نجـد في إحدى الروايات ينسب أسامة وقوع الكرامة لنفسـه ، فقد أصـابه تعب شديد، وهو يجتاز الصحراء في طريق هربه من مصر إلى الشام ، وشارف على الهلاك، فنزل إليه رجل، فأمسك بيده حتى أنقذه ، ويعلق أسامة على ذلك قائلاً: " ولا والله ما أدري

وجئني به حتى أدعو لك، فذهب فاشترى له ما قال، ثم جاء به فقال له بنان: افتح القرطاس، ففتح الرجل القرطاس، فإذا هو بالوثيقة، فقال لبنان: هذه وثيقتي، فقال: خذ وثيقتك، وخذ المعقود وأطعمه صبيانك، فأخذه ومضى". المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٣، ص٢٧٤. **اليافعي:** مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج٢، ص٢٠١.

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٨٧ .

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٨٥-١٨٦ . **براءة محمود السقرات:** كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ دراسة تحليلية، ص٥٤.

(٣) **ابن منقذ:** العصا، ص٢٣٤- ٢٣٥ .

من هـو، ولا عـدت رأيتـه ... ومـا كـان ذلـك الـذي أعانني **إلا** ملـكاً رحمنـي الله تعـالى، فأغاثني به " [١] .

وذكرت بعض الباحثات أن الأخبار التي رواها أسامة عن كرامات الصالحين، هي أخباراً تلقاها مشافهة، مما يشير ذلك إلى أن حلقات السمر في عصره كانت تتخذ من الكرامات مادة أساسية في جلساتها، مما يعكس طبيعة العقلية العربية وبعض أنماط التفكير التي سادت وقتئذ من اعتقاد بالكرامات، وتناول بعض أخبارهم حتى في مؤلفاتهم[٢]. وتتفق الباحثة معها في ذلك إذ وجدت مثل تلك الأخبار في مؤلفات معاصريه كابن الجوزي وغيره [٣].

رابعاً: منهجه في عرض أخبار الصيد والقنص والجوارح:-

اهتم أسامة بن منقذ بأخبار الصيد والقنص، فعقد له فصلاً ألحقه بكتاب الاعتبار، وضمنه من أخبار الصيد ما لا نستطيع أن نجده في أي كتاب آخر، فقد تحدث فيه أسامة حديثاً مسهباً مفصلاً عن أحوال الصيد من خلال ما شاهده وحضره من رحلات الصيد التي كان يقوم بها مع والده، ومع بعض كبراء عصره. وتناول فيه العديد من الأخبار الخاصة بالصيد.

أما عن منهجه في عرض هذا النوع من الأخبار، فقد ركز فيه على عدة نقاط: الأولى: اهتمامه بتعيين مكان الصيد وما يميزه من أنواع الصيد المختلفة؛ نظراً لاختلاف طبيعة كل بلد عن الآخر، بالإضافة إلى تفاوت الأماكن من حيث كثرة أو قلة الصيد، فضلاً عن أثرها في الصيد لما للأماكن من خصائص بيئية تؤثر في حركة الصيد[٤]، ومثال ذلك ذكره شيزر، وأهم ما يميزها من طيور وحيوانات، فكان في قبليّ شيزر صيد الحجل والأرانب، أما طير الماء والدراج والغزلان، فتصاد على النهر في الأزوار غربيّ شيزر[٥]، ومصر يُصاد بها الكركي والبج، وطيور الماء في النيل، وصيد فرس النهر[٦]،

---

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١١٦ .

(٢) **براءة السقرات:** كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ دراسة تحليلية، ص٥٣ .

(٣) انظر. **ابن الجوزي:** المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٣، ص٢٧٤ .

(٤) **محمد عبد الله عباس:** السيرة الذاتية في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ دراسة أدبية، ص١٤٤٥ .

(٥) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٤٦، ٢٠٦ .

(٦) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٢٠٣، ٢٠٤ .

ودمشق يُصاد بها الطير والغزلان وحمر الوحش واليحامير، ويأخذ الصيد بها وقتاً طويلاً فتضرب الخيام لمتابعة الصيد [١]، وحصن كيفا يكثر به صيد الحجل وطائر الزرخ والدراج، ومعزى الجبل، والأرانب[٢].

كما اهتم أسامة بذكر الأماكن التي تُجلب وتشترى منها البزاة التي تصيد، مثل القسطنطينية، ووادي ابن أحمر، وبلاد الأرمن التي تجلب منها الكلاب الزغاوية[٣].

الثانية: اهتمامة بذكر طرق الصيد التي كان يمارسها، والده والعديد من الملوك والأمراء أمثال الأتابك عماد الدين زنكي وابنه الملك العادل نور الدين محمود، والخليفة الحافظ لدين الله الفاطمي، وشهاب الدين محمود بن تاج الملوك، ومعين الدين أنر، والأمير فخر الدين قرا أرسلان بن داود بن أرتق، وغيرهم[٤].

الثالثة: إهتمامه بإضافة الكثير من المعلومات المفيدة والخبرات التي اكتسبها من رحلاته لمن يهتم بهذا النوع من الرياضة، ومنها أن الباز إذا كان ذنبه ثلاث عشرة ريشة اصطاد الكركي[٥]، ومنها أن الباز الذي يجلب من بلاد الإفرنج، لا يعمر في بلاد العرب[٦]، ومنها أن الأرانب إذا صيدت، وكانت في تمام حملها، وأصيبت في بطنها أو رحمها، وأخذت الخرانق – بيت الولد– منها، وأطمرت في التراب عاشت[٧]، ومنها أن الباز إذا أطعم لحم السمك انكسر، وتقصف ريشه، وربما مات[٨]، ومنها أن وسائل نجاة الطيور من الصيد متعددة منها أن الوز له حمية وشجاعة في الدفاع عن نفسه وجنسه، ما تكاد تصاد منها واحدة، حتى يجتمع الكل على الصقور، وتقص أجنحتها بمناقيرها، حتى يفلت الصيد، والحبارى إذا قرب منها الصقر نزلت إلى الأرض، وسلحت عليه، وملأت عينه،

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٢٠٢ .

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٢٠٥ .

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٢٠٧، ٢١٩ .

(٤) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٢٠٠– ٢٠٦ .

(٥) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص ٢٠٤ .

(٦) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص ٢٠٤ .

(٧) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٢٠٥ .

(٨) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٢٠٧ .

فيخطأها وتطير[١].

الرابعة: اهتم أسامة أيضاً بعرض عجائب الأمور في الصيد بالإضافة إلى منايا الطيور والحيوانات المختلفة[٢] لتأكيد العبرة والعظة من ذلك، وهو الهدف الأساسي الذي يسعى إليه، والذي لأجله ألف هذا الكتاب.

خامساً: أسلوبه وطريقته في الكتابة التاريخية:-

أ- أسلوبه في الكتابة التاريخية:

سلك أسامة بن منقذ المنهج العلمي عند تدوينه لمادته التاريخية والأدبية، فقد اعتمد على مشاهداته، كما أخذ رواياته الشفهية من رواة عاصروا الأحداث التي جرت في عصرهم، وبعضهم شارك فيها، بالإضافة إلى أنه رجع إلى العديد من المصادر المكتوبة، الأمر الذي جعل أسامة أكثر اطلاعاً على مناهج المؤرخين، وأسلوبهم في كتاباتهم التاريخية، وقد انعكس ذلك على منهجه وأسلوبة في الكتابة بصفة عامة، والكتابة التاريخية بصفة خاصة.

كما أن ثقافته الدينية، والأدبية، ساهمت هي الأخرى في بناء منهجه، وتركت لذلك أثراً في أسلوبه، فمن خلال تتبعنا لكتابات أسامة التاريخية الموجودة، برز لنا عدد من الأساليب التي اتبعها في كتاباته التاريخية منها:

١- الإستشهاد بآيات القرآن الكريم:

وهو توظيف الكثير من المفردات القرآنية في التعبير عن أفكاره وتصوراته وأرائه من أجل تأكيد العبرة التي ينشدها، ويرجع ذلك إلى شخصية أسامة وثقافته الدينية، التي أثرت في مفردات ألفاظه، مما ترددت بعض الآيات القرآنية في حواراته وردود أفعاله تجاه العديد من المواقف التي تعرّض لتأريخها، مثل قوله: " فسبحان القائل {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ } " [٣]، وقوله: " {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ }[٤]، وقوله : "{وَمَنْ نُعَمِّرْهُ

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٢٢٤ . **محمد عبد الله عباس:** السيرة الذاتية في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ دراسة أدبية، ص١٤٤٦، ١٤٤٧ .

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٢٢٤ -٢٢٦، ٢٢٨-٢٣١ .

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٨٢-٨٣ . (سورة البقرة: من الآية ٢١٦) .

(٤) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص ١٨٤ . (سورة النحل: من الآية ٥٣).

نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ }[١]، وقولـه متشبـهاً بكـلام الله : " تعالى الله عما يقول الكافرون علـواً كبيراً "[٢]، وقوله : " قلت: فسبحان من نفذت مشيئته في خلقه يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير"[٣].

٢- استخدام عبـارات تصـور العـودة إلـى مشـيئة الله وأثرهـا فـي أحـداث التاريخ، وفي الآجال:

وإلى جانب الاستشهاد بالقرآن الكريم عمد إلى استخدام عبارات تصور العودة إلى مشيئة الله وأثرها في الأحداث، حيث عوّل أسامة معظم الأحداث التاريخية إلى القدر، وإلى تصرف الله في خلقه؛ فجاءت معظم عباراته تؤكد هذا، والوازع الديني في الألفاظ والعبارات أمر طبيعي لشخص تخطى التسعين من عمره، ومثال ذلك ما قاله بعد نهاية عباس ومقتله: " ولولا نفاد المشيئة في عباس وابنه وعواقب البغي وكفر النعمة كان اتعظ بما جرى قبله للأفضل رضوان بن الولخشي رحمه الله "[٤]، وقوله أيضاً : " فقد كان فيه معتبر وواعظ لولا نفاذ المشيئة "[٥] ، وبعد أن عدّ لنا أهوال وقعاته ونكباته، ومع ذلك فقد طال به الأمد، عوّل كل ذلك إلى إرادة الله فقال: " فهذه نكبات تزعزع الجبال، وتفني الأموال، والله سبحانه يعوض برحمته ويختم بلطفه ومغفرته، وتلك وقعات كبار شاهدتها مضافة إلى نكبات نكبتها سلمت فيها النفس لتوقيت الآجال واجحفت بهلاك المال "[٦]، وقوله: " ولولا لطف الله، وما ألهمه ذلك الرجل كنا هلكنا "[٧]، وقوله: " ومن عجائب السلامة إذا جرى بها القدر وسبقت بها المشيئة أن ... "[٨].

---

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٩٩ . (سورة يس: من الآية ٦٨) .
(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٥٤ .
(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٦٥ .
(٤) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٥٢، ٥٣ .
(٥) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٥٦ .
(٦) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٥٨ .
(٧) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٣٦ .
(٨) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٠٥ .

٣- الإعتماد على المخزون الثقافي من أشعار، وأمثال، وحكم :

الإستشـهاد بالشـعر: اعتمد أسامة في صياغته وعرضه للأحداث التاريخية على إمكانياته الأدبية والشعرية، وهذا نابع من كونه أديب وشاعر، شهد له علماء عصره بأن له يد بيضاء في الأدب والكتابه والشعر[١]، وهو كاسمه فى قوة نثره ونظمه، يلوح من كلامه أمارة الإمارة، ويؤسس بيت قريضه عمارة العبارة[٢]، ومن أمثلة صياغة بعض العبارات معتمداً على عجز الأبيات الشعرية، كقوله يصف طعنة فارس في بعض الحروب: " عجبت من سلامته وكانت تلك الطعنة طعنة فيصل كما قال عنترة:

الخيل تعلم والفوارس أنني ... فرّقتُ جمْعهم بطعنة فيصل[٣] .

وكذلك أورد بعض الأبيات الشعرية بعد أن حكى طعنة رجل مسن من الأكراد يدعى حمدات لفارس إفرنجي فقال: " ... فأذكرني قول الفِنْد الزِّماني[٤]:

أيا طعنة ما شيخٍ ... كبيرٍ يَفَنٍ بالي

تفَتّيت بها إذ كَ ... رِه الشِّكةَ أمثالي

وكان الفِنْد قد كبر وحضر القتال، فطعن فارسين مقترنين فرماهما جميعاً " [٥].

---

(١) **ابن عساكر**: تاريخ مدينه دمشق، ج٨، ص٩٠، ٩١ .

(٢) **العماد الاصفهانى** : الخريدة ، قسم شعراء الشام ،ج١، ص٤٩٩.

(٣) **ابن منقذ**: الاعتبار، ص٦١ . والبيت من بحر الكامل . ثم زاد أسامة على هذا بمزيد من التوضيح وقال: " والبيت المقدم من أبيات لعنترة بن شداد يقول فيها: " من الكامل "

إني أمرؤ من خير عبسٍ منصباً ... شطري وأحمي سائري بالمُنْصُل
وإذا الكتيبة أحجمت فتلاحظت ... أُلفيتُ خيراً من مُعَمٍّ مُخْول
إن المنية لو تُمثّل مُثّلَت ... مثلي، إذا نزلوا بضنك المنزل
والخيل تعلم والفوارس أنني ... فرقت جمعهم بطعنة فيصل
ودعَوا: نزالِ! فكنت أول نازلٍ ... وعلامَ أركبه إذا لم أنزل

(٤) **الفِنْد الزِّماني**: اسمه شهل بن شيبان بن ربيعة بن زمّان الحنفي، من بكر بن وائل ، شاعر جاهلي كان سيد بكر في زمانه، وفارسها وقائدها. وهو من أهل اليمامة، شهد حرب البسوس بين بكر وتغلب، وقد ناهز عمره، المئة. وفي ديوان الحماسة شئ من شعره. سمي (الفند)؛ لعظم خلقته، تشبيها بفند الجبل، وهو القطعة منه، ولا يعلم تاريخمولده أو وفاته بالضبط. **الزركلي**: الأعلام، ج ٣، ص ١٧٩ . والبيت من بحر الهزج.

(٥) **ابن منقذ**: الاعتبار، ص٧٣ .

وقد يأتي الاستشهاد بالشعر لاستكمال توضيح موقف معين، حيث يستشهد أسامة بأبيات من الشعر، أو يتمثلها للتعبير عن الموقف، ومن ذلك الشعر الذي تمثّل به بعد أن حكى قصة جمعة و الفارس "سَرْهَنْك" قال: " فجاءني رجل من أجنادنا وفرساننا المعدودين يقال له: جمعة من بني نُمَير، وهو يبكي، فقلت له: مالك يا أبا محمود؟ هذا وقت بكاء! قال: طعنني سرهنك بن أبي منصور، قلت: وإذا طعنك سرهنك أي شيء يكون؟ قال: ما يكون شيء إلا يطعنني مثل سرهنك !والله إن الموت أسهل عليّ من أن يطعنني. لكنه استغفلني واغتالني، فجعلت أسكِّنه وأهوّن الأمر عليه، فردّ رأس فرسه راجعاً، فقلت: إلى أين يا أبا محمود؟ قال: إلى سرهنك، والله لأطعنَنّه أو لأموتن دونه، فغاب ساعة، واشتغلت أنا بمن يقابلني، ثم عاد وهو يضحك. فقلت ما عملت؟ فقال: طعنته والله، ولو لم أطعنه لفاضت روحي، فحمل عليه في جمع أصحابه فطعنه وعاد، فكأن هذا الشعر عَنى سرهنك وجمعة بقوله[1]:

لله دَرُّك ما تَظُنُّ بثائرٍ ... حَرَّان ليس عن التِراث براقِدِ
أيقظته ورقدت عنه ولم ينم ... حنقاً عليك وكيف نوم الجاهِدِ؟
إن تُمْكِنِ الأيام منك وعَلَّه ... يوماً يَكِلْ لك بالصواع الزائد

ومن الأشعار التي أوردها ليتمثل بها للحدث الذي يرويه، قوله بعد أن تحدث عن نكبة خروجه من دمشق سنة (٥٣٩هـ/١١٤٤م)[2]: " كل ذلك والأمير معين الدين –رحمه– الله محسنٌ مجمل، كثير التأسف على مفارقتي، مقرٌّ بالعجز عن أمري، حتى إنه أنفذ إليّ كاتبه الحاجب محمود المسترشدي –رحمه الله– قال: والله لو أن معي نصف الناس لضربت بهم النصف الأخر، ولو أن معي ثلثهم لضربت بهم الثلثين، وما فارقتك. لكن الناس كلهم قد تمالؤوا عليّ، ومالي بهم طاقة. وحيث كنت، فالذي بيننا من المودة على أحسن حالة "، فعن ذلك أقول:

معين الدين كم لك طوق منّ ... بجيدي، مثل أطواق الحمام
تعبّدني لك الإحسان طوعاً ... وفي الإحسان رقّ للكرام
فصار إلى مودتك انتسابي ... وإن كنت العظامي العصامي

(١) **ابن منقذ**: الاعتبار، ص٥٨، ٥٩ .والأبيات من بحر الكامل .

(٢) **ابن منقذ**: الاعتبار، ص٢٨ .

ألم تعلم بأني لانتمائي ... إليك رمى سواديَ كل رامِ
ولولا أنت لم يُصحب شِماسي ... لقسرٍ دون إعذار الحسام
ولكن خفت من نار الأعادي ... عليك، فكنت إطفاء الضِّرام! [(١)]

ويلاحظ أن أسامة لا يذكر الشعر ضمن الرواية التاريخية للدلالة على شاعرية شاعر أو قائل الأبيات؛ بل يستخدم الشعر إذا احتوى على درس أو عبرة، أو كان للتمثل بالموقف أو الحدث التاريخي، وقد يستشهد به للتعليق على الحدث الذي يرويه، كما استشهد بصدر بيت لزهير بن أبي سلمى في ممدوحه: هرم بن سنان، فقال بعد أن حكى عن القس الذي جاء ليعالج فارس من الصليبيين، فقتله بجهله، فعلق أسامة على جهل الصليبيين، وتخلفهم في مجال الطب بقوله: " دع ذا وعدّ القول في هَرِم " [(٢)].

ايراد الأمثال والحكم: وأسامة كغيره من المعاصرين استخدم الأمثال والحكم المتداولة والمعروفة، في صياغة الحدث التاريخي؛ إما لتعزيزها وتأكيد مصداقيتها، وإما لإضفاء الجمالية القصصية والفنية عليها، لجعلها مقبولة ومفهومة ومتداولة تنسجم مع سياق النص التاريخي آنذاك، ومن أبرز هذه الأمثال، ما رواه في وصف حدة بصر رجل[(٣)]: " كان قد رزقه الله تعالى من النظر ما رزق زرقاء اليمامة [(٤)] " ، وقوله بعد سرد أحداث فتنة الجنود

---

(١)**الأبيات من بحر الوافر.**

(٢) **ابن منقذ**: الاعتبار، ص١٥٧ . وهو صدر بيت لزهير بن أبي سلمى في هرم بن سنان، وعجزه: " خير البداة وسيد الحضر". انظر: **المفضل الضبي:** المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي: أمثال العرب، ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ، ص١٢ .

(٣) **ابن منقذ**: الاعتبار، ص ١٤٧ .

(٤) **زرقاء اليمامة:** هو لقب لإمرأة من اليمن، تدعى "حذام"، يضرب بها المثل في حدة البصر. وقيل "**زرقاء اليمامة**" اليمامة : اسمها، وزرقاء أي يتغشى سواد عينها بياض، وهى امرأة من قبيلة جديس كانت تبصر الشئ من مسيرة ثلاثة أيام، فلما قتلت جديس رجل من طسم –قبيلة من عاد– خرج رجل من طسم إلى حسّان بن تُبّع، فاستجاشه، ورغبه في الغنائم، وجهز إليهم جيشاً، فلما صاروا وهم على بعد مسيرة ثلاث ليالٍ صعدت الزرقاء، فنظرت الجيش، ونبهت القوم فلم يصدقوها إلا وقد طرقهم جيش حسان في الصباح، فاجتاحهم، ولم يستعدوا، وأخذ الزرقاء فشق عينيها، فإذا فيها عروق سود من الإثمد، وكانت أول من اكتحل بالإثمد من العرب. **الميداني**، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري: مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، ج١، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت، رقم(٥٧٤)، ص١١٤ . **محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف:** معجم المصطلحات والتراكيب والأمثال المتداولة، ط١، دار الأندلس الخضراء، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، رقم(١٩)، ص١٥-١٧.

في عهد الخليفة الفاطمي الحافظ : " وما انتطح فيها عنزان" [١]، ومثل قوله: " يا قرب مأتمه من العرس" [٢]، وقوله: " فسبحان من إذا قدّر السلامة أنقذ الإنسان من لهاة الأسد فذلك حق لا مثل " [٣]، وقوله: " والفأل موكل بالمنطق " [٤].

وقد يتضمن أسلوبه الإعتماد على ثقافته العامة، ويتضح ذلك في قوله وهو يحكي عن رجل جرحه أسد، وصعد على شجرة هارباً منه فعلا عليه الذر [٥]: " والذر يطلب جريح الأسد كما يطلب الفأر، جريح النمر " [٦].

ومن الحكم التي جاءت في رواياته التاريخية قوله: " وكان الوالد -رحمه الله- يقول لي: " كل جيد من سائر الأجناس، من الرديء من جنسه ما يكون بقيمته، مثل حصان جيد يساوي مائة دينار، خمسة حصن رديئة تساوي مائة دينار، وكذلك الجِمال، وكذلك أنواع الملبوس، إلا ابن آدم، فإن ألف رجل أردياء، لا يساوون رجلاً واحداً جيداً "، وصدق رحمه الله. " [٧].

٤- استعمال الصور الشعرية والتمثيل:

مثل قوله يصف حال ابن عباس، وأبوه يحاوره: " فأحضراني ليلة، وهم في خلوة يتعاتبان، وعباس يردد عليه الكلام، وابنه مطرق كأنه نمر، يرد علية كلمة بعد كلمة،

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٣٠ . "**وما انتطح فيها عنزان**" كناية عن المسألة الواضحة التي لا يختلف عليها اثنان؛ لأن النطاح لا يكون من العنز؛ لعدم قدرتها عليه، وإنما يكون من التيوس والكباش، أي لا يكون له تَغْيير ولا له نكير. والعبارة للنبي محمد (ﷺ) وهى لم تسمع من عربي قبله. **الميداني:** مجمع الأمثال، ج٢، رقم(٣٥٥٠)، ص ٢٢٥، **محمد الشريف:** معجم المصطلحات والتراكيب والأمثال المتداولة، رقم(٣٦٨)، ص١٧٧ .

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٧١ .

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٠٦ .

(٤) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٢٧ .

(٥) **الذَّرُّ:** هو صغار النمل. والذر مصدر ذررت، وهو أخذك الشيء بأطراف أصابعك تذره ذر الملح على الخبز. **الخليل بن أحمد:** كتاب العين، ج٨، ص١٧٥. **ابن قتيبة الدينوري:** الجراثيم، تحقيق: محمد جاسم الحميدي، تقديم: مسعود بوبو، ج٢، وزارة الثقافة، دمشق، د.ت، ص٢٨٦ .

(٦) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٠٦ .

(٧) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٠١ .

يشتاط منها عباس " [١]، وقوله بعد أن ذكر قيام بعض الحرامية بإشعال النيران في زرع غرب خيم الفرنج: " فصار الليل بضوء النار كالنهار" [٢]، واستعمل التشبيه في حديثه عن الفرنج، فقال عنهم: " بهائم فيهم فضيلة الشجاعة والقتال ولا غير، كما في البهائم فضيلة القوة والحمل" [٣]، ووصف حصان أعطاه له صلاح الدين الغسياني بأنه " كالصخرة الصماء قدت من قنة الجبل " [٤].

٥-اعتماده المنهج الموضوعي:

قد سلك أسامة فى عرض وتنظيم موضوعاته التى تضمنتها مؤلفاته التاريخية، سواء الموجودة والمفقودة من خلال ما وصل الينا منها فى كتب المتأخرين الطريقتين اللتين اتبعهما المؤرخون السابقون فى عرض وتنظيم مؤلفاتهم التاريخية، أعني بذلك الترتيب حسب الموضوعات والترتيب الحولي، إلا أنه استخدم المنهج الحولي في كتابته التاريخية على نطاق ضيق، فلم تصلنا من كتب أسامة التاريخية ما يؤكد أنه اتبع هذه الطريقة في تدوين التاريخ وترتيب حوادثه، لكن من المرجح أنه اتبعها في كتاب" تاريخ أيامه " الذي على ما يبدو أنه رتبه على السنين متبعاً فيه نمط التاريخ العام، ولكنه حدده بالتأريخ لعصره فقط، وذلك واضح من النصوص التي وصلت إلينا، إذ أرخ أحداث عصره، مهتماً بإيراد تاريخ كل رواية بدقة [٥] ، وكذلك كتاب" تاريخ ذكر الحوادث من أول الهجرة إلى زمانه مختصراً " فمن عنوانه يدل على أنه من مختصرات التواريخ العامة، مرتباً على السنين [٦].

أما المنهج الموضوعي؛ فقد اعتمده أسامة في أغلبية مؤلفاته على اختلاف صور وأنماط الكتابة التاريخية، ففي كتاب "الاعتبار" قصد منه موضوع العظة والاعتبار، ورتب مادته التاريخية على نمط التأريخ المعاصر والسير والمذكرات، فهو كتاب موضوعي قصصي يحوي معلومات تاريخية متنوعة منها :

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٤٢ .

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٠٨ .

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٥١ .

(٤) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٢٣ .

(٥) انظر إلى الفصل الثاني من الرسالة ص١٧٦ .

(٦) انظر إلى الفصل الثاني من الرسالة ص١٩٤ .

- ما يخص التأريخ لأحداث عصره، من: وقائع، ومعارك، وفتن، ومعاهدات، واتفاقيات حدثت في بلاد الشام ومصر[1]، وتحدث عن علاقة المسلمين بجيرانهم المسلمين، وعلاقتهم بالصليبيين، يتخللها معلومات تاريخية حضارية.
- مايخص السير والمذكرات، وهي معلومات خاصة إما بسيرة المؤلف الذاتية من تربيته ونشأته، ونماذج من الحروب التي حضرها، ووقائعة، وطرف من مراحل حياته المختلفة في الصغر والشباب والشيخوخة، وإما خاصة بالشخصيات التاريخية المعروفه في عصره، مثل: أتابك زنكي، وابنه نور الدين محمود، وبعض الشخصيات الأخرى التي تمثل بعض فئات المجتمع.

كما من المرجح أنه استخدم هذا المنهج في كتابه " أخبار أهله"، متبعاً فيه نمط الكتابة الإقليمية أو المحلية إذ هو أخبر بتاريخ بنو منقذ عن غيره من المؤرخين، فيحتمل أنه تناول تاريخ إمارة بني منقذ منذ أن استولى جده سديد الملك على حصن شيزر سنة(٤٧٤هـ/١٠٨١م) حتى سقوطها سنة (٥٥٢هـ/١١٥٧م)، متناولاً كل ولاية على حده، وأهم الأحداث فيها، وعلاقتهم بجيرانهم المسلمين ثم بالصليبيين بعد دخولهم البلاد.

٦- كثرة الجمل الاعتراضية:

تمثل الجمل الاعتراضية ظاهرة بارزة من ظواهر أسلوبه في الكتابة التاريخية، وهي كثيرة إذ قد تتكرر في الفقرة الواحدة أكثر من مرة كقوله: " ووصلنا في طريقنا إلى بصرى، فوجدنا الملك العادل نور الدين – رحمه الله –على دمشق. وقد وصل إلى بصرى الأمير أسد الدين شيركوه – رحمه الله – ..." [2]، وقوله: " ومثل ذلك ما جرى لي على افامية؛ فإن نجم الدين بن إيلغازي بن ارتق – رحمه الله – كسر الإفرنج على البلاط ، وذلك يوم الجمعة خامس جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، وأفناهم، وقتل صاحب إنطاكية روجار، وجميع فرسانه، فسار إليه عمي عز الدين ابو العساكر سلطان – رحمه الله –، وتخلف والدي – رحمه الله – في حصن شيزر..." [3].

وقد استخدم أسامة جمل اعتراضية ودعائية مختلفة منها: " رحمه الله"، أو " تجاوز

---

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٣٣-٣٧ .

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٣٧ .

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٦٢ .

الله عنه "، أو "عفا الله عنه " إذا كان يتحدث عن أحد من المسلمين، و" لعنهم الله "، أو " لعنه الله "، أو "خذلهم الله" إذا كان يتحدث عن الصليبيين أو الروم أو الخائنين من المسلمين. وكل هذه الأساليب تفصح عن عاطفة المؤلف نحو من يكتب عنهم حباً أو كرهاً[(١)].

ب- **طريقته فى الكتابة التاريخية:**

إذا أمعنا النظر في مؤلفات أسامة الموجودة، نجد أن طريقته فى الكتابة التاريخية تختلف باختلاف مصادره، بمعنى أن أسلوبه فى عرض الرواية التاريخية التى مصدرها المشاهدة والعيان، وأيضاً الرواية الشفوية تختلف تماماً عن الرواية التى نقلها من مؤلفات سابقة، ومن المفروض ألا يتضح منهجه وأسلوبه الخاص به فى الكتابة التاريخية إلا حين يستقل عن مصادره، ويبعد عن تأثيرها.

فقد اعتمد أسامة في الروايات المنقولة من مؤلفات سابقة أسلوباً هو في الأغلب أسلوب من ينقل عنهم، ومن هنا جاءت معظم متون هذه النصوص مطابقة تماماً مع المصادر التي نقل عنها باستثناء ما ورد من اختلافات لفظية. ويتسم أسلوبه في هذه الروايات بأنه أسلوب نثري مرسل، لا تكلف فيه، مبتعداً عن الزخارف اللفظية والألفاظ الغريبة، معتنياً بإيراد المادة الخبرية بعبارات موجزة واضحة وسهلة الفهم، مع عدم استعمال السجع، إلا ما ورد في المقدمة، حيث تعود المؤلفون أن يضعوها مسجوعة، وسجع أسامة في المقدمة لم يكن متكلفاً ولا مبالغاً فيه[(٢)].

أما عندما يتصدّى لكتابة التاريخ المعاصر له، والأحداث التي عاشها شخصياً، أو تلك التي استطاع أن يجمع عنها شهادات مباشرة، نجده ينعطف فجأة، ويغير أسلوبه ولهجته فيها، فنراه لا يلتزم باللغة الفصيحة، وإنما صاغها بلغة بسيطة عفوية، ضمنها في بعض الأحيان ألفاظاً وأساليب، مستمدة من العامية، وقد اختلفت النظرة حول توظيف أسامة العامية في لغته؛ فبالرغم من أن هناك من وصفها بلغة " أكلوني البراغيث"[(٣)]، نجد من نظر إليها نظرة إيجابية، حيث أنه فضلا عن دلالتها على سلامة ذوق أسامة فى

(١) **محمد عبد الله عباس:** السيرة الذاتية في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ دراسة أدبية، ص١٤٩٠ .

(٢) انظر مقدمة كتاب المنازل والديار، ص ٣، ٤، ٥، ومقدمة كتاب العصا، ص١، ٥ .

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار، تحقيق: فيلب حتي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، مقدمة المحقق ، ص ج ج .

الانشاء[١] فهى تجعل رواياته من هذه الناحية وثيقة أدبية، قلّ مثيلها " تنفع في بعض الدراسات اللغوية لاتصالها باللهجات الدارجة في الشام في عصرها وبأساليب تركيبها اللغوي " [٢]، ومن الأمثلة على بعض الألفاظ والأساليب العامية في الكتاب، سواء كانت شامية أو مصرية، قول أسامة : " وانصرفنا وفي قلبي من ذلك الرجل الذي هزمنا حسرة الذي كنا لنا إليه سبيل" [٣] وقوله: " فاندفعت بين أيديهم، وأنا رادٌّ رمحي إليهم. ملتفت أنظرهم، لا يتسرع إلي منهم فارس يطعنّي " [٤]، وقوله: " فقال الملك لستة سبعة من الفرسان " [٥].

ومن الكلمات العامية التي استخدمها – أيضاً– كلمة " إكديش " بمعنى الحصان غير الأصيل[٦]، وكلمة " يتمختر" [٧] بمعنى يتبختر أو يمشي، وكلمة " بَتْيَّة " وهى بمعنى البرميل الكبير المصنوع من الخشب[٨].

وكذلك يستخدم الكلمات العامية التي هي على ألسنة الناس إلى الآن مثل قوله: "ما اشتراني ورباني" [٩]، " روحوا إلى بيوتكم" [١٠]، ودخت حتى ما بقيت أدري بما أنا فيه" [١١]، " فوقع الوجه البراني، وبقي الحائط الجواني" [١٢]، وغيرها الكثير [١٣].

وعلاوة على توظيف العامية في الكتاب، فقد زاوج أسامة بين العربية والفارسية في بعض الأحيان، فوظف عدداً من الألفاظ لا سيما فيما يتعلق بأدوات القتال والثياب، ومن

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ط مكتبة الثقافة الدينية، مقدمة المحقق ، ص ث ث .

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار، ط المكتب الاسلامي، مقدمة المحقق ، ص٢١ .

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٨١ .

(٤) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٨٤ .

(٥) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٨٨ . وانظر مثل ذلك تكرار تركيب العدد كما في الدارجة قوله: " لعل في ثلاثين أربعين فارساً "، وقوله: " ويخرج منا ثلاثة أربعة يخيلون ". **ابن منقذ:** الاعتبار، ص ١٦٩، ١٧٠ .

(٦) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١١٦، وانظر حاشية رقم (٢٥٧) .

(٧) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١١٩ .

(٨) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٥٥ ، انظر حاشية رقم(٣٥٢) .

(٩) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٧٨ .

(١٠) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٤٨ .

(١١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٤٩ .

(١٢) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٤٧ .

(١٣) **محمد عبد الله عباس:** السيرة الذاتية في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ دراسة أدبية، ص١٤٩١، ١٤٩٢.

هذا القبيل قولـه علـى لسـان إحدى الجـواري: " لقد اشـتريت نفسـي والبغل بالعقد الذي فـي ساق موزك اليسار "[1]، ومنه " وكزاغندي فيه زرديتان " [2].

ولهذا يمكن القول بأن أسامة أظهر مقدرته على صياغة الخبر التاريخي بلغة مباشرة وبسيطة، وبأسلوب بعيد عن التكلف والزخرفة اللفظية التي كانت من سمات عصره، فصاغ مادته التاريخية بعبارات مركزة وواضحة، معتمداً – أحياناً– على إمكانياته الأدبية والشعرية في صياغة الحدث التاريخي، وغير مهتم بالصنعة البيانية، وتزويق الألفاظ، وهذا أمر طبيعي؛ لأن دلالات الحدث التاريخي، لايمكن الوصول إليها عبر الصنعة البيانية التي تجعله يبعد عن الدقة والعبرة والعظة التي ينشدها فيه.

سادساً: دراسة نقدية لمنهج أسامة في الكتابة التاريخية:-

إن فقدان معظم مادة أسامة التاريخية، حال دون الرجوع إلى مقدمات مصنفاته، والتعرف على ما قد يكون أشار إليه من أسس منهجية، اعتمدها في بنائه لها، مما دفع الباحثة إلى التعويل في ذلك على ما أشار إليه في ثنايا مادته، والتي أظهرت أن ثمة دلالات كثيرة، تعكس إلى حد كبير صورة واضحة عن السمات العامة الإيجابية والسلبية لمنهجه في الكتابة التاريخية، وفي ضوء هذه الدلالات يمكن القول: إن أهم سمات منهجه الإيجابية تمثلت في الآتي:

- ارتباط عنوان الكتاب مع غايته ومضمونه:

نرى سمة عامة في مؤلفات أسامة التاريخية والأدبية على حدٍ سواء، ألا وهي أن عنوان كل كتاب يرتبط ارتباطاً كبيراً مع غايته ومضمونه، ففى كتاب " الإعتبار" ركز المؤلف على ذكر العبر المستفادة من المواقف والأخبار والمشاهد التى رواها فيه، وكذلك كتاب المنازل والديار، والعصا، وغيرها.

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٩٥ . وموزا كلمة فارسية بمعنى الخف سبق التعريف بها.

(٢) **ابن منقذ:** ابن منقذ : الاعتبار، ص١٢٣ .

-فاتحة مؤلفاته[1]:

لم يختلف أسامة في منهجه في تأليف كتبه عن سابقيه، من التقديم في افتتاحية كتبه، ومن حيث تحديد الغاية من تأليفها، والأسلوب المتبع لديهم في تقدمة كتبهم [2].

وقد اعتاد أسامة ابتداء كتبه بافتتاحية تشتمل على البسملة، ثم الحمد، ثم الصلاة على الرسول ﷺ وعلى آله، وعلى أصحابه وأزواجه. ودائماً ما يذكر أسامة في افتتاحيته الباعث على تأليف كتابه، والهدف منه، ثم يأت بخطة العمل التي سيسير عليها ويتبعها، ثم إيضاح المنهجية التي سيتبعها، ثم ما اشتمل عليه كتابه من أبواب[3]. ودائماً في افتتاحياته يتوجه إلى الله بالدعاء له ولأمة محمد ﷺ جميعاً. أما عن مصادره ، فلم يتكلم عنها في افتتاحياته إلا في كتاب البديع، فأتى على ذكرها مع التوضيح لطريقته في الإفادة منها[4].

ففي كتاب المنازل والديار ؛ نلاحظ أن المقدمة التى وضعها ابن منقذ توضح للقارىء ما يحوى الكتاب؛ مما يسهل عليه معرفة محتويات الكتاب قبل قراءته، فضلاً عن أنه عرض فيها عناصر منهجه، والخطة العامة للكتاب، والدافع، والغرض من تأليفه، والصعوبات التى واجهته فى جمعه وتأليفه، وجاءت فصول الكتاب مرتبه كما رتبها فى المقدمة، فخرج الكتاب بذلك موافقاً للعصر الذى عاش فيه، وموافقاً إلى حد ما لما تتماشى معه معطيات المنهجية البحثية للعصر الحالى المتعارف عليها .

(١) للأسف معظم كتب أسامة التاريخية مفقودة، حتى مقدمة كتاب الاعتبار مفقودة لضياع جزء كبير من الكتاب، وعلى هذا تعمد الباحثة إلى استعمال منهج القياس على مقدمات كتبه الموجودة والتي وصلتنا كاملة مثل: كتاب المنازل والديار، وكتاب العصا، وكتاب البديع في نقد الشعر، ولعلنا نستطيع أن نستنتج عناصر ونقاط اهتمامه في تناول مقدماته.

(٢) اعتاد بعض المؤرخين على ابتداء كتبهم بافتتاحية أو مقدمة، فابن عساكر مثلاً في كتابه (تاريخ مدينة دمشق) بدأ افتتاحيته بالتحميد والتشهد بعد البسملة، ثم بالتركيز على سبب تأليف للكتاب، ثم يزود قارئيه بإيجاز لما يشتمل عليه الكتاب وما يحتويه، ثم أفصح عن منهجه فيه في عدة أسطر. وجاء –أيضاً– ابن الجوزي في كتابه (المنتظم في تاريخ الأمم والملوك) بافتتاحية ابتدأها بالتحميد بعد البسملة ثم بالصلاة على الرسول ﷺ، ثم الباعث على تأليف كتابه، ثم أفرد عنواناً في افتتاحيته بعبارة " ذكر ترتيب هذا الكتاب "، ثم أشار بعد ذلك بفوائد ذكر السير والتواريخ، ثم فصّل القول في منهجه في الكتاب في الأحداث وفي التراجم. انظر. **ابن عساكر:** تاريخ مدينة دمشق، ج١، ص٣–٦ . **ابن الجوزي:** المنتظم، ج١، ص ١١٥–١١٨ .

(٣) **ابن منقذ:** المنازل والديار، ص٣–٥ . العصا، ص١–٥ . البديع، ص٨–١١ .

(٤) **ابن منقذ:** البديع، ص٨ .

أما كتاب " لباب الآداب" فنلاحظ أنه لم يضع له مقدمة، وأهمل الحديث عن الأسباب التى دعت إلى تأليف الكتاب، والأسباب التى دعت إلى اختيار أبواب الكتاب، وهذا نقص فى المنهجبة العلمية يصعب تفسيره، لكن ربما كان للكتاب مقدمة، وقطعت مع الأوراق كما رجح ذلك بعض الباحثين من أنها قطعت، وأعاد أسامة إملاءها على الناسخ [١]، وعلى كلٍ ذيّل أسامة كتابه بوضع خاتمة، استهلها بقوله: " قال مؤلف الكتاب، غفر الله له، ولوالديه، ولجميع المسلمين: ما للعلم غاية يدركها الراغب، ولا نهاية يقف عندها الطالب. هو أكثر من أن يحصر، وأوسع من أن يجمع. والأعمار متلاشية منتقصة، وحوادث الزمان فيها معترضة، ولولا أن النفس إذا غولبت غلبت، وإذا زجرت لجت وأبت، لكان اشتغال من بلغ من السنين إحدى وتسعين بأعمال البر والثواب أجدى عليه من الاشتغال بتأليف كتاب. بعد ما بالغ الزمان في وعظه، بتأثيره في قواه وسمعه وبصره، لا بلفظه، وأنذره تغير حاله دنوار تحاله، فهو مقيمٌ على وفاز، ميت في الحقيقة حي بالمجاز، مستكين لأسر رب العالمين، واثقٌ بما وعد به ابن التسعين، على لسان رسوله الأمين، صلى الله عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه البررة المتقين، وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، صلاة دائمة إلى يوم الدين " ، ثم طلب الرحمة له ممن وقف على هذا الكتاب ، وذكر تاريخ الفراغ من تأليفه له، وحمدالله، وصلى على النبى محمد مرة أخرى ثم وقع الناسخ باسمه[٢] .

وكذلك بالنسبة لكتاب العصا؛ فقد وضع مقدمته، بعد البسملة، والحمد لله، والصلاة على نبيه خاتم النبيين، وعلى آله، وأصحابه، وأزواجه، مشتملة على الدافع والغرض من تأليفه له، فضلاً عن أنه عرض فيها عناصر منهجه، والخطة العامة للكتاب[٣].

- استخدامه أسلوب الإحالات:

ومن مميزات أسلوب أسامة؛ استخدامه أسلوب الإحالة، وهي إما إحالة القارئ إلى كتاب له آخر، منعاً لتكرار الروايات، ومعنى ذلك أنه يوجز في الحديث عن أمر ما ثم ينبه القارئ على ذلك، مبيناً السبب، والذي يرجع إلى إطنابه القول في هذا الحدث في

(١) **ابن منقذ:** لباب الآداب ، مقدمة يعقوب صروف ، ص ١٠ . **حسن عباس:** أسامة بن منقذ حياته وآثاره، ج٢، ص٤٢.

(٢) **ابن منقذ:** لباب الآداب ، ص٤٦٧ ، ٤٦٨ .

(٣) **ابن منقذ:** العصا، ص ١ – ٥ .

كتاب له آخر، كنحو قوله فى كتاب العصا: " وقال الحجاج بن يوسف لأنس بن مالك، والله لأقلعنك قلع الصمغة، ولأعصبنك عصب السلمة، ولأجردنك جرد القضيب، ولألحونك لحو العصا. المؤلف أطال الله بقاءه، وقد زكرت الخبر بتمامه في كتابي المترجم: بالتاريخ البدري " [1]، وقوله: " وقد أوردت الخبر بتمامه في كتابي المترجم " أخبار النساء " [2]، وفي كتاب لباب الآداب، وهو يتكلم عن الخليفة علي بن أبي طالب، أحال القارئ إلى مؤلف له يطنب فيه الحديث عنه، فقال: " وقد ذكرت شيئاً من حروبه ووقعاته في كتابي المترجم: بكتاب (فضائل الخلفاء الراشدين) رضي الله عنهم أجمعين، فغنيت عن إعادته هنا " [3]. كما أحال القارئ في كتاب المنازل والديار، عندما روى قصة بيهس بن صهيب ومحبوبته صفراء، فقال[4]: " وقد أوردت أخباره وأشعاره في صفراء في كتابى المترجم بكتاب أخبار النساء؛ فاقتصرت على ما ذكرته هنا من شعره، لما اقتضاه التأليف من ذكر الدمن "، وفي كتاب " الإعتبار " بعد أن أتى على ذكر شيء من غريب الأحلام، فقال[5]: " وقد تقدم ذكر شيء من غريب الأحلام، وقد أوردت في كتابي المترجم بكتاب النوم والأحلام من ذكر النوم والأحلام، وما قيل فيها، وفي أوقات الرؤيا، وفي أقوال العلماء فيها، واستشهدت على أقوالهم بما ورد فيها من أشعار العرب، ووسعت الشرح، وأشبعت فيه المعنى، فما حاجة إلى ذكر شيء منه ها هنا، لكنني ذكرت هذا الخبر، واستظرفته، فأوردته... " .

فأسامة في هذا النوع من الإحالة يحيل القارئ إلى كتاب آخر له، قد سبق له ذكر هذا الخبر فيه بتوسع وبإطناب، فلا ضرورة من تكرار ذلك في العديد من مؤلفاته، وإن كان وقع في هذا بالرغم من استخدامه للإحالة، فقد تكررت العديد من رواياته التاريخية في العديد من مؤلفاته على نحو ما سنوضحه في موضعه.

---

(١) **ابن منقذ:** العصا، ص٣٠٦ .

(٢) **ابن منقذ:** العصا، ص٢١٧، ٣٠٠ . ومن إحالات أسامة؛ إحالة القارئ إلى ديوانه، ليبصر قصيدة معينة لقيس بن ذريح فقال: " وقال المؤلف أدام الله علاه: وقد صرعت هذه القصيدة جمعاء، وأثبتها في ديوان شعري، وأنا ذاكر تصريع هذين البيتين، لما فيهما من ذكر العصا، قال غفر الله له ..." . **ابن منقذ:** العصا، ص ١٤٣ .

(٣) **ابن منقذ:** لباب الآداب ، ص ١٧٣ .

(٤) **ابن منقذ:** المنازل والديار ، ص ١٦٦ .

(٥) **ابن منقذ** : الإعتبار، ص١٩٨ ، ١٩٩ .

واستخدم أسامة نوعاً آخر من أسلوب الإحالة، وهو الإحالة إلى خبر تقدم ذكره في نفس الكتاب كقوله في كتاب الاعتبار: " ولقد حضرت حصار الحصن الصور مع ملك الأمراء أتابك زنكي رحمه الله، وقد تقدم شيء من ذكره، ..." [١]، وكذلك قوله في كتاب العصا: " ذو الحلم عامر بن الضَّرب العَدْواني، كان حاكم العرب، وقد تقدم خبره ..." [٢].

- الجانب النقدي لديه، وتذييلاته التعقيبية على الروايات التاريخية:

لم يكتف أسامة بسرد رواياته التاريخية، دون التعليق عليها؛ بل أعقبها بمجموعة من التعليقات التي تتنوع بين تعليقات تظهر ميله – أحياناً– إلى الإتجاه الوعظي، أو الإتجاه إلى التفسير الخلقي، سبباً لبعض الأحداث أو عقاباً لمرتكبيها، أو تعليقات شارحة موضحة لما غمض من الأمور الواردة في الرواية التي يسوقها، أو تدخلات نقدية لأفعال البشر في المواقف المختلفة، وغيرها.

ومن تذييلات أسامة، تلك العبارات الخاتمة لبعض الأخبار لاستجلاء مواطن العظة والعبرة، والتي يظهر منها ميله – أحياناً– إلى الجانب الوعظي؛ فهو يعقب الخبر إما داعياً، وإما شاكياً، مظهراً ضيق نفسه بما روى من خبر، أو بما آل إليه الأمر من سوء، أو يشير إلى ما ينبغي أن يتعظ به الإنسان من الخبر الذي يرويه، ومن أمثلة ذلك قوله:

" فسبحان من لا يزول ملكه! وسرنا، وما مع أحد منا كفُّ زاد، وإذا أردت أشرب ماء ترجلت، وشربت بيدي، وقبل أن أخرج بليلة جلست في بعض دهاليز داري على كرسي، وعرضوا عليّ ستة عشر جمل روايا، وما شاء الله سبحانه من القِرب والسطائح" [٣]، وقوله: " فسبحان المسلم القادر"، وقوله: " فتعالى الله القادر على ما يشاء، كيف شاء، لا يؤخر الأجل إلاحجام، ولا يقدمه إلاقدام" [٤]، وقوله: " وإذا قضى الله سبحانه بالفرج، فما أسهل أسبابه"[٥]، "ومن عجائب السلامة إذا جرى بها القدر، وسبقت بها المشيئة" [٦]،

(١) **ابن منقذ** : الإعتبار، ص١٧٣ . ويبدو أن الحديث عن حصن الصور كان في القسم الضائع من أول الكتاب كما ذكر المحقق في الحاشية.

(٢) **ابن منقذ**: العصا، ص١٠٧ .

(٣) **ابن منقذ**: الاعتبار، ص٤٩، ٥٠ .

(٤) **ابن منقذ**: الاعتبار، ص٩٢ .

(٥) **ابن منقذ**: الاعتبار، ص١٠٣ .

(٦) **ابن منقذ**: الاعتبار، ص١٠٥ .

" فسبحانه من إذا قدر السلامة أنقذ الإنسان من لهاة الأسد، فذلك حق لامثل" [١]، وقوله بعد أن هجم الصليبيين على مسجد قرب نهر العاصي، وهناك رجل قائم في المسجد يصلي: " فلا والله، ما قطع صلاته، ولا زال من مكانه! وعاد الإفرنج نزلوا، ركبوا خيلهم، وانصرفوا، وهو واقف مكانه يصلي! ولا نشك أن الله سبحانه أعماهم عنه، وستره عن أبصارهم، فسبحان القادر الرحيم" [٢]، وقوله: " وذلك من فرج الله تعالى، وخفي لطفه" [٣]، وقوله " فالله تعالى يطهر الدنيا منهم، سبحان الخالق البارئ، إذا خبر الإنسان أمور الإفرنج سبح الله تعالى وقدسه " [٤].

كما اتجه أسامة إلى التفسير الخلقي والديني لتعليل بعض الأحداث، ومن أمثلة ذلك ما قاله بعد نهاية الوزير عباس الصنهاجي ومقتله: " ولولا نفاد المشيئة في عباس وابنه، وعواقب البغي، وكفر النعمة كان اتعظ بما جرى قبله للأفضل رضوان بن الولخشي رحمه الله " [٥].

ومن تذيلات أسامة، تلك التذييلات الخاتمة لبعض الروايات؛ لتوضيح معنى مبهم فيها، مثل قوله: "وتحت هذا القول معنىً لا يعرف حقيقته إلا من باشر الحرب، ولم يزل فيها طاعناً ومطعوناً، وقد يتهجم الإنسان على السرية والموكب، فيطعن فيه مخاطراً بنفسه، خائفاً من الموت، فتسترخي يده على الرمح، حتى يسبح الرمح في كفه، فلا يكون للطعنة كبير تأثير، فعنترة وقيسٌ يشيران إلى أنهما ما أصابهما ذلك، ولا استرخت يدهما من الروع " [٦].

ومنها تعليقه على الأحداث بعرض نتيجة الأمور لو جرت الأحداث عكس ما قدرها الله، ويستخدم لفظ " لو " كقوله: " ولو نزلوا أخذوهم عن آخرهم" و قوله: " ولو كنا في عددهم، ونصرنا عليهم كما نصروا كنا أفنيناهم " ، وهو يحكي وقعة مع الصليبيين في بيت جبريل: " فسرت إلى صاحبنا وقد وصلهم أوائل الفرنج وهم لعنهم الله، أكبر الناس احترازاً في الحرب، فصعدوا على الرابية، وقفوا عليها، وصعدنا نحن على الرابية مقابلهم،

---

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٠٦ .

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١١٤ ، ١١٥ .

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص ١١٥ .

(٤) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٥١ .

(٥) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٥٢، ٥٣ .

(٦) **ابن منقذ:** لباب الأداب، ص ١٨٤.

وبين الرابيتين فضاء، أصحابنا المنقطعون وأصحاب الجنائب عبروا تحتهم، لا ينزل إليهم منهم فارس؛ خوفاً من كمين أو مكيدة، ولو نزلوا أخذوهم عن أخرهم نحن مقابلهم في قلة، وعسكرنا قد تقدمنا منهزمين، ومازال الإفرنج وقوفا على تلك الرابية إلى أن انقطع عبور أصحابنا ساروا إلينا، فاندفعنا بين أيديهم، والقتال بيننا، لايجدون في طلبنا، ومن وقع أخذوه ثم عادوا عنا، وقدر الله سبحانه لنا بالسلامة باحترازهم، ولو كنا في عددهم، ونصرنا عليهم كما نصروا كنا أفنيناهم "[١].

وأسامة له تعليقات فلسفية تفسر الأفعال، كتعليقه على التغرير في الحرب فقال: " فأما التغرير في الأقدام، فما هو للزهد في الحياة، وإنما سببه: أن الرجل إذا عُرِف بالإقدام، ووُسم باسم الشجاعة، وحضر القتال، طالبتْه همّته بفعل ما يُذكر به، ويعجِز عنه سواه، وخافت نفسه الموت وركوب الخطر، فتكاد تغلبه وتصده عما يريد فعله، حتى يضطرها، ويحملها على مكروهها، فيعتريه الزَّمَع، وتَغيُّر اللون لذلك، فإذا دخل في الحرب بَطَل روعه، وسكن جأشه "[٢].

وقد تكون تعقيباته للاستدلال على معنى حكمة من آيات القرآن الكريم كقوله: " قال الحكيم: الحازم فيما أشكل عليه من الرأي، مثل الذي أضل جوهرة؛ فجمع ما حول مسقطها من التراب، فنخله حتى وجدها، كذلك الحازم يجمع أصناف الرأي في الأمر المشكل ثم يخلصه، ويسقط بعضه، حتى يحصل منه الرأي الخالص، وذلك في كتاب الله عز وجل قوله سبحانه: (وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ)[٣].

ومن تدخلاته النقدية، التهكم والسخرية من التصرف في بعض الحوادث كقوله بعد أن ساق خبراً كان نتيجة جهل بعضهم بالحرب أن قتلوا جميعاً على يد الصليبيين، ولم ينج منهم إلا رجل رمى نفسه في الماء: " فهذه آثار الجهل وعواقبه "[٤]، وقوله بعد أن ساق خبرا عن قس من الإفرنج..."، ومن التهكم والسخرية من قول بعض شخصيات روايته كقوله معقباً على قول مولى امرأة ساحرة تدعى بُريكة: " أن مولاها (عليّ) يتدين، ولا يشرب الخمر، فقال لوالدي يوماً: " والله، يا أمير، لا أستحلّ آكل من الديوان، ولا آكل إلا

---

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٤٠ .

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٧٣ .

(٣)**ابن منقذ:** لباب الأداب ، ص ٦٧ .

(٤) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٠٨ .

من كسب بُريكة " وهو الجاهل يظن أن ذلك السُّحت الحرام أحلُّ من الديوان الذي هو مستأجَر به! " [1].

ومن تدخلات أسامة النقدية لأفعال البشر في المواقف المختلفة، قوله بعد عرض موقفين متضادين: " فهذا حضره العقل في موضع تزول فيه العقول، وأولئك ما حضرهم العقل. فالإنسان أحوج إلى العقل من كل ما سواه، وهو محمود عند العاقل والجاهل " [2] .

ومن تدخلات أسامة النقدية ، تلك التذييلات الخاتمة لبعض الروايات التي ساقها عن أخلاق الفرنج كقوله: " فانظروا إلى هذا الاختلاف العظيم! ما فيهم غيرة، ولا نخوة، وفيهم الشجاعة العظيمة ، وما تكون الشجاعة إلا من النخوة والأنفة من سوء الأحدوثة " [3].

ومن تدخلات أسامة النقدية؛ ما ظهر من كتاباته عند تفسير بعض الحوادث بالكشف عن العلة فيها، كنحو قوله معقباً على هزيمة أتابك زنكي أمام الخليفة العباسي المسترشد بالله سنة (٥٢٦هـ/١١٣٢م)، حيث قال: " كان الإمام المسترشد بالله يلحق بالصدر الأول من سلفه فى علو الهمة ، وحسن السياسة ، والإقدام العظيم ، فإنه لما التقى هو وعماد الدين زنكى بن آق سنقر فى المصاف بعقرقوف، وأنا حاضر المصاف ، ضرب له خيمة أطلس أسود، ووضع له فيها تخت، وجلس عليه، والخيل تطرد، فكسر عسكر أتابك ، وذلك يوم الإثنين السابع والعشرين من رجب سنة ست وعشرين وخمسمائة، فاستولى على كل ما فيه، وانهزم أتابك زنكي إلى الموصل، وذلك الإقدام العظيم كان سبب تلفه" [4].

وقد يعلل أسامة الأحداث، ويفسر العلة في حدوثها قبل روايتها كقوله:" وقد جرى لي مرة أخرى مثل هذا، والسبب فيه نفاذ المشيئة ثم قلة المخبرة بالحرب، وذلك أننا ... " [5].

---

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٤٣ .

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٠٩ .

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٥٦ .

(٤) **ابن واصل :** مفرج الكروب ، ج١ ، ص٥٠ ، ٥١ .

(٥) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٧٢ .

ومـن تدخلاتـه –أيضـاً– قبل سـرد الروايـات التـي هـي مـن الخرافـات أو مسـتغربات الحدوث، إلقاء مسؤولية روايتها على من أسندت إليه كنحو قوله: " مرت بي هذه الأبيات في خبر أنا مورده؛ لاستغرابي إياه ... والعهدة فيه على من رواه، هو ..." [١]، أو التنبيه على أن الخبر الغريب الذي رواه لم يراه مكتوباً، وإنما سمعه، كقوله عندما يورد خبر زيارته لبيت المقدس سنة (٥٣٢هـ/١١٣٧م)، وما روى لـه هناك عن السلسلة التي كان يحتكم إليها الخصوم على عهد بني إسرائيل، فقد عقّب على هذا الخبر بقوله[٢]: " ولم أر هذا الخبر مسطوراً، وإنما أوردته كما سمعته "، وهذه التعقيبات على هذا النوع من الروايات إنما يدل على دقة أسامة في نقل هذا النوع من مصادره .

ومـن تدخلاتـه النقديـة؛ مـا ذكـره بعـد أن أورد مـا جـاء فـي الأخبـار والأشـعار عـن " العصا " فرس جذيمة الأبرص، والتي أنقذت مولى له يدعى " قصير" بعدما غدرت هند بنت الزباء (ملكة الحيرة) بجذيمة، وما رواه الرواه، وتغنى به الشعراء من كيد قصير لبنت الزبـاء، حيث أدخل الرجال الى مدينتها، وقد حملهم على الغرار بالجِمَال، فقال أسامة: " ومع ما أوردته فيه من قول أصحاب السير، وأشعار الشعراء، فلا يحقق ذلك من مارس الحـروب، وعـرف مكائـدها، واتقـاء الرجـال التغريـر والتخـوف مـن سـوء عواقـب الحيلـة، وضعف المكيدة، والحزم في الحرب أبلغ من الإقدام. وقد حاربت الفرنج – خذلهم الله– في مواقف ومواطن لا أحصي عددها كثرة، فما رأيتهم – قط – كسرونا، فلجوا في طلبنا، ولا يزيدون خيلهم عن الخبب والنقل، خوفا من مكيدة تتم عليهم، فكيف يحكم من في رأسه لبّ على نفسه حتى يدخل في غرارة مشدودة عليه، أو في تابوت؟ وكيف يخفي الرجل إذا ربطت عليه غرارة؟ ، وخطر لي أن قلت عند انتهائي إلى هذا الموضع أبياتاً أنا ذاكرها وهي ... " [٣].

ويبرز الجانب النقدي عند أسامة خاصة عند ذكره الأشعار، ولا غرابة في ذلك فهو من ألف " البديع في نقد الشعر"، وتتجلى آراؤه النقدية في عدة أشكال، منها: استحسان الأشـعار، كمـا فـي قولـه: " وقـال أبـو حيـة النميري، واسـمه الهيثم بـن الربيـع، قصيدة مـن

(١) **ابن منقذ:** المنازل والديار، ص٢٦١ .

(٢) **ابن منقذ:** العصا، ص٢٣٥ .

(٣) **ابن منقذ:** العصا، ص٢٥٩ . **حسن عباس:** أسامة بن منقذ، ج٢، ص٢٤، ٢٥ .

مستملح الشعر، وحسنه، ومختاره، ومنتخبه، ذكر فيها العصا وهي... " (١)، ومنها إظهار ما في الأشعار من عيوب كقوله بعد ذكر أبيات من الشعر: " قال المؤلف أطال الله بقاءه: هذا إقواء، وقد ورد مثله في الشعر كثير، فمن ذلك قول النابغة الذبياني..." (٢)، وقوله ناقداً هذا البيت:

وصفراء التراب من معد كأن حديثها قطع الجمان

إذا قامت لسبحتها تثنّت كأن عظامها من خيزران(٣)

وهذا الشاعر قد هجَّن شعره بذكر العظام، فلو قال: " كأن قوامها من خيزران " لكان أحسن " (٤).

-اهتمامه أحياناً بذكر تواريخ الحوادث :

ومن السمات الأخرى لمنهج أسامة في الكتابة التاريخية هو اهتمامه كلما انتعشت ذاكرته بذكر التواريخ بالرغم من عدم تسلسل الأحداث والوقائع التي ذكرها تسلسلاً زمنياً، فنراه يصور المعارك بأدق تصوير، فتارة يؤرخ لها باليوم، والشهر، والسنة، ومدة حدوثها، ويحدد كم يوماً استغرقت ؟ فمثلاً قوله بعد استيلاء المسلمين على كفرطاب سنة (٥٠٩هـ/١١١٥م): " ومن ذلك ما حضرته في سنة تسع وخمسمائة...، وصبحهم عسكر أنطاكية يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الآخر، وكان تسليم كفرطاب يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الآخر " (٥)، وقوله وهو يحدد معركة البلاط: " كسر الإفرنج على البلاط، وذلك يوم الجمعة خامس جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة " (٦)، وتارة يؤرخ للحدث بالتوقيت الدقيق مثل قوله: " وقاتلونا من يوم الجمعة ضحى النهار إلى يوم الخميس العشرين من ربيع الأول، فكانوا يقاتلون النهار كله " (٧)، وقوله وهو يروي مقتل الوزير عباس على يد الفرنج سنة (٥٤٩هـ/١١٥٤م): " وسرنا إلى يوم الأحد ثالث

---

(١) **ابن منقذ:** العصا، ص١٦١ .

(٢) **ابن منقذ:** العصا، ص١٩١، ١٩٢ .

(٣)**البيتيت من بحر الوافر .**

(٤) **ابن منقذ:** العصا، ص٢٣٢، ٢٣٣ .

(٥) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٩٥، ٩٨ .

(٦) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٦٢ .

(٧) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٤٩ .

وعشرين ربيع الأخر؛ فصبحونا الإفرنج في جمعهم على المويلح، فقتلوا عباساً، وابنه حسام الملك، وأسروا ابنه ناصر الدين " [1]، وقد يقتصر فى التأريخ للحادثة على ذكر الشهر والسنة فقط دون ذكر اليوم ، مثل قوله: " حدثني الإمام الخطيب سراج الدين أبو طاهر إبراهيم بن الحسين بن إبراهيم – خطيب مدينة إسعرد– بها في ذي القعدة سنة اثنتين وستين وخمس مائة " [2]، وتارة يقتصر على ذكر السنة فقط، مثل قوله: " نزل إلى دمشق في سنة ثلاثين وخمس مائة " [3]، وتارة يذكر اليوم والشهر دون السنة مثل قوله: " وسرنا حتى وصلنا بلد دمشق بمن سلم من الإفرنج وبني فهيد يوم الجمعة خامس ربيع الآخر من السنة " [4]، وتارة يقتصر على ذكر الحدث دون ذكر تاريخها؛ لنسيانها، ومن ذلك قوله: " نزل علينا صاحب أنطاكية... في بعض السنين " [5]، أو يترك تحديد زمن الحادثة لاهتمامه بالواقعة، وإظهار العبرة منها فقط، وليس التأريخ للحادثة نفسها، مثل ما ذكره عن المحاولة الفاشلة من قرا أرسلان بن سقمان بن أرتق للسيطرة على مدينة آمد، فاهتم بالحدث دون تحديد زمنه، لكنه اكتفى بقوله: "وأنا في خدمته...، هذا وأنا حاضر... "[6].

ولا حظ بعض الباحثين أن أسامة اهتم بذكر تواريخ الأحداث التي يراها في اعتقاده أنها ذات أهمية، ودلل على ذلك بأن روايات أسامة التي تتعلق بالصيد والقنص التي مارسها هو ووالده، طيلة حياته، تكاد تخلو من ذكرٍ للسنين التي حدثت فيها تلك الحوادث، وأضاف بأن أسامة وضح منهجه في استدعاء الحوادث بقوله" أذكر منها ما يحضرني ذكره" وهو ما جعل بعض روايات أسامة تخلو من البعد الزمني[7].

وتتفق معه الباحثة في أن منهجه في انتقاء الحوادث هو معول فيه على ذاكرته، ولكن تختلف معه في أنه يذكر التواريخ للأحداث المهمة، أو تلك التي يراها في اعتقاده مهمة، لأنه ذكر أحداثاً مهمة بنظر أسامة، ولكنه تخبط في تأريخ حدوثها، مثل: حادثة

---

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٥٠ .

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٨٤،١٨٥ .

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٢٢ .

(٤) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٥١ .

(٥) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص ٦٥ .

(٦) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٠٥، ١٠٦ .

(٧) **عبد الحميد الفرانى:** القيمة العلمية لروايات ابن منقذ الشفوية، ص٣٧٠ .

هجـوم الاسـماعيلية علـى شـيزر، حيـث يـذكرها فـي كتابـه "لبـاب الآداب" سـنة (٥٢٧هـ/١١٣٢م)، بينما هى وقعت سنة (٥٠٧هـ/١١١٣م)[١].

-ربط الأحداث والروايات التاريخيـة التـى حدثت فـى الحاضـر بمـا يشـاكلها فـى الماضي، والعكس:

يتضح في أسلوب أسامة استعماله الربط بين الأحداث المتشابهة بأن يذكر، وهو يروي الرواية التي يرويها في الحاضر بما يشبهها في الماضي، وكأنه يضع نظريته فيي مفهوم علم التاريخ وهو أن التاريخ حلقات متصلة، وهو معرفة الماضي لنعتبر به في الحاضر، ونجد ذلك مثلاً في قوله بعدما ذكر قصة الفارس "جمعة" مع مقدم الأكراد: " وذكرت بفعلة سرهنك، ما فعله مالك بن الحارث الأشتر[٢] -رحمه الله- بأبي مُسَيْكة الأيادي... "[٣]، ثم أخذ في سرد قصة مالك بن الحارث الأشتر، ومثل ذلك – أيضاً- قوله بعد أن ذكر مقتل رجل من الجنود بعد فترة قريبة من زواجه، وقد خرج للقتال، وعليه ثوب أحمر من ثياب العرس، ربط ذلك الخبر بما يشاكله فى عصر النبوة، فقال: " فذكرت به الخبر عن النبي ﷺ وقد أُنشد قول قيس بن الخَطيم[٤]:

---

(١) **ابن القلانسي:** تاريخ دمشق، ص ٣٠٣، ٣٠٤ .

(٢) **مالك بن الحارث الأشتر النخعي:** شريف كبير القدر في النخع، والنخع بطن من بطون مذحج، وهي قبيلة من اليمن نسبة إلى مذحج، وهو مالك بن أدد، روى الأشتر عن عمر، وخالد بن الوليد، وشهد اليرموك، وقلعت عينه يومئذ، وكان ممن ألب على عثمان، وسار إليه، وأبلى شراً، وكان خطيباً بليغاً فارساً، حضر صفين، وكاد أن يظهر على معاوية، فحمل عليه أصحاب علي، لما رأوا المصاحف على الأسنة، فوبخهم الأشتر، وما أمكنه مخالفة علي، وكف بقومه عن القتال، وبعد أن انصرف علياً من صفين أو بعدها، بعث الأشتر على مصر، فمات في الطريق مسموما سنة (٣٨هـ/٦٥٨م). **أبو الفدا:** المختصر في أخبار البشر، ج١، ص١٠٣. **الذهبي:** تاريخ الإسلام، ج٣، ص٥٩٣، ٥٩٤. العبر في خبر من غبر، ج١، ص٣٢. **ابن الوردي:** تاريخ ابن الوردي، ج١، ص٨٧. **اليافعي:** مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج١، ص ٨٨.

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار، ٥٩ .

(٤) **قيس بن الخطيم:** بن عدي الأوسي. شاعر الأوس، وأحد صناديدها في الجاهلية. أول ما اشتهر به تتبعه قاتلي أبيه وجده حتى قتلهما، وقال في ذلك شعراً، وله في وقعة بعاث التي كانت بين الأوس والخزرج قبل الهجرة أشعار كثيرة، فلما تزوج قيس من حواء بنت يزيد بن عبد الأشهل التي أسلمت بمكة قبل الهجرة، وحسن اسلامها، وعلم النبي بقدوم زوجها مكة، دعاه النبيّ، وأوصاه بها، وتلا عليه القرآن، فقال: إني لأسمع كلاماً عجباً، فدعني انظر في أمري هذه السنة، ثم أعود إليك، فمات قبل الحول، وقال رسول الله (ﷺ) لو يقدم الأديعج وفّى. انظر. **ابن سعد:** الطبقات الكبرى، ج٨، ص٣٢٣، ٣٢٤. **ابن عساكر:** تاريخ دمشق،=

أجالـدهم يـوم الحفيظـة حاسـراً ... كـأن يـدي بالسـيف مخـراق لاعـب[١]

فقال النبي ﷺ للحاضرين من الأنصار، رضي الله عنهم: (هل حضر أحد منكم يوم الحديقة؟) فقال رجل منهم: أنا حضرته يا رسول الله! وحضره قيس بن الخطيم، وهو قريب عهد بالعُرس، وعليه مُلاءة حمراء، فوالذي بعثك بالحق، لقد عمل في قتاله كما قال عن نفسه " [٢].

أما ربط الأحداث والروايات التاريخية التى حدثت في الماضى بما يشاكلها في الحاضر، مثل قوله: " قلت: قد جرى في مدَّتي ما يشاكل حديث الإسكندر، وأنا مورده " [٣] ، وأيضاً قوله: " قلت: أذكرني قول الحكيم: (إنما سلطان الملك على الأجساد دون القلوب) أمراً شهدته بمصر في سنة سبع وأربعين وخمس مائة " [٤]، وأيضا قوله: " أذكرني قول مِقسمٍ- مولى عُبيد الله بن عباس رضى الله عنهما- شيئاً جرى لي، وإن لم يكن من باب الكرم " [٥].

- القدرة على الاختيار والترجيح:

يعتبر من مميزات منهج أسامة قدرته على اختيار، وترجيح رواية بعد عرض جميع الروايات ثم يسوق الدليل على اختياره، ومن المواطن التي برزت لأسامة فيها هذه القدرة ذكره خبر نزول سيدنا موسى (عليه السلام) الأرض المقدسة، وهو قوله تعالى: (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ) [٦]، ثم عرض الأقوال في المقصود بالأرض المقدسة ثم رجح الرأي الصحيح وساق دليله فقال: " قال مجاهد: الأرض المقدسة الطور وما حوله، وقال قتادة: هي الشام، وقال ابن زيد: هي أريحا، وروى عن مجاهد: إنها دمشق وفلسطين وبعض الأردن"، والصحيح أنها: ما

=ج١١، ص ١٣٧ .**ابن حجر العسقلاني:** الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص ٤١٧. **الزركلي:** الأعلام، ج٥، ص٢٠٥ .

(١)**البيت من بحر الطويل ..**

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٧٢ .

(٣) **ابن منقذ:** لباب الآداب، ص ١٣٢ .

(٤) **ابن منقذ:** لباب الآداب، ص ٧٢ ،٧٣ .

(٥) **ابن منقذ:** لباب الآداب، ص ١٠١ .

(٦) سورة المائدة: آية (٢١) .

بـين الفرات وعـريش مصـر؛ لإجمـاع أهل التأويـل والسـير والعلمـاء بالأخبـار، يكتـب أبـو الدرداء من الشام إلى سلمان الفارسي رضـي الله عنهما: هلم إلـى الأرض المقدسـة، فأجابه سلمان رحمه الله بأن الأرض لا تُقَدِّس أحداً، إنما يُقَدَّس المرء عمله " [١].

- استخدام أسلوب التنبيـه والتعليل ممـا يـدل علـى فهمـه الجيد لمـادة موضـوعه ومعرفته التامة بمنهجه:

أورد أسامة في بداية بعض الأخبار التاريخية أو في نهايتها عبارات تنبه القارئ إلى العلة من تناول هذا الخبر، بالرغم من أنه ليس من موضوع الكتاب، وهذا يدل حتماً إلى نظرة أسامة لموضوعاته، وفهمه الجيد لمادتـه، ومعرفتـه التامة بخطوات منهجـه، وبقيمة الخبر في حد ذاته، كما في حديثه عن خبر الخليفة المأمون وزنادقة البصرة: " قلت: مرت بي هذه الأبيات في خبر استطرفته، فأوردته، وليس مما قصدت لـه، لكن الأبيات أوجبت إيراده " [٢]، وقولـه بعد ذكر بيتين من الشعر: " قلت: ربما وقف على هذين البيتين من يتطلع إلـى معنـى قول أبـي الفتيان: " كأني عمران بن حطان" فرأيت أن أذكر شيئاً من أخبـاره، وإن لـم يقتض التـأليف ذلك " [٣]، وقولـه: " مـرت بـي هذه الأبيات فـي خبر أنـا مورده؛ لاستغرابي إياه، وإن لم يكن مما يقتضيه التأليف، والعهدة فيه على من رواه، هو ..." [٤]. وقوله: " وأنا ذاكر شيئاً من أمر هذه بريكة، وإن لم يكن موضعه، لكن الحديث شجون " [٥]، وقوله: " ورأيت مثل ذلك، وإن لم يكن بالحرب " [٦].

وأحيانا يضع أسامة عبارة التنبيه والتعليل في ختام الخبر كقوله بعدما ساق خبر أمر الرسول بقتل زعيم اليهود كعب بن الأشرف: " قلت: اقتضت الآيـة ذكر قتل كعب بن الأشرف، فذكرتـه، وإن لـم يكـن ممـا قصـدت لـه " [٧]، وقولـه: " إنمـا أوردت هذا الخبـر

---

(١) **ابن منقذ:** العصا، ص ٤٦، ٤٧ .
(٢) **ابن منقذ:** المنازل والديار، ص٤٩ .
(٣) **ابن منقذ:** المنازل والديار، ص٢٣١ .
(٤) **ابن منقذ:** المنازل والديار، ص٢٦١ .
(٥) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٤٣ .
(٦) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص١٠٨ .
(٧) **ابن منقذ:** المنازل والديار، ص٦١ .

مختصراً؛ لئلا يقف على ذكر غسل إبراهيم رأسه من لا يكون عرف كيف كان ذلك، فيتطلع إلى معرفته " [١].

وقد يتخذ التنبيه والتعليل شكلاً ونمطاً آخر، كتعليل خروجه عن منهجه في التناول والترتيب لمادته كقوله عند بداية الفصل الأخير من كتابه المنازل والديار: " هذا الفصل كان موضعه صدر الكتاب، إذ كانت المنازل والديار إنما تُبكى لسكانها من الأهل والإخوان والأحباب لكني أخرته؛ لأختم به الكتاب" [٢]، وقوله: " فهذا خبر طالوت على طريق الاختصار؛ لأن المقصود منه ذكر العصا " [٣]، ومثل قوله في الباب الذي عقده لعصا الأعمى بعد أن نقل خبراً عن الطبري فيه ذكر لنعيمان بن عمرو الصحابي مع مخرمة بن نوفل، وكان قد كُفَّ بصرُه، وفيه ذكر العصا، ثم ألحق بهذا الخبر خبراً آخر لنعيمان مع سويبط بن حرملة، وإن لم يرد فيه ذكر للعصا، وعقب على ذلك بقوله: " قال المؤلف–أطال الله بقاءه– ما يقتضي التأليف ذكر هذا الخبر، وإنما أوردته لأجل نُعَيْمان " [٤].

وقد يكون التنبيه من أجل تحديد الموضوع اللاحق، وهذا يبين اهتمام أسامة بربط الحدث، وعدم قطعه بذكر أخبار أخرى، لكنه ينبه القارىء أنه سيأتى ذكر الحديث عن الخبر الآخر بعد انتهاءه من سرد الخبر الأساسى، وقد تجلى ذلك فى قوله: " وسأذكر قتله بعد الفراغ من تفسير هذه الآية " [٥]، وذلك عند حديثه عن إخراج يهود بني النضير من ديارهم، وقتل رئيسهم كعب بن الأشرف عند تفسيره للآية الكريمة: (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) " [٦].

---

(١) **ابن منقذ:** المنازل والديار، ص٣٦٤ .

(٢) **ابن منقذ:** المنازل والديار، ص٤١٠ .

(٣) **ابن منقذ:** العصا، ص ٦٨ .

(٤) **ابن منقذ:** العصا، ص ٢٤٢ . **حسن عباس:** أسامة بن منقذ، ج٢، ص ١٩، ٢٠ .

(٥)**ابن منقذ:** المنازل والديار، ص٥٦ .

(٦) سورة الحشر: من الآية رقم(٢)

الموضوعية والحياد في تناول الأحداث:

تظهر موضوعية أسامة في تناولـه أخبار الصليبيين وصفاتهم[1]، فهو بالرغم من كرهه لهم إلا أنه وصفهم بـ " الشجاعة "[2]، و" الاحتراز في الحرب "[3]، وفي تقدير بعض الباحثين أن مثل تلك النصوص التي امتدح بها أسامة أعداء المسلمين في وقت شهد فيه عنـف المواجهـة بـين المسـلمين والصـليبيين إنمـا تـدل علـى الموضـوعية الواضـحة مـن جانبه[4]، كما يلاحظ موضوعيته تجاه حديثه عن المرأة، سواء المسلمة أو الصليبية ، فهو لا يقدم صورتها المشرفة فقط؛ بل يقدم – أيضاً– صوراً من الجانب الآخر لهما[5].

وكما عرض أسامة بن منقذ بعض جوانب المجتمع الإيجابية، كذلك عرض –أيضاً– بعض الجوانب السلبية لـه آنذاك كالعمل في السحر، والإيمان بالطالع والتنجيم والاعتقاد بالخرافات، فمن الخرافات التي أوردها أسامة ما كان يظن من أن الشق الضيق في البتراء لا يدخله ابن زنا، فكان من لا يدخل من خلاله يظن بنفسه الظنون، فلما سمع أسامة ذلك قال: " فأوجب قوله أن قمت، ودخلت في ذلك الموضـع، صليت، وخرجت، وأنا لا أصدق مـا قالـه، وجـاء أكثر العسكر، فدخلوا وصلّوا " [6]، وممـا يشـاكل ذلك مـا ذكره عن بيت السلسلة الذي بجوار قبة الصخرة في بيت المقدس، وما رواه عن السلسلة التي كانت على عهد بني اسرائيل، فإذا كانت بين اثنين منهم محاكمة، ووجبت اليمين على أحدهما، دخلا هذا البيت، فوقفا تحت السلسلة، واستحلف المدعي على المدعى عليه، ثم يمد يده؛ فإن كان صادقا أمسك السلسلة، وإن كان كاذباً طالت عن يده، فلا يصل إليها، ثم روى سبب

---

(١) **قاسم عبده قاسم:** بين الأدب والتاريخ، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص١٠٠، ١٠١ . **حازم فارس علي أبو شارب:** فن السيرة في الأدب الأيوبي كتاب الاعتبار أنموذجاً، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، عمان، الأردن، ٢٠١١م، ص١٢٩.

(٢) **ابن منقذ:** الاعتبار ، ص٨٧، ١٥١ .

(٣) **ابن منقذ:** الاعتبار ، ص٤٠ .

(٤) **محمد مؤنس عوض:** الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، ص٢٥٢، ٢٥٣.

(٥) **محمد مؤنس عوض:** الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، ص٢٥٠ . **حازم فارس علي أبو شارب:** فن السيرة في الأدب الأيوبي كتاب الاعتبار أنموذجاً، ص ١٣٢ .

(٦) **ابن منقذ:** الاعتبار ، ص٣٨ . **رغدة الزبون:** قراءة تحليلية في كتاب الاعتبار، ص٢١ .

ارتفاع السلسلة، وعلق أسامة على الخبر بقوله: " ولم أر هذا الحديث مسطورًا، وإنما أوردته كما سمعته " (١).

ولا شك أن تلك نماذج تدل على موضوعية أسامة بن منقذ وحياده؛ الأمر الذي لابد أن يتوافر في المؤرخ؛ بل يعد من أهم صفاته(٢)، لكن مهما حاول المؤرخ أن يثبت موضوعيته، ويتخلى عن ذاتيته، فإن عاطفته الدينية دون شك، سوف تغلب على معالجاته التاريخية، فالموضوعية مطلب صعب المنال؛ لأن المؤرخ إنسان له دائماً آراء وعواطف ومشاعر تطغى عليه في وقت من الأوقات، مهما حاول التزام الموضوعية والحياد (٣).

منهجه في استعمال مصادره:

بعد الوقوف على أساليب أسامة بن منقذ المختلفة في تدوين مؤلفاته يمكننا أن نستنتج سعة إطلاعه، ومبلغ ثقافته، واعتماده جماعة من المؤرخين والكتاب والعلماء والشعراء الذين نقل عنهم، وزاد عليهم، فأضاف مشاهداته وتجاربه الثمينة القيمة إلي تجاربهم السابقة، فأتم ما بدؤوه، وزاد ما رآه رأي العيان.

كان أسامة – في كثير من الأحيان– هو المصدر الأساسي لمعظم المادة التي ساقها في مؤلفاته عامة، وفي كتاب "الإعتبار" خاصة كونه كتاباً تاريخاً، معاصراً له، مشاهداً حوادثه، مشاركاً لها .

أما عن إسناد أخباره السماعية؛ فلا يكتفى بالإسم الأول لناقل الخبر؛ بل يتوسع في ذكر نسبه كاملاً، متمثلا بطريقة علماء الحديث، واهتم كثيراً بجغرافية اللقاء مع الشيخ الذي يروى عنه، وتبيان المكان الجغرافي لذلك اللقاء بدقة، ولعل من أمثلة ذلك قوله: " أنشدني الخطيب العالم قدوة الشريعة أبو زكريا يحى بن سلامة الحصكفى – رحمه الله– عند اجتماعى به بميافارقين فى سنة سبع وعشرين وخمسمائة لبعض أهل المعرة ... " (٤).

---

(١) **ابن منقذ:** العصا، ص٢٣٥– ٢٣٨ .

(٢) إن من أهم الشروط الواجب توافرها في المؤرخ ألا يغلبه الهوى، فيخيل له هواه الإطناب في مدح من يحبه، والتقصير في غيره ، بالإضافة إلى أن يكون عنده من العدل ما يقهر به هواه، ويسلك معه طريق الانصاف. **فتحية النبراوي:** علم التاريخ دراسة في مناهج البحث، ص٨٢، ٨٣ .

(٣) انظر تلك القضية بالتفصيل وآراء المؤرخين فيها . **فتحية النبراوي:** علم التاريخ دراسة في مناهج البحث، ص٣٦ – ٣٨ .

(٤) **ابن منقذ:** المنازل والديار، ص ١٣ .

كما اعتمد أسامة في مؤلفاته على عدد ضخم من المصادر، اختصر بعضاً منها، وأغفل بعضهماً الآخر، شأنه في هذا شأن معاصريه، ومن سبقهم، فليس من عادة المصنف قديماً أن يذكر كل مصادره في بحثه، وإنما يجتزئ بذكر بعض منها، دفعاً للإطالة. كما اعتمد على مصادر أصيلة موثوق بصحتها، معاصره للأحداث أو قريبة منها، فهو –على سبيل المثال– إن تكلم عن الأنبياء المرسلين، رجع الى القرآن الكريم، وسيرة ابن اسحاق، وتاريخ الطبري، بالإضافة إلى كتب التفاسير، مثل تفسير مجاهد، ومقاتل، والإمام الطبري، والقاضي الماوردي، فضلاً عن كتاب قصص الأنبياء للثعالبي، والمعروف بـ "عرائس المجالس".

كذلك استخدام أسامة لهجة عصره، فتنوعت ألفاظه التي استعملها للتعبير عن النقل من تلك المصادر، فاستخدم أسامة: (أورد، ذكر، قال) في التعبير عن مطالعة المصادر المكتوبة، وكذلك: (سمعت، أخبرني، حدثني، أنشدني) في المصادر الشفهية، وفي الموارد المجهولة التي لم يذكر مصدره فيها استخدم ألفاظ: (رُوِى، حُكِى) .

وقد اتضحت دقة أسامة في النقل أحياناً، فالروايات التي حدد مصدرها، والتي تيسر على الباحثة الإطلاع عليها من المصدر الأصلي المطبوع، وبعد مقارنة ما فيه من مادة تاريخية بما أورده أسامة نقلاً عن هذه الكتب، تبين أنه كان دقيقاً إلى حد ما في نقله منها، حيث كان يتصرف – أحياناً – في نقله عن المصادر إما بإسقاط ألفاظ لا تُخل بالمعنى، أو إبدال بعض الألفاظ بما يشبهها وتؤدي نفس المعنى، كما أنه اعتاد انتقاء منقوله من أجل الإختصار.

ما يؤخذ علي أسامة بن منقذ في منهجه:

أسامة بن منقذ مُحيّر في أسلوبه، وكذلك في استخدامه بعض الألفاظ والعبارات، فتارة تراه محكم الأسلوب ، قوي العبارة، متزن الجمل، جيد التعبير كأسلوبه في كتاب العصا، والمنازل والديار، ولباب الآداب، وتارة في كتاب آخر ترى خلاف ذلك؛ فيستخدم أسلوب ركيك، وألفاظ وعبارات لا تليق بأديب وشاعر، فتلمس أسلوباً أقرب إلى العامية منه إلى العربية، وذلك كأسلوبه في كتاب " الاعتبار"، وهو بهذا يحير القارئ؛ لدرجة تجعله ينكر ذلك عليه.

-اعتماده أحياناًعلى ذاكرته دون الرجوع إلى المصادر المتخصصة:

مما يؤخذ على أسامة – أيضاً– اعتماده على ذاكرته أحياناً، وقد صرح أسامة بذلك، فقال في مقدمة كتابه " العصا "[١]: " ولا أدَّعي أنني أتيت على ذكر العصا فيما جمعته، وإنما أوردت منه ما حفظته وسمعته "، والواضح أنه ليس في كتاب العصا فقط، ولكنه منهج واضح في جميع مؤلفاته، فإن اعتماد أسامة على ما يحفظه لا مجال للشك فيها. ففي كتاب " لباب الآداب " ما يدل على أنه كان يعتمد على ذاكرته اعتماداً كبيراً؛ وذلك لأنه كان يذكر الأبيات الشعرية كما حفظها، دون أن يكلف نفسه عناء مراجعتها في مظانها، ومن ثم كثر لديه عدم تحديد أسماء الشعراء[٢]، وتداخل أبيات من قصيدة بأبيات من قصيدة أخرى للشاعر نفسه[٣].

وفي كتاب " الاعتبار" استشهد أسامة بروايات حدثتْ في عهد الخلفاء الراشديين، ولم يكلفْ نفسَه عناءَ الرجوع إليها في مظانها؛ للتأكد من صحة ما يقوله، بل نراه يذكرها من ذاكرته، وقد أخطأ فيها، مثل قوله عند ذكر وقعة مالك الأشتر النخعي، وأنه أصيب في وجهه فى حروب الردة مع بني حنيفة، فيقول[٤]: " وذُكِّرت بفعلة سرهنك ما فعله مالك بن الحارث الأشتر – رحمه الله – بأبي مُسَيْكة الأيادي، وذلك أنه لما ارتدت العرب في أيام أبي بكر الصديق، رضوان الله عليه، وعزم الله سبحانه له على قتالهم، جهَّز العساكر إلى قبائل العرب المرتدين، فكان أبو مسيكة الأيادي مع بني حنيفة، وكانوا أشد العرب شوكة، وكان مالك الأشتر في جيش أبي بكر رحمه الله، فلما تواقفوا برز مالك بين الصفين وصاح: يا أبا مسيكة فبرز له، فقال: ويحك يا أبا مسيكة! بعد الإسلام وقراءة القرآن، رجعت إلى الكفر؟ فقال: إياك عني يا مالك! إنهم يُحَرِّمون الخمر، ولا صبر عنها، قال: هل لك في المبارزة؟ قال نعم، فالتقيا بالرماح، والتقيا بالسيوف، فضربه أبو مسيكة،

(١) ص٥ . ويشير بعض الباحثين إلى أن ذكر أسامة في مقدمته بأنه اعتمد فيما أورده على ما حفظه وسمعه، يفسر لنا سر الأبيات المفردة، أو القطع الشعرية الصغيرة، دون عزو إلى قائلها، ولعله اعتمد على ما أسعفته به حافظته القوية على حين انقطع عن مصادرها . **حسن عباس:** أسامة بن منقذ ، ج٢، ص٢٣، ٢٤ .

(٢) **ابن منقذ:** لباب الآداب ص ٣٦٦ ،٣٦٨، ٣٧١ ،٣٧٣، ٣٨٧، ٤١٢، ٤١٣ .

(٣) كما هى حال أبيات امرىء القيس انظر **ابن منقذ:** لباب الآداب ص ٣٦٨ ،٣٦٩ .

(٤)**ابن منقذ:** الاعتبار، ص٥٩ .

فشق رأسه، وشتر عينه، وبتلك الضربه سمي الأشتر. فرجع، وهو معتنق رقبه فرسه إلى رحله..." .

وفي هذه الرواية اعتمد أسامة على ذاكرته؛ لأن المؤرخين يذكرون إصابته في موقعة اليرموك، حيث يقول الواقدي في معركة اليرموك(١): " وكان أول من برز مالك النخعي الاشتر – رضي الله عنه– وساواه في الميدان، فابتدر مالك ماهان بالكلام، وقال له: أيها العلج الأغلف، لا تغتر بمن قتلته، وإنما أشتاق صاحبنا إلى لقاء ربه، وما منا إلا من هو مشتاق إلى الجنة، فإن أردت مجاورتنا في جنات النعيم، فانطق بكلمة الشهادة، أو أداء الجزية، وإلا فانت هالك لا محالة فقال له ماهان: أنت صاحبي خالد بن الوليد، قال: لا أنا مالك النخعي – صاحب رسول الله ﷺ – فقال ماهان: لا بد لي من الحرب ثم حمل على مالك وكان من أهل الشجاعة، فاجتهدا في القتال، فأخرج ماهان عموده، وضرب به مالكاً على البيضة التي على رأسه، فغاصت في جبهة مالك، فشترت عينيه؛ فمن ذلك اليوم سمي بالاشتر " .

وذكر الطبري(٢): " كان الأشتر قد شهد اليرموك، ولم يشهد القادسية، فخرج يومئذ رجل من الروم، فقال: من يبارز؟ فخرج إليه الأشتر، فاختلفا ضربتين، فقال للرومي: خذها وأنا الغلام الإيادي، فقال: الرومي: أكثر الله في قومي مثلك! اما والله لو أنك من قومي لآزرت الروم، فأما الآن فلا اعينهم! "، وقال الذهبي(٣): " الأشتر النَّخعِيّ، واسمه مالك بْن الْحَارِث. شريف كبير القدر في النخع، رَوَى عَنْ عُمَر، وخالد بْن الْوَلِيد. وشهِدَ اليرموك، وقُلِعَتْ عينُه يومئذٍ".

- الاستطراد:

مما يؤخذ على أسامة رحمه الله الاستطراد؛ فبالرغم من حرصه على الإلتزام بمنهج كتابه الذي وضعه، نراه يجنح عن ذلك، ويستطرد لموضوع ثانوي متعلق، أو مرتبط بالموضوع الأساسي الذي يتناوله ارتباط معنوي ثم ينبه القارىء بالعودة إلى الموضوع الأساسي بعد استطراده، مثل استطراده في الحديث عن والده، وقد كان يروي لنا خبر

---

(١) فتوح الشام، ج١، ص ٢١٥، ٢١٦ .

(٢) تاريخ الرسل والملوك، ج٣،ص ٤٠١ .

(٣) تاريخ الإسلام، ج٢، ص ٣٣٦ .

طعنة خطيرة أصابته، ولكنه نجا منها، ثم استطرد ببيان خطه المليح، ونسخه القرآن ثم يعلق على هذا الاستطراد بقوله: " وما يقتضي الكتاب ذكر هذا وإنما ذكرته لأستدعي له الرحمة ممن وقف عليه " [1]، وقوله: " رجع القول إلى السياسة "بعد استطراده بحدث شاهده وساقه، تأصيلاً لقول حكيم في باب السياسة بكتابه " لباب الآداب "[2]، وكذلك في كتاب العصا عندما يتعرض لأبيات الحكم بن عبدل[3]، يقول معلقاً على الأبيات: " قال المؤلف–أطال الله بقاءه– هذا إقواء، وقد ورد مثله في الشعر كثير" ثم يستطرد، فيستشهد بإقواء النابغة الذبياني في داليته المشهورة، ويورد أبياتاً أخرى لابن ميادة الشاعر، وأخيراً يعود ليشرح سبب أبيات الحكم بن عبدل [4] .

-تكرار بعض الروايات في العديد من مؤلفاته:

رغم إحكام أسامة مادته، وإحسانه توزيعها، واستخدامه أسلوب الإحالة الذي يهدف من خلاله إلى عدم تكرار الروايات في العديد من مؤلفاته إلا أنه وقع – أحياناً – في خطأ التكرار، أي تكرار نفس الرواية في مؤلفين له، كتكرار قصة زهر الدولة بختيار القبرصي الذي هجم عليه الأسد، واستعمل عقله فى أن يلهي الأسد برجله إلى أن تأتيه المساعدة، في كتاب " لباب الآداب "، وهي مما سبق له ذكره في كتاب " الاعتبار " [5]، وخبر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بأنه كان كثيراً ما يتمثل بأشعار معينة للرثاء؛ فنرى أسامة يذكر الخبر والشعر في كتابيه: " لباب الآداب"، و" المنازل والديار" مع اتفاق في الرواية، وترتيب الأشعار[6]، وكذلك خبر بشار بن بُرد مع عقبة بن سَلْم الذي ذكره في كتاب المنازل والديار ثم كرر نفس الخبر والشعر مع اختلاف بسيط في مفردات وترتيب الأشعار في كتاب العصا[7].

---

(١) **ابن منقذ:** الاعتبار، ص٧٦ . **جليلة الطريطر بلحاج يحيى:** الاعتبار لأسامة بن منقذ نموذجاً في كتابة السير ذاتية العربية القديمة، حوليات الجامعة التونسية، العدد(٣٧)، تونس، ١٩٩٥م، ص٢٧٦ .

(٢)**ابن منقذ:** لباب الآداب ، ص ٧٣ .

(٣) **ابن منقذ:** العصا، ص١٩١ .

(٤) **ابن منقذ:** العصا، ص١٩٤ . **حسن عباس:** أسامة بن منقذ، ج٢، ص١٩ .

(٥) انظر هذه القصة في: **ابن منقذ:** لباب الآداب، ص١٩٩. الاعتبار، ص١٠٩ .

(٦) انظر: **ابن منقذ:** لباب الآداب، ص٤٠٥. المنازل والديار، ص٤١٠ .

(٧) انظر: المنازل والديار، ص١٣٣–١٣٥ . العصا، ص٢٠٦–٢٠٨ .

- اكتفائه أحياناً بالنقل دون أي تعليق :

ومما يؤخذ عليه اتخاذه نوعاً من الحيدة تجاه بعض رواياته المنقوله بالرغم من بروز الجانب النقدي لديه في العديد من الروايات، فنراه يكتفي بأن ينسب الأخبار إلى رواتها، ولكنه كان يجمع بين الآراء المتناقضة في نسق واضح، كما فعل في " باب الخُلْف في الآيات"(١)، حيث جمع بين كل الآراء والأقاويل المتناقضة التي يهدم بعضها بعضاً في تفسير آيات النبي موسى (علية السلام)(٢)، وأيضاً تحدث عن عِصِيّ الأنبياء، فحشد الكثير من الإسرائيليات، والأخبار الملفقة، وأكاذيب القصاص، وأوهام الرواه دون أن يعرض لها بالنقد والتفنيد الصريح(٣).

- الشرح بالتفصيل لبعض الألفاظ الواضحة :

اهتم أسامة في العديد من مؤلفاته بشرح غريب الألفاظ، وهذا وإن دل على شئ؛ فإنما يدل على سعة علمه، ومعرفته بعلم اللغة، لكن ما يؤخذ عليه هو التوسع في شرح كلمة واضحة لاتحتاج لكل هذا الشرح الذي أورده، كتوضيح معنى: "والدهر يخدع " بعد ايرادها فى بيت شعر، فقال: " يخدع أي يخالف ما تريد، يقال للرجل إذا وعد ثم أخلف :خدع، وإذا أطلع الضب رأسه ثم أدخله يقال: خدع الضب، وخدع الريق، إذا تغير وفسد، وخدعت السوق، إذا كسدت " (٤).

- إظهار العاطفة الدينية في تناول الأحداث التاريخية:

بالرغم من موضوعية أسامة في تناول الأخبار والأحداث المعاصرة له إلا أنه كشف عن شعوره تجاه الصليبيين، وهو شعور ملئ بالبغض والكره لهم، فلا يكاد تأتي كلمة " الإفرنج "، أو " الروم " في حديثه إلا أعقبها بجملة اعتراضية من هذه الجمل (لعنهم الله، خذلهم الله، وهم بهائم قبّحهم الله، أو يقول في أمرائهم أنه شيطان من الإفرنج لعنه الله)(٥).

---

(١) **ابن منقذ:** العصا، ص٣٤ .

(٢) **حسن عباس:** أسامة بن منقذ، ج٢، ص٢٦ .

(٣) **حسن عباس:** أسامة بن منقذ، ج٢، ص٢٥، ٢٦ .

(٤) **ابن منقذ**: المنازل والديار ،ص ٧.

(٥) الاعتبار، ص ٢٦، ٤٠، ٥٧، ٦٥، ٧١، ٨٧، ١١٤، ١١٧، ١٣٥، ١٤٢، ١٥٣ . انظر: **محمد عبد الله عباس:** السيرة الذاتية في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ دراسة أدبية، ص١٤٤١، ١٤٤٢ .

والجدير بالذكر أن أسامة اشترك مع غيره من المؤرخين المسلمين الذين تناولوا تاريخ الإسلام والمسلمين في مواجهة الصليبيين بالتعبير عن العاطفة الدينية تجاه هؤلاء الغزاة .

- **عدم الدقة أحياناً في التصريح بمصدره الذي ينقل عنه:**

ومما يجدر الإشارة إليه أنه بالرغم من تحري " أسامة " الدقة في النقل عن مصادره، فإنه قد جانبه الصواب في بعض من المواضع التي سبق أن وضحناها بالتفصيل في الفصل الثالث من هذه الدراسة، ومجملها : إهماله أحياناً الإسناد الى مصدره الذي نقل عنه المادة الخبرية، أو إسناده إلى مجهول أو مبهم ، أو إسناده إلى المصدر البعيد الرئيسي الذي نقل عنه مصدره القريب دون التصريح بالمصدر القريب ، وبالإضافة إلى ما سبق أنه أخطأ في بعض الأحيان في النقل عن مصدره الذي ذكره، كقوله: " قال مقاتل في إسناده عن ابن عباس رحمه الله: ... " (١)، وبالرجوع الى مصدره الأصلي المذكور وُجِدَ أنه نقل عنه هذا النص بتصرف طفيف في اللفظ مع الحفاظ على النسق التعبيري، ولكن لم يذكر مقاتل إسناده إلى ابن عباس(٢).

سابعاً: مفهوم التاريخ والهدف من كتابته عند أسامة بن منقذ:-

إن مفهوم التاريخ والعبرة منه عند أسامة بن منقذ، ليس مجرد سرد أخبار حروب وانتصارات، وفتن، وثورات، وغزوات، وخلافات بين ملوك وأمراء؛ بل هو -أيضاً- دراسة لأحوال الشعوب الاجتماعية والعمرانية والاقتصادية، ووصف عام للأوضاع الفكرية والثقافية، وهذه هي الجوانب التي تبدو أكثر وضوحاً فى مؤلفاته، وخاصة " الاعتبار "، فإننا نجد أسامة فيه يتحدث عن الحدث بصرف النظر عن فاعله، أمير أم فقيه أم حرفي، رجل أم أمرأة، فإننا من خلال رواياته نخرج بملاحظات قيمة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية وغيرها، مما يندر العثور عليه في كتب المعاصرين، والتي تهتم بالمقام الأول بالحياة السياسية .

ولهذا يمكن القول بأن التاريخ عند أسامة وسيلة للاعتبار والاختبار في كافة الأمور في السياسة، والأخلاق، والدين وغيرها، فهو عبر ودروس ومواعظ، وأسامة بهذا يتقدم

---

(١) العصا، ص ٤٧ .

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان ، ج١، ص٤٦٥ ، ٤٦٦ .

– من وجهة نظر الباحثة – عن مؤرخي عصره؛ لأن منهج البحث التاريخي عنده يعتمد على ملاحظة الظواهر الحضارية، وخاصة ظواهر الاجتماع لدى الشعوب التي أتيح له الاحتكاك بها والحياة بين أهلها مثل الصليبيين، ومن المسلمين الأتراك والأكراد وغيرهم، وتعقب هذه الظواهر في أحداث عصره، وفي العصور السابقة لعصره من خلال السماع من شهود عيان لهذه الأحداث، فأخضع بعض التطورات السياسية والعمرانية لتحليل دقيق؛ ليخرج منها بنتائج هي أقرب ما تكون إلى القواعد الأساسية، مثل استخلاصه لقانون مفاده أنه بالعقل والسياسة تعمر البلاد.

ومن هذا المنطلق ترى الباحثة أن " الاعتبار " ليس عمل تاريخي أو أدبي، ولكنه عمل فكري، نتج عن ذهن مؤرخ وأديب وشاعر ، يسوده انطباع واعي بالغرض العام من كتابة التاريخ، وقد بيّن من خلال اختياره لعنوان كتابه أهدافه من كتابة التاريخ، بأنه سيختار من تجربته أو تجربة غيره، ليكون عبرة وعظة ، وكان أسامة واعياً فى ذلك، إذ يتشابه ما كتبه من تجارب ما زال ولا يزال يتكرر مثلها، وينتظر حدوث شبهها وشكلها ما دامت ديار المسلمين في مطمع الأعداء، وقد ألحقه بطائفة من أخبار الصالحين التي فائدتها القدوة بهم، والاستمتاع بالمستطرف من أخبارهم، والتعرف على عقلية مجتمعه وهروبهم من هم الحروب بالتعلق بقوة غيبية، بسبب اتكالهم على قدرة الخالق في حل أزمة العالم الإسلامي وقتئذ، وهو بهذا يرسخ قوة العقيدة الاسلامية في نفوس الأمة، بالإضافة إلى الخروج بمادة كتابه عن أخبار مألوفة .



الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين. وبعد ، ، ،

أولاً: النتائج:-

فقد خلصت هذه الدراسة عن: أسامة بن منقذ ومنهجه في الكتابة التاريخية إلى عدد من النتائج المهمة التي أكدت على أن هذا الأمير الفارس النبيل قد أثرى المكتبة التاريخية بعدد من المؤلفات الهامة التي تمثل نموذجاً خاصاً، يعكس عقلية هذا الرجل واهتماماته، وذلك من خلال ثقافة رفيعة، وأخلاق سامية، وشغف كبير بالتاريخ والأدب والشعر. بالإضافة إلى الفروسية، والحرب، والدبلوماسية، وفيما يلي أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة :

١- إن أسامة بن منقذ كان سابقاً لعصره؛ فقد اتبع المنهج التاريخي من الإشارة في مقدمات مؤلفاته إلى المنهج الذي يسير عليه، وما يحتويه الكتاب، والدافع لتأليفه، أو الغرض منه، والصعوبات التي واجهها في جمع مادته.

٢- أكدت الدراسة ما ذهب إليه بعض الباحثين من وجود مخطوطة أصلية لكتاب " أخبار النساء" لأسامة بن منقذ في إحدى مكتبات باكستان. هذا بالإضافة إلى ما ترجحه الباحثة بأن مخطوطة دمشق التي ذكر بعض الباحثين بأنها للإمام الذهبي، هي لكتاب " التاريخ البدري" لأسامة بن منقذ.

٣- كشفت الدراسة عن حجم ما ألفه أسامة بن منقذ، ونوعه، وعن المنهج العلمي الذي اعتمده فيما ألفه من ترتيب لمادة كل مؤلف، والخطة التي اتبعها في التأليف.

٤- كما أظهرت الدراسة أثر مؤلفات أسامة بن منقذ ومروياته التاريخية في المصنفات التاريخية اللاحقة، حيث استعان بمؤلفاته الكثير من العلماء، وكان أثره واضحاً في كتبهم، ومنهم: أبو شامة، وابن العديم وابن واصل، وابن خلكان.. وغيرهم من المؤرخين .

٥- خصص أسامة في مؤلفاته دراسة خاصة بالنساء، وهذا يدل على عقلية واعية، تتطلع إلى أن تشمل دراساته كل القضايا التي تهم المجتمع الإسلامي.

٦- وضحت الدراسة أن أسامة بن منقذ كان من المؤرخين الذين ذكروا مواردهم بصورة جيدة، سواء أكانت شفوية أم مكتوبة. وقد امتازت خطته في هذا المضمار بتنوع موارده وتعددها. كما أنه عني بالمصادر المتخصصة، فنقل عن كل فئة من مصادرها، كما كان يتميز بعقلية عظيمة في الانتقاء، ويعني بانتقاء المصادر المعاصرة .

٧-كان للرواية الشفوية التي تلقاها أسامة من معاصريه أثر واضح فيما دوّن من معلومات للأحداث المعاصرة التي كان فيها أسامة شاهد عيان، أو مستمع لشهود عيان.

٨- أثبتت الدراسة دقة أسامة في النقل عن مصادره، فبالنسبة للروايات التي حدد مصدرها، والتي تيسر الإطلاع عليها من المصدر الأصلي المطبوع، وبعد مقارنة ما فيه من مادة تاريخية بما أورده أسامة نقلاً عن هذه الكتب، تبين أنه كان دقيقاً – إلى حد ما- في نقله منها، حيث كان يتصرف – أحياناً – في نقله عن المصادر: إما بإسقاط ألفاظ لا تُخل بالمعنى، أو إبدال بعض الألفاظ بما يشبهها وتؤدي نفس المعنى، كما أنه اعتاد انتقاء منقوله من أجل الإختصار.

٩- ألقت الدراسة الضوء على طبيعة روايات أسامة التاريخية، فقد تعرض لمختلف الأخبار والحوادث، وإن استأثرت الأخبار السياسية والعسكرية بالشق الأكبر من بينها، ومن خلال هذا المجال السياسي تطرق إلى نواحٍ متعددة: اقتصاديه، واجتماعية، وجغرافية وعمرانية.. وغيرها مع عدم اغفال الترجمة الذاتية له، وذلك كلما سنحت له الظروف، وكذا تسجيل الكثير من العجائب، ومستغربات الحدوث، شأنه في ذلك شأن معاصريه، وهو غالباً ما كان سائداً في عصره .

١٠- أما عن التراجم فإنه يمكن أن نضع لأسامة في هذه الناحية منهجاً، اعتمدْ في انتقاءه التراجم على أسس رئيسة، تمثلت في الشهرة، واقتصاره على نوع واحد من الأعلام، وهم الأدباء والشعراء؛ ولذا فقد كشفت الدراسة عن اهتمامه الواضح بالشعر والشعراء، إذ أورد الكثير من أخبارهم، كما استشهد بالعديد من أشعارهم في مؤلفاته المختلفة، فضلاً عن التصنيف الخاص بهم، مثل: المختار من محدث الأشعار، والمنتخب فى أشعار العرب، وذيل يتيمة الدهر.

١١- أما الأسلوب الذي اتبعه أسامة بن منقذ؛ فيعد هو أحد المميزات التي تمتع بها، فهو سهل، واضح ، فيه عذوبة، وفكاهة، واستطراد بلا ملل، وفيه موسوعية، ونظر ثاقب،

وإيمان بالله لا يتزعزع، ومن أدلة ذلك تأثره بالقرآن الكريم والإقتباس منه، والاعتناء بتضمين الحوادث الكثير من الشواهد الشعرية، والابتعاد عن السجع والتكلف إلا في مقدمات مؤلفاته، وتضمين لغته لبعض العبارات العامية شائعة الإستعمال لدى عامة عصره بالرغم من قوة أسلوبه كأديب وشاعر، مع توارد الاصطلاحات والتعبيرات المعروفة لعصره، والإفصاح عن رأيه وعاطفته، واستعمال اصطلاحات المحدثين في رواياته الشفوية.

١٢- يمكن أن نقرر أن أسامة بن منقذ كان سابقاً لعصره حين ظهر الحس النقدي في كتاباته، بالإضافة إلى مهارته في تقديم العظة والعبرة من أحداث التاريخ التي عاصرها، وأثرت في منهجه في رواية تلك الأحداث.

١٣- ظهرت خبرة أسامة العملية باعتباره فارساً، وكونه يهوى الصيد، ويشارك في رحلاته، وقد وضح ذلك في معلوماته القيمة عن الطيور، والحيوانات، ووسائل الصيد، مما استحق معه أن يفرد له دراسة مستقلة .

ثانياً: التوصيات:-

لم يكن علم أسامة بن منقذ قاصراً على واحد من العلوم، وإنما كان له في كل مجال إنتاج وفير، ومؤلفات بارعة، لو درسها الباحثون اليوم لكان كل واحد منها جديراً بالدراسة الجامعية.

فإنه يمكن أن يدرس كتاب " لباب الآداب " دراسة تاريخية، فهو يزخر بالمعلومات التاريخية القيمة . كما يمكن تحقيق مخطوط " أخبار النساء" ومقارنة منهجه فيه بمنهج الإمام ابن الجوزي في كتابه المطبوع بعنوان: " أخبار النساء ".

وقد أمكن لي والحمد لله أن أدرس منهجه في الكتابة التاريخية في عملي هذا، وأرجو من الدارسين الاهتمام بمؤلفاته الأدبية وجهوده فيها . بالإضافة إلى الاهتمام بموضوع الصيد فهو يستحق أن يفرد له دراسة مستقلة.



الملاحق

- أولاً: الرسائل
- ثانياً: الصور
- ثالثاً: الخرائط
- رابعاً: الأشكال

أولاً: الرسائل

رسالة من أسامة بن منقذ إلى أخيه أبي المغيث منقذ تتضمن التنبيه على فضل تاج العلى الأشرف بن الأعز وذكر منافبه

ظفرت بكتاب كتبه مؤيد الدولة أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ الكناني الى أخيه أبي المغيث منقذ بن مرشد على يد تاج العُلى الى آمد ، دفعه الي القاضي بهاء الدين أبو محمد الحسن بن ابراهيم بن الخشاب يتضمن التنبيه على فضل تاج العُلى وذكر مناقبه ، فنقلت من خط أسامة في أثناء الكتاب :

ينهي عبدك أنه اجتمع بالامير السيد الأجل الأوحد ، العالم علاء الدين أبي العز ، الأشرف بن الأعز الحسني ، أدام الله علوه ، فرأى آذي[٢] بحر لجميع العلوم، زاخر ، مضاف الى النسب الشريف الفاخر ، جليسه منه بين روضة وغدير ، وأدب بارع ، وفضل غزير ، قد احتوى على فنون الأدب ، وأحكم معرفة السير والنسب ، وما أصف لك يا مولاي فضله غير أنني والله مارأيت مثله ، وما أنت يامولاي ـ جعلت فداءك ـ ممن ينبه على فضيلة ، ولا يحث على مكرمة ، فاصرف همتك الى ماتلقاه به من الاكرام والتبجيل لفضل علمه الغزير ، وشرفه الأصيل .

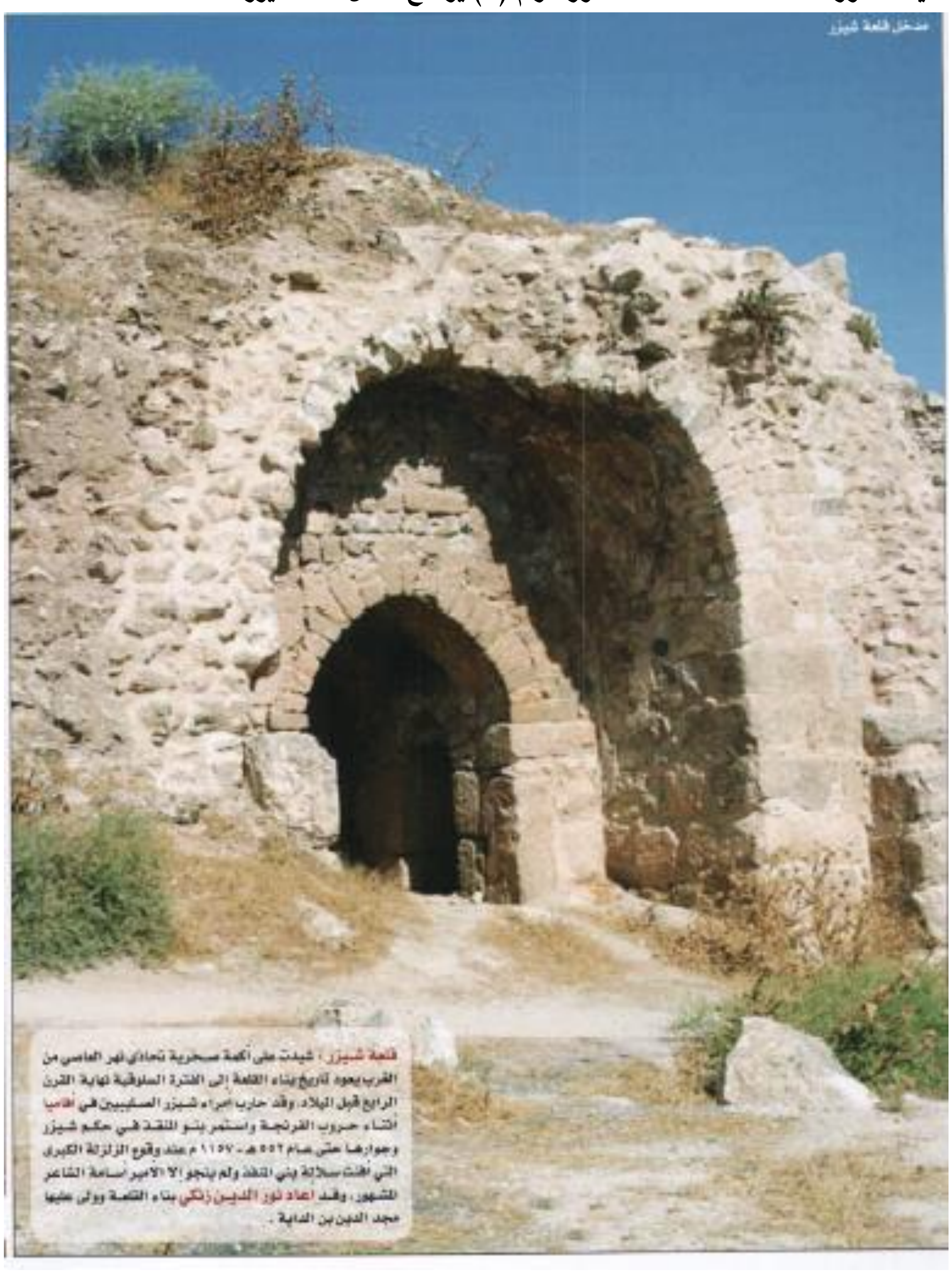
---

١ ـ انظره في كنز العمال : ١١/٣١٨٩٠ .

٢ ـ الآذي ـ بالمد والتشديد ـ الموج الشديد . النهاية لابن الأثير .

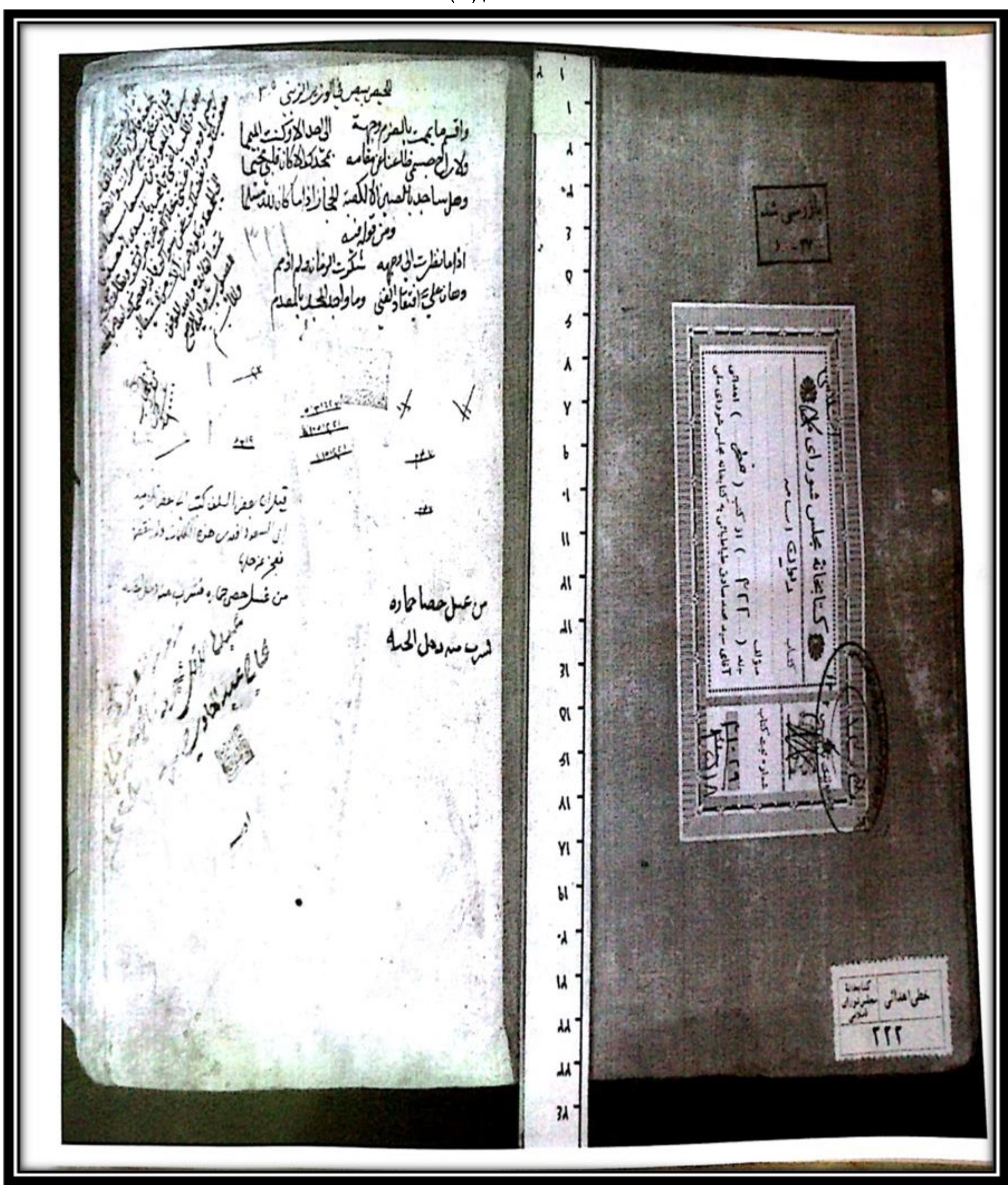
ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب، ج٤، ص١٨٧٧ .

ثانياً: الصور **صورة رقم (١) يوضح مدخل قلعة شيزر**



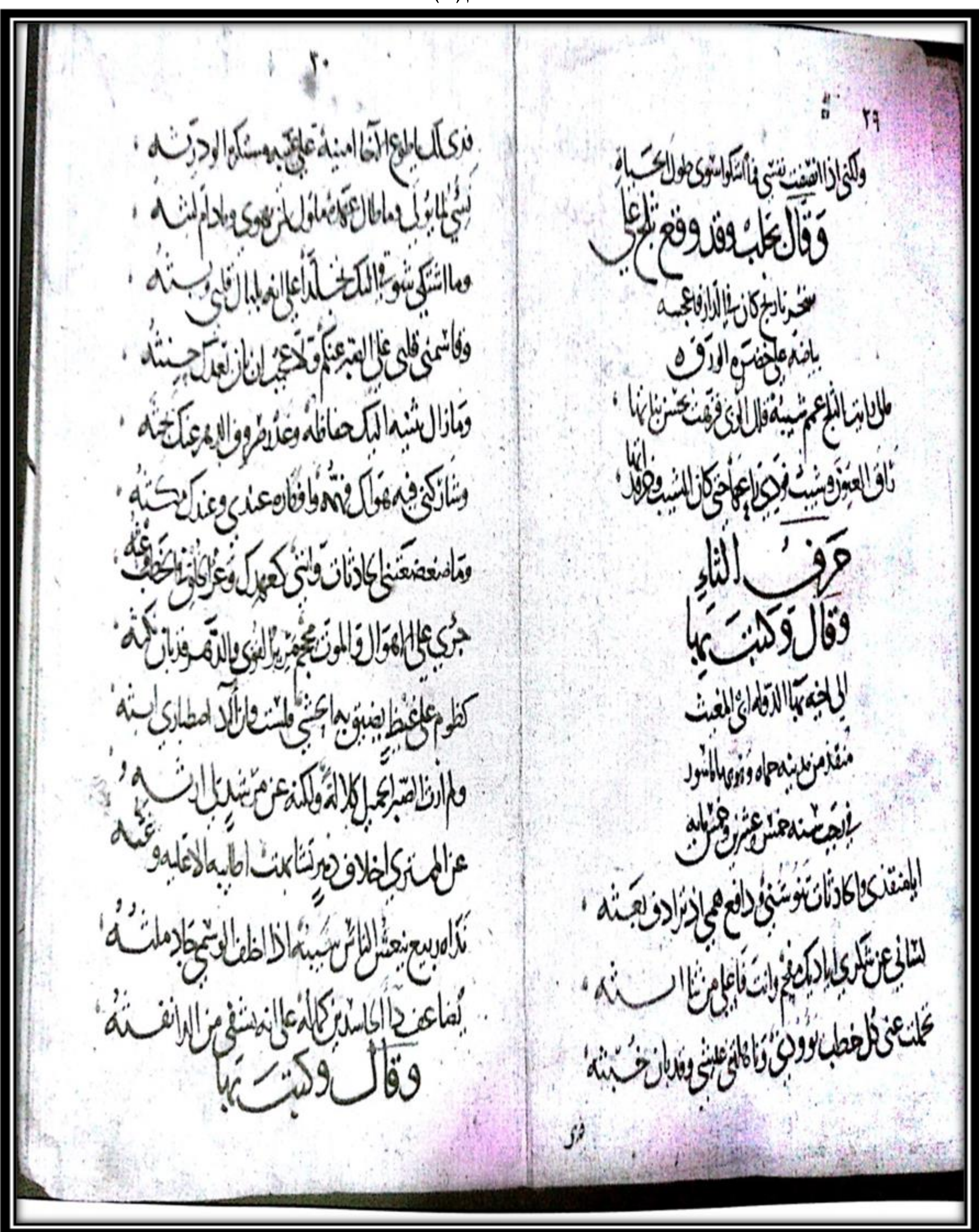
سامي المغلوث: أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ص٩١.

صورة رقم(٢)



صفحة العنوان من مخطوط ديوان أسامة،(كتابخانة مجلس شوراي ملي- طهران-إيران) برقم٣٢٢ طباطبائي.

صورة رقم(٣)


وقال يكتب وقد وقع ثلج

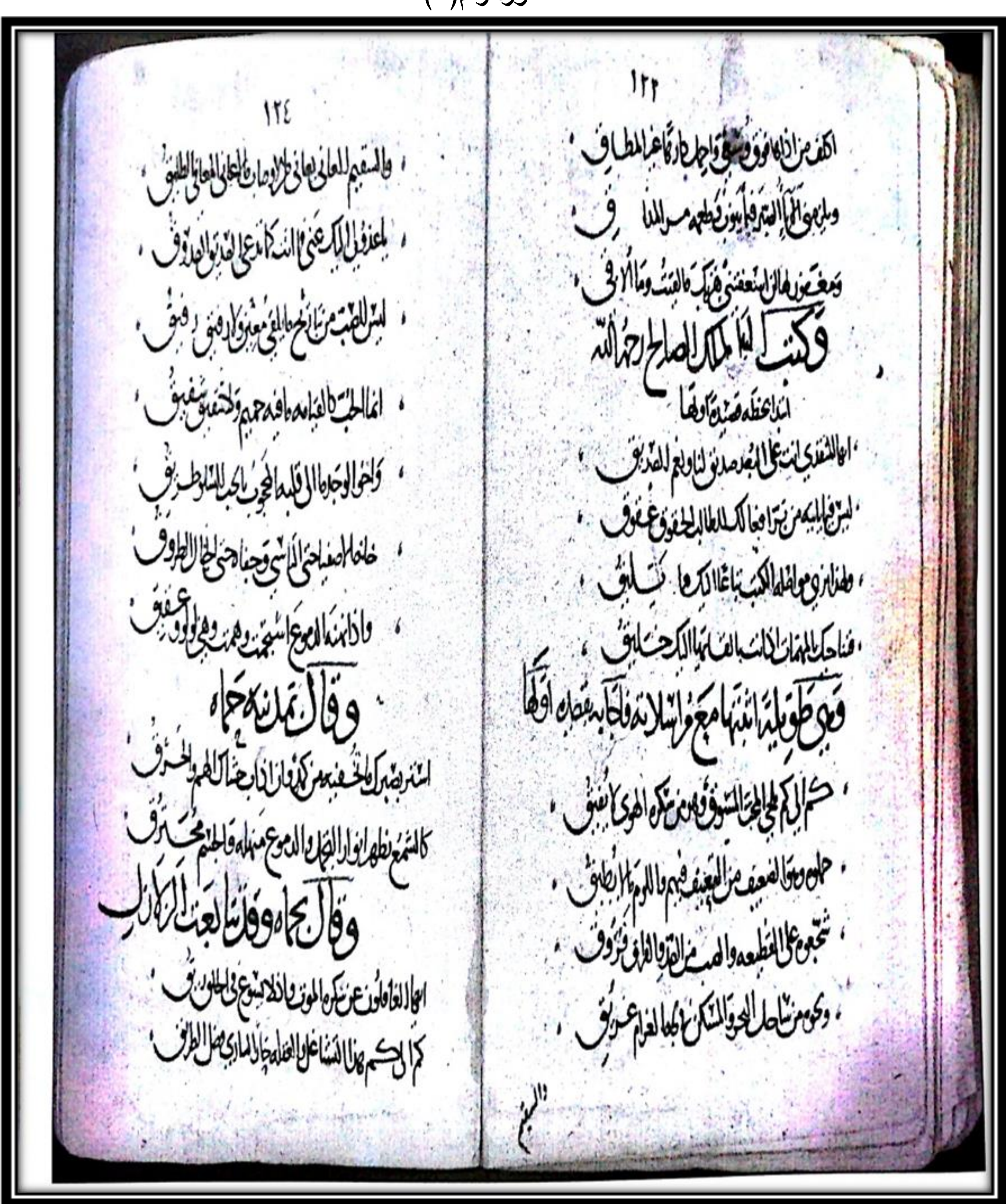
حرف التاء

وقال وكتب بها

وقال وكتب بها

مخطوطة الديوان ، نسخة إيران، ورقة رقم (٢٩)

صورة رقم(٤)



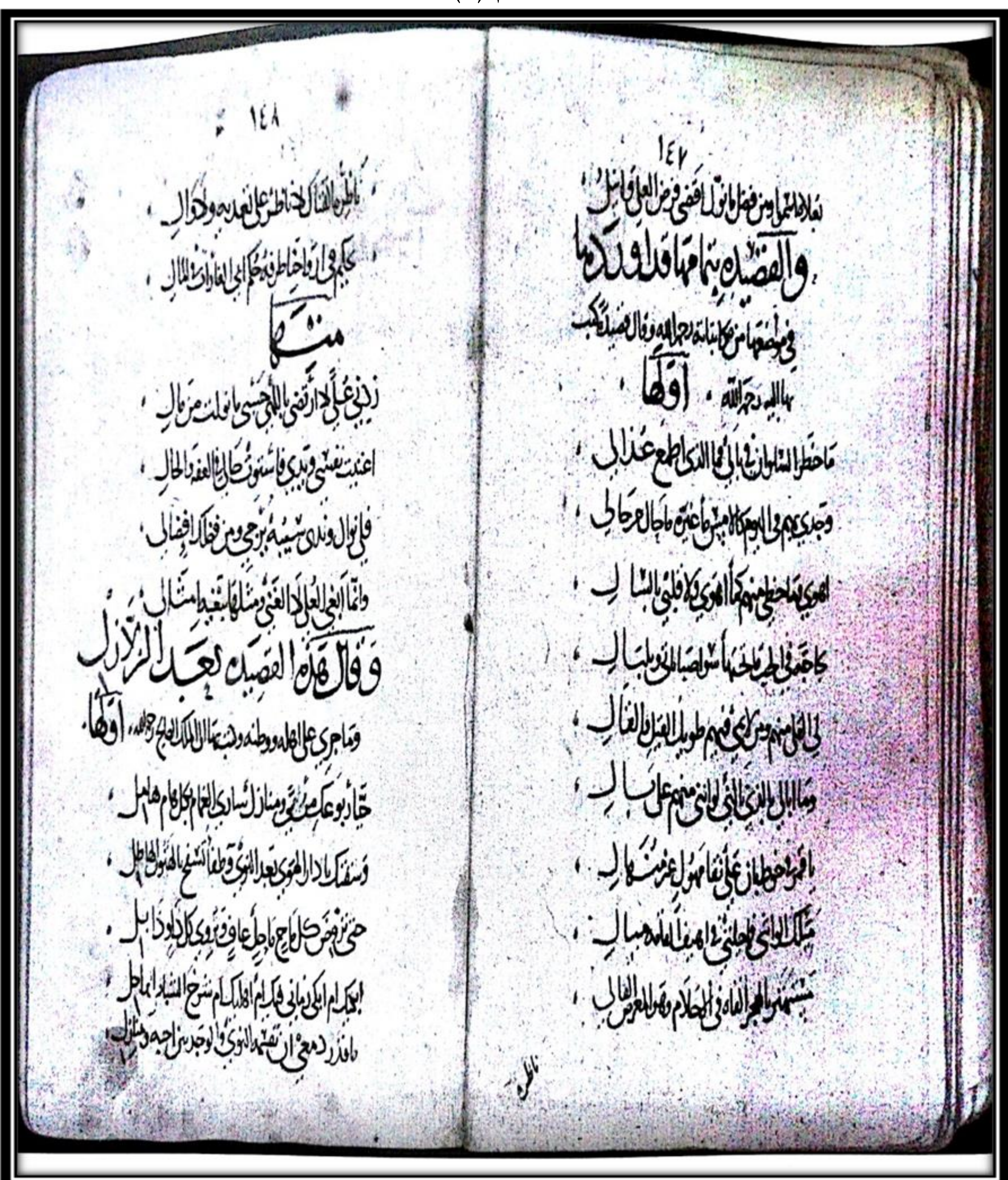
مخطوطة الديوان ، نسخة إيران ، ورقة رقم ١٢٣ .

صورة رقم (٥)



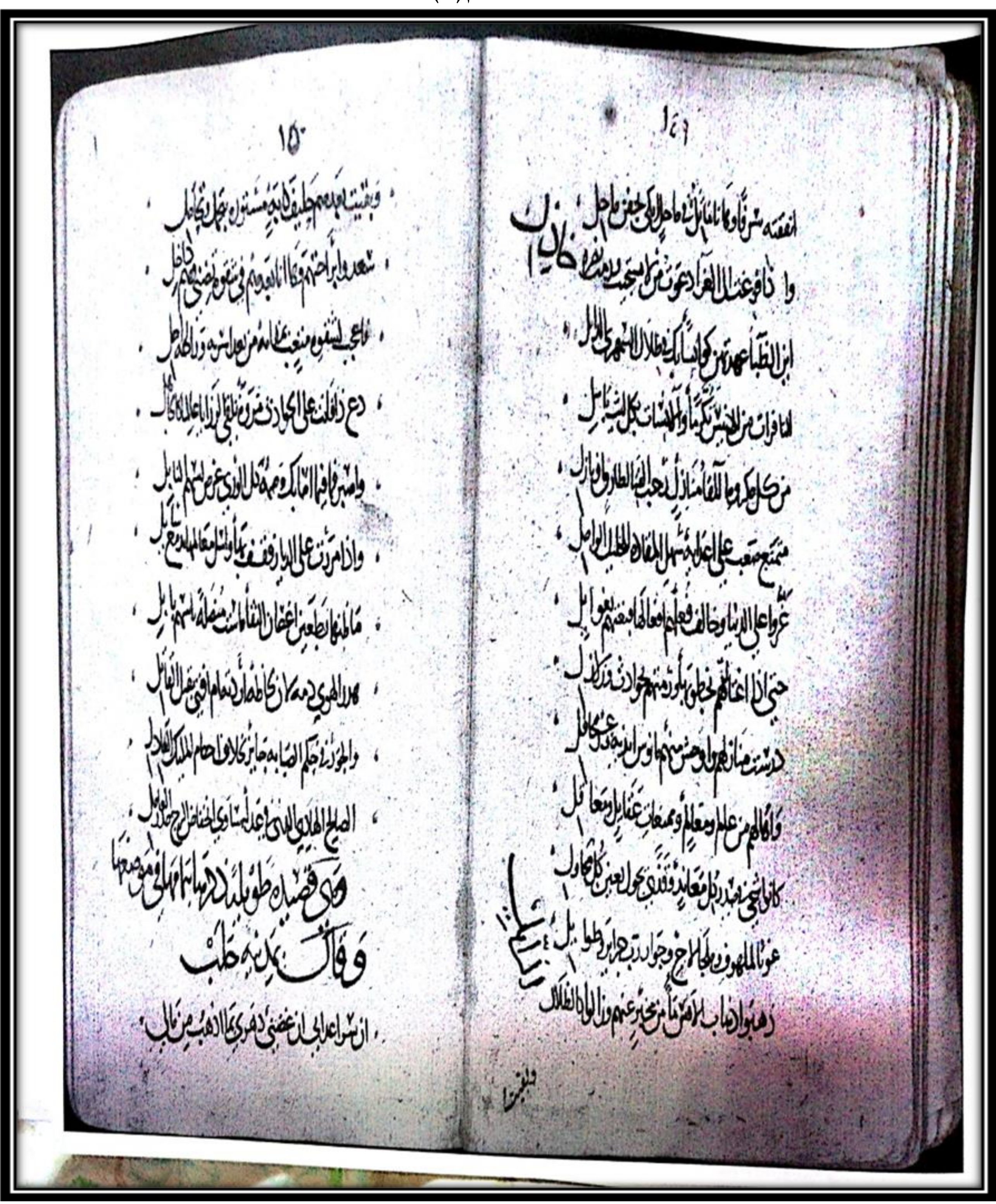
مخطوطة الديوان ، نسخة إيران ، ورقة رقم ١٤٦ .

صورة رقم (٦)



مخطوطة الديوان ، نسخة إيران ، ورقة رقم ١٤٧ .

صورة رقم(٧)



مخطوطة الديوان ، نسخة إيران ، ورقة رقم ١٥٠ .

صورة رقم (٨)

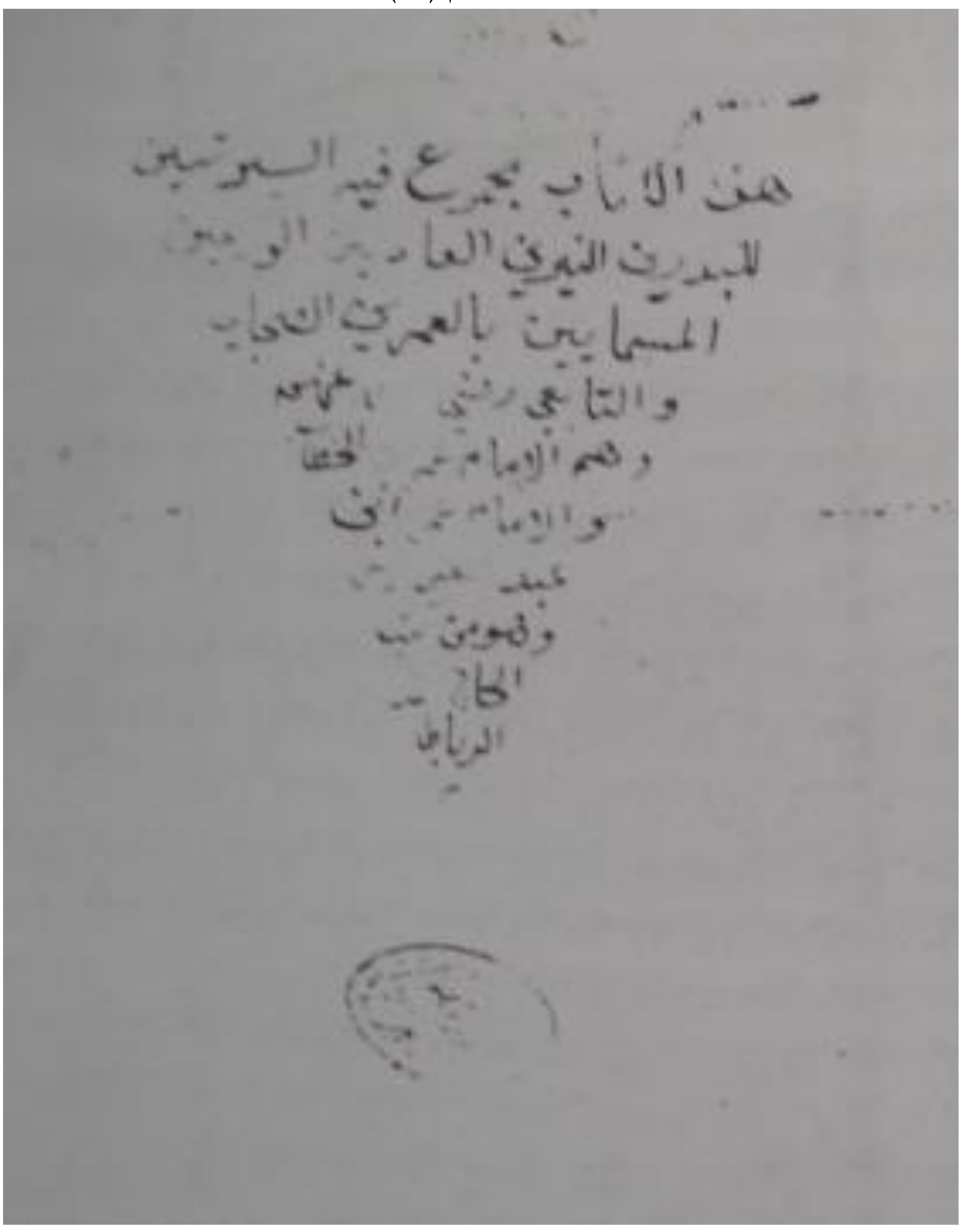
نموذج رقم (١) الورقة (١و) من المخطوطة

الورقة الأولى من مخطوط الاعتبار، نقلا عن كتاب الاعتبار تحقيق عبد الكريم الأشتر، ص٤٧ .

صورة رقم (٩)

نموذج رقم (٢) الورقة (٤١ظ) من المخطوطة

صورة رقم (١٠)



صفحة العنوان من المجموع الذي به السيرتين المسمايين بالعمرين عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز باختصار أسامة بن منقذ

صورة رقم (١١)

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم
يقول [illegible] سامة ابن مرشد ابن علي ابن مقلد ابن نصر ابن منقذ رضي الله
عنه وعن والديه وعن جميع المسلمين إنني وقفت بمدينة [illegible]
في شوال سنة أربع وستين وخمسمائة على كتاب مناقب أمير المؤمنين
أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه تأليف الشيخ الإمام العالم
[illegible] أبي الفرج عبد الرحمن ابن علي ابن محمد ابن علي
[illegible] رضي الله عنه مروية عن الثقات مسندة عن الأئمة
الأثبات [illegible] وبالله التوفيق إلى غير [illegible] الأسانيد إذ كانت
[illegible] واشتهرت [illegible] تدفع بالإنكار وفضائله شهد بها آثاره
في الإسلام وتأييده [illegible] إجابة لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم
والناس فيه بين رجلين رجل عرف فضله فأقر وفوض ورجل ران
على قلبه الشك [illegible] واعترض فالمعترف العارف لا يزيد نفسه الإسناد
والمنكر [illegible] لا ينفعه الرواية عن العناد وقد كتب أوردت
في [illegible] بالتاريخ [illegible] المشتمل على ذكر فضائل أهل بدر
رضي الله عنهم من مناقبه وفضائله وفتوحاته وأحكامه وحسن آثاره
في الإسلام ما فيه مقنع وكفاية وذلك [illegible] وهداية
قال الشيخ الإمام أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي رضي الله عنه الحمد لله الذي
[illegible] وقدر وأبعث محمدا [illegible]
[illegible] وحرم وأباح وحظر [illegible] في بداية النبوة [illegible]
[illegible] فاختفى [illegible] إلى أن أعز الله الإسلام بإسلام عمر
صلوات الله عليه وعلى جميع أصحابه [illegible] وعلى تابعيهم بإحسان
[illegible] وهطلت [illegible] على [illegible] الشجر
وسلم تسليما أما بعد فإن أخبار الأخيار [illegible] القلوب [illegible]
للألباب [illegible] ما جمعت أخبار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
لأنه جمع من العلم والعمل ما أدهش العقلاء [illegible]
والعمل [illegible]

صورة رقم (١٢)

نموذج يوضح مقدمة أسامة لمختصر كتاب مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول اسامة بن مرشد بن علي بن نصر بن مقلد رضي الله عنه وعن والديه وعن جميع المسلمين : إنني وقفت بمدينة سعرد[1] في شوال سنة سبع وستين وخمسمائة علي كتاب مناقب أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، تأليف الشيخ الإمام العالم الزاهد ناصر السنة أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي رضي الله عنه مروية عن الثقاة ، مسندة عن الائمة الأثبات ، فرأيت وبالله التوفيق أن جردتها عن الاسانيد اذ كانت أشهر من النهار ، وأشيع من أن تدفع بالإنكار ، وفضائله تشهد بها آثاره في الإسلام وتأييده الدين إجابة لدعوة الرسول عليه السلام والناس فيه بين رجلين ، رجل عرف فضله فأقر وفوض ، ورجل ران علي قلبه الشك فأنكر وأعرض فالمقر العرف لا يزيد يقينه الإسناد ، والمنكر الجاحد لاتصده الرواية علي ذكر فضائل أهل بدر رضي الله عنهم من مناقبه وفضائله وفتوحاته وأحكامه ، وحسن آثاره في الاسلام ما فيه مقنع وكفاية ولكن الزيادة من الخير خير وهداية .

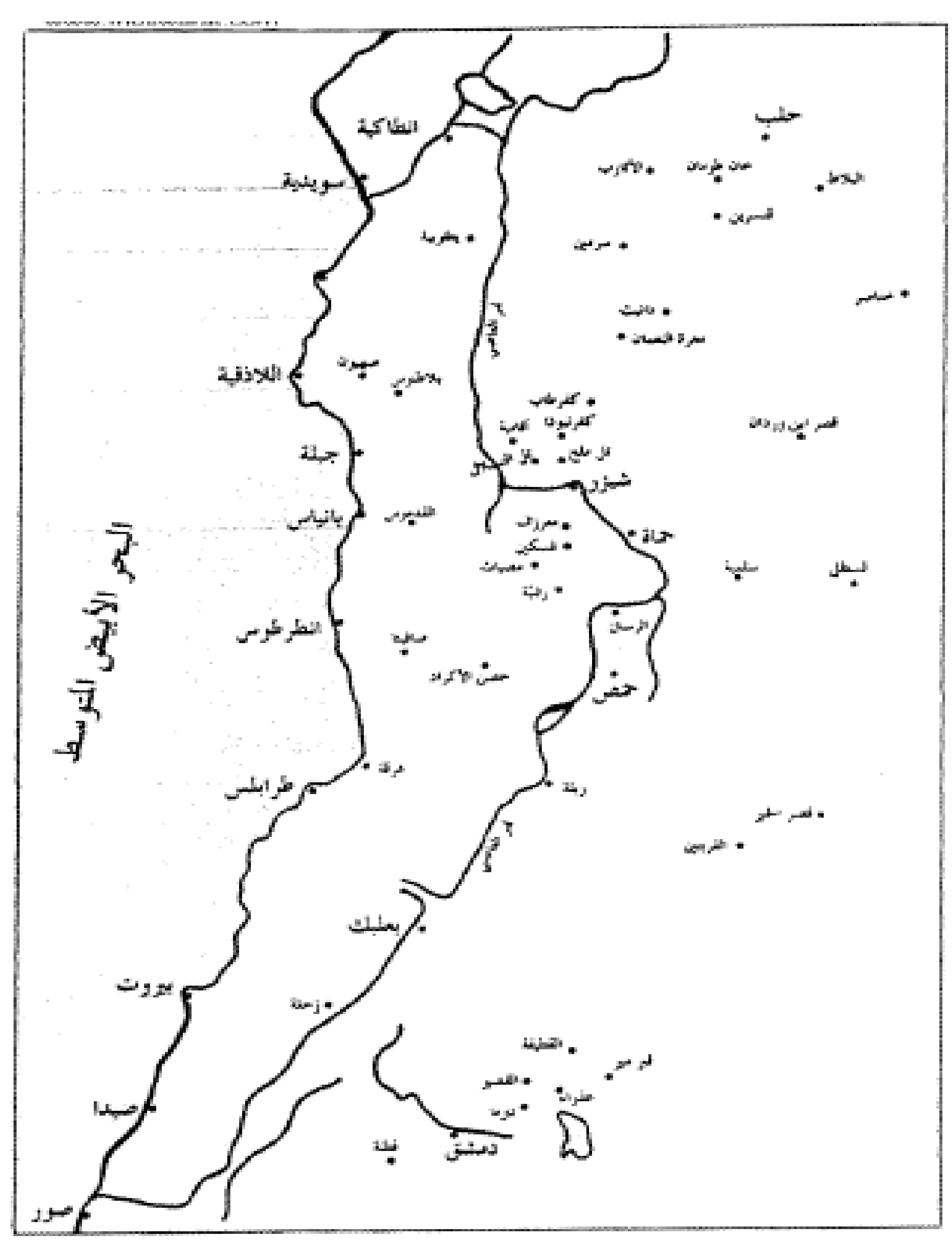
١ ـ سعرد مدينة تابعة لولاية بتليس قريبة من نهر الدجلة .

١١

ابن الجوزي: كتاب مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ص١١ .

<u>ثالثاً: الخرائط:</u>

خريطة رقم (١) توضح مدينة شيزر وما حولها



شيزر وما حولها

ابن منقذ: الاعتبار ، تحقيق: عبد الكريم الأشتر ، ص٣٧ .

خريطة رقم (٢) توضح بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية

حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٢٦٢ .

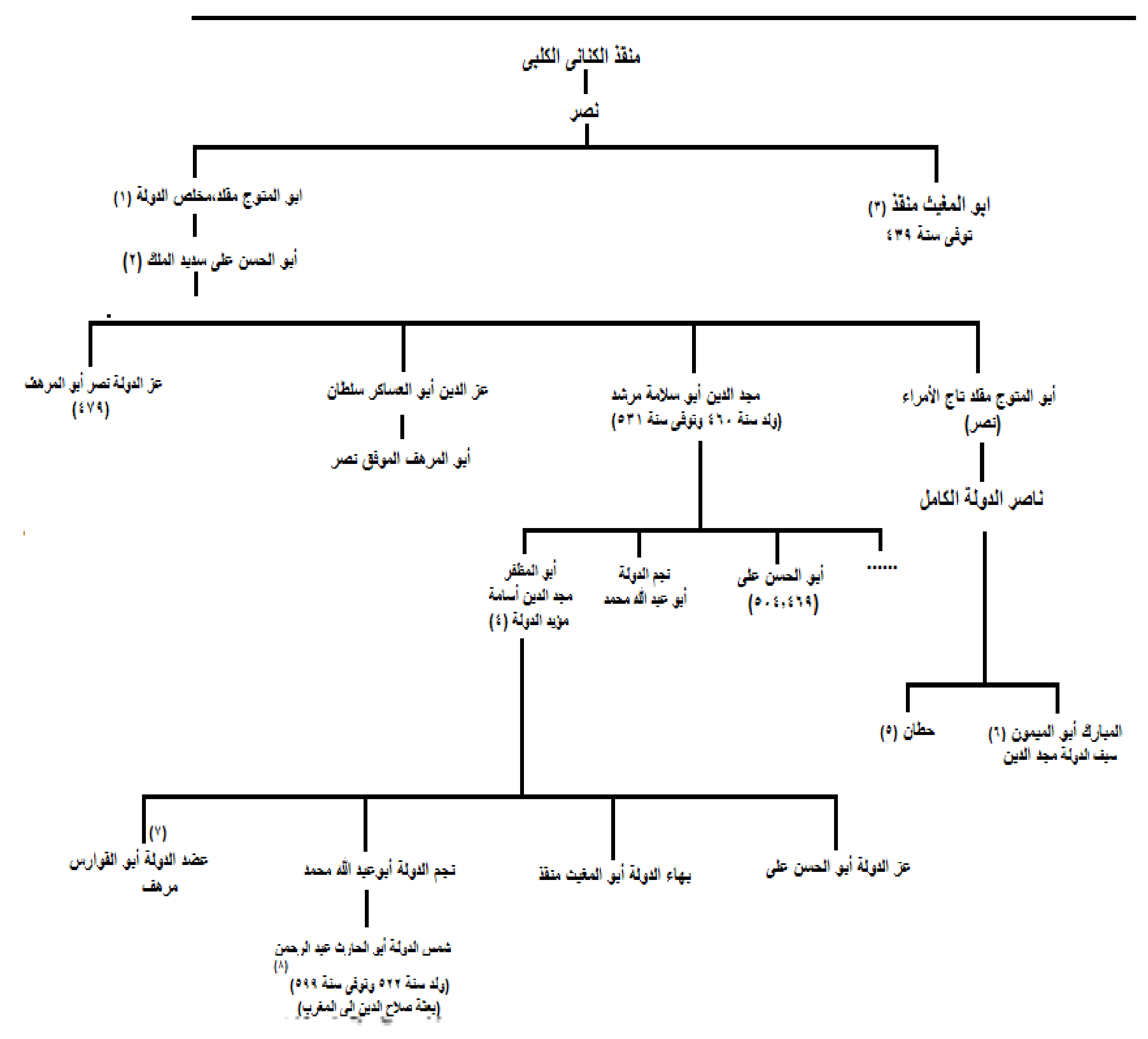
خريطة رقم (٣) توضح الإمارات الصليبية في بلاد الشام



حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ص٢٦٣ .

رابعاً: الأشكال

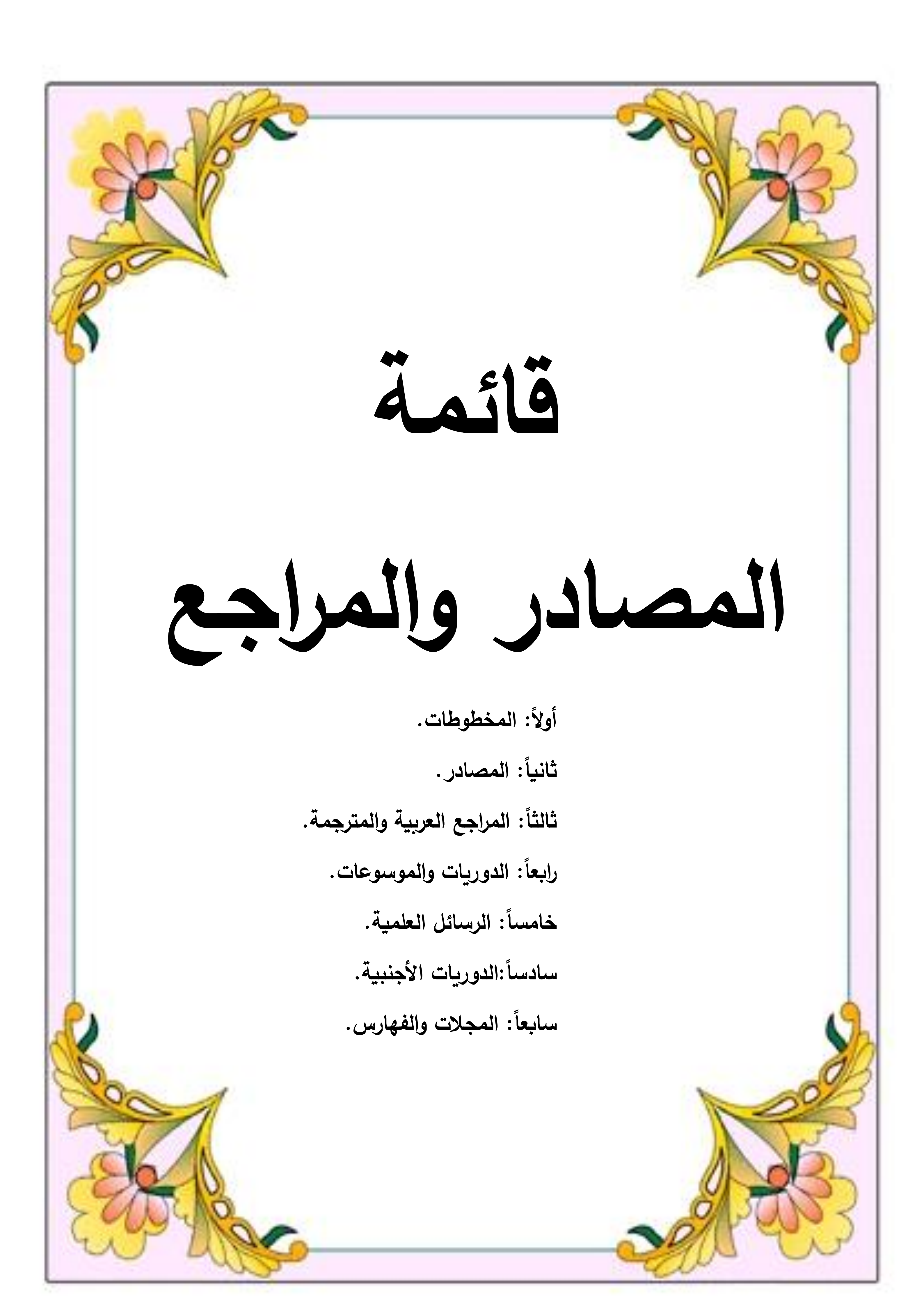
رسم يوضح بنو منقذ بشيزر



المراجع : أسامة بن منقذ الشيزري : كتاب الاعتبار.

(١) توفي في ذي الحجة سنة ٤٥٠ (؟) ، ابن خلكان (ج ٢ ص ١٩٨).
(٢) أول حاكم لشيزر ، توفي في رجب سنة ٤٧٤ وتوفي سنة ٤٧٥ ، ابن خلكان (ج ١ ص ٣٦٨).
(٣) ذكر ابن خلكان (ج ٢ ص ١٢٠) أن اسمه أبو الغيث ، المترجم.
(٤) ولد في ٢٧ جمادى الآخرة سنة ٤٨٨ وتوفي في ٢٣ رمضان سنة ٥٨٤ ، ابن خلكان (ج ١ ص ٦٢).
(٥) نائب أخيه باليمن ، تولاه سيف الاسلام طغتكين سنة ٥٧٧ ، انظر ابن خلكان (ج ١ ص ٢٤٢) المترجم.
(٦) ولد بشيزر سنة ٥٢٦ وتوفي بالقاهرة في ٥ رمضان سنة ٥٨٩ ، نائب تورانشاه باليمن حتى سنة ٥٧٧ ، C. L. A. I. N° 556 ، ابن خلكان (ج ١ ص ٢٤٢).
(٧) يذكر أسامة بن منقذ (ص ١٣٩) أن لقبه عضد الدين ، المترجم.
(٨) خرب الزلزال شيزر سنة ٥٥٢

زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص١٦٥ .



قائمة

المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات.

ثانياً: المصادر.

ثالثاً: المراجع العربية والمترجمة.

رابعاً: الدوريات والموسوعات.

خامساً: الرسائل العلمية.

سادساً:الدوريات الأجنبية.

سابعاً: المجلات والفهارس.

قائمة المصادر والمراجع

❖ **القرآن الكريم:**

❖ **أولاً: المخطوطات:**

- **ابن منقذ:** أسامة بن مرشد بن منقذ أبو المظفر الكناني الشيزري ت(٥٨٤هـ/١١٨٨م):

١- مجموع فيه السيرتين مختصر مناقب عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز، دار الكتب المصرية، مجاميع رقم (٧٢٨) تاريخ.

٢- مختصر مناقب عمر بن الخطاب، دار الكتب المصرية، رقم(٢٣٣٤) تاريخ .

٣- ديوان أسامة، كتابخانة مجلس شوراي ملي- طهران-إيران، برقم(٣٢٢) طباطبائي .

- **ابن الجوزي:** جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ت(٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) :

٤- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، مكتبة جامعة الملك سعود" قسم المخطوطات"، رقم ٥٠٣٢، تاريخ .

❖ **ثانياً: المصادر:**

- **ابن أبي أصيبعة:** موفق الدين، أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي ، ت ٦٦٨هـ/١٢٧٠م .

١- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت.

- **ابن أبي الوفاء:** محي الدين عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم، ت (٧٧٥هـ/١٣٧٣م).

٢- الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، جزءان ، ط٢، هجر للطباعة والنشر، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

- **ابن الأثير:** عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت(٦٣٠هـ/١٢٣٣م.):

٣- اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، بغداد، د. ت .

٤- الكامل في التاريخ، راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق، ١١جزء، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٥- الباهر في الدولة الأتابكية ، تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة بالقاهرة، ومكتبة المثني ببغداد، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.

- **ابن الجوزي:** جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ت(٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م):

٦- تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، ط١، عني بنسخة وتحقيقه مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية، القاهرة، ١٩٧٥م .

٧- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، مراجعة: نعيم زرزور، ١٩ جزء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٨- تاريخ عمر بن الخطاب أول حاكم ديمقراطي في الاسلام ، مطبوعات مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة التوفيق الأدبية، مصر، د.ت .

٩- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، تحقيق: حلمي بن محمد بن إسماعيل، دار ابن خلدون، الإسكندرية، مصر، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .

١٠- سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، ضبطه وشرحه: نعيم زرزور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

- **ابن الحاج:** أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري ت (٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م):

١١- المدخل، ٤ أجزاء ، دار التراث، القاهرة، د.ت .

- **ابن الخطيب:** لسان الدين أبو عبدالله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي ت (٧٧٦هـ/١٣٧٤م):

١٢- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: يوسف علي طويل، ٤ أجزاء، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

- **ابن الساعي:** تاج الدين أبو طالب علي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله ت(٦٧٤هـ/١٢٧٥م):

١٣- الدر الثمين في أسماء المصنفين، تحقيق: أحمد شوقي بنبين، ومحمد سعيد حنشي، ط١، دار الغرب الإسلامي، تونس، ١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩م.

- **ابن اسحاق:** محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني، ت(١٥١هـ/٧٦٨م):

١٤- سيرة ابن إسحاق(السير والمغازي)، تحقيق: سهيل زكار، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .

- **ابن الصابونى** : جمال الدين أبو حامد محمد بن علي بن محمود، ت(٦٨٠هـ/١٢٨١م):

١٥- تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب، تحقيق: مصطفى جواد، المجمع العلمى العراقى، بغداد، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م .

- **ابن الطوير:** أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسراني ت(٦١٧هـ/١٢٢٠م):

١٦- نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

- **ابن العبري:** غريغوريوس، أبو الفرج بن أهرون الطبيب الملطي ت(٦٨٥هـ/١٢٨٦م):

١٧- تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، ط٢، دار الرائد، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

- **ابن العديم** : كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة ت(٦٦٠هـ/١٢٦١م):

١٨- بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق : سهيل زكار، ١٢ جزء، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م .

١٩- زبدة الحلب من تاريخ حلب ،تحقيق: خليل منصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

- **ابن العماد الحنبلي:** شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحى أحمد بن محمد ت(١٠٨٩هـ/١٦٧٨م).

٢٠- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، ١١جزء، ط١، دار ابن كثير، بيروت، دمشق ، ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م.

- **ابن العمراني:** محمد بن علي بن محمد ت(٥٨٠هـ/١١٨٤م).

٢١- الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي ، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة ،١٤٢١هـ/٢٠٠١ م.

- **ابن الفرات** : ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات ت(٨٧٥هـ/١٤٧٠م):

٢٢- تاريخ ابن الفرات ، نشره : حسن محمد الشماع، ط بغداد ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م .

- **ابن الفوطي:** كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد ت (٧٢٣هـ/١٣٢٣م):

٢٣- مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: محمد الكاظم، ٦ أجزاء، ط١، مؤسسة الطباعة والنشر- وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

- **ابن القلانسي:** أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمى ت(٥٥٥هـ/١١٦٠م):

٢٤- تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار، ط١، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- **ابن المستوفي:** المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي ت(٦٣٧هـ/١٢٣٩م) :

٢٥- تاريخ إربل، تحقيق: سامي الصقار، جزءان، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨٠ .

- **ابن الملقن:** سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري ت(٨٠٤هـ/١٤٠٢م):

٢٦- العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، تحقيق: أيمن نصر الأزهري، سيد مهنى، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

- **ابن الوردي:** زين الدين عمر بن مظفر بن عمر ت(٧٤٩هـ/١٣٤٨م):

٢٧- تاريخ ابن الوردي، جزءان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

- **ابن أيبك الدواداري:** أبو بكر بن عبد الله بن أيبك ت بعد (٧٣٦هـ/ ١٤٣٢م):

٢٨- كنز الدرر وجامع الغرر، ج٦، الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق: صلاح الدين المنجد، ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦١ م.

- **ابن بشكوال:** أبو القاسم خلف بن عبد الملك ت (٥٧٨هـ/١١٨٢م):

٢٩- الصلة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط١، دار الكتاب المصري، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م .

- **ابن تغري بردي** : جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى ت(٨٧٤هـ/١٤٦٩م):

٣٠- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تقديم وتعليق: محمد حسين شمس الدين، ١٦ جزء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

- **ابن جبير:** محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين ت (٦١٤هـ/١٢١٧م):

٣١- رحلة ابن جبير، ط١، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت .

- **ابن حِبان:** أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ ت(٣٥٤هـ/٩٦٥م):

٣٢- مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، تحقيق: مرزوق على ابراهيم، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ١٤١١هـ/١٩٩١م .

- **ابن حجر:** أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ت (٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م):

٣٣- الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض،٨ أجزاء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م .

٣٤- لسان الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ١٠ أجزاء، ط١، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .

٣٥- تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، المعروف بطبقات المدلسين، تحقيق: عاصم بن عبدالله القريوتي، ط١، مكتبة المنار، عمان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

- **ابن حزم:** أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ت(٤٥٦هـ/١٠٦٤م):

٣٦- جمهرة أنساب العرب، تحقتق: عبد السلام هارون، ط٥، دار المعارف، القاهرة، د.ت .

- **ابن حوقل:** أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي الموصلي ت بعد سنة (٣٦٧هـ/٩٧٨م):

٣٧- صورة الأرض، جزءان، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٣٨م.

- **ابن خلدون:** ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد ت (٨٠٨هـ/١٤٠٥م):

٣٨- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة ، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م .

- **ابن خلكان:** أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ت (٦٨١هـ/١٢٨٢م):

٣٩- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ٧ أجزاء، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

- **ابن سعد:** أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي ت (٢٣٠هـ/٨٤٤م):

٤٠- الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ٨ أجزاء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

- **ابن شداد**، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم ت (٦٣٢هـ/١٢٣١م):

٤١- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، المعروف بـ سيرة صلاح الدين، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م .

- **ابن شداد:** عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الحلبي، ت(٦٨٤هـ/١٢٨٥م):

٤٢- الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: يحي زكريا عبارة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ١٩٩١م،

- **ابن عدي:** أبو أحمد بن عدي الجرجاني ت (٣٦٥هـ/٩٧٥م):

٤٣- الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، وعبد الفتاح أبو سنة، ٩ أجزاء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م .

- **ابن عساكر:** أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي ت(٥٧١هـ/١١٧٥م):

٤٤- تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق : محب الدين أبو سعد عمر العمروي، ٨٠ جزء، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٤٥- تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م .

- **ابن قتيبة:** أبو محمد عبد الله بن مسلم ت(٢٧٦هـ/٨٨٩م):

٤٦- المعارف، تحقيق وتقديم: ثروت عكاشة، ط٤، دار المعارف، القاهرة، د.ت .

٤٧- عيون الأخبار، أربعة أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٤٨- الجراثيم، تحقيق: محمد جاسم الحميدي، تقديم: مسعود بوبو، جزءان، وزارة الثقافة، دمشق، د.ت .

- **ابن قطلوبغا:** أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني الجمالي الحنفي ت (٨٧٩هـ/١٤٧٤م):

٤٩- تاج التراجم، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

- **ابن كثير** : الحافظ عماد الدين أبى الفدا إسماعيل بن عمر ت(٧٧٤هـ /١٣٧٢م):

٥٠- البداية والنهاية، تحقيق : عبدالله بن عبد المحسن التركى، ٢١ جزء، ط١، دار هجر، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .

٥١- طبقات الشافعيين، تحقيق: أحمد عمر هاشم، ومحمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣ م.

- **ابن مندة:** أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق، ت (٤٧٠هـ/١٠٧٧م):

٥٢- المستَخرجُ من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الرجال للمعرفة، تحقيق: عامر حسن صبري التميمي، ٣ أجزاء، وزارة العدل والشئون الإسلامية، إدارة الشئون الدينية، البحرين، د.ت.

- **ابن منظور** : محمد بن مكرم ت(٧١١هـ/١٣١١م):

٥٣- مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: إبراهيم صالح وآخرون، ٢٩ جزء، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م .

٥٤- لسان العرب، ط٣، ١٥ جزء، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

- **ابن منقذ** : أسامة بن مرشد بن منقذ أبو المظفر الكنانى الشيزرى ت(٥٨٤هـ/١١٨٨م):

٥٥- الاعتبار، اعتنى بتصحيحه هرتويغ درنبرغ ، مطبعة بريل، ليدن، هولندا، ١٨٨٣م.

٥٦- الاعتبار، تحقيق: فيليب حتى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، د.ت .

٥٧- الإعتبار، تحقيق: قاسم السامرائي، ط١، مؤسسة دار الأصالة للثقافة والنشر، الرياض، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٥٨- الإعتبار، تحقيق: عبد الكريم الأشتر، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٥٩- ديوان أسامة بن منقذ، تحقيق وتقديم: أحمد أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد، ط٢، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٦٠- المنازل والديار، تحقيق: مصطفى حجازى، لجنة احياء التراث، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، القاهرة ١٤٣٢هـ/٢٠١١م .

٦١- لباب الآداب، تحقيق: أحمد محمد شاكر، منشورات مكتبة السنة ، دار الجيل للطباعة، القاهرة، ١٩٨٧م.

٦٢- البديع في نقد الشعر، تحقيق: أحمد أحمد بدوي، و حامد عبد المجيد ، مراجعة: إبراهيم مصطفى، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

٦٣- البديع فى البديع فى نقد الشعر، تحقيق: عبد مهنا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م.

٦٤- العصا، تحقيق: حسن عباس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، مصر، ١٩٨١م.

- **ابن هشام:** أبو محمد، جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ت(٢١٣هـ/٨٢٨م):

٦٥- السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، جزءان، ط٢، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٧٥هـ /١٩٥٥م.

- **ابن واصل:** جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سالم بن نصرالله بن سالم ت(٦٩٧هـ/١٢٩٧م):

٦٦- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، ٥ أجزاء، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧ م .

- **أبو الفداء:** الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، ، صاحب حماة ت (٧٣٢هـ/١٣٣١م):

٦٧- تقويم البلدان، طبعة باريس، دار الطباعة السلطانية، ١٨٥٠م.

٦٨- المختصر فى أخبار البشر، ٤ أجزاء، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، و يحيي سيد حسين، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٩م.

- **أبو الفرج الأصفهاني:** علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني الأموي القرشي ت(٣٥٦هـ/٩٦٧م):

٦٩- الأغاني، تحقيق: إحسان عباس وآخرون، ٢٤ جزء، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

- **أبو شامة:** شهاب الدين محمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن ابراهيم بن عثمان ت(٦٦٥هـ/١٢٦٦م):

٧٠- الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، وضع حواشيه وعلق عليه : إبراهيم شمس الدين، ٥ أجزاء، ط١ ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٧١- عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق: إبراهيم الزيبق، ٥ أجزاء، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

- **أبو نعيم الأصبهاني:** أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران ت(٤٣٠هـ/١٠٣٨م):

٧٢- معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، ٧ أجزاء، ط١، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

- **الأصفهاني:** عماد الدين محمد بن محمد بن حامد، المعروف بالعماد الكاتب الأصفهانى ت(٥٩٧هـ/١٢٠٠م):

٧٣- البرق الشامي، تحقيق: فالح حسين، ٥ أجزاء، ط١، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، الأردن، ١٩٨٧م .

٧٤- خريدة القصر وجريدة العصر، القسم العراقي، تحقيق: محمد بهجة الأثري و جميل سعيد، المجمع العلمي العراقي، العراق، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م .

٧٥- خريدة القصر وجريدة العصر ، قسم شعراء الشام، تحقيق : شكري فيصل ، مطبوعات المجمع العلمي العربي ، دمشق ،١٣٧٥هـ/١٩٥٥م .

٧٦- ذيل خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق: عارف أحمد عبد الغني، ومحمود خلف البادي، ط١، دار كنان للنشر والتوزيع، دمشق، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م .

٧٧- الفتح القسي في الفتح القدسي، ط١، دار المنار، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .

٧٨- البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، دراسة وتحقيق: محمد علي الطعاني، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، إربد، الأردن ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

- **البخاري**: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ت(٢٥٦هـ/ ٨٧٠م):

٧٩- التاريخ الكبير، ٨ أجزاء، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، د.ت .

- **البغدادي**: صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى ت(٧٣٩هـ/١٣٣٨م"):

٨٠- مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

- **البكري**، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد ت(٤٨٧هـ/١٠٩٤م):

٨١- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ٤ أجزاء، ط٣، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

- **البلاذري**: أحمد بن يحيى بن جابر بن داود ت(٢٧٩هـ/٨٩٢ م):

٨٢- فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ١٩٨٨ م .

٨٣- جمل من أنساب الأشراف ،تحقيق وتقديم: سهيل زكار ورياض زركلي، ط١، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

- **البنداري**: أبو إبراهيم الفتح بن علي بن محمد ت(٦٤٣هـ/١٢٤٥م):

٨٤- سنا البرق الشامي، تحقيق: فتحية النبراوي، ط٢، مكتبة اللواء، الرياض، ١٩٩٨م .

- **البيهقي**: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ت(٤٥٨هـ/١٠٦٦م):

٨٥- شعب الإيمان، حققه وخرج أحاديثه: عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، ط١، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

- **التنوخي**: أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر المعري التنوخي ت(٤٤٢هـ/١٠٥٠م):

٨٦- تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، دار هجر، القاهرة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .

- **التوحيدي**: أبو حيان علي بن محمد بن العباس ت نحو (٤٠٠هـ/١٠٠٩م):

٨٧- البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، ١٠ أجزاء، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- **الجاحظ:** أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني ت(٢٥٥هـ/٨٦٩م):

٨٨- البيان والتبيين، ٣ أجزاء، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م .

- **جوناثان ريلى سميث :**

٨٩- الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، ترجمة: محمد فتحي الشاعر، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م .

- **حاجى خليفة:** مصطفى بن عبد الله القسطنطينى الرومى الحنفى، ت(١٠٦٧هـ/١٦٥٦م):

٩٠- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، جزءان، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان ، د.ت .

٩١- سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط ، ٦ أجزاء، مكتبة إرسيكا، إستانبول، تركيا، ٢٠١٠ م .

- **الحِميري**، أبو عبدالله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ت(٩٠٠هـ/١٤٩٥م):

٩٢- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط٢، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م،

- **الخطيب البغدادي:** أبو بكر بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي ت(٤٦٣هـ/١٠٧٠م):

٩٣- تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ١٧ جزء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٩٤- تلخيص المتشابه في الرسم، تحقيق: سكينة الشهابي، جزءان، ط١، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٨٥ م .

- **الخوارزمي:** أبو عبدالله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب ت(٣٨٧هـ/٩٩٧م):

٩٥- مفاتيح العلوم، ط١، راجعه وعلق حواشيه: محمد كمال الدين الأدهمي، د.ن، د.ت ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م .

- **الدينوري:** أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري ت(٢٨٢هـ/٨٩٥م):

٩٦- الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال، ط١، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة، ١٩٦٠م .

- **الذهبي:** شمس الدين محمد بن أحمد ت(٧٤٨هـ/١٣٧٤م):

٩٧- سير أعلام النبلاء، تحقيق : بشار عواد معروف، محي هلال سرحان، ٢٥ جزء، ط١١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٩٨- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ٥٢ جزء، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م .

٩٩- العبر في خبر من غبر، تحقيق : أبو هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول، ٤ أجزاء، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

١٠٠- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، ٤ أجزاء، ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.

- **الراغب الأصفهاني:** أبو القاسم الحسين بن محمد ت(٥٠٢هـ/١١٠٨م):

١٠١- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، جزءان، ط١، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

- **الرشيد بن الزبير:** القاضي أبو الحسين أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمد بن الحسين بن الزبير الغساني ت(٥٦٣هـ/١١٦٧م):

١٠٢- الذخائر والتحف، تحقيق: محمد حميد الله، تقديم ومراجعة: صلاح الدين المنجد، التراث العربي، الكويت، ١٩٥٩م.

- **الزبيدي:** محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ت(١٢٠٥هـ/١٧٩٠م):

١٠٣- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، ٤٠ جزء، دار الهداية، د.ت.

- **الزركشي:** محمد بن عبد الله ت (٧٩٤هـ/ ١٣٩١م):

١٠٤- إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق: أبو الوفا مصطفي المراغي، ط٤، القاهرة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

- **سبط بن الجوزي،** شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قز أوغلي بن عبدالله ت(٦٥٤هـ/١٢٥٦م):

١٠٥- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: إبراهيم الزيبق وآخرون، ٢٣ جزء، ط١، دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م .

- **السبكي:** تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين ت(٧٧١هـ/١٣٧٠م):

١٠٦- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي و عبد الفتاح محمد الحلو، ١٠ أجزاء، ط٢، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .

- **السخاوي:** الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت(٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م):

١٠٧- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ٦ أجزاء، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

- **السمرقندي:** أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم ، ت(٣٧٣هـ/٩٨٣م):

١٠٨- تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

- **السمعاني:** أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي ت(٥٦٢هـ/ ١١٦٦م):

١٠٩- الأنساب، حقق نصوصه وعلق عليه: محمد عوامة، ١٢ جزء، ط١، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

- **السيوطي:** جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت(٩١١هـ/١٥٠٦م):

١١٠- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، جزءان، ط١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ١٣٨٧ هـ/١٩٦٧ م .

١١١- المستظرف من أخبار الجواري، تحقيق: صلاح الدين المنجد، ط٢، دار الكتاب العربي الجديد، بيروت، لبنان، ١٩٧٦م .

١١٢- طبقات المفسرين العشرين، تحقيق:علي محمد عمر، ط١، مكتبة وهبة ،القاهرة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

- **الشهرستانى:** أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد ت(٥٤٨هـ/ ١١٥٣م):

١١٣- الملل والنحل، تحقيق: أمير علي مهنا، وعلي حسن، ٣ أجزاء، ط٣، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .

- **الشوكاني:** محمد بن علي ت(١٢٥٠هـ/١٨٣٤م):

١١٤- البدر الطالع البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، جزءان، ط١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م.

- **الشيباني:** أبو عمرو إسحاق بن مرّار الشيباني بالولاء ت(٢٠٦هـ/٨٢١م):

١١٥- الجيم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، راجعه: محمد خلف أحمد، ٣ أجزاء، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

- **الصفدي** : صلاح الدين خليل بن أيبك ت(٧٦٤هـ /١٣٦٢م):

١١٦- الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى ، ٢٩ جزء، ط١ ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م .

- **الطباخ** : محمد راغب الطباخ الحلبي ت (١١٤٠هـ /١٧٢٧م).

١١٧- أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، صححه وعلق عليه: محمد كمال، ٨ أجزاء، ط٢، دار القلم العربى، حلب، سوريا، ١٤٠٩هـ /١٩٨٩م .

- **الطبري:** أبو جعفر محمد بن جرير ت(٣١٠هـ/٩٢٢م):

١١٨- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ١٠ أجزاء، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦٧م .

- **العلائي:** صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله العلائي، ت(٧٦١هـ/١٣٥٩م):

١١٩- جامع التحصيل في أحكام المراسيل، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م .

- **العليمي:** مجير الدين أبو اليمن عبد الرحمن بن محمد ت(٩٢٨هـ/١٥٢٢م):

١٢٠- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، العراق، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

- **العمري:** شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله ت (٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م):

١٢١- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: كامل سليمان الجبوري، ومهدي النجم، ٢٧ جزء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.

- **عياض:** القاضي أبو الفضل بن موسى اليحصبي ت(٥٤٤هـ/١١٤٩م):

١٢٢- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: عبد القادر الصحراوي وآخرون، ٨ أجزاء، ط١، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ١٩٧٠م .

- **العيني** : بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى ت(٨٥٥هـ/١٤٥١م):

١٢٣- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق : محمود رزق محمود، ط٢، دار الكتب والوثائق القومية، بالقاهرة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م .

- **الفاسي:** تقي الدين أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي ت(٨٣٢هـ/١٤٢٩م):

١٢٤- ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، تحقيق: كمال يوسف الحوت، جزءان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

١٢٥- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ٧ أجزاء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

- **الفراهيدي:** أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم ت(١٧٠هـ/٧٨٦م):

١٢٦- كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ٨ أجزاء، دار ومكتبة الهلال، د.ت .

- **فوشيه الشارتري**، فوشيه دي شارتر، ت حوالي عام(٥٢١هـ/ ١١٢٧م):

١٢٧- الاستيطان الصليبي في فلسطين تاريخ الحملة الى بيت المقدس١٠٩٥-١١٢٧م، ترجمة: قاسم عبده قاسم، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م .

- **القرطبي:** أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ت(٤٦٣هـ/١٠٧٠م):

١٢٨- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، ٤ أجزاء، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م .

- **القفطي:** جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف ت(٦٤٦هـ/١٢٤٨م):

١٢٩- إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، ٤ أجزاء، ط١، دار الفكر العربي بالقاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية ببيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٢م .

- **القلقشندي** : أبو العباس أحمد بن على ت(٨٢١هـ/١٤١٨م):

١٣٠- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الأبيارى، ط٢، دار الكتب الإسلامية، ،١٩٨٢م.

١٣١- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ١٩٨٠م.

١٣٢- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٤ جزء، دار الكتب الخديوية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣٢هـ/١٩١٤م.

١٣٣- مآثر الإناقة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ١٣ جزء، عالم الكتب، بيروت، لبنان، د.ت .

- **الكتبي:** صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر ت(٧٦٤هـ/١٣٦٣م):

١٣٤- فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، ٤ أجزاء، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤.

- **المازندراني**، أبو جعفر محمد بن علي ت(٥٨٨هـ/ ١١٩٢م):

١٣٥- مناقب آل أبي طالب، تحقيق: يوسف البقاعي، ٥ أجزاء، ط٢، دار الأضواء، بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

- **الماوردي:** أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ت(٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م):

١٣٦- النكت والعيون، تحقيق السيد عبد المقصود عبد الرحيم، ٦ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت .

- **المزي:** أبو الحجاج جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف ت(٧٤٢هـ/١٣٤١م):

١٣٧- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، ٣٥ جزء، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

- **المفضل الضبي:** المفضل بن محمد بن يعلي بن سالم ت(١٦٨هـ/٧٨٤م):

١٣٨- أمثال العرب، ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٤ هـ/٢٠٠٣م .

- **مقاتل بن سليمان:** أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى ت (١٥٠هـ/ ٧٦٧م).

١٣٩- تفسير مقاتل، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ط١، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

- **المقريزى** : تقي الدين أحمد بن على بن عبد القادر ت(٨٤٥هـ /١٤٤١م):

١٤٠- المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، ٨ أجزاء، ط١، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٤١١هـ /١٩٩١م .

١٤١- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٣ أجزاء، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، لجنة إحياء التراث، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، وزارة الاوقاف، القاهرة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

١٤٢- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، والمشهور بالخطط، ٤ أجزاء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

- **المنذري** : زكى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي ت(٦٥٦هـ/١٢٥٨م):

١٤٣- التكملة لوفيات النقلة، تحقيق : بشار عواد معروف، ٤ أجزاء، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

- **الميداني:** أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، ت(٥١٨هـ/١١٢٤م):

١٤٤- مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، جزءان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت.

- **النعيمي** : عبد القادر بن محمد ت(٩٧٨هـ/١٥٧٠م):

١٤٥- الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، جزءان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

١٤٦- دور القرآن في دمشق، تصحيح: صلاح الدين المنجد، دمشق، ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م .

- **الهروي:** أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي ت(٦١١هـ/١٢١٤م):

١٤٧- الإشارات إلى معرفة الزيارات، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

- **الواقدي:** أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي ت(٢٠٧هـ/٨٢٢م):

١٤٨- المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، ٣ أجزاء، ط٣، دار الأعلمي، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .

- **وليم الصوري**، مؤرخ لاتيني ورئيس أساقفة صور ت(٥٨٢هـ/١١٨٦م):

١٤٩- الحروب الصليبية، ترجمة: حسن حبشي، ٣ أجزاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م.

- **اليافعى:** أبو محمد عبدالله بن أسعد بن سليمان ت(٧٦٨هـ/١٣٦٦م):

١٥٠- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، ٤ أجزاء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ١٤١٧هـ /١٩٩٧م.

- **ياقوت الحموى** : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ت(٦٢٦هـ/١٢٢٨م):

١٥١- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المعروف بمعجم الأدباء ، تحقيق : إحسان عباس، ٧ أجزاء، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٣م .

١٥٢- معجم البلدان، ٧ أجزاء، ط٢، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م .

- **اليونيني:** قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد ت(٦٧٠ هـ/ ١٢٧٢م):

١٥٣- ذيل مرآة الزمان، ٤ أجزاء، ط٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة ، ١٤١٣هـ /١٩٩٢م .

❖ ثالثاً: المراجع العربية والمترجمة.

- **إحسان عباس** (دكتور):

١- شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، استخرجها وحققها : إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- **أحمد رمضان أحمد** (دكتور):

٢- الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربى، جدة، السعودية، د.ت.

- **أحمد قدرى الكيلانى:**

٣- أسامة بن منقذ الأمير الفارس والأديب الشاعر سيرة حياته، ط١، المكتبة العربية، حماة، سوريا، ١٩٩٧م.

- **إسماعيل باشا البغدادي:**

٤- هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٣٧١هـ/١٩٥١م.

- **السيد محسن الأمين العاملي:**

٥- أعيان الشيعة، حققه وأخرجه: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

- **أمين معلوف:**

٦- الحروب الصليبية كما رآها العرب، ترجمة: عفيف دمشقية، دار الفارابي، بيروت، ١٩٩٨م.

- **أنور محمود زناتى:**

٧- دراسات تحليلية في مصادر التراث العربي، دار زهران للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن ، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م .

- **أيمن فؤاد سيد** (دكتور):

٨- الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٢م.

٩- الكتابة التاريخية ومناهج النقد التاريخي عند المؤرخين المسلمين، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٧م.

- **بشار عواد معروف** (دكتور):

١٠- الذهبى ومنهجه في كتاب تاريخ الإسلام، ط دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م .

- **بكر بن عبد الله أبو زيد:**

١١- طبقات النسابين، ط١، دار الرشيد، الرياض، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

- **جمال الدين الألوسي:**

١٢- أسامة بن منقذ بطل الحروب الصليبية، مطبعة أسعد، بغداد، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

- **حجازي عبد المنعم** (دكتور):

١٣- إمارة شيزر فى عصر بني منقذ (٤٧٤-٥٥٢هـ/١٠٨١-١١٥٧م)، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠١٤م .

- **حسن عباس** (دكتور):

١٤- أسامة بن منقذ حياته وشعره، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨٠م.

▪ **حسن محمد قرني (دكتور):**

١٥- دراسة في مصادر التاريخ الإسلامي، دار الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠٠٦م .

▪ **حسين أحمد أمين (دكتور):**

١٦- الحروب الصليبية في كتابات المؤرخين العرب المعاصرين لها، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٣م.

▪ **خير الدين الزركلي:**

١٧- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط٧، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م.

▪ **رينهارت بيتر آن دوزي:**

١٨- تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد سليم النعيمي، ط١، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، العرق، ١٩٨٠م.

▪ **زامباور:**

١٩- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي، أخرجه زكي محمد حسن بك وآخرون ، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

▪ **زكي محمد حسن (دكتور):**

٢٠- الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، كلمات للترجمة والنشر، القاهرة ،٢٠١٣م.

▪ **ستيفن رنسيمان:**

٢١- تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: د/ السيد الباز العرينى، ط٣، القاهرة ،١٩٩٣ .

٢٢- تاريخ الحملات الصليبية، ترجمة: نور الدين خليل، مملكة القدس والشرق الفرنجي(١١٠٠-١١٨٧م)، مكتبة الشروق، القاهرة ، د.ت.

▪ **سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور):**

٢٣- بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٧م .

▪ **سحر السيد عبدالعزيز سالم (دكتور):**

٢٤- صور من التعاون العسكرى بين دمشق والقاهرة ضد الصليبيين في العصر الفاطمي (٤٩٨-٥٦٤هـ/ ١١٠٤-١١٦٨م)، البحث الثالث في كتاب "بحوث مشرقية ومغربية في التاريخ والحضارة الإسلامية "، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٧م .

- **سهيل زكار** (دكتور):

٢٥- تاريخ الدولة العربية في المشرق من السلاجقة حتى سقوط بغداد، ط٣، دمشق، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

- **السيد أبو المعاطي النوري وآخرون:**

٢٦- موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلله، ج٤، ط١، عالم الكتب، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

- **السيد الباز العريني** (دكتور):

٢٧- تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة، ١٩٦٠م .

- **السيد عبد العزيز سالم** (دكتور):

٢٨- التاريخ والمؤرخون العرب، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٧م .

- **شاكر مصطفى:**

٢٩- التاريخ العربى والمؤرخون ، ٣ أجزاء، ط٣ ، دار العلم للملايين، بيروت ،١٩٨٣م .

- **شوقي ضيف** (دكتور):

٣٠- الترجمة الشخصية، ط ٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧م،

٣١- تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات، الشام، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٣.

- **عادل نويهض:**

٣٢- معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، ط٣، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م .

- **عبد الرحمن حميدة:**

٣٣- أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر، دمشق، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

- **عبد السلام هارون:**

٣٤- نوادر المخطوطات ، كتاب العصا لابن منقذ ،ج ١،، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

- **عبد الشافي محمد عبد اللطيف** (دكتور):

٣٥- السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، ط١، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

- **عبد العزيز الدوري** (دكتور):

٣٦- نشأة علم التاريخ عند العرب، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م .

- **عبد الهادي الفضلي** (دكتور):

٣٧- أصول الحديث، ط٣، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

- **عفاف صبرة** (دكتورة):

٣٨- تاريخ الدولة البيزنطية، ط١، دار المسيرة، عمان، الأردن، ٢٠١٢م .

- **عمر رضا كحالة:**

٣٩- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب،ج١، مؤسسة الرسالة، دمشق، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م .

٤٠- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤ م.

- **عمر موسى باشا:**

٤١- الأدب في بلاد الشام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك ، المكتبة العباسية، دمشق د.ت .

- **فتحية عبد الفتاح النبراوي** (دكتورة):

٤٢- علم التاريخ دراسة في مناهج البحث، ط٣، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .

٤٣- العلاقات السياسية الاسلامية وصراع القوى الدولية في العصور الوسطى (١٠٠٠م-١٣٠٠م)، ط٢، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة، السعودية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م .

- **فرانتز روزنتال:**

٤٤- مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ترجمة: أنيس فريحة، مراجعة وليد عرفة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦١م .

٤٥- علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة: صالح أحمد العلي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

- **قاسم عبده قاسم** (دكتور):

٤٦- بين الأدب والتاريخ، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م .

- **كارل بروكلمان:**

٤٧- تاريخ الأدب العربى ، نقله الى العربية: السيد يعقوب بكر، وراجع الترجمة رمضان عبد التواب، ج٦، ط٢، دار المعارف، القاهرة ، د.ت .

- **محمد أحمد درنيقة:**

٤٨- معجم أعلام شعراء المدح النبوي، ط١، دار ومكتبة الهلال، د.ت .

- **محمد التنوجى:**

٤٩- المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات ، عالم الكتب، د. ت .

- **محمد السماوى:**

٥٠- الطليعة من شعراء الشيعة، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، ط١، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

- **محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف:**

٥١- معجم المصطلحات والتراكيب والأمثال المتداولة، ط١، دار الأندلس الخضراء، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

- **محمد رمزى** (دكتور):

٥٢- القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥، ط٣، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٠م.

- **محمد سليمان الطيب** (دكتور):

٥٣- موسوعة القبائل العربية بحوث ميدانية وتاريخية، ط٢، دار الفكر العربى، ١٩٩٦م.

▪ **محمد سهيل طقوش** (دكتور):

٥٤- تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، ط٣، دار النفائس، بيروت، لبنان، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

▪ **محمد سيد كيلانى:**

٥٥- الحروب الصليبية وأثرها على الأدب العربى في مصر والشام، دار الكتاب العربي، مصر، د.ت .

▪ **محمد عبدالغنى:**

٥٦- التراجم والسير ، ط٣، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠م.

▪ **محمد عدنان قيطاز:**

٥٧- أسامة بن منقذ والجديد من آثاره وأشعاره، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ١٩٩٨م.

▪ **محمد كرد علي:**

٥٨- خطط الشام، ط٣، مكتبة النوري، دمشق، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣.

▪ **محمد كمال الدين عز الدين على** (دكتور):

٥٩- أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م .

٦٠- التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر العسقلاني، ط١، دار اقرأ للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

▪ **محمد محمد مرسى الشيخ** (دكتور):

٦١- الإمارات العربية في بلاد الشام في القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين، ط١، الهيئة العامة المصرية للكتاب، الأسكندرية، ١٩٨٠م .

▪ **محمد مؤنس عوض** (دكتور):

٦٢- الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، ط١، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٥م.

٦٣- الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب في القرنين (٦-٧هـ/١٢-١٣م)، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، القاهرة، ١٩٩٩/٢٠٠٠م.

٦٤- الحروب الصليبية دراسات تاريخية ونقدية، ط١، دار الشروق، عمان، الأردن، ١٩٩٩م،

- **محمود سعيد عمران** (دكتور):

٦٥- القادة الصليبيون الأسرى في أيدي الحكام المسلمين (٤٩٣-٥٣١هـ/١١٠٠-١١٣٧م)، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- **محمود محمد الحويري** (دكتور):

٦٦- الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين (١٢-١٣م) عصر الحروب الصليبية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م.

- **مسفر بن سالم عريج الغامدي:**

٦٧- الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الاسلامي قبل قيام الدولة الأيوبية في مصر (٤٩١-٥٦٩هـ/١٠٩٧-١١٧٣م)، ط١، دار المطبوعات الحديثة، جدة، السعودية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

- **مصطفى عبد الكريم الخطيب.:**

٦٨- معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

- **نجيب العقيقى :**

٦٩- المستشرقون، موسوعة في تراث العرب مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه ، ط٣، دار المعارف، مصر، ١٩٦٥م .

- **وهيب طنوس:**

٧٠- الوطن في الشعر العربى من الجاهلية إلى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي، ط١، د. ن، ١٩٧٦م .

- **يحيي مراد:**

٧١- معجم تراجم الشعراء الكبير: ج١، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

- **يوسف سركيس.**

٧٢- معجم المطبوعات العربية والمعربة، مطبعة سركيس بمصر، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م.

❖ رابعاً: الدوريات والموسوعات

▪ **إبراهيم بن محمد المزيني:**

١- المشاهدة والمعاينة مصدراً من مصادر التدوين التاريخي عند المسلمين، مجلة الدّارة، دارة الملك عبد العزيز، السعودية، مجلد(٢٧)، العدد(٢)، ربيع الآخر ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٢- سمات الحكم الزنكي في عهد نور الدين محمود(٥٤١-٥٦٩هـ/١١٤٦م-١١٧٤م)، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، العدد (٢٢)، ربيع الآخر ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

▪ **أحمد خان:**

٣- ما هذا الكتاب، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد (٦٣)، سوريا، ١٩٨٨م.

▪ **إسماعيل الوريث:**

٤- أسامة بن منقذ فارس العرب في الحروب الصليبية، دراسات يمنية، العدد(٤٦)، اليمن، ١٩٩٢م.

▪ **ثناء عبدالعظيم عبد العزيز:**

٥- رضوان بن ولخشي وزير سني في خلافة شيعية، حوليات المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة ، يوليو ٢٠١١م.

▪ **جابر سلامة المصري:**

٦- عماد الدين زنكي بين الخلافة العباسية والسلطنة، مجلة كلية التربية، جامعة الأسكندرية، مصر، مجلد (٣)، العدد (٢)، ١٩٩٠م .

▪ **جليلة الطريطر بلحاج يحيي:**

٧- الاعتبار لأسامة بن منقذ نموذجاً في الكتابة السير ذاتية العربية القديمة، حوليات الجامعة التونسية ، العدد (٣٧)، تونس ١٩٩٥م.

▪ **حسن عبد الخالق حسن بقا .**

٨- كيف نعيد كتابة التاريخ الإسلامي، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، الزقازيق، مجلد (٢) ، العدد (١١) ، ١٤١١هـ/١٩٩١م .

▪ **حنين بدران:**

٩- قبيلة كلب بن وبرة، مجلة أفكار، الأردن، العدد (٢٦٢)، ٢٠١٠م.

- **رغدة على الزبون:**

١٠- قراءة تحليلية في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، المجلد(٧)، العدد(٢)، ربيع الثاني، نيسان(أبريل)، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

- **سامي حمود، وعلياء جاسم:**

١١- منهج ياقوت الحموي في معجمي الأدباء والبلدان، دراسة مقارنة، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، العراق، العدد(١٦)، حزيران ٢٠١٤م .

- **سمر روحى الفيصل:**

١٢- لباب الآداب، مجلة التراث العربي، سوريا، مجلد(٢٣)، العدد(٩٠)، ٢٠٠٣م.

- **شفيق محمد الرِّقب و محمد نايف العمايرة :**

١٣- مظاهر العمران الاجتماعي في بلاد الشام من خلال كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ، حوليات آداب عين شمس، مصر، مجلد(٤٠)، يناير، مارس، ٢٠١٢م.

- **صفوان طه حسن الناصر:**

١٤- ابن القلانسي(ت٥٥٥هـ)وكتابه المذيل لتاريخ دمشق، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، الموصل، العراق، مجلد ٩، عدد ٤، ٢٠٠٩م .

- **طاهر النعسانى:**

١٥- أسامة بن منقذ، مجلة المجمع العلمي العربي، سوريا، مجلد(١٠)، الجزء(٥)، ١٩٣٠م.

- **عادل جابر صالح:**

١٦- كتاب الاعتبار دراسة في الاجتماع في بلاد الشام إبان القرن السادس الهجري، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، العدد(٤٧)، ١٩٩٩م.

- **عامر عمران الخفاجي:**

١٧- مصادر الماوردي في التفسير، مجلة جامعة بابل، كلية التربية العلوم الإنسانية، جامعة بابل، العراق، المجلد(١١)، العدد(١)، ٢٠٠٦م .

- **عبد الحميد الفرانى:**

١٨- القيمة العلمية لروايات ابن منقذ الشفوية في كتاب الاعتبار، أعمال مؤتمر التاريخ الشفوي الواقع والطموح ، كلية الآداب ،الجامعة الإسلامية غزة ، فلسطين ،٢٠٠٦م.

- **عبد العزيز عبد الغني إبراهيم:**

١٩- الوثائق التاريخية المسجلة وأهمية مقارنتها بالروايات الشفهية، مجلة الوثيقة، البحرين، مجلد(١٩)، عدد(٣٨)، يوليو ٢٠٠٠م .

- **عبد الفتاح محمد الحلو:**

٢٠- تراجم الفقهاء، مجلة البحوث الإسلامية، السعودية، العدد(١)، رمضان، ١٩٧٥م.

- **عدنان درويش:**

٢١- كتب التراجم منجم التاريخ العربي، مجلة الفكر العربي، معهد الإنماء العربي، لبنان، مجلد(٤)، العدد (٢٧)، ١٩٨٢م.

- **عطا عبد الرحمن محيي الدين:**

٢٢- على ابن السلار الوزير في الدولة الفاطمية (٥٤٤-٥٤٨هـ/ ١١٤٩-١١٥٣م)، مجلة التربية والعلم، العراق، مج (١٦)، عدد(٤)،٢٠٠٩م.

- **عماد الدين خليل:**

٢٣- لمحات من النشاط الثقافى في ديار بكر في عهد الأراتقة، مجلة آداب الرافدين، العراق، عدد(٧) ، ١٩٧٦م.

- **فائز علي بخيت:**

٢٤- الأوضاع السياسية في بلاد الشام في العهد الزنكي، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، مجلد(٧)، العدد(٣)، الموصل، ٢٠١٢م.

- **محمد أبو شعبان، ونعيم الصفدي:**

٢٥- أصول وضوابط الرواية اللفظية " الشفهية " عند المحدثين، أعمال مؤتمر التاريخ الشفوي الواقع والطموح، كلية الآداب، الجامعة الاسلامية، غزة ، فلسطين، مايو ٢٠٠٦ .

- **محمد سالم بن شديد العوفى:**

٢٦- الحركة الصليبية وأثرها في تطور العلاقات بين مصر والشام في الفترة (٤٩٠-٥٥٤هـ/١٠٩٦-١١٥٩م)، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود، العدد(٨)، السعودية، ١٩٨٤م.

- **محمد عبد القادر خريسات:**

٢٧- الرواية الشفهية في الكتابة التاريخية، مجلة الوثيقة، البحرين، مجلد(١٨)، عدد(٣٦)، يوليو ١٩٩٩م .

- **محمد عبدالله عباس:**

٢٨- السيرة الذاتية في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ "دراسة أدبية ونقدية في الأبعاد الفكرية والفنية، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق، جامعة الأزهر، مصر، مج (٢)، عدد (٢٩) ، ٢٠٠٩م .

- **محمد عُزَيز شمس:**

٢٩- هذا كتاب أخبار النساء لابن منقذ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، سوريا، مجلد(٦٥)، عدد(٢)، ١٩٩٠م .

- **محمود فاخوري:**

٣٠- فن التراجم حتى القرن السابع الهجري، مجلة التراث العربي، سوريا، مجلد(٣١)، العددان (١٢٥/١٢٦)، ٢٠١٢م.

- **منى حماد:**

٣١- الأسرى المسلمون والصليبيون وطرق معاملتهم بين الإطار القانوني والواقع التاريخي (٤٩٠-٥٨٦هـ/١٠٩٧-١١٩١م)، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس،

- **نزار اللبدي:**

٣٢- المصطلح العسكري في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ دراسة معجميّة، مجلة إربد للبحوث والدراسات،الأردن، مجلد(٦)، عدد(١)، ٢٠٠٣م.

- **نصر الدين البحرة:**

٣٣- أسامة بن منقذ والمرأة، مجلة التراث العربى، سوريا، مج (١٧)، عدد (٦٨)، ١٩٩٧م.

- **هاشم صالح مناع:**

٣٤- شيزر في التراث والتاريخ، مجلة التراث العربي، سوريا، مجلد(١٧)، عدد(٦٥)، ١٩٩٦م.

- **هاني العمد:**

٣٥- كتب التراجم الشامية، رسالة المكتبة،الأردن، مجلد(١٥)،عدد(٣)، سبتمبر ١٩٨٠م.

- **وليد حسن المدلل:**

٣٦- مسائل أخلاقية وقانونية في الرواية الشفهية، أعمال مؤتمر التاريخ الشفوي الواقع والطموح، كلية الآداب، الجامعة الاسلامية، غزة، فلسطين، مايو ٢٠٠٦ .

❖ **خامساً: الرسائل العلمية:**

- **أحمد صبحي سالم أبو مصبح:**

١- مروان بن محمد في مرويات الطبري(٧٢-١٣٢هـ/٦٩١-٧٤٩م) دراسة تاريخية منهجية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ٢٠١٤م.

- **بتول كامل مزهر الياسري:**

٢- الجغرافيون والرحالة العرب في بلاد الشام في القرنين السادس والسابع الهجريين/ القرن الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، رسالة دكتوراه منشورة، جامعة سانت كليمنتس العالمية، بغداد، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م .

- **براءة محمود السقرات:**

٣- كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ، دراسة تحليلية، رسالة ماجستير في الأدب قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، الأردن، ٢٠١١م .

- **حازم فارس علي أبو شارب:**

٤-فن السيرة في الأدب الأيوبي كتاب الاعتبار أنموذجاً، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، عمان، الأردن، ٢٠١١م .

- **رياض عبدالله محمد أبوراس:**

٥- أسامة بن منقذ شاعراً دراسة نقدية، رسالة ماجستير منشورة فى الأدب والنقد، ، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة أم درمان الإسلامية ، السودان، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

- **صالح محمد ارميح خرانبه:**

٦- أحوال الدولة الفاطمية في عهد الخليفتين الآمر باحكام الله والحافظ لدين الله، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ٢٠١٣م.

- **طارق محمود محمود أبوهدهود:**

٧- ابن الأثير ودوره في الكتابة التاريخية، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، نيسان ٢٠٠٩م.

- **عبد الرحمن بن راشد بن عبد العزيز العبيدي:**

٨- أبو شامة المقدسي مؤرخاً (٥٩٩-٦٦٥هـ)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

- **عماد عزام جوابرة:**

٩- علي بن محمد المدائني ودوره في كتابة التاريخ، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس، فلسطين، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م .

- **فؤاد حسن حسين أبو الهيجاء:**

١٠- العماد الأديب وخريدته رسالة علمية أدبية اجتماعية، رسالة دكتوراه في الأدب والنقد، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

- **ليلى بنت سليمان عبدالله العومي:**

١١- مصادر ابن عبد الملك المُراكشيّ في كتابه " الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة " دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والحضارة، كلية العلوم الإجتماعية، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م .

- **محمد جميل محمود عطا:**

١٢- كتب التراجم وأثرها في الكتابة التاريخية من(القرن ٥-٨هـ/١١-١٤م)، رسالة دكتوراه، كلية الآداب ، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٨م.

- **منصور إحميد سالم:**

١٣- الأوضاع الدينية للمسلمين في الشام في العهد المملوكي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م .

- **ناصر بن محمد على الحازمي:**

١٤- الحركة العلمية الطبية في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية (٤٩٢-٦٩٠هـ/١٠٩٩-١٢٩١م)، رسالة دكتوراة منشورة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

- **هالا عبد الحميد إبراهيم:**

١٥- الحملة الصليبية الأولى على بلاد الشام (٤٩٢هـ/١٠٩٩م-٥٤٢هـ/١١٤٧م)، رسالة دكتوراه ، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية ، الأردن، ٢٠١٠م.

❖ **سادساً: الدوريات الأجنبية:**

- **Dana Sajdi**.

1- An Arab-Syrian Gentleman and Warrior in the Period of the Crusades: Memoirs of Usamah Ibn-Munqidh by Philip K. Hitti, The Arab Studies Journal, Vol. 11/12, No. 2/1 (Fall 2003/Spring 2004), p 191 .

❖ **سابعاً: المجلات والفهارس.**

١- مجلة معهد المخطوطات العربية ، مجلد (٦) ، القاهرة ، مايو –نوفمبر ١٩٦٠م .

٢- فهرس المخطوطات المصورة بدار الكتب المصرية، الجزء الخامس، التاريخ، ط١، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م.



فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات